

محمد المختار السوسي

العصود

ا

المغرب

مقدمة

بين أمس والغد

من طبائع الايام التحول من حال الى حال؛ ففي كل يوم طلوع جديد لم يكن معروفا. أو أفول معروف كان لم يكن في يوم ما جديدا. فما يألفه الاجداد حتى يكون جزءا من حياتهم قد يكون عند الاحفاد منكورا. وما يكون منكورا عند جيل قد يكون عند جيل آخر مألوبا. وهذا ما يراه الانسان في نفسه. فيكون في كهولته غيره في شبابه فكرا وذوقا ورغبة في شيء أو رغبة عنه؛ وهي اطوار جيلت عليها هذه الحياة. سنة الله في الكون ولن تجد لسنة الله تبديلا

والتحول في الهياة الاجتماعية في غالب الازمنة؛ يعهد منه ان يتتابع ببطء حتى لا يكاد يفتن له الا الامميون؛ حتى جاء هذا العصر؛ عصر الذرة والصواريخ، فاذا بها تكاد تتحول من حال الى حال في طرفة عين. خصوصا في بعض الاقطار كقطرنا هذا الذي هجم عليه هذا العصر المسرع هجوما مباغتاً؛ فاذا به بين عشية وضحاها كأنما انقلب راسا على عقب.

أمس

اننا اليوم في (المغرب) لفي عهد يعده من يعيشون قبله؛ ثم يمتد بهم العمر الى أن يعيشوا فيه عهدا غربيا عجيبا. فقد شاهدنا كل شيء الى تحول سريع. فقد كنا نحيا في بيئة لا تكاد تمت اليها هذه البيئة الجديدة بأى لون. كنا في دين وفي عادات وفي هيات وفي افكار وفي مقاييس وفي اوضاع. ثم هانجن اولاء مندفعون الى ما يعاكس كل ما الفناه على خطمستقيم.

أمس كان الدين ومثله العليا. والتخلق به. والتحاكم اليه. وانحصر على علومه. واحترام حملته. هو المعروف المجمع عليه لا يختلف فيه اثنان لأن ذلك راسخ في النفوس؛ وتواترت عليه القرون؛ منذ عرف المغرب الاسلام في القرن الاول الهجري الى أن ادرنا نحن ذلك في أوائل القرن الرابع عشر

أمس كانت الحضارة الشرقية هي المعروفة وحدها عندنا بأذواقها وآدابها والوانها وهديونها واتساع ساحتها. وهي التي استمطعت أن تلتهم حضارة فارس وبيزانطة. ثم تبلورت في دمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وقرطبة. ثم كان مقرنا هذا من له من ارث هذه الحضارة كنوز كاد يحافظ عليها وحده منذ أن انهارت الاندلس. واستولى التركيون على الشرق الادنى كله ما عدا هذا القطر السعيد. الذي لم يعرف الا الاستقلال منذ عرف الاسلام ائى الآن. فكان يعرف مقدار كنوزه هذه ويعتز بكل ما فيها من ألوان وافكار وفلسفة وعلوم وآداب ومعمار

أمس كانت عندنا تقاليد محترمة في اللباس وفي اختيار التانيث وفي حياة الجلوس وفي اقامة الحفلات وفي مزاولة الاعمال. فتكونت لنا هيئة اجتماعية توافقت لانها كانت متسلسلة عن الاجداد. لا يحس فيها بانها تتغير في كل جيل، وان كانت في الحقيقة لا بد أن يكون فيها تغير ما في كل جيل - فكانت لها موازين خاصة مألوفة. اليها يتحاكم ذوو الاذواق والافكار عند الاختلاف. فيتخذ حكمها مسمطا. وقانونها مرتكز في أعماق النفوس لا مسطر في الطروس. تلامت فيه مقتضيات حياتنا وديننا وعادات مجتمعتنا تلاؤما تاما. دين العربية ولغة الدين. وعادات تكونت تحت نظرهما في قطر امتزج فيه العرب والبربر تمازج الماء القراح بالراح

هكذا كنا أمس نعيش عيشة راضية نقر بها عيناء ونرضى عنها كل الرضاء لا نرى بها بديلا. بل لا نظن أن هناك من يحيا حياة طيبة مثل حياتنا التي نحياها في أمسنا انحلوا اللذيد؛ يوم كنا في عزلة عن العالم. في قطرنا هذا المحاط من جميع جهاته بسدود طبيعية. فمن الجنوب بالمحراء الكبرى، ومن الغرب والشمال بالبحر الواسع الذي لا نكاد نملك فيه ولو سفينة واحدة لركوبه. ومن الشرق بالجزائر التي سادت ايضا دوننا منذ أن استعمرها الفرنسيون من عقود من السنين. فهذه هو محيطنا الذي لا نعرف سواه قد الفناه وسعدنا فيه سعادة من ينشأ في محل خصاص في عمره كله. فلا يتصور أن هناك حياة أخرى غير ما هو فيه

اليوم

وفي هذا اليوم إهم علينا الاستعمار بخيله ورجله، بلونه وفكره. بسياسته ومكره. بحضارته المشعة. بعلومه الحيوية المادية. بنظامه العجيب؛ بمعامله المنتجة السريعة؛ بكل شيء يمت إلى الحياة الواقعية. فوقع لنا كما وقع لأصحاب الكهف يوم رجعوا إلى الحياة، فوجدوا كل ما يعرفونه قد تغير تغيراً تاماً. وحين كان المغرب لفناً حاذقاً سريع التطور. مندفعاً إلى كل ما يروقه. أقبل بنهم شديد على التهام كل ما في هذه الحضارة الغربية العجيبة. التي تغير على جميع نواحي الحياة. فتحدث من التغيير ما يجرف التقاليد والأفكار وكل ما يمت إلى العادات. فإذا بالمغرب يتحول في عهد قصير إلى مغرب آخر يفاير كل ما كان معروفاً منه في الأسم. فإذا بأمثائنا نحن الذين كنا نعيش في شرح شبابنا في المغرب المستقل قبل 1330 هـ. قد كدنا نكون غرباء في طور شميخوختنا في المغرب المستقل من جديد 1375 هـ. فقد حرصنا أن لا ننكر إلا ما يستحق أن ينكر. وإن نحمد كل ما يمكن أن يحمد واجتهدنا أن نساير العصر. وإن نتفهمه فلا ننكر أخذ ما لا بد من أخذه من أساليب الحضارة ونظها وعلومها - لأن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها إن وجدها - ولكننا مع ذلك نشاهد اسرافاً في التحول السريع الذي لم يراع فيه - حسب انظارنا نحن المسنين - حكمة ما بين التفريط والافراط؛ فتحاول أن نجتمع بين محاسن أمس واليوم. ناصبين ميزان القسط. فإذا بنا نكاد نعيش الآن على هامش الحياة العادية التي اندفع إليها هؤلاء الذين يملكون ناصية الحياة الاجتماعية بعد الاستقلال. واعظم ما نهتم له شينان: أحدهما التفريط في المثل العليا التي لا ترسخ في الشعوب إلا بعد جهود قرون؛ ومتى اجتثت من أي شعب بمثل هذه الاندفاعات العمياء فإن أبناء ذلك الشعب سرعان ما يتحرفون عن الصراط المستقيم في الحياة. وثانيهما التفريط في المحافظة على اللغة العربية وآدابها التي هي شعار المغرب وكنزه الموروث المحافظ عليه كلفة رسمية حتى يوم عممت تركيا لغتها في جميع أنحاء بلاد العرب منذ أوائل القرن العاشر الهجري. وليت شعري لما إذا كنا نحرض على الاستقلال إن لم تكن أهدافنا المحافظة على مثلنا العليا المجموعة في اسم ديننا الحنيف؛ والمحافظة على هذه اللغة التي استمات المغاربة كلهم عربهم وبربرهم في جعلها هي اللغة الوحيدة في البلاد

ومعلوم ما لملغرايين والمرابطين والموحدين والمرينيين من تمجيد هذه اللغة وهي دول بربرية صميمة وذلك هو موضوع العجب. وأما إن يحافظ الإدارة والسعديون والعلويون عليها فإن ذلك امر طبيعي.

لان الجالسين منهم على العرش عرب افحاح. هكذا اصبحنا نرى كثيرا من ترائنا يضمحل بكل سرعة. ثم لا يطمع ان يتراجع اليه الاخلاف الا بعد زمان نطلب الله أن لا يطول

الغد

نحن نوقن انه سيأتي يوم يشور فيه اولادنا او احفادنا ثورة عنيفة ضد كل ما لا يمت الى غير ما لآبائهم من النافع المحمود. ثم يحاولون مراجعة تاريخهم ليستقوا منه كل ما في امكانهم استدراكه. فلهؤلاء يجب على من وفقه الله من أبناء اليوم أن يسعى في ايجاد المواد الخام لهم في كل ناحية من النواحي التي تندثر بين اعيننا اليوم. وما ذلك الا بايجاد مراجع للتاريخ يسجل فيها عن امس كل ما يمكن من الاخبار والعادات والاعمال والمحافظة على المثل العليا. بل يسجل فيه كل ما كان وكو الخرافات؛ او ما يشبه الخرافات. فان نهم من سيأتون في الغد سيكتهم كل ما يقدم اليه كيفما كان؛ ليستنتج منه ما يريد ان يعرفه عن ماضى اجدادهم. وهذا احد مغاى هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء

فكرة جمع الكتاب

كنت مرة زرت الزاوية الدلائية من ايت اسحق في سفح الاطلس الكبير. فصرت ابحت هل اجد هناك اثرا من آثار اولئك العلماء الادباء العظام؟ فلم أقع على أى أثر فأغمضت عيني برهة فصرت استحضر كل ما كنت قرأته من الكتب التي تحدثت عن هذه الزاوية. وعن اعمال رجالها. فاذا ذلك عرفت ان الخلود لامثال هؤلاء لا يكون الا بالتسجيل بالاقلام فاختمرت هذه الفكرة في نفسي عن ناحية سوس الذي اعرف فيها من امثال الزاوية الدلائية عشرات فعشرات كأدوزو تيمكيدشت وأكشتيم وطاطبة وتاتلت والمعدر وتادارات واسرير وتاكوشيت وتيفيراسين وأغبالو ماسة وتامانارت وأقا وتازموت واكرار وتاغاتين والمحجوب وامثالها. فمنها ما اندثر قبلنا. ثم لا نجد عنها الا مثل الوشم على ظاهر كف المعجوز وذقتها. ومنها ما لا يزال فيها رفق. يعرف منه ماضيها الجيد. فكنت أتمنى وأنا اذذاك في مراكش في موالاة الدروس لمن يحلقون حولي لو اجد فراغا لما يختمر في نفسي حتى أؤدى هذه المهمة التي كانت عندي اذ ذاك كفكرة حديثة بسبب الاخ البونعماني ابي هذه الفكرة. ثم جاء النفى مختتم 1355هـ. الى مسقط راسي

حيث ألزمت القبوع والانتحاش والبعد عن المجتمعات. فامتشقت القلم فاتخذته انيسا فى اليوم الثانى لتزولى فى (الغ). وحين لم أجد من اخالط الا من فى زاويتنا فنعت بتسجيل ما يتيسر من بعض اذكيائهم. وفى عشية يوم كنت مع اخى احمد رحمه الله؛ فقال لى وقد رآنى مكبا على تسجيل كل ما اسمع مما جمع فى كتاب (من افواه الرجال) ولا انظم ما اسوقه فيه ولا اختار؛ ماذا تصنع الآن؟ فان كنت لا بد كاتباً؛ فهىء لنا كتاباً عن (الغ) وعن كل من مر فيه من العلماء والادباء والحوادث. ليكون لنا كتاب آل زاوية تيمكيدشت الذى الفه العربى المشرفى الفاسى؛ فكانت هذه الكلمة من الاخ هي البذرة الاولى من هذا الكتاب. ثم نظمته تنظيماً يكاد يستوفى كل اعمال زوايا سوس ومدارسها مع الالمام باخبار بعض رؤسائها والحروب بينهم. وجمع رجالات الاسر العلمية تفصيلاً. وقد رتب الكتاب على خمسة اقسام. فاشترطت انى كلما ذكرت رجلاً ممن كانوا على شرط الكتاب ان اذكر كل ما حوالية من رجالات اسرته من العلماء ومن تلاميذه ومن اسانذته وبهذا استطعت ان احشر فى الكتاب كمية عظيمة من زوايا العلم بسوس وبعض ديار الرياسة. فطال الكتاب بذلك حتى كانت مجلداته تنقسم الى هذه الاجزاء

3 فى الالفين العلماء والرؤساء

5 فى اساتذتهم كالجشتميين والادوزيين والتيمكيدشتين وآل ماء العينين والمزواريين والتامانارتين والافاريضيين.

3 فى تلامذة مدرستهم كاليزيديين والسالميين والتفصيكين والتادراتيين والناصريين والوهداويين الاساويين

6 فى الاخذين عن زاويتهم كالاكراريسين والمججوبيين والكرسيقيين والمعدريين والركنين والتاتلتيين

3 فى اصداقائهم السوسيين منهم رؤساء كالجرايين والتامانارتيين والقائد المدنى والقائد الناجم وغيرهم. وبهذا صار الكتاب عن سوس موسوعة فيها تسجيل كل ما امكن من اخبار بعض العلماء، وبعض الصوفية؛ وبعض الرؤساء. وانما قلت البعض لان هناك كتاباً خاصاً بعلماء سوس. وآخر فى رؤسائهم. والمقصود ان اسجل أكثر ما يمكن لى تسجيله للقد بهذه الكتب عن هذه الناحية من المغرب

هذا وقد يجد القارىء من ابناء اليوم مما اكتبه ما يعده من سقط. المتاع ومما لا يتبقى أن يهتم به مما يعده عند نفسه فى ذوقه من الخرافات

ولكن لا يسمين اننى مؤرخ؛ وقلم المؤرخ الجماعة كعدسة المصور تلتقط كل ما امامها حتى ما تقضى به الاعين. فكما تلتقط الاشعاعات الساطعة تلتقط الظلال انقائمة فان لم يكن قلم من يجمع للتاريخ كذلك، فانه قلم التضميل والمسح للحقائق. لان واجب المؤرخ ان ينقل قارنه بوساطة براعته الى الذى يتحدث عنه حتى كأنه يشاهد عيانا. واما ان يهذب او يشذب ويحذف ويزيد حتى يضمنل القارىء عن الحقائق فذلك هو الزور بعينه ولهذا احرص انا فى التراجم أن اذكر كل شىء مدحا وقدحا وان كنت اعمل فكرى واختار وارجح. لان هذه ايضا من وظائف المؤرخ. ولا خير فى مؤرخ جماع فقط من غير ان يظهر اثر فكره فيما يكتب

وبعد فها انذا اجعل امام القارىء بعض ما سودته عن سوس فى هذا الكتاب الذى هو احد تلك الكتب. وسيجد فيه احيانا تكرارا فى التحدث عن شىء واحد فى مختلف التراجم. والمقصود ايجاد الصور المختلفة باختلاف الروايات لحادثة واحدة. ليستطيع من سيدرس الحادثة غدا ان يستوعب كل ما حوالبها. فينظم الكلام فى صعيد واحد. وانا لا ازعم فى هذا الكتاب الا انه مجموعة مهياة لمن سيمستقى منها غدا ما يريد. ولذلك احرص على ذكر العادات وطرائف الاخبار. والنكات الادبية. والقوافى وان لم تكن بمستساغة عند الاذواق العالية فى الادب؛ كما لا ادعى اننى بلغت انغابة او اتبعت المنهج العلمى فى الدقة. وانما ادعى اننى حرصت على امانة النقل عن المصادر - وغالبها من افواه رجالات الاسر - واجتهدت على أن أتبع الترتيب المنطقى ان حاولت الاستنتاج. باذلا جهدى ما استطعت - لان المقصود اولا وآخرا ان يرى القارىء مشاهدة ما يقوم به جانب من جوانب المغرب. يضم طائفة من ابناء امازيغ الشلجيين البلمويين. فى نشر اللفة العربية وعلومها وآدابها وقد اولعوا بذلك ولوعا غريبا. فقاموا باعظم دور فى ذلك بجهودهم الخاصة من غير ان تعينهم الدولة.

ومن مفاخر المغرب ان هذا العمل بنفسه او اكثر منه كان فى بوادى درعة وفى تافيلالت وفى دكالة وفى الريف. ولكن اين من يجمع لنا مما هناك مثل هذا التجمع. وان لم يكن جمعا واسعا كما ينبغى. ولا مستوعبا كما كان يجب

ثم اننى ابن زاوية وابن بيثة امس. مومن بالروحيات الصادقة. فاقبل خرق العادة ان صح ان ذلك واقع. ولذلك يعذرني من ليس له هذا الايمان ان وجد فى بعض التراجم من الكتاب مثل ذلك فله دينه ولى ديني

نحن بما عندنا وانت بمسا عندك راض والراى مختلف

فليعلم المطالع لهذا الكتاب باجزائه العشرين انه سيخوض فيها اخبار الفقهاء والادباء والرؤساء والصوفية وكل ما يعن من احوال انبادية وسيكون كالدخول الى السوق التي تجمع كل شيء. فليأخذ ما يعجبه وليعرض عما لا يعجبه. فان ما لا يعده الا شميئا تافها؛ ان كان لا يذوق حالوته. قد يكون ازاءه قارىء آخر لا يعجبه هو الا ذلك. فالكتاب كما يقولون كالمائدة الطافحة بانواع الاطعمة، يأكل كل واحد منها ما يشتهيها فمن ليس باديب لا يرتاح للادب. ومن ليس بفقير لا يرتاح لحوال الفقهاء. ومن ليس بصوفى يستنكر حتى ما هو حق من احوال الصوفية. نعم ان من يكون مؤرخا يريد ان يستنتج يفرح بكل شيء ولو الخرافات فضلا عن الحقائق .

وأخيرا

فقد وضعت اسم كتاب (سوس العالمة) أمام القارىء. وهو كالنافذة لهذا الكتاب واخوانه من الكتب الاخرى. وهالك الآن (الجزء الاول) من هذا الكتاب الثانى الذى ستمتع من اجزائه الى العشرين ان شاء الله. قاله ييسر بفضلها؛ فان لم يخرج القارىء بكل ما يريد من الكتاب عن (سوس) فانه على الاقل يخرج بفائدة كانت عنده قبل الكتاب من المجهولات. نطلب الله ان ياتى بمن يستتم ما ينقص فى الموضوع • او يصحح الاغلاط • وما ذلك على شياطينا الذى تراه يشارك اليوم فى هذا الميدان ببعيد



بيان

غالب الاعلام فى لغة الشلحة لا ينطق بها كما هى عند اهلها الا مضبوطة مشكولة وحين كان ذلك الآن كالمعتذر فى مطابعا العربية المغربية سلكت الطريقة التى تعناد فى أخوات الشلحة من اللغات العجمية فأجعل الالف مكان الفتحة والواو مكان الضمة والياء مكان الكسرة وكل حرف ليس أمامه الف او ياء فانه مسكن فمثلا تجد (تمنرت) فى اقلام الكاتبين اسوسيين فلا تهتدى الى قراءتها ولكن ان كتبتها هكذا (تامانارت) فانك تفتح التاء والميم والنون وتسكن الراء فاذا بك نطقت بها نطقا صحيحا وكذلك (ايدىكل) و(ءازريف) و(ءاكجكال) و (تيفمى) و (ءافا) و(تامادولت) و (تيفنوت) (تاكانزا) و (ايسى) و (تالبرجت) و (تيفرميت) و (تاكموت) و (ايلىغ) و (السخ) فالفرق بينهما ان الاول مكسور اللام والثانى مسكنها وبهذه الطريقة يستغنى عن شكل الفاظ شلحية لا حصر لها فلم يبق لنا الا معرفة الحرف المشدد من غيره فلم أقع الى الآن على ما ينبه به على التشديد الا الشكل فمثلا (تيمكىدشت) فجميع الحروف يظهر ضبطها مما تقدم فلم يبق الا الكاف المشددة وكذلك (تاغاجيجت) فالجيم الاولى مشددة وكذلك (أكادير واير) فان الواو والياء مشددتان كما يبقى لنا أيضا ما يتعلق بأشفخيم والترقيق فى الحرف؛ والكاف المعقودة التى تكون بين القاف والكاف وهى كثيرة فى الشلحة؛ مثل (اكلو) (اكرسيف) و (ايكوسالن) و (تاكنيت) فان هذين وهما ما يتعلق بالتفخيم والترقيق . وما يتعلق بالكاف المعقودة أمرها خفيف فى نظرى الآن فحينئذ يتلخص لنا أن الذى يكون لنا حجر عثرة فى مطابعا التى لم تزود بالحروف المشكولة هو الحرف المشدد وحده؛ وسنجهد ان نبين ذلك آخر كل جزء فترتب الاعلام التى فيها الحرف المشدد على حروف المعجم باعتبار اول الكلمة والله الموفق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله

الحمد لله الذى علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم؛ ففتح العيون؛ وأرهف الاذان؛ وهدى النجدين؛ وانطق الانسان باللمات؛ وخص كتابه الكريم بأفصح اللغات لغة العرب خير لغة أخرجت للناس؛ بعد ما هذبتهما السن العرب العرباء؛ ثم شدبتهما حكمة القرآن بالمثل العليا. فاستحقت أن تكون كلغة عامة لجميع من يعتنقون الاسلام من أقصى المشرق الى أقصى المغرب. فالحمد لله الذى هدانا لهذا حتى صرنا - نحن أبناء الخ العجم - نذوق حالاتها؛ ونذكر طلاوتها؛ ونستشف آدابها؛ ونغوض امواج قوافيها، حتى لنعد انفسنا من أبناء يعرب وان لم تكن إلا أبناء (أمازيغ). فالانسان بنوقه وبما يستحليه عند التعبير؛ لا بما رضعه من ثدى أمهاته، واللسان بما تتفتح له به المعانى الحاوة؛ لا بما يتهدج به من لغة يرثها لا تعد من نبع ولا غرب (1)؛ فاللغة العربية عندنا - معشر الالغيين - هى لغتنا حقا التى نعتز بها. لان بها مراسمتنا ومخاطبتنا حين نريد أن نرتفع بأنفسنا عن مستوى جيراننا، وأبناء جلدتنا من الحربليين والوقفاويين والمجاطين والساموكنيين؛ وتلك نعمة أنعم الله بها علينا بفضله وكرمه؛ حتى اننا لنرى أنفسنا من ورثة الادب العربى؛ فنغار ان مسه ماس بفهاهة؛ ونذود عن حماه ان أحسنا بمن يريد أن يمسه باهانة؛ فنحن عرب أقحاح؛ من حرشة الضباب، والمستطيبين للشبيخ والقيصوم؛ وان لم تكن أصولنا الا من هؤلاء الذين يجاوروننا من أبناء السملحين الاماجد

(I) النبع: كفلس والغرب كالفرح من شجر البادية تصنع منها السهام. قال أبو تمام
تخرصا واحاديثا ملففة ليست بنبع اذاعت ولاغرب

والصلاة والسلام على من بعثه الله من خير أرض وان لم تكن
 الا صحراء فاحلة؛ فكان للانسانية جمعاء قبل أن يكون مخصوصا في مبادئه
 الحق للعرب الخالص؛ رفع راية الحرية والمساواة والاخاء؛ فأوى الى ظلها
 كل الذين هداهم الله فاستظلوا بتلك الراية من قلبين فاندونيسية الى هذا
 القطر المغربي الذي نكون نحن - أبناء الخ - في أقصى ذنبه الذي هو ذنب
 الطاووس - فيما نرى - ورضى الله عن الصحابة وتابعيهم الذين شرفوا
 وغربوا بهذه الراية المباركة، حتى ركزوها وراءنا في الصحراء الكبرى
 تركيزا؛ ثم لم تقدر أربعة عشر قرنا أن تززعها عن محلها؛ لان ما مراكزه
 في القلوب لا يمكن أن يتزعزع بالاغصير، فحيا الله تلك الهمم الشماء
 التي تفتح القلوب باللسان العربي وبكتابه الكريم؛ قبل ان تفتح البلاد؛
 وهل عرف العالم فانجا مثل العرب كما يقول غوستاف لوبون ؟

أما بعد فقد اولعت منذ عرفت قبيلي من دبيرى؛ وميزت يميني من
 شمالي. بالتاريخ والادب؛ وبمطالعة كتبهما فلا أظن ولا أبيت منذ كحلنتي
 العربية بانهما، وأذاقتني حلاوة معانيها الطلية فانشتني بخمرتها؛ الا بين
 كتاب ابتدئه وآخر اختتمه؛ منذ بكرت الى مطالعة كتاب (الف ليلة وليلة)
 في فجر حياتي؛ اذ كان اول كتاب طالعته وانا ابن نحو عشر سنين؛
 فأخذت بحكاياته التي تدل على ما لمدينة العرب في بغداد ومصر وما اليهما
 من ناقة ولطف وحسن ذوق؛ ورفاهية عيش، ثم لما زدت قدما؛ طالعت مثل:
 المستطرف وحياة الحيوان للدميري وابن خلكان؛ ومروج الذهب؛ ونفح
 الطيب؛ وقلائد العقيان، والاستقصاء؛ ونزهة الحادي؛ والصفوة - وهي
 الكتب التي طالعتها في حياتي الاولى في الخ وما الى الخ من افران واغشان -
 ثم لما كلت تراب الارض بقدم الهجرة (1) ووجدت خزائن تطفح بالكتب
 الكبرى؛ أقبلت بنهم الذي لا يشبع على التهام كل ما تقع عليه عيني كيفما
 كان الكتاب؛ ما دام يمت الى الادب والتاريخ، فلا ارد أي كتاب سنج؛ ولسان
 حالي ينشد قول ابن المعتز

قلبي وثاب الى ذا وذا ليس يرى شيئا فيأباه
 يهيم بالحسن كما ينبغى ويرحم القبح فيهبواه

ثم لما حملت بفاس أنى الوادي فطم على القرى (2)؛ فبدلت اخلاقا
 غير التي عهدت من نفسي قبل؛ وانا في مراکش واحواز مراکش، فقد تلقحت

(1) لا يدرك المرء في اوطانه شرفا حتى يكيل تراب الارض بالقدم
 (2) مثل عربي، القرى كفتى؛ مسيل الماء من الوادي؛ وطم الماء على التمس؛
 اذا غمره .

في جو فاس بما لو لم اتلقح به لما كانت لي فكرة، ولا تحركت بي هممة؛
ولا نزعتم بي نفس عزوف تقول بهاء فيها
لي هممة عالية فذة طموحها ليس له منتهسى
لو ملكتم كل الثرى لا عثتم الى امتلاك سادرة المنتهى

تكونت لي في فاس فكرة دينية فرقت بها ما بين الخرافات المموهة،
وبين الروحانيات الربانية؛ كما نبتت مني غيرة وطنية نسيتم بها نفسي
ومصالحى الشخصية؛ فاعدت نفسي فداء لدينى ولوطنى ولامتى التى هى
امة العرب والاسلام جمعاء وانا بين هاتين: الفكرة والغيرة اسبح في آداب
حية طلع بها هذا العصر الجديد؛ فصرت أقرأ من نشر المنفلوطى وفريد وجدى
ومحمد عبده واضرابهم، ومن شعر شوقى وحافظ ومطران وامثالهم ما عرفت
به أن الذى كنت أسبح فيه منذ صغرى ليس الا ضحاحا كدرا؛ لا يبرد جسدا؛
ولا يفتأ غلة؛ ولا يقضى على لهفة .

ثم لما ابت من فاس، وقد الممت بالرباط. حيث احتقبت أيضا علوما
وفهوما وانظارا وبحوثا؛ لم أقع عليها الا في الرباط وفي مشايخ الرباط.
حلمت بالحمرء وقد اقيمت فيها مرساتى، وأنوى أن أفضى الواجب على
لدينى ولوطنى ولشعبى؛ ما بين تلميذ يهدب؛ وبين درس ارشاد يلقى؛ وانا
في جانب ذلك اناغى اليراع فيما عسى أن يرفع من شأن هذه الامة؛ من احياء
ما اندثر من آثار ماضيها، ومن المحافظة على العربية الفصحى التى أراها
اذ ذاك في انهيار؛ ففي هذه الميادين الثلاثة قضيت أزمانا؛ تكشفت عن أعمال
كان فضل الله على فيها عظيما؛ ومن بينها اشتغالى بجمع مؤلف حول (العصر
الذهبي لمرآثى) يوم كانت عاصمة المرابطين والموحدين، أعدت له من المراجع
ما لو تم بها لكان - فيما كنت أقدر - صنو (عصر المأمون) حجما واسلوبا
واقادة وروعة، لاننى وجدت من ذلك مكان القول ذا سعة؛ ولكن جاء النفي
بفتنة؛ فذهبت تلك المراجع مع ما كتب من الاصل الى سلة المهملات

ها انا ذا الآن انفى الى الخ؛ الى مسقط راسى؛ حيث امنع من ان اتصل
بالناس؛ فوجدتنى فجأة امام بيئة كنت نسيتهما، فخطبت من هناك بهمة
القصيدة التى الممت فيها بعض لعب الولدان الالفين؛ وبذكريات اول
شبابى؛ أتمطق بها الآن بكل حلوة :

اليكم - بنى امى - ائيب ركائبي فياليت شمعى هل انا خير آئب (1)
فقد غبت احقابا طوالا وذا انسا اعود كان لم اغد - قط - بغائب

(I) ائيب؛ تقرأ الهمزة الثانية بالهاء تسهيلا على ما عرف من القاعدة
اذا اجتمعت همزتان .

صدفت الى ان كان ميل اليكم
كان لم يكن الخ بلادى التى بها
كان لم يكن اصلى ومثبت نبعتى
كان لم تكن لى ارضها خير مرتقى
وروض وصال قد تمتعت برهة
اذ الدهر بشر والحياة مسرة
ويوم الصبا يوم ضحوك كانمسا
نهارى حبور ثم ان زرت مضجعى
قليل هناء والنهار سعادة
تناغيني الآمال من كل وجهة
فامى واختى لا تريدان غير ما
اشير فيوتى لى بكل الذى اشأ
فاحسبني بالامر والنهى انى
تطارحنى نفسى الهنى فأظلم فى
فلم ادر الا ان انال المراد كى
فأسدر فى ميدان لهوى واننى
اجول كما اشهى واجرى كما أشأ
الإعب أترابى فتغادو الى المسا
نظل على فر وكر كأنما
على قصبات شققمت جنباتها
نجيل اذا جلنا بها فى اكفنا
فتمصمده وانقع المثار مطنب
فنجرى ولا تدرى المجلى بيننا ؛
نحاول تنظيمها وسرعان ما ترى انه
وافضل يوم عندنا يوم نفتدى ،

ورجع اى هذا اليوم احدى التجائب (1)
سموت به فوق الذرى والمناكب
ومجمع اخوانى ومغنى اصاحبى
سربت صغيرا بين شمتى المسارب
بأزهاره بين ألمسى والنواب
وروض الامانى مستهل المعاشب
تغازل صبا سافرات الكواعب
فاطيب بحلم مستلذ المشارب
وعيشى طليق الوجه عذب المشائب
مناغاة أم الطفل مهما تلاعب
أريد جناه من جميع المرابعب
وان كان مجناه مناط الكواكب
امير على اهلى وكل صواحبي
خمانلها أجنى ثمار رغائبي
اساجل اقراى بكل الملاعب ؛
اخال ذكاء قد علمت كل ناؤب (2)
واسحب ذيل سحب سكران شارب
وما ان درينا كيف مس المتاعب
تلاطم ميدان الوغى بالكتائب
ولكنها من تحتنا كالشموازب (3)
عصيا نرى منهن امضى القواضب
كما اعترضت فى الجوسود السحائب (4)
واى نظام بين خيل الهلاعب ؟
ستارا كوهى العقد فوق التراب
حفاة بجرى المذكيات السراحب (5)

(1) صدفت عن الشيء: مال عنه

- (2) السادر: الذى لا يهتم ولا يباى بما صنع؛ والفعل سدر كفرح، وذكاء
بضم الدال ممنوع من الصرف ولكنه مصروف هنا ضرورة: الشمس
(3) نقرس الشازب: الضامر. والصبيان يشقون من أخريات قصباتهم
التي يركبون عليها لتثير الغبار كالخيل عند اجرائها
(4) طنّب بالمكان: اقام فيه
(5) المذاكى من الخيل: التى اتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان؛
وفرس سرحوب: طويلة.

واقبلت الضمبان من كسل جانب
فدارت رحي الهيجاء بين المقانب (1)
«تربا» وخاض الحرب كل محارب (2)
عصائب طير صدمات عصائب
تصل قطا عطشى سرت للمشارب (3)
فكفل يعانى ان يرى جد غالب
تلاحم صفانا بشوس مجارب (4)
وضقنا عن اعمال القنا والقواضب
تماسكنا فوق القرى والجوانب (5)
على الارض او جلد امام المغالب
وقوف. وبعض ماسكو بالتلابب (6)
ذوو الراى منا نحو صلح مقارب
مضى مثل امس غابر العهد ذاهب؛
عناق كان لم يلتقوا فى المعاطب ؛
فسالت على اغناقهم والمناب
باحجار «الد» الجانيات النواهب (7)

وقد اعصرت ربح التفاقم بيننا
وصرح بين القريتين تضارب
وفرقع فى الميدان «الد» وصوتت
وقد جالت الاحجار فوق كانها
وقد زجلت اصداء سرعتها كما
وقد علت الاصوات منا ومنهم
وقد حمل الاذمار حملتهم وقد
ونابت ايادينا عن «الد» واخذها
يلز قرين قرنه حين يتسدى
يغالب كل قرنه فمجنديل
اذا بعضنا صرعى وبعض ازاءهم
فيجندم الخصمان حيناً فينتحى
فيآتمر الجمعان ان يجعلوا الذى
فتراب بالصاح القلوب اذا بهم؛
كان لم تلطخ بالدماء رؤوسهم
كان لم يدقوا بينهم عطر منشم

- (1) القرينتان: قرية آل سليمان. وقرية الزاوية العليا. والمقنب بكسر الميم من الجيش. قطعة من الفرسان الى ثلاثمائة
- (2) الد بكسر الهمزة وسكون اللام وكسر الدال؛ وتربا - بكسر التاء والزاى؛ ثم باء مفتوحة مشدودة: نوعان من المقاليع يصنعان من الحلفاء؛ وترمى بهما الاحجار، وبهما يقع تضارب بين الضمبان
- (3) الزجل. محرك من زجل كفرح: الصوت. قال الشاعر يصف قطاة غادرت ولدها وقد استولى عليها الظمأ. فكان لها صليل أى صوت.
- غدت من عليه بعد ما تم ظمئها تصل وعن قبض بزيزاء مجهل
- (4) الذمر بالكسر الشجاع؛ والاشوس: الناظر بمؤخر العين تكبرا او غضبا؛ والمحارب جمع محراب؛ المبالغة فى الذى يحارب؛ واسقاط الياء فى مثل المحارب قياسى؛ فتقول: المحارب
- (5) القرى بالفتح: الظهر. ولزه: ربطه بشيء آخر قال:
وابن الميون اذا ما لز فى قرن لم يستطع صولة اليزل القناعيس
- (6) اصله التلابيب. ولبيه: اخذه بشيابه من فوق صدره.
- (7) عطر منشم: يفسر بالعطر الذى يجعل فى الاكفان: كانت امرأة عربية تسمى منشم تبعه؛ وهو تعبير جاهلي. ومن معلقة زهير
تداركتما عيسا وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وان لم تكن فى اهلنا بالإقارب
جديدا بشوق الصب نحو الجيائب
لنحو «صما» ثنى زمام الركائب (1)
لنا حيث يدمى القرص كف الملاعب (2)
نفتش نزرع فى المغابى بضاعب (3)

نروح جميعا بالونام اقاربنا ،
الى لعبة اخرى فنتفح بلهبنا
فجينا الى (الاسداء) نمضى وتارة
وطورا الى (شلوك) افضل لعبة
وأونة نعدو الى الاختبا فان

* * *

نصيخ لجوع لافح النار ناصب
ولا نتقى ليلا بطيء الكواكب (4)
(افلهون) فى جمع الثرى للالاعب (5)
بدكن كاسمال الشكالى السلائب (6)
مناغانتا او ضمنا للترائب ؛
نضار اليرنا بين سود النوائب (7)
قضيينا عويمات بغير مراقب ،

كذلك نمضى يومنا مرحبا فلا
فلا نتقى سردا ولا نتقى حفا
ولا نتقى الإكمام والحجر لا و - لا
نجى بقمص كالزهور وننتشى
فان غمغم الياهوون فالامهات فى ؛
يمطن الاذى بالبشر ثم يسلمن من
ونصبح ايضا عود بدء وهكذا

(1) استدى الصبيان واسدوا: اذا كانوا يلعبون بالجوز: ونحن جعلناه
اللعب بالحصى؛ وهى المسامة: (اكثرون) وضما معلوم: صنو الشطرنج.
(2) شلوك بفتح الشين وضم اللام المشددة: لعبة بالحصى يقرص على
ظهر كف من غلب فيها

(3) والمقصود بلعبة الاختباء ما يسمى بالشلحة (توتكلا) بسكون التاء
وفتح الواو المشددة وسكون التاء الاخرى وسكون الكاف المعقودة وفتح
اللام المشددة. ومعناه طابت العصيدة؛ وهى لعبة يختبئ فيها الصبيان؛
فيفتش عنهم أحدهم؛ وقد يباغته احدالمختبئين فيزرعه؛ وهو الضاعب، ولهذه
اللفظة الغربية تسمى هذه القصيدة عند بعض الادباء بالضاغبية. ولعل
لعبة (الغميضا) تشبه لعبة الاختباء. وسيرى القارىء وصف هذه اللعبة فيما
ياتى

(4) ينظر فيه الى قول الشاعر:

كلينى لهم يا أمية ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

(5) أقلمسون بفتح الهزة والقاف وسكون اللام هو ما يسمى بالقب
للمجبة والبرنوس: ما يجعل فوق الرأس منهما
(6) السلائب والشكالى بمعنى واحد. والدكنة معروفة فى الالوان والاسمال
الشياب الخلقفة

(7) اليرنا: الحناء. ودهن الراس بالحناء الملتوت للصبية عادة الغية.
وهو احمر الملون كالنضار: الذهب

وليس لدينا من نخافهم سوى
 اذا ماسهنا الهمس من صوبهم فلا
 مساورة من مشبل وسط خيسه
 عبوس المجيا قمطير كأنما
 فلم يدر الا البطح فالهشم ان تفل
 او اللكم والركل المفض اذا وئت
 نسر الرشاكى نستدر ليونة
 فأولاه كان العصر عصر الصبا لنا
 ولكنه ادى الثقاف صلابة ؛
 فتبصرنا تحت الذقون كأنما
 فرضنا على رغم الانوف ومن يجبل
 فمر بنا عام فعام فيدلت
 فطاف بنا عقل جديد فحلقت
 بدت من سماوات المعارف برقة
 رأينا المعالي كلها فى مرادها
 فغادرت الغا والشيبية غضة ،
 اربغ العلا بالنص فى كل فدقد
 اعرض حر الوجه نحو سمومه؛
 فجبت الجبال الشامخات؛ وخضغضت
 فخيتمت بالجمراء حيننا وسابقت
 وطورا ارانى فى الرباط وقد طمت
 فافرغت فى هاتى وتلك وتلكم

ليوث اظلموا من صدور الكتاب
 تسيل عن قلوب فى الضاوع ذوائب
 اخف علينا من ملاقة طالب (1)
 توجهت السعلاة فى وجه هارب
 عصاه بنا كالنمر بين الثعالب ؛
 يدها بعبل من جبال ازغب (2)
 لو ان الصخور الصم درت لحالب
 السد زمان لم يهس بشائب
 مؤيدة بالقرص من كل جانب
 يحاول ضار خنقنا بالمخالب
 بقواته سوى جميع المصاعب (3)
 ضرائب منا سدج بضرائب (4)
 امانى اخرى لاغتنام مآرب
 اثرنا لها نرتاد- قود التجائب
 فطرنا اليها بالنفوس الرواغب
 ووجهى وغصنى مثل ابيض قاضب
 تفل به الخريت شتى المشاعب (5)
 فيكسوه من اثواب سود غرابب (6)
 سراب البطاح الفيج هوج ركائبى
 من ابناء فاس آونات سلاهبى (7)
 علل غيوث الهامعات السواكب
 جهود مجد فى التفوق راغب ؛

- (1) اسم الطالب يطلق فى الخ على استاذ التعليم فى المسجد. والمساورة: المواثبة. والاسد المشبل: الذى له اشبال والخيس بالكسر: عرين الاسد.
 (2) العبل: الغليظ. رحبل ازغب: اختلط بياضه بسواده. وكثيرا ما يبرم حبل الطالب القاسى من حلفاء ومن شعر ليكون أمتم
 (3) ريض الفرس: اذا وطئ للركوب. ورضنا بكسر الراء.
 (4) الضرائب: الاخلاق.
 (5) المشاعب: المذاهب. والدليل الخريت: العارف بالطرق. والنص: نوع من السير السريع. واراغ الشىء: طلبه
 (6) غرابب: اصله غرابيب؛ ومن القرآن غرابيب سود؛ والكلمة للاتباع.
 (7) الافراس السلاهب: الطويلات

وشغل الوحيد الدرس في كل محفل
فاجتم فوق الركبتين كأنني
أقيد عن ذاك السوارد تارة
فيوردني الأشياخ بحرا عظيما
ويجلون ابصارى بفكر كأنه
فأبصرت نورا مشرقا متلائما
فأبت بحمد الله في حالة - اذا؛
عرفت قبيل من دبيري بها ومن
وصممت ان اقضى الحياة جميعها
لعلمي ان المرء حيث توقفت ؛
وان نفيس العمر خير ذخيرة ،
فملت الى درس العسارف معرضا
فاقصر همى كله حول نشرها
بمراكش الحمراء حيث الغريب لا-
كان كان عن جداته وصحابه
ينال من التبجيل ذكرا كأنه
ويصفون اثواب التجلات فوقه
ويوتر بالشئ النفيس لديهم
فمن تره منهم تر البشر نيرا
كان قطوب الوجه لا يعرفونه

دور بدر خالص للمواظب
ريسة قوم جاثم في المراقب (1)
والقى لذا طورا ببحث مجاذب ؛
اغوص به حتى تقشى ذوائبي
صباح تجل من سجوف الغياهب (2)
تنظم منه جزءها يد ثاقب (3)
تنقصتها أثنت عليها حقائبي (4)
درى حالتيه لا يعثر في المذاهب
واني بعيد عن دنايا المشاغب (5)
به النفس في آرائه والمذاهب
تصان عن اطماع الحياة النواهب؛
عن العرض الغاني المر العواقب (6)
أصيره غايات كل مطالبى
يحس بان قد حل بين الاجانب
واترابه في مهده غير عازب ؛
زهور نمت بين الصبا والمذانب (7)
الى أن ترى رجلاه فوق المناكب
ويشكر أن يقبله من يد واهب
عليه. كأنوار النجوم الثواقب
فلمست ترى من بينهم اى قاطب

(1) المراقبة المحل الذي يراقب منه العدو ومثله. والريسة: الطبيعة المجيش للرفقة

(2) السجف: الستار

(3) تلميح لقول ابن الطمجان
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم

(4) تلميح لقول الشاعر

يمرون بالدهنا خفافا عيابهم

(5) يعنى بالمشاغب: مشاغب تجارة كما يرى عند بعض السوسيين.

(6) انما عبر هذا البيت عن أن كثيرين من السوسيين انما يتغربون اليوم
فى العرض الغاني لا فى المعارف. وامر الشئ ومر اذا كان مرا غير حلو

(7) المذانب: الجداول

إذا أوقدوا نارا وشبوا وقودها
يجلونى فى حضرتى. ثم ان اغب؛
امن بعد ذا يا اهل (الغ) الامان؛
فها انذا فى اليوم غادرت قطرهم
فهل اجد المألوف منهم لديكم،
فانى انخت العيش يومى بالفكم
وقد انكرت عيناي منه وانكرت؛
فقد غيرت منى ومن جنباته
فقد عهدت منى رباه غليما
فعاد اليها اليوم كهل تعرفت
كان خطاه فى المسير خطا الذى
ربوض بمشواه فليس بناهض
كان عاد فى الرهبان يقفو قفاهم
كذلك انا انكرت (الغ) وارضاها
تتكبتها حتى تنكر جوها
أرى جوها فى بهرة الصحو باهتا
اذلكم (بردى) الذى كان حقبسة
وهذا (أمقسو) شامعا فكانسه

فما هى للعاشى سموى نار غالب (1)
فليس التناء الرطب عنى بغائب
نسيت بهم اهل وكل أقاربي ؟
ودارت بينى دائرات السدوالب
فاحسبنى لم اعد عنهم بعازب ؟
والغى انا ايضا زمان الملاعب
رباه سبالى واستطالة شاربي ؛
نوائب تترى ناليسات نوائب
نشيطا سريع الخطو امرح لاعب
جوانبسه مستأسدات المصائب
تمشى بكبل فى شفير السرادب (2)
لغير ديون تقتضى فى المحارب (3)
ايبعد عن كل الورى غير راهب ؟
وحال رباها والبطاح الاجادب
على واعلام الصوى والمذاهب (4)
كان جملته قائمات الغياهب (5)
اذا احتفل النوار مفضى الكواعب (6)
مدارج منها يرتقى للسحائب (7)

- (1) فيه تلميح لقول الفرزدق فى جده غالب من قطعة:
إذا آنسوا نارا يقولون ليبتها وقد خضرت ايديهم غالب
- (2) هذا يشبه قول مسلم بن الوليد:
إذا ما علت منا ذؤابة شارب تمشيت به مشى المقيد فى الوحل
- (3) يعنى الصلوات
- (4) الصورة: ما يجعل من الاحجار فى الفيافي لتعلم به الطرق؛ وفى الحديث: ان للاسلام صوا ومنازا كمنار الطريق
- (5) ضوء باهت؛ ضعيف. والكلمة ينتقدها الالغيون؛ فانهم لم يجدوا لها هذا المعنى فى المقاموس
- (6) بردى يفتح فسكون فдал بعدها الف مقصورة: الناحية الشمالية من بسيط الغ
- (7) أمقسو بفتح الهمزة والميم وسكون القاف وضم السين: اعلى جبل من جبال الغ الشمال الشرقى

وهذى (تكنزا) فوقها الحصن مشرفا
 فأين (قهي) و(العنصر) العذب ارشدوا
 لا نفع من تلك المشارب غلتى
 معالم كانت فى زمان طفولتى؛
 وعهدى بها مسكية الترب. والصبيا
 اذا وجهها فى اليوم أجرد كالح
 فلكه الخ يوم ذاك فانها ،
 أجر بها شرح الشباب وانى
 واما أنا فى اليوم فالطرف شاهد
 فمن كان فى سنى يرى مثل ما أرى
 وشاهد ما شاهدت من رد أروؤس
 فأجدر به ألا يهز فؤاده
 فما أبعد الكهل الكئيب عن الهوى
 ففى همه المشبوب أشغل شاغل
 اذا غمر الهم الفؤاد فهل تسرى
 أشغل الا بى لا أبالك فى الهوى
 فلا كان حر تطيبه سوائف
 وا ولم يحل دون القريض الجريض ما

كندوة فحل اشرفت فوق غارب(1)
 أحاكم وقودوه لتلك المتاعب (2)
 فعهدى بها من قبل أحل مشارب
 مسارح ابصارى ومجلى ملاعبى ؛
 شذا. ونثر الدر بين المحاصب(3)
 تصرصر فيها معصرات الجنائب؛
 حدائق رفت بالحسول المعاسب
 خلى رضى البسال بين اصحابى
 بحاضر حالى مستشف لغائبى
 وطاف به ما طاف بى من غرائب
 مكللة بالمجد تحت العراقب
 جاذر ان عنت بزى الاعارب (4)
 وعن ذكريات قبل عنه ذواهب
 له عن مناغة الدمى فى المسارب
 له لفته للرائعات الرعابى؟ (5)
 وقد سيم ما قد سيم من كل جانب؟
 وان لسعت اصداغها بالعقارب (6)
 كفتت يراعى عن قواف صواخب

يؤوب. أيغدو بينكم خير آتب
 غريب المبادى والحجسا والجلاب
 خلألق فالاغضاء أوجب واجب
 فليس لزوم الطبع ضربة لازب
 حلول السها بين النجوم التواقب

بنى الخ هذا صنوكم وعشيركم؛
 فقد جاءكم من بعد عشرين حجة؛
 فان تنكروا منه وينكر لديكم
 فعما قليس يقرن الدهر بيننا
 عليكم جميعا من أخ حل بينكم

- (1) وتكنزا من جهتها جبل فوقه حصن جنوبى الخ وهى بفتح التاء والكاف
 وسكون النون وفتح الزاى
 (2) قهى بكسرتين والعنصر بفتح العين والصاد: بيران امام دارنا.
 ومشعب الماء مجراه.
 (3) فيه تلميح لما قاله الشاعر سيدى الظاهر الافرانى فى ارض الخ
 أرض ثراها عبير. وانسيم شذا والماء راح. وكالياقوت حصباء
 (4) تلميح لقول المتنبى:
 من الجاذر فى زى الاعارب حمر الحلى والمطايا والجلابيب
 (5) جارية رعوب: بيضاء حسنة رطبة حلوة
 (6) اطباء : استماله؛ اطبى يطبى؛ افتعل يفتعل .

سلام كما طابت شمائل منكم وفاحت لديكم طبيبات المناقب،
يعمكم يا آل الخ فانتهم جميعا اودائي وعر اقاربي ؛

خاطبت الالفين بهذا النوع من الشعر العربي القح. لانهم لغويون
اقحاح يستحضرون كل ما ربما يعده غيرهم غريبا يحتاج الى مراجعة
القواميس قبل فهمه؛ وكان مقصودي فتح الباب بيني وبينهم؛ وازالة كل
الحجب التي تكاثفت في العشرين سنة التي فارقتهم فيها من عام: 1336 هـ.
الى عام: 1356. ثم سرعان ما ما زجت القوم؛ فانثالوا على بقائدهم؛ فاجبت
كل واحد قافية بقافية حتى تكون من ذلك ومن تسجيل احاديث وذكريات
كتاب يطول الى ان كان في ثلاثة اجزاء، وهو كتاب (الالفيات)؛ فلما شاهدت
ما شاهدت خطر في نفسي ان اكتب حول تاريخ الخ؛ لاسجل ما يمكن من
آثاره الادبية؛ واخلاه ما يستح من حياة عظمائه الذين اسسوا لمجده؛ وعرسوا
فيه باعمالهم ما عرسوا؛ وقد كنت اخذت عن اخي البحاثة الاديب سيدي
الحسن بن احمد البونعماني نبذة من تاريخ جزولة، اثر جولة جالها هناك
حوالي عام: 1351 هـ. فنارت مني نغرة جزولية؛ يثبت مثلها من كل بشر
نحو مسقط راسه؛ ولذلك لما وجدت الآن الفراغ في هذا المنفى؛ ووجدت
بعض المواد؛ اقبلت على جمع كل ما اتصل به من وفيات علماء، وقوافي
ادباء؛ ورسائل المخاطبات؛ فلما رايت ذلك متشعب الطرق؛ غي متساو في
الكفات، صرت اميز بعضه من بعض. فجعلت للادباء السوسيين كتابا خاصا.
وهو (الترعات) وللرؤساء السوسيين آخر وهو (رؤساء سوس في العهود
الاخيرة) وللعلماء السوسيين ديوانا آخر؛ وهو (سوس العالمة) الذي من
تمامه كتاب (رجال العلم العربي في سوس)؛ وفي أثناء ذلك اجدني مقصرا
في كل ما اكتب لدواع شتى؛ فقلت في بنيات صدرى: «لما ذا لا اخص اهل
هذه القرية الادباء وهذا البسيط الذي يضمها بين قراه الاخرى بكتاب
خاص؛ يسهب في كل ما أعرفه عن (الخ) وذلك بايحاء بعض أهلينا؛ فلم
تكده هذه الفكرة تخطر لي حتى نفذتها، فاكتب عن شيوخ هناك مسنين كل
ما يصلح ان يدخل في كتاب؛ فاجمع التراجم؛ وأقيد الاوابد؛ وانظم احاديث
مجالس الخ الادبية؛ والوقائع وحوادث حياتهم، فاستطعت - بفضل الله -
ان أقر عين الاخ البونعماني الذي هو ابو كل أفكارى في هذا الموضوع؛ وقد
رايت استيفاء لكل ما اتصل به من آثار الغيبة او سوسية ان اسمى الكتاب:

« المعسول »

«في الالفين واساتذتهم وتلامذتهم واصدقائهم السوسيين»

فاشترطت ان أسهب في ترجمة كل استاذ أو تلميذ، حتى لاذكر كل علماء

اسرته. وكل من أخذوا عنه. ولا أقصد - يعلم الله - إلا أن أفتح الباب
لذكر كل من اعرف عنه شيئا من الاسر التي تمت الى الخ بالاستاذية؛
أو بالتلميذية أو بالصدافة؛ لان الكتاب مائدة أدبية تاريخية؛ لا يوصد
دونها باب؛ ولا يكون دونها حجاب.

فهاك أيها القارئ تاريخ قرية متواضعة خدمت العلم والدين والارشاد؛
ليكثرت تفرغته الى التواريخ التي كتبت في هذا العهد: عن (العويرة) بقلمى
اخينا سيدى محمد المراكشى والسيد الريراكى الرباطى، وعن (مراكش) بيد
شيخنا القاضى سيدى عباس وعن قبيلة (زيان) وما إليها بقلم الاديب الكبير
سيدى احمد الزيانى القاضى. وعن (درعة) بقلم ابن الحبيب الدرعى. وعن
(دمنات) بيراعى القائد السيد عمر بن المدنى الاكلوى؛ والفقيه المرحوم مولاى
على الدمناتى. وعن (أسفى) بجهود البحائة المغفور له الكانونى. وعن قبيلة
(عبدة) بقلم الفقيه السيد الصبيحى السلاوى. وعن (الرباط) و(سلا) باقلام
المرحومين محمد بن على دنية؛ وبوجندار؛ ومحمد بن على السلاوى. وعن
(مكناس) بيد شيخنا يافوثة الشرفاء مولاى عبد الرحمن بن زيدان. وعن
(فاس) بهمة شيخنا محمد بن جعفر؛ وعن (تطوان) براحة اخينا الاديب
محمد داود الذى بذ كل هؤلاء بكتابه الذى لا نظير له، استيفاء وتهديبا
وترتيبا. وعن (طنجة) بقلم السيد محمد سكيرج.

على أن كتاب (الخ) المتواضع الذى لا يعترف الا من وشل؛ وليس موضوعه
الا بادية قاحلة؛ وأدباء بدويين؛ واخبارا شخصية اقليمية؛ ليستحى أن
يقف ازاء هذه المؤلفات العظمى؛ استحيا قزم وقفا ازاء عماليق من أبناء
بنى عبد المدان (1)؛ ولكنه حين افاد عن تلك الجهة ما لا يقاوم غيره؛
فيحسبه ذلك قيمة بين اخوانه من هذه المؤلفات
قيل لابن الرومى: لم لا تشبهه كتشبهات ابن المعتز؛ وانت اشعرمنه؛
فقال: انشدونى مما استعجزتمونى عن مثله؛ فانشدوا له فى وصف الهلال
قوله

انظر اليه كزورق من فضة	قد اثقلته حمولة مسن عنبر
وقوله فى وصف زهرة آذريون	
كان آذريونها	والشمس فيه كاليه
مداهن من ذهب	فيها بقايا غالية

(T) قال حسان

وقد كنا نقول اذا راينا	لدى جسم يروق وذى بيان
كانك ايها المعطى بياننا	وحسنا من بنى عبد المدان

فصاح: واغوثاه! نالله لا يكلف الله نفسا الا وسعها! انما وصف ماعون بيته؛ وما ذا أصف أنا؟ ولكن انظروا اذا وصفت ما أعرف أين يقع قولي من الناس؛ فانشد

ما انس لا انس خبازا مرتت به يدحو الرفافة وشك المالح بالبحر
ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة في صفحة الماء يلقي فيه بالحجر

وبعد: فهذا جنائى فى هذا المنفى أقدمه للقارئ لقمة سائغة؛ واعتذر له ان وجد بين أثناء الكتاب عدم الوحدة فى التعبير؛ لان الكتاب كان يجمع من أزمان شتى. فيستلحق فيه كل طرف او ترجمة أو تنمة ترجمة كيفما يتيسر؛ فحينما بلغة ساذجة تسحب ذيول الفهاهة؛ وحينما يحاول ان تكسى العبارة ملاءة مذهبة يرضى عنها الذوق؛ وحينما تغلب فيه فكرة الادباء؛ وحينما فكرة الصوفية الاصفياء؛ وحينما أكون من هؤلاء العصريين الذين لا تدور اعينهم الا فى مجالاتها المعتادة؛ وحينما يجد هؤلاء ما يعدوننى به من المخرفين البله؛ وانا بين كل هذا لا أتعمل؛ ولا أتكلف توحيد التعبير؛ لاننى هكذا خلقت؛ نشأت فى زاوية؛ ودرجت بين الطلبة؛ ثم عاشرت حينما أبناء العصر، فلا بد أن أتأثر بكل ناحية أتصل بها؛ ثم تكونت منى مجموعة تضم كل ما اقتبسته من هذه البيئات

فالله أسأل؛ أن يوفقنى للعمل الصالح؛ وأن يختار لى كل ما فيه رضا؛ فقد قادتنى الاقدار للكتابة حول هذه القرية؛ بعد ما كنت عزمت على أن أكتب حول (مراكش فى عصرها الذهبى) (فالله يعلم وانتم لا تعلمون) ولو خيرت لاخترت

وصف (إلغ) الجغرافى

بسيط إلغ البعيد عن تزنيث شرقا بم 84 كلم. يكاد يكون مستديرا؛ تحيط به الجبال من جميع جهاته الاربع؛ فمن الشمال يمتدى الشمال الشرقى بجبل أمقسو العالى القمة؛ وهو آخر ما يرى قرص الشمس عند وجوبها؛ ثم يمتد الجبل من شعب أكنى اديان. فجبل توكال. فالجبل العظيم الممتد فى كل الشمال الى (آيت وفسا) وهو جبل (الايشمانيين) الذى فى سفحه (أيجنى نتاكرين) - شعب العصر - ثم يحوط البسيط غربا جبل له قمة مستوية عليه مشهد صالح يسمى ابا بكر. من بعد ان

تمر ببصرك بمكان المدرسة الوافاوية. فمتسوق يوم الخميس ازاء (صخرة تعزى)؛ ثم يسير الجبل جنوبيا الى ثنية (تيزكي نحموعيس) حيث يطلع الالفيون الى مجاط؛ وراء قرية (تافكاغت) الى الشعب الذى يطلع فيه من يذهب الى (أكادير ايزرى)؛ ثم يحوط البسيط من جنوبه جبل آخر غير عال الا فى ناحية (تاكاتزا). حيث بنى الحصن القديم؛ وهو الذى تسمى به القرية تحته (دوكادير) - تحت الحصن - ثم الى محل الخلوة؛ ثم يمر الجبل بشية (أكنى والبان)؛ ثم الى (أكنى ادقى) الى أن يتصل البصر بجهة قرية (أكجكال) الى (تافيلتاست)؛ ثم من سمت هذه القرية يتدىء جبل آخر غير عال. فيمر بمعدن النحاس؛ ثم بـ (أكادير وايو)، ثم يستمر الى جوار قرية (ايزربى). حيث مدفون الشيخ سيدى عيسى بن صالح.

هذه حدود بسيط الخ من جهاته الاربع. واما حالة هذا البسيط فانه أجرد بلمع مسطح. لا تكاد العين تجد فيه الا كدى صغيرة، واعلاها كدية أسياك؛ ولم يكن فى اوساط البسيط الآن ماء لا من عيون ولا من آبار الا ما كان من بعض قرى فى اطرافه؛ فهناك عين جارية فى قبل قرية (تأحاوت) تسمى العناصر؛ وقد تجرى المياه فى بعض الاعوام الممطرة من آبار؛ فتسيل فى الجداول، لكنها سرعان ما تفيض متى قلت الامطار. وفى قرية (أغرابو) بآيت وافقا وفى اكلى وفى قرية (دو كادير) آبار على هذه الوتيرة؛ منها بئر أمغار. والكثير هو الآبار المنتشرة فى جوانب البسيط حيث تتكون حولها القرى؛ فتستغل الآبار استفلالا عاديا فى سقى الحقول وفى بعض اشجار قليلة من اللوز والزيت والتين، وقلما ترى العين غير هذه الاشجار على قلتها، وان كانت الارض تصلح للزياتين صلاحية ممتازة كما يقول أرباب الفن؛ ويوجد بعض كروم وليمون ورمان وخوخ ومشمش؛ ولكنها قليلة جدا؛ بل لا توجد الا فى بعض بساتين خاصة؛ واما البقول والخضر التى يعتنى بها، فاللفت والجزر والبصل والفلو والباذنجان والفلفل الحار؛ والقرع بأنواعه. فهذه هى التى تزخر بها الحقول حول الآبار؛ ثم يبيسون ما يفضل عن معيشتهم من اللفت والجزر والفلو؛ كما يخزنون البصل والقرع؛ هذا ما يفلحونه ويسقونه

وأما ما يحترقون فى البور فالشعير وحده، لان منه معيشتهم؛ وقلما يحترق بعض أغنيائهم من أصع من القمح او من العدس او من الحمص؛ ويكاد بسيط الخ الغربى والجنوبى يحترق كله؛ ولا يفلت منه الا القليل الذى لا يصلح للحرق؛ ان كان محجرا غير منقى؛ ولا تكاد تجد منه وقت الكلا مرعى واسعا، ولذلك ينتجع الالفيون بمواشيهم منتجعات (اسافن)؛ وهو خلاء يباب متسع افيح فى الجنوب من بسيط الخ؛ اذا أخصب يكون كنزا

للمواشي الالغية؛ الا أن (بردى) فى شمال الخ الذى لا يحرق كثيرا يكون من المراعى للقريين منه؛ ولكنه لا يكون كاساقن

وارض الخ لا تخصب كثيرا؛ حتى انها قلما تفى صاع محروثة فى الاخصاب الا بنحو عشرالى اثنتى عشرة، ولهذا يتعذر الاتساع فى المعيشة بالغ؛ الا لمن له مستمد من خارج الخ، ويروى عن بعض حكماهم: ان كل بلدة تسعى على اهلها، الا الخ فان اهلها هم الذين يسمعون عليها. وعن آخر: ان الخ لا يطيق ان يمد الساكن فيه الا بوجبة الغداء فقط؛ هذا ان دام فيه الخصب - وكلما يدوم - واما الهجورى (1) فمن تامانارت؛ يعنى بالتمر. واما العشاء فمن ماسة؛ يعنى بذرة ماسة التى تجعل منها العصيدة؛ كما هى العادة الالغية غالبا من أن العشاء يكون بالعصيدة، ولكون الجذب والاقفال هو الغالب على من فى الخ؛ ترى اهل الخ يجدون ويجتهدون فى كسب المعيشة؛ ويقتصدون غاية الاقتصاد؛ ثم لا ترى واحدا منهم خاليا من أى شغل من اشغاله؛ حتى اذا جلس اليك، او كان أمام المسجد ينتظر اقامة الصلاة بعد ان يتوضأ. يشتغل بأبرام حبل؛ او اصلاح دلو او وطبسة؛ او بخرز نعله؛ او بخياطة ثوبه او رفوه او تربيعة؛ وهكذا ادركناهم ولا ازال أستحضر أحد المسنين من اعمامنا يقول: اننا اهل الخ قسمنا ايام السنة على اشغالنا؛ ففضل لنا يوم واحد فجعلناه للاتيان بالدباغ من جبل (أمقسو). ورحم الله العلامة محمد بن العربي الادوزى الذى قال: لا يقدر على الجمع بين الدين والدنيا الا اهل الخ؛ لما آتسه منهم من الاكباب والاشتغال الدائم، مع اهتمامهم بالدين

ثم ان لالخ ذكرا من قديم؛ فقد قرأت فى كتاب يسمى ديوان مولاي احمد الذهبى (2) جمع فى مختتم القرن العاشر؛ ان الذهبى نزل فى الخ وهناك قام بضميافته الحربيون والاعشانيون والوافقاويون؛ ولعل محلا يوجد الآن فى وسط هذا البسيط يضاف الى السلطان - اغرم اكليد - كان منزل الذهبى اذ ذاك؛ ثم علمت ايضا أن الملك مولاي الرشيد مر بالغ فى سنة 1081 هـ. بعد تخريبه لايلخ؛ كما علمت ايضا ان جيشا اسماعيليا يقوده القائد الكبير عبد الكريم من القواد الاسماعيليين نزل فى الخ ايضا عام 1124 هـ. واذ ذاك اعتقل رؤساء قرية (ايكلي)

واما سكان (الخ) فانهم مشوبون الى القبائل التى تجاور هذا البسيط؛

(1) الهجورى بفتح الهاء: ما يوكل بين الغداء والعشاء .

(2) نشرناه فى كتاب (ابلق قديما وحديثا)

ضرورة ان لكل واحدة طرفا من (الخ)؛ امتدت اليه من محلتها، ففي الشمال قبيلة (ايفشان) الحريئية فان لها بعض القرى الالغية: ايكل؛ آيت الحسن أعلى؛ أكنتي اديان؛ توكال، وارض هذه القرى محسوبة من قبيلة ايفشان؛ وفي غرب بسيط الخ: قرى أغرابو؛ دو تضروت، تافكاغت؛ فهذه تعد من قبيلة آيت وافقا؛ وفي شرقيه قرية اكجكال تعد من قبيلة ساموكن، واما قرى أكادير وايو - تونين - أزار أوعيسى - ازربى؛ فهي من قبيلة أمانوز، ولم يبق الا القرى التي في الجنوب؛ فانها للمرابطين الالغيين اولاد الشيخ سعيد بن عبد الله بن سعيد. ووراء حدود هذا البسيط من الجنوب الغربي؛ قرى اخوان هؤلاء المرابطين في (اكادير ايزرى)

قرى (إلغ) كلها

لنلق نظرة على كل هذه القرى البسطية ولنبدأ بالجنوب ثم الشرق ثم الشمال ثم الغرب، فالتى في الجنوب او كالجنوب :

- ١ - تافكاغت من ايت وافقا
- ٢ - الزاوية من دو كادير من المرابطين آل عبد الله بن سعيد
- ٣ - آل سليمان من دو كادير منهم ايضا . ويقطن معهم بعض الحرييليين الذين هم اصلاء في القرية
- ٤ - تيبوت القاسمية من المرابطين وحدهم .
- ٥ - تيبوت الواوكرضائية؛ من المرابطين وحدهم . وقد اشتروا من آل واوكرضا تلك الارض. وهم من الساموكنيين وربها قطن بعضهم هناك
- ٦ - تاحاوات تميل الى وسط البسيط من المرابطين وحدهم .
- ٧ - تافراوت كذلك ازاء التى قبلها من المرابطين وحدهم
- ٨ - انويدر كذلك ازاء التى قبلها من المرابطين وحدهم

والقرى التى في شرق البسيط هي

- ٩ - اكجكال من قبيلة ساموكن لا يقطنها مرابطين واحد .
- ١٠ - اكادير وايو من قبيلة امانوز ليس فيها مرابطين واحد .
- ١١ - تونين من امانوز ليس فيها ايضا مرابطين واحد .
- ١٢ - ازار اوعيسى من المانوزيين ايضا، ليس فيها مرابطين واحد .
- ١٣ - ايزربى من المانوزيين بل هناك رئاستهم حديثا
- ١٤ - ايقيل وامان من المانوزيين ايضا

والقرى التى في الشمال او كالشمال هي

- ١٥ - آيت الحسن أعلى من الاغشانيين .

- ١٦ - ايكلي من الايفسانيين ايضا حيث كانت رئاستهم قديما .
 ١٧ - اكنى اديان من الايفسانيين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)
 ١٨ - توكال من الايفسانيين .

واما القرى التي فى الغرب فهي

- ١٩ - ذوتمروت من الوافقويين
 ٢٠ - اغرابو من الوافقويين حيث رئاستهم حديثا (ثم انقطعت اليوم)
 ٢١ - تالزكى بين سوق الخميس وتافكاغت

هذه احدى وعشرون قرية بسيطة؛ بينها قرى المرابطين فى قيامة آل عبد الله بن سعيد التي كانت مقهورة بين جيرانها الى العهد الاخير لفقر اهائها ولكون الاقوياء من جيرانهم يستضعفونهم حتى من عليهم بهذه الشهرة على لسان العلم والادب والدين والارشاد؛ من يمن على الذين يستضعفون فى الارض ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين؛ ولولا هذه الخصال لما كانت تلك القبيلة وتلك الارض الجرداء تستحق حتى الخط بالقلم وحين كانت وطننا وفيها مسقط رؤوسنا نجد فى انفسنا ما يعده كل البشر فى مثل موقفنا

بلاد الفناها على كل حالة وقد يؤلف الشيء الذى ليس بالحسن

كما تولف الدار التي لم يطب بها

هواء ولا ماء ولكنها وطن

بسيط اجرد فقر نزاحم به تفكها - بهذا الكتاب - اهل دمشق ولبنان واصحاب النيل والرافدين. وهذا ما قدر لنا. وقديما قيل - من قر عينا بعيشه نفعه -

بعض العادات الالغية

ان لكل بيئة عادات قد توافق عادات غيرها وقد تخالفها والغالب ان عادات المتجاورين تتشابه؛ ولذلك يعلم ان غالب ما نذكره عن الالغيين من العادات لا ينفردون بها عن جيرانهم الا ما قل ونذر والعادات تدخل كل ناحية من نواحي الحياة حتى الدين نفسه لا يرتكز الا بعاداته؛ ولذلك نجد كثيرين من المتدينين انما اعتادوا التدين كالصلاة والصيام وآداب السلام واعتياد القول الجميل؛ والاخلاق الفاضلة، والا فهم قد يتكسفون عما فى حنايا صدورهم . فاذا بهم لم يمازج الدين ولا بشاشته قلوبهم وهذا ظاهر بين عند كل من يزن بتمييز ولا تنطلي عليه البواطن بزخاف الظواهر ولا بتوهيات الالسن (ولا يبتك مثل خبير)

نحن هنا لا ننظر الا للواقع المعتاد من غير أن نزن بميزان الشرع ولذلك نحكى ما كان للتاريخ والمعبرة وان كان بعضه من البدع او من الخرافات

او مما لا يرضى الالفيون ان يعرف عنهم لان التاريخ كالمراة تبين كل ما يقابلها كيفما كان

عاشوراء

اعتاد الالفيون ان يعبد بعضهم فى عشية التاسوعاء الى الغناء الذى تتركه السيول ضفاف مسيلات الماء فيأخذون منه وهو يضم ما يضم من ابعصار واعواد صفار فيبخرون به الديار فى صبيحة عيد عاشوراء دفعا لتأثير الجبن وقد رايت عجوزا تفعل هذا أول ما نفيت الى الخ؛ فكان ذلك هو السبب حتى صرت ابحت عن مثل هذه العادات. وكذلك يعمد فى سحر عاشوراء الى استقاء الماء من الآبار؛ ظنا من الساقين ان الآبار تستمد من بئر زمزم فى ذلك الوقت ومن ذلك اليوم فيرش بذلك الماء جميع زوايا الديار تبركا خصوصا اعراء الزرع وحظائر المواشى

وفى ليلة عاشوراء يخرج رعاع الشباب زمرا زمرا الى بعيد من قريتهم فينادون - فيما زعموا - على الذئب ان يبعد عن غنمهم فيبتون هناك احجارا فى محلات ثم يرجع الجميع وهم يفتون غناء معلوما محفوظا متوارثا الى ان يصلوا القرية فيبيتون على لعب احواش وفى صبيحة عاشوراء يبكر جميع الناس رجالا ونساء الى زيارة المقابر . من غير اختلاط يترحمون على اهلهم ويتصدقون والغالب ان يصبح الرجال وغالب النساء صائمين بل ترى الفقهاء والمتسكين يحرصون على الاثنى عشرة خصلة التى ذكرها العلماء من خصائص عاشوراء من صوم وصدقة وزيارة عالم وصلة رحم ومسح رأس يتيم وصلاة ركعتين وتوسعة النفقة واغتسال وعبادة مريض واكتحال وقلم اظفار وقراءة سورة الاخلاص الفا واهل الحديث يعلنون انه لا يصح من هذه الا الصوم والا التوسعة على العيال الذى ورد فى حديث حسن وقد رايت احد عمد الالفين من اهل العلم يوصى بغسل ثيابه ذلك اليوم وكذلك يجتمع اهل القرى على توزيع بقرة ونحوها يفرقونها على الديار ويؤجلون فى ثمنها بضمآن ومن كانت لهم غنم لها راع فان مفرس ذنب كبش عيد الاضحى الذى جعل قديدا يعطى فى يوم عاشوراء للراعى وهو ياكله فى ذلك اليوم (١) وهم يحرصون على ان يستدير شىء من قديد الاضحية على دور السنة فى ديارهم تبركا به

١ - وهذا مما تشارك فيه الحواضر الخ، فان ذنب الاضحية يخبأ عندهم ايضا قديدا الى ان يوكل يوم عاشوراء . الا ان اهل الرباط وفاس ياكلونه انفسهم . واما الالفيون فانهم يوثرون به الرعاة . لان الرعاة اولى به . لكونهم يلاقون المشقة فيه بالرعى

هذا ولا يشتغل بهذه العوائد في عاشوراء الا الرعاع والعجائز واما العقلاء فانهم لا يتنازلون الى تلك الميادين - وحاشاهم - فانهم لا يزالون ضد هذه البدع .

ليلة المولد

في انج زاوية للفقراء ومدرسة للعلماء وكلماتها تعمر في ليلة المولد النبوي. فالزاوية بالاذكار ورب المدرسة يملا مجالسه بالامداح النبوية وقد اعتاد العلماء والطلبة الذين يجاورون الخ ان يحضروا في تلك الليلة التي تتلى فيها بالتغنى على السنة المشدين قصائد البوصيري من الهزبية والبردة وبانت سعاد ثم تقال قصائد نبوية على السنة اصحاب القريض من الحاضرين فمن هناك منبع كثير من قصائد شيخنا سيدي الطاهر بن محمد، فيلقبها بنفسه ان حضر؛ وان لم يحضر يرسلها من افران فتلقى هناك في حضرة شيخه سيدي علي بن عبد الله؛ فهناك مطلع قصيدة من هذه القصائد النبوية الطاهرية

وبدا الذي ما خلته يبدو	بـرح الخفاء وصرح الوجد ومطلع اخرى همزية :
فامطر مزن مقلته دماء	راى برقاً بكازمة مساء ومطلع اخرى وازن بها البردة :
ريح الصبا يشتفى قلبي من الالم	بطيب ما نقلت عن جيرة العلم واخرى وازن بها (بانت سعاد)
(بانت سعاد فقلبي اليوم متبول)	دع عنك لومي فما التعذال مقبول واخرى مطلعها :
اوارا دموعا واورى اوارا	سرى طيف سلمى فسل ما اوارا واخرى مطلعها
فجفوني القرعى ابت ان تلاقى	بارق الرقمتين جد اتلاقى واخرى مطلعها
بوارق غيث من رباء ال هاشم (1)	اذا اغبرت الارعاء من آلهاشم

الى آخر ما هنالك من القصائد المولدية الطاهرية: وغيرها، وهي عشرات سترها في ترجمته ان شاء الله

(1) شام البرق اذا لمح والال السراب وبهذا يفهم الشطر الاول من البيت .

ومن العادات المولدية، ان بعض العجائز من المتحجبات اللاتي لا يحضرن في ملعب احواش تنتحى وحدها الى زاوية من زوايا حجرتها حيث تعلق ثيابها على عود معروض - ويسمى عندهم اجمال - فتقف ازاءه فترقص رقصا متواصلًا وهي تغنى بامداح الرسول فرحا ببليلة مولده، تفعل ذلك احتسابًا وتيمنا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، واذا طلعت الشمس في عيد المولد ترى بعض الناس يرقصون لها ويقولون ما يدل على ان الشمس انما استمدت انوارها من نوره صلى الله عليه وسلم

العرس

حتى اريد ان يخطب انسان بنتًا، فانه يبعث احد اهله او اصحابه ليخطب ويعدون من المجابهة والوقاحة ان يخطب الانسان لنفسه ، كما يرون مثل ذلك في ان يعرض انسان بنته على آخر من غير ان يخطبها، يذهب الخاطب بشيء ما يقدمه بين يدي نجواه : قوالب من سكر او كبشا حيا او مسلوخا او سطل سمن مع خبز. ثم اذا قيل المخطوب اليه فانه يمل شروطه والغالب ان تكون نعال كل من في دار اهل السيدة ؛ وحليا خاصا يبينون نوعه من الاسورة والخواتم والاخراص والقلائد واللبان والثياب . ومن الغنم او البقر عند بعضهم ثم يتواعدون يوم العقد ، فيرسل الزوج من يتوب عنه ويختاره من ذوى اللبافة ومعرفة الاثمان، ومن اهل الوقاحة الذين لا يستحيون ويذهب معه بعض نساء اهل الزوج واهل الوجاهة والمختارون من اصحابه، فيكون هذا الوفد الذى يسمى - اسلان - ويذهبون بالسكر واللحم والخبز ، فاذا طعموا في دار اهل الزوجة قدموا ما اتوا به مما هو شرط فاذا حازه اهل الزوج، يستخرجون كل ما اعدوا للزوجة مع ما أتى به الزوج كالشرط او يهدى للزوجة أو قدمه أهلها لها. فيقدم ذلك كله وهو مكوم امام الحاضرين شيئا فشيئا؛ فيقدر لكل شيء من الثياب والحلى وما اليهما الثمن الخاص ، فاذا ذلك تكون المعركة فيغالى في اثمان هذه اهل الزوجة ويماكسهم اهل الزوج وربما ادت هذه المماكسة الى تفرق التجمع بلا عقد، ولكن ذلك قليل جدا لان المجلس لا يخلو ممن ترضى حكومتهم بعد المماكسة. ولهذه المماكسة يعتنى الزوج باختيار وكيله؛ ثم يكون العقد فينتلقى فقيه المسجد الرضا من الفريقيين ، والصداق من الدراهم هو شيء معلوم في كل قبيلة قبيلة في تلك النواحي . ولذلك لا يذكر فى الشروط المذكورة وانما يكتب عند العقد وفي المجلس يحوز وكيل الزوج كل ما توصل به من اهل الزوجة حتى يدفعه للزوج هذا والالعاب اذذاك تقام على العادة خارج الدار رجالا ونساء، ثم ان غالب الالغيين يزفون العرائس نهارا من دارها الى دار زوجها، او من قريته الى قريتها على البغال . واذا ذلك تخرج العجائز

اللاتى يجلون العروس باغانين؛ ويركب وراء العروس على البغلة ولد يحيى والداه ثم لا يتزل حتى يعطى شيئاً من الدراهم ويسمى الخاتمية وكذلك يقع لها حين تخرج من دارها فان اخاها او واحدا من اهلها يقف امام باب دارها فلا يتركها تخرج حتى يفرم زوجها شيئاً؛ ومثل هذا يكرر امام دار الزوج فان العجائز الجاليات لا يدخلن حتى يعطين ايضاً دراهم يسمونها بتلخمت - نسبة الى الخاتم - ويقف الزوج فوق السطح ويطل على باب الدار فيلقى على العروس نثراً من الزبيب واللوز والتمر ، فينتهب ذلك . وقد كان الشيخ الوالد سن لقرية آل سليمان اهله الاخصاء فى اعراسهم عرساً يخلو من كثير من هذه العوائد حتى أن العروس تجلى تحت الظلام وفي صبيحة الجلوسة يذهب بالعروس الى اقرب بئر لتسقى الماء فيجعل الماء فى اناء نحاس يكون من جهلة ما تاتى به من عند اهلها فيتجاذب الإناء المملوء بالماء بين اهل الزوج واهل الزوجة فمن غلبوا سقوا صاحبهم او صاحبتهم ويرون ان من سقى اولاً مسن الزوج او الزوجة لا يزال يغلب صاحبه هذا والالعاب تقام فى دار الزوج حتى يطعم الناس والعادة ان ياتى مع الزوجة من كل اقاربها كل من دب ودرج . وعهدنا بعرس الفقيه سيدى المدنى لما تزوج من الايغنائين جاءوا بنحو ثلاثمائة وهكذا كل من يقصد النكاه باهل الزوج . وقد يتعنن احياناً اهل الزوجة فيأبون أن يطعموا حتى يقدم لهم اهل الزوج مكتلاً مملواً بالخلي ليعلموا أن بنتهم حلت فى دار غنى وثروة ثم لا يكون ذلك الا ان تراه العين ثم يرجع الى مكانه ثم بعد اسبوع تزور العروس اهلها . ومتى ولدت الزوجة ولادتها الاولى ياتى اهلها - ولا بد - اما بشور او كبش . ومتى بلغ الولد الاول ان يمشى فاول نعل يحتذيها حذاء ياتيه من اخواله . وعند حلق رأسه بادى ذى بدء لا يحلقه الا اخواله . مع شرط ان يهبوه شيئاً ما .

العقيقة

تري النساء ان النفساء نالت من العنت ما نالت به غفران كل ذنوبها فيحرصن على ان يزرنها فى الثلاثة الايام الاولى وتذهب كل واحدة بدقيسق وعليه بيض ولا يصنع لهن الا العصيدة ثم قبل يوم العقيقة ترسل الوالدة من تسندعى النساء للحضور فى العقيقة كما يستدعى الزوج ايضاً الرجال وفى صبيحة يوم العقيقة تقوم عجوز من عجائز الاسرة تلف امامها الصبية ليجمعوا أضعافاً من الاعواد المغفار لتخبز بها (توفديلت) - وهى خبزة كبيرة يغطى مخبزها فيوقد تحتها و فوقها - وطالما فعلت بنا عجائزنا ذلك فنفرح له ثم اذا ذبح الكبش يعمد الى الكبد فتشوى على الجمر فيقطع منها لكل من فى الدار وتحصر النساء على ان لا يفقل من الاكل منها احد ويقلن ان ذلك يسبب

محبة الولد • وفي وسط النهار تجتمع النساء على حفنة عصيدة اولا ثم تقدم كل واحدة منهن ثيابا للمولود ودراهم زيادة على ما يوتى به من السكر واللحم والسمن من عند الاسر اللاتي تتعاطين بينهن ذلك ثم تجتمع الحاضرات لتظم فلادة المولود فتمنح كل حاضرة من فلادتها اما لبانة او عقيقة او قرشا - خصوصا القروش المربعة التومرية. وادها كثيرا في فلاند الصبيان الالغيين - ثم اذا نظمت الفلادة يذهب بها الى مخزن الزرع فتجر عليه تفاقولا ان يكون المولود ذا رزق حسن ويستدعى الطلبة في العقيقة كما يستدعون في الاعراس وفي يوم من ايام رمضان لقراءة ختمة من القرآن والطلبة دائما في الغ يعزلون على حدة تعظيما لهم ورفعنا لشأنهم على العوام

الحذاقمة

متى ختم التلميذ القرآن تزوق لوحته بايات شعرية مهلهلة تستدير باواخر البقرة - أمن الرسول الى آخرها - ويذهب مع التلميذ كل طلبة القرية وهو في لباس جميل، يدورون به في القرية ويزيرونه مشهادا يتبرك به ثم يكتب كل واحد من الطلبة في اللوحة كلمة من حزب الرحمن ثم تقام حفلة يحضرها الطلبة عند ابي التلميذ فيختتمون القرآن على العادة. وهذه الحفلة لا تتجاوز يوما واحدا كالمعرس نفسه. لان الالغيين مقتصدون لفقير بلادهم

وقد اعتادوا ان ياتي التلاميذ في كل اسبوع من كل يوم اربعة بيضة الى الاستاذ وان يوتى اليه بالبسيس والتمر او باحدهما كلما افتتح التلميذ حزبا من الاحزاب ويسمى ذلك (تاعريفت)

العواشر

متى اعلن استاذ المسجد لتلاميذه العواشر فانهم يحملون لوحة مزوقة بايات من القرآن ويقلفونها بزيف احمر او ارقط فيجعلونها فوق قصبه فيحملها احدهم فيدورون امام الديار بقفة كبيرة يضعون فيها الزرع الذي يعطى لهم من الديار؛ والنساء يتبركن باللوحة والتلاميذ يرفعون اصواتهم بنشيد خاص لهذا الموقف فيه تمجيد القرآن وحملته •

الختان

يجتمع اهل المختون والجيران. واهل القرية في مكان؛ حتى اذا حضر الطعام؛ تدعى الطلبة. فقرأوا ختمة من القرآن؛ ثم يلتئم الحفل؛ فيوتى

بالصبي. فيختن وسط كل الحاضرين وهم يصاؤون على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابراهيم خليل الرحمن؛ في انشودة خاصة لذلك!

الحصاد والدراس وما إليهما

أدر كنا الالفين اعتادوا أن يتعاونوا على اشغالهم - كالعادة في كل تلك النواحي - بل ينظمون كل اشغالهم العامة بنظام خاص؛ وقد جعلوا غرامة معالومة لكل من تعدى ذلك النظام؛ فلا يمكن ان يذهب اى انسان اجنى اللوز من حقله الا متى اذن فى ذلك الاذن العام؛ وكذلك يحافظ على الحقول والمزارع، فلا يزال الحراس الذين يجعلون لذاتك فى تيقظ وجولان؛ فما وقعوا على بهيمة وغلت الى حقل او الى مزرعة الا غرموا صاحبها - وتلك الغرامات هي اجرتهم - حتى الحصاد والدراس لا يفتتحان الا متى اعلن ذلك بالنداء فوق المسجد؛ ومن تاخر فى الحصاد لكثرة مزروعاته؛ يتداعى اليه الناس فيعينونه؛ وعليه الاطعام؛ ثم لا يفتح الدراس حتى يتم الحصاد، وتنظم كيفية الدراس بالتتابع؛ فالיום لفلان ثم لفلان؛ والدراس يكون بالبهائم المجتمعة من كل اهل القرية. او ممن يلتصمون على ذلك؛ وكل من سخطت عليه القرية؛ فانه ينبد من هذا النظام؛ ومتى كان الدراس فى بيدر احدهم، فانه يذبح كبشا ويطعم الناس؛ ولذلك لا تزال عندهم ايام الدراس ايام الحفلات؛ وللالفين همة معلومة مذكورة فى اشغالهم؛ فاستحضر ان بيدرنا الذى كان يستخلص منه اذ ذاك - ونحن صغار - نحو عشرة آلاف عمرة؛ يدرس فى يوم واحد لكثرة البغال التى تجمع وليس المدروس، ثم ان هذا النظام لم تزل عراه تنفق شيئا فشيئا الى الآن؛ وقد حكى لى الفقير احطيو كيف كانت صرامة النظام واحترام الحقول فى سقى قريتنا؛ دو كادير؛ منذ عقله من نحو 1280 هـ. فذكر العجب العجاب الذى أدر كنا نحن بعضه .

الجنائز

ان مما اختصت به الغ ان لا نياحة فى جنازتهم؛ حين تخرج من الدار فكل ما هناك بكاء النساء والصبيان داخلا. حتى ان الخارجين لا يسمعون بكاء الداخلات المفجوعات؛ وطالما حضرنا أمثال هذه المواقف، فلا نحس الا لوعة فى الصدور؛ او دموعا تترقرق مغالبة فى العيون؛ مع تجلد المصابين؛ والميت يغسل على السنة ويكفن ثم يحمل فى الشبكة، ولا يعرفون الآلة الحدياء التى ذكرها صاحب (بانث سعاد)(1)؛ ثم يطلى عليه عند القبر؛ وتقرأ

(1) كل ابن انثى وان طالمت سلامته يوما على آلة حدياء محمول

سورة يس عند الاقبار. ثم يلقن الميت امثل الحاضرين؛ ثم يستحضر الطلبة في اليوم الثالث والمساكين؛ فيختم القرآن ويطعم الحاضرون؛ والبيت الذي يتوفى فيه لا يزال يبخر ويحترق الى ان تضعف ذكرى الميت؛ وتتعمد النكلى المحدة ان لا تلبس الا الثياب التي لا تلفت الابصار، ولا تتكحل ولكنها لا تترك الغسل والاعتسال ولا تقرب الصابون في غسل ثيابها؛ فيما قيل لي؛ ان هناك الا الاثنان

الحرف والصنائع

مما يتعجب منه المطلع في كل نواحي المغرب، انه يجد في كل جهة من الحرف والصنائع ما تدعو اليه الحاجة الحيوية؛ فلو كنت الآن بصدد كل ما اعرفه في سوس؛ من الصنائع التقليدية التي ادركناها لتعجب القارىء من حداثة في كل انواعها التي من بينها صناعة السلاح من البنادق على الطراز القديم؛ ومن السيوف والسكاكين بانواعها؛ وهي صناعة سملاية، ومن الصياغة العجيبة؛ حتى ان الحلى السوسى له ميزة خاصة؛ واما صناعة الصابون والجلود من الاكياس والجرب والقرب والوسائد وهي - صناعة ممتازة - فانها منبثة في جزولة وخصوصا في آل حامد، وكذلك صناعة السروج؛ بله الاكف؛ ولهذا الموضوع ذبول؛ لعلنا نؤدى له حقه مرة اخرى. نعم ان الذى يهمننا الآن هو الحرف والصنائع الالفية؛ وهي قليلة غير متسعة، لان اعمال الالفين انما تدور حول الآية الكريمة: كلوا وارعوا انعامكم. فقد كان الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله يقول: ان هذه آيتنا نحن الالفين

الحدادة

توجد الحدادة في قرية (دو كادير) في ايدى اناس سود يتوارثونها من قرون؛ وهم عدة اسر؛ وكذلك في قرية (ايكل) من القرى الايفسانية؛ كانت فيهم ايضا تالدة. والعادة ان الحدادة كاستاذ المسجد؛ يعطيه من يستخدمونه في اصلاح محاربتهم او في صنع حداندها وما الى ذلك اجرتة على راس السنة من البيدر حين يجمع كل واحد محصول فلاحته؛ ومن اسماء الحدادين الالفين من يسمى بعلى؛ وآخر اوشنا لقبان لهما ٠ وقد درجا الآن وتركوا اولادهما؛ وقد اغتتم بعض الالفين الادباء هذين اللقبين فورى بهما في هذين البيتين

وكم عانس بكر تغطت زواجهما
الى ان غدت ثقلى وتشنا لدى الاهل

إذا أصبحت نادت ألا ليت لي نوى

من (أشنا) لديهم والرواح الی (بعل)

وحدادو (ايكل) أمهر وأكثر اتقانا؛ بل هناك صناعة المجامير، التي تتخذ - حديثا - من البراميل؛ تذكر فتشكر؛ وتختط (تفراوت) لخفتها وظلاوتها ورخصها الی الحواضر لرواجها

النجارة

أما نجارة المحارث مقابض والمعاول والمساحي؛ فقد يحسنها غالب الناس، كالفقير محمد بن المؤذن الذي مات أخيرا في قرية (دو كابر)؛ والفقير بلقاسم السوقي الوافقوى؛ وأما النجارة المتقنة في الأبواب والنوافذ والاختونة والموائد؛ فإنها في قرية (ايكل) وهي الآن في أولاد موماد فإنهم من احذق من هناك في صنائع متعددة؛ وأعظمها النجارة البارعة التي تضارع نجارة الحضريين، وهم الآن المذكورين في كل دائرة (تافراوت) لا في الخ وحده

الدباغة والحذاء

اشتهرت قرية (ناحواوات) بالدباغة؛ ومن أشهر الدباغين هناك الفقير بلقاسم بن احمد؛ في داره مديفة يقصد لذلك؛ وهي حرفته؛ على أن هذه الحرفة يحرص كل الالفين أن يزاولوها، فلا تكاد تجد اى واحد لا يحرص أن يديغ جلد اضحيته بنفسه ليتخذ منه دلوا او جرابا او طبيا؛ او خمرة لصلاته او يتخذ منه كل ما يتوقف عليه في داره؛ وقد رايت فيما قبل ان ما يدبغون به يستوردونه من جبل (أمقسو) ازاءهم ويسمى عندهم (ايركل) وفي جبل أمقسو اجمة لا باس باتساعها. وقد حماها اليوم رئيس الغابات

وما قلناه في الدباغة نقول مثله في صناعة الاحذية، فإنها وان عمت مزاولتها فهناك اناس اختصوا بهذه الحرفة؛ كمحمد بن مسعود النيوتى؛ ومحمد بن محمد من آل بلقاسم بن محمد النيوتى ايضا؛ وقلما يتفرغان هما وامثالهما الا لهذه الحرفة؛ ولاهل (تاكانزا) التي تطل على الخ صناعة الاحذية الخاصة بالنساء، ولها لسان طويل يغطي بعض الساق؛ اشبه شىء بالاحذية الفرنجية؛ والمشهور محمد بن قاسم ثم اولاده في (تاكانزا)

الاكاف

الاكاف حلس البغل او الحمار؛ وقد اشتهر بها من قرية (دوكادير)

الفقيه ناصر المتوفى أخيراً؛ وابن العربي؛ وابن هموم؛ في قرية (تافراوت) (١) وهذه الصناعة شريفة عندهم مطلوبة؛ يحترم أهلها لاحتياج كل ذي بقل أو حمار إليها؛ ولها ثمن، حتى أن الأكارف قد يصل ثمنه إلى ألف ريال وأكثر الآن 1358 هـ.

الحبال والشماكت

لكل واحد من الألفيين يد صناع في قتل ما يحتاج إليه من الحبال البسيطة؛ حتى الشيطان سميدي الحاج علي. وسميدي علي بن عبد الله. وهما ما هما - يبرمان بإيديهما ما يتوقف عليه العمل. حين يقفان على أعمال الحرث والحصاد؛ وعلى خياطة الاحمال عند الاسفار؛ إلا أن اتقان تلك الحرفة وبراؤها وقتلها هي من صناعة الوافقويين، فلهم حذق في صنع انواع الحبال الرقيقة والغليظة والجوائيق والزناجيل، وفي صنع الشباك من الخلفاء أو من القدام ان اتى بالقدام من محله (تامانارت)؛ ومما يصنونه من الخلفاء احذية تلبس في اوقات الشتاء في اظنين. وقد قال بعض الألفيين من قطعة قيمت ارتجالا يداعب بها بعض الوافقويين

خلق الله للحرير اكفا	وأكفا لصنعة الخلفاء
حرفة الألفيين قتل حبال	وشباك ودبغهم للدلاء
غير ان المرابطين منهم اتبحوا	عن سعود لمنصب العلماء
فبتو وافقا لقتلة حبل	والسعيدي لقتله البلغاء

نساجت الصوف

اشتهرت الألفيات باتقان نسج الصوف شمهرة تامة؛ حتى ان جيران الغ وكل من يلم بالغ يوصون بأن ينسجن لهم ما يريدون بالأجرة؛ ولما تجد دارا تخلو من مناويل النسج، ولهن عوائد خاصة حول النسج؛ كيوم خاص لا يفتتنن فيه النسج؛ فمتى فعلت فاعلة غير ذلك فان المنسوج تصيبه مصيبة؛ ويحكين أن بعض العلماء السنيين انكر عليهن هذه الخرافة، فاذا بشور اصطدم والمنسوج فهتكه. فقال لهن: ان علمكن ايها النساء اصح؛ ولكون نسج الصوف في الغ هو حرفة الدار؛ تجد غالب اللباس منه؛ وهناك بعض العجائز لا يتقوتن الا من النسج، كالفقيرة الصالحة فاطمة

(١) هذا اسم قرية في بسيط الغ. وهناك (تافراوت) مركز المقاطعة في قبيلة املن.

(تابوبليت) وامثالها؛ وقد كان الالفيون يحرصون الى الآن ان يكون لكل واحد منهم غنم ليايس من صوفها؛ وينتفع بثمن ما يبيعه منها؛ واما ان يذبح منها. فيكاد يكون حراما؛ الا في بعض الفترات من عند بعض كرمائهم لا تخرق اجماعا، ولا تتلم قاعدة؛ فلم يعتادوا الا التسمية للمواشى سنة عن سنة؛ حتى ياتي بعض الاعوام المجذبة فيسنتون فتذهب مواشيمهم موانا؛ ثم يستجدونها ايضا. متى وجدوا لذلك سبيلا؛ وقد بت مرة انا وصبية من اهلنا في مرتبع الخ (ايسافن) وباتت حوالينا من اغنام الالفين مات بعضها لمن هم اقاربنا؛ ثم لم ناكل اللحم الا بشرائى لغروف من عند بعض اصحابنا منهم، فلم يجز في اذهانهم ان هذا بخل عظيم؛ مع ان لى عندهم ما يزعمونه من الاجلال؛ واين هذا ممن كنا نبئت في قبائلهم في الحوز؛ اوليس من يحضرون منهم ينشدون ما انشده الاعرابى

واذا تأمل شخص ضيف مقبل متسربل برداء عيش اغبر
اوما الى الكوماء هذا طارق نحرتنى الاعداء ان لم تنحري

لكننى فى الحقيقة اعذر القوم. فانهم فى بلد مقفر. لا يمكن ان يعيشوا فيه الا بالتقتير الشديد؛ والكرازة التامة - وقد كدت اكون كذلك الآن - ومن دخل ظفار حمر (1)

لا تعدل المشتاق فى اشواقه

حتى يكون حشاك فى احشائه

الخيطة

علم الطلبة بانقان الخيطة فى جميع نواحي سوس؛ حتى ان الطلبة السوسيين الذين يشارطون فى الحوز وما وراءه؛ يتخذهم من يشارطونهم كخياطين رسميين فى القرية. لما عسى ان يتوقف عليه احد من اهل القرية؛ فينتفع بالاجرة الاستاذ زيادة على اجرة المشارطة؛ والطلبة الالفيون فى عرض جماعتهم هذه فى هذه الحرفة. ولذلك ترى الكثيرين من الذين يجيدون الخيطة فى اثواب الصوف من السلاحم والجباب هم من الطلبة؛ بله ثياب الكتان. فهنا سيدى محمد بن الحسن التياسيتمنى؛ والسيد على الاحطوى من اهل قرية (دوكادير) اشتهرا كمنظائرهما فى اتقان هذه الحرفة؛ يقصدان بها من الالفين وغيرهم؛ وقلما تخلو قرية من امثالهما

(1) ظفار كحدام: مدينة لحمير باليمن. معناه: من دخل هذه المدينة تكلم بلغة حمير. وهو مثل مبنى على حكاية

إذا كان هناك كثيرون يحسنون الخياطة للجديد بكل أنواع الخياطة؛ فان رفو القديم خصوصا ما يقع في وسط المنسوجات الصوفية من خروق؛ يحتاج الى حذق خاص؛ ولذلك يقل من يتعاطاه، ويسمى: (تاغزديست) وكثيرا ما انعجب من ذلك الرفو اذا اتقن؛ فانه يكاد يكون كالأصل (وقد رايت مثل هذا من عند مصري رفا لي ثوبا في المدينة المنورة في حجتنا 1365 هـ. فلم اكد اتبين ما بين الخيوط الاصلية والجديدة؛ كانه لم يتخرق) ولم ار في المغرب في رفو الصوف مثل ما رايت عند الالغيين؛ ولعل قلة الثياب عندهم والحرص على استدامة القديم حتى يعود كطيلسان ابن حرب(1) هو الذي يحملهم على اتقان هذا الرفو العجيب، وهذا الترفيع مالوف عندهم حتى عند غير المدفعين؛ حتى في الاحذية فانها ترقع حتى ينمحي الجلد الاصيل أحيانا ؛ وكل ما يعاب في بيئة قد يعد مالوفا في بيئة أخرى .

الحزافين

لهذه الحرفة رواج عند الالغيين؛ لأن من عزمهم ومن ولوعهم بالنكسب أن يصنع كل واحد في داره عشرات او مئات من الاواني قدورا ومخازن ومعاصد وقصاعا وطواجن واكوابا وكل ما يحتاج اليه، فيستهلكون في دورهم على دور السنة ما يستهلكون؛ والباقي يذهبون به الى (تامانارت) وقت التمر فيبيعونه بالتمر؛ ولكن صناع هذه الحرفة الحاذقين انما يستوردون من (أفلاوكسس) من بعقيلة ؛ وقلما يتقنها الالغيون .

الحجامة

لم اعرف الآن من الحجامين الالغيين الا الحاج الناجم من المرابطين من قرية دو كادير؛ والا السيدة بنت الفقير على بن يوسف التوكال، ذلك للرجال. وهذه للنساء؛ وقد ينتجان بصنعتهما القبائل المجاورة؛ وهناك حجام آخر سموكني قطن الزاوية العليا يسمى ابن سى مبارك؛ ولكنه لم يشتهر كثيرا، كما ان هناك حجاما آخر من دو كادير غير انه جلا عن الغ؛ يسكن (تامانارت) او في (تندوف) وهو عبد بن المحفوظ؛ ولكنه الآن ليس من الالغيين

(I) في هذا الطيلسان قطع شعرية لشاعر. وتوجد في كتاب (زهر الآداب) المحصري .

انتدا ترى أن لالغ الفقيرة المسكينة طرفا من كل ما يحتاج اليه في الحياة من الله اللطيف الرحيم عليها به؛ فنزيدك الآن ان التعدين ايضا من جملة تلك المن فان في كدية ازاء قرية أكجكال؛ معدن النحاس متوارثا. فيها غيران تمتد تحت الارض بطول الازمنة، كان اهل هذه القرية يعملون فيها هم او من اذنوا لهم؛ فقد كان المعدنون يستخرجون منذ أجيال النحاس من المعدن ثم يبيعونه خاما الى مدينة (نازااغت) في نحو القرن السابع وما قبله؛ او الى تارودانت المشهورة بصناعة النحاس. وقد الم المؤرخ عبدالواحد المراكشي باخبار هذه الصناعة في عصره بسوس توفي نحو: 624 هـ. لهذا المعدن حديث في ايام الاحتلال؛ حين عزم المحتلون ان يزيلوه من ايدي اصحابه؛ وقد اثاروا عليهم جيرانهم المانوزيين، ولكن اصحابه الاكجكاليين دافعوا بحججهم وبرسوم ملكياتهم؛ فاستطاعوا أن ينتزعوا معدنهم من شركة استعمارية كانت بدأت بالفعل في العمل - وها هو ذا الآن المعدن ينتظر شركة الفية تستورد الآلات الفنية لتقوم بالعمل بالجد الموافق للعصر. (ثم بعد الاستقلال عمدت الحكومة الوطنية الى العمل فيه. من غير أن يوخذ رأى مالكيه الاصليين) مع ان ذلك يخالف القوانين

العام والتدين و الاخلاق العامة

معلوم ان للسوسيين عامة من روح التدين؛ ومن مراعاة أخلاق الفضيلة ما لهم؛ وخصوصا منهم الجزوليين، حيث كثرة المدارس والزوايا وبيوتات العلم؛ ولكانة الخ. من جزولة كان لها ما لها، منذ نزل هناك المرابطون أبناء الشيخ عبد الله بن سعيد؛ فقد وقفت على وثيقة كتبت حوالي عام: 1090 هـ. يوصف فيها هؤلاء المرابطون باوصاف محمودة مغبوطة. شهد لهم بتلك الاوصاف فيها ثمانية عشر عالما من جيران الخ - ويجدها القارى في ترجمة الشيخ امامه - ثم لما بنيت المدرسة الالفية. ثم الزاوية ازاءها، ظهرت الخ بمظهر آخر خفقت به الالوية؛ وسالت اليها ومنها الركبان؛ فمن راند للمعارف؛ فيروى حتى يضرب بعطن؛ ومن مستجل لمرآته بالتصوف، فاذا به تشرق سربرته بالانوار. وقد كانت في الخ مدرستان قبل: احدهما في (ايزرربي) ولكنها لا تذكر قط؛ الا باسم المدرسة؛ ولم تود اى عمل في ميدان التخريج، وثانيهما المدرسة الوافقاوية التي كانت منذ أسست بايدي السادة الكرسيفيين آل العالم؛ قد تضىء حينما بتويرة من العلوم؛ ثم تنطفئ أحيانا؛ ثم لم تؤد عملا يستحق أن يبقى لها خلودا. ولكن المدرسة المرابطية

لم تكد تؤسس عام 1297 هـ. حتى صار المتخرجون منها تطفح بهم الطرقات وتتموج في سوس اولا؛ ثم في الحمراء بالرميلة، ثم في تطوان بابراهيم الالغى؛ ثم في ابن كريب بابراهيم بن احمد وابن ناصر؛ ثم بعد ذلك ذهبت فروع التخريج بمن تخرجوا من الرميلة. ومن بين ايدي ابراهيم كل مذهب؛ وما يوم حليلة بسر، وقد قال القاضي سيدي موسى الروداني ما معناه: لانعلم اليوم من يؤدون في سوس للعربية وللادب الواجب الا الالغيين». هذا مقام الالغيين في العلم الذي يلد العمل؛ وهو التدين؛ فيغلب على كل الفنى ملازمة الصلاة في الصف؛ والحرص على صلاة الجماعة في السفر؛ وهم مشهورون بذلك؛ ومساجدهم عامرة فيها مجتمعاتهم العادية، ولم يسر الضعف الى هذه الناحية منهم الا بعد الاحتلال؛ ثم هم مع ذلك لا يزال تارك الصلاة منهم قليلا؛ وبعد في كل قرية من لا يباليون بالصلاة؛ والعادة ان يقدم للضيف اثر ما يطرق الوضوء؛ ثم مصاحبته الى المسجد في كل صلاة، ونساؤهم كذلك يقلب عليهن الصلاح؛ وقلما تجد من لا تصل منهن؛ وياتهن بالسمع من فوق سطح المسجد؛ وعهدى بمساكننا في (دو كادير) تقام فيها الصلوات في خمسة محلات: زاويتنا من الاسفل. ثم مسجد آل سليمان، ثم مسجد الحربيين. ثم مسجد ازواوية العليا؛ ثم مسجد المدرسة في سفح النجيل وتسمع الاذانات في كل وقت؛ ويقوم المؤذنون في الاسحار بأذكارهم من قبل الفجر؛ وعادة الالغيين التكبير في أشغالهم فكل سفر يبكر اليه من قبل الفجر، وحين لم تكن الصلاة فقط المظهر الخاص للتدين؛ فان لهم في اخلاقهم وفي امانتهم وفي مثلهم العليا مظهرا اسمى واعلى؛ فيقل الكذب والنفاق والخيانة والعهارة؛ بل كان هذا كله أقل القليل في النجيل القديم؛ ولم تشع هذه الاخلاق الفاسدة الا بعد الاحتلال الذي جر كل وبال على المغرب؛ وقد كان شيوخ الخ حرصوا على قطع الالعب التي تفسد الاخلاق ولكن حدث بعدهم ما حدث، ولكنه في خلفه شؤون؛ والالغى على كل حال تجده غالبا متفقهها في ديانتته يعرف الحلال من الحرام؛ وان حادثك تسمع الحكمة - وان لم يكن الا عاميا - لمصاحبتهم للعلماء

واما اخلاق القوم من المشجاعة فلا أكذب على الله وعلى التاريخ؛ فانهم مستضعفون بين المجاطين والبعقلين والحربيين والمناوزيين ممن لا يردون الماء الا عشية (1) ولا تقضى حاجة واحد منهم ولا يتوصل بحقه الا بخفارة مجاطي او بعقلي او حربي؛ وما ذلك الا لانهم ليسوا من ذوى السلاح؛ ولا من ذوى عصبية تناصر اخاها ظلما او مظلوما، خصوصا نحن المرابطين؛

(1) قال بعضهم في قوم مستضعفين من قطعة
ولا يردون الماء الا عشية اذا صدر الورد عن كل منهل

فاننا نكأ كل قوى؛ ومرعى لكل سارح؛ فلذلك كان لكل اسرة مجاطيها او بعيليتها؛ يذود عن حماها؛ ويرد لها حقوقها، وهكذا كان الحال من قرون الى أن جاء الاحتلال؛ فاستوى الماء والخشبة؛ فأمكن للمرابطين ان يكونوا قبيلة كالقبايل، فتمتطيع ان تملص ممن كانوا ياخذون كل اسرة باناوة فنفعهم الاحتلال من هذه الجهة - ومصائب قوم عند قوم فوائد -

هذا وقد عرف الالغيون بانه لا عرف عندهم يذكر؛ ان هناك الا الشرع فيه يحكمون؛ واليه يتحاكون؛ وعاداتهم قبل الاحتلال ان من له دعوى يرفعها مع خصمه الى بعض الفقهاء تحكيما؛ يشهدان بذلك على انفسهما. ثم ان لم يقبل المحكوم عليه الحكم ترفع الدعوى الى فقيه آخر يسمونه المفتى، كالاستيناف؛ وبذلك تقطع جهيزة قول كل خطيب (1)

واما ما يرجع الى الكرم فان قصد منه ان يتلقى الضيف الذي لا بد منه بما تيسر بلا تكليف؛ فان الالغيين يكادون يكونون كلهم كرماء؛ وان قصد ما يعهد من الاحتفال بالاضيف من ذبح الكباش وقل الدجاج؛ وبسط جفان كالجوابي. وقدور راسيات؛ فان بلدهم الموفر الاجرد لا يطيق ذلك ولو ارادوه، ولذلك ترى من أمكن لهم مثل ذلك لا يقصرون؛ كاهل الحاج ابراهيم الايشماني؛ وكالفقيهين ابني عبد الله؛ وكالشيخ الالفي، ثم بعدهم الرؤساء من ايت واقفا وايزربني وسيدى المدني واخيما سيدى محمد؛ على ان الخ نالت مكانة مكينة يوم المقاومة؛ فقد ظل الفقيه سيدى علي بن عبد الله فى طليعة القبائل التى تقاوم الاحتلال من عام: 1330 هـ. فكان هو الامام المرشد الواعظ الحافز لكلهم الى ان توفى عام: 1357 هـ. ثم خلفه فى ذلك شميخنا سيدى الطاهر الإفرائى الذى ما فارق قط الصف الاول فى المقاومة فهذه بعض اوصاف الالغيين (وما قلت الا بالذى علمت سعد)

اطعمت الالغيين ووجبات الكرم

راى القارىء من وصف الخ المتقدم اقفار ذلك البسيط؛ فلا اشجار تنهر، ولامزارع مخصبة اخصابا يورث الثروة؛ ولا تجارة منسعة تفعوهم بارباحها الجيوب؛ فهل يمكن ان تكون معيشة من يقطنون فى هذا الفقر اللياب، الا ما عسى ان يتبلغ به؛ من كسكسو مفتول من دقيق الشعير؛ او عصيدة ملتوتة من دقيق الدرة - ان آتى بها من افران او ماسة أو

(1) اجتمع قوم من العرب ايصالحو بين ذوى دم فيخطبون فيهم لذلك، فاذا بامرأة وردت عليهم تسمى جهيزة (يفتح الجيم) فاعلمتهم بان صاحب لدم قتل صاحبه. فقيل: قطعت جهيزة قول كل خطيب. فكان ذلك مثلا.

تامانارت - او من جريش الشعير؛ وقد ادركنا حوالى عام 1323هـ. أن غالب
 الالغيين لا يعرفون ان يصنعوا الحريرة صباحا؛ فضلا عن القهوة والحليب؛
 ولا ان يخبزوا الا اذا دعت الضرورة؛ فليس هناك فى الطعام العام الا
 الكسكس المسنمة فى القصاع بالخضر كاللفت والجزر والقرع والبصل
 والباذنجان، وهذا هو الغذاء توجده ربات البيوت مع الضحى؛ الا فى وقت
 الحرث فانه يوجد

من قبل ان ترشف شمس الضحى ريق الغواوى من ثغور الاقحاح

(كما يقول ابن رشيق) لان الفلاح ذكرا او انثى يريد ان يبكر الى حرثه؛
 وعند الزوال يكون التمر هو الهجورى - ما يوكل بين الغذاء والعشاء -
 وعند الغروب التنشى بالعصيدة ان كان فى البيت لبن؛ والا فالكسكس؛
 هذه هى المعيشة المطردة؛ وقلما يخرج عن ذلك الا بضع ديار، وهى دار
 آل صالح اغنياء القرية؛ والا رؤساء ايفشان ان كان عندهم اضياف (1)
 والا فمثلهم مثل غيرهم فى المعيشة المعتادة؛ واما دارنا؛ فان الوالد وان
 كان متسعا الا انه لتصفوه حريص على عدم الرفاهية فيما شى عادة البلد،
 فلا لحم الا فيئة بعد فيئة بحيث لا يغير ذلك الا فيما يقدمه لبعض الاضياف
 الذين يحتفل لهم وخدمهم لا لابنائهم ولا لمن فى زاويته من المنقطعين؛ هذا
 ما فتحنا عليه اعيننا. ثم بعد الاحتلال صارت المعيشة تتغير؛ فيدخل الاتاى
 فى المعيشة شيئا فشيئا. حتى عم البيوت بينا وبيننا؛ وكذلك اللحم صار
 يزور جميع الديار فيئة بعد فيئة؛ وربما فى كل اسبوع، بعد ان كان غالب
 الاسر لا ترى اللحم الا فى عيد الاضحى. او اذا وزع اهل القرية بذيحة
 يجتمعون عليها فى مثل عاشوراء. او كانت حفلة من الحفلات التى تقام
 سنويا على المشاهد المحترمة؛ ولم تكن نعلم فى صغرنا من يدوم اللحم فى
 دارهم الا دار الرئيس الايفشانى القديم؛ وتضاهيها دار الفقيه على بن عبد
 الله؛ ثم تتلوها دارنا احيانا ان حضر والدنا وكثيرا ما يغيب؛ والا فنبقى
 شهرا او اكثر لا نذوق مرقة والشعير هو عماد المعيشة؛ ولا يعرف
 القمح بعض الاضياف الا فى بعض الديار حتى ان هناك حكايات مضحكة تقع
 وتحكى كالنوادير؛ اودعنا منها فى كتاب: (قطائف اللطائف). واما الفاكهة
 فلا يعرف هناك كثيرا الا ما يستورد من اكنارى من ايفشان ومجاط، فيدور
 به البدلون امام الديار؛ وقد الطف بعض الادباء فى قوله بديهة يوما؛

(1) بات الاديب البونعمانى سنة 1354 هـ عند الرئيس أحمد الايفشانى
 فتعشى عنده العشاء المعتاد بالعصيدة واللبن. ولو كان احتفل لتنكب
 العصيدة لمثل هذا الاديب. لان الايفشانى اذ ذاك لا يرضى أن يقدمها لمثل
 هذا الاديب. لو احتفل به وعرف قدره

وقد رأى بعض الناس يريد أن يشتري تفاحا لالغى:

فكده مصاحبك الالغى ما الفت
لا تتحفته بتفاح فشهوته
يعيش فى فطرة البادى الذى مرنت
فواكه البدو اشهى ما استساغ فده
لذائذ البدو فى الاذواق اطيب من
فلذة المرء فى عاداته ومتى
لهاه من (أكنارى) شائك قاس
فى غير ما يشتهييه اكثر الناس
يدا من مسك محراث الى الفأس
تلك التفافيح للمصرى والفاسى
سوائها منظرا وطيب انفا
تجووزت فظلام قائم عاسى

والخبز عند الالغيين انواع، اشهرها عند من ادركناهم؛ الخبزة الكبيرة
التي تجعل فى الخبز. ثم تغطى بغطاء الخبز؛ فيوقد فوقها وتحتها؛ وتسمى
(توفديلت) وبها تفد النساء من اسرة الى اسرة؛ وبها يتزود المسافر فتبقى
معه اياما الى اسبوع؛ ومن انواع الخبز الرفاق، وخبزة الكانون؛ تلصق
بجانب الموقد بداخله؛ بعد ان يلتظى بالنار الحامية؛ ثم تطيب الخبزة بالجمهر.
وقد تطور هذا الى أن استحال الى ما يسمونه (المجبوز). لأن العجين يجعل
شيئا فشيئا فى الكانون بعد ما يحمر بالنار فيجبد؛ وهو افضل ما يوكل
فى الخ؛ وخبز الكانون عندهم حديث؛ لأن المعروف القديم؛ هو خبز الفران
الذى يهيا للاعراس وللضيوف الكثيرين؛ وكثيرا ما تصنع الهلة للرعاة،
وللعصيدة اخ يسمى عندهم (بوفى) وهو مطعم الرعاة فى مراتبهم؛ وقد
يصنعونه من الحليب الهامون بالدقيق. وهو الذى ذكر فى بيتين ينسبان
ليوسى؛ وهما

أرى الحب يستولى على القلب بغية

كمثل هجوم الغيث فى الصيف اغداقى (١)

ومن كان هكذا فليست ارى له

دواء سوى أكل العصيدة او (بفى)

هذا وقد عرفت معيشة القمح اليوم فى الخ؛ فترى السعيد وخبز
الحوارى مما يقدم للاضياف، وكذلك حدثت الاوانى المتنوعة. ولا تكاد
الآن تدخل دارا حتى تلمح الجديد من كل شىء.

فهكذا دبت الحضارة الى الخ بمطاعمها وبفرشها من الزرابى والحشمايا
والكساء الحسنه؛ وبالتليفونات والسيارات؛ والانفاق بسعة؛ لكن هذا كله
لا يتمتع به الا من يستوردون من البيضاء الاموال بالعمل او التجارة؛ حتى
البنائات بدات تتغير شيئا فشيئا، وقد كان الاخ سيدى محمد اول من اتخذ

(١) اغداقى معناه انههر

السيارة بالغ عام: 1353 هـ. ويسوقها بنفسه. وهو اول من بنى رياضاً. واول من كانت له ابهة حضرية؛ وكذلك ماشاه الرئيس على الايشمانى وبلقاسم المانوزى وهو اغناهم؛ ثم يتاوهم الشيخ ابراهيم الوافقانى؛ والتاجر سيدى عبلا بن اليزيد. والباب مفتوح الآن على مصراعيه للمدنية؛ فمن يزور الغ الآن قد يستجلى ما يراه من اثاث واوان ومطاعم، ويجد فى بضعة ديار اخونة مبسوطة تحتوى على الحنيد. وخبز السهيد؛ والطواجين المزعفرة؛ والدجاج المحورة؛ فضلاً عن السفنج الذى يستدير بسكرجات السممن والعسل وأملو - طحين اللوز - زيادة على القصاع المكلمة اجما، المدفقة مرقاً؛ وقد سنح ان نذكر هنا بعض تنظيم المائدة؛ فان المعتاد عند الالغيين أن يقدموا اولاً زديبات العسل وأملو والسممن مع السفنج؛ ثم يثنى بالشواء ثم بالدجاج ثم بالطواجين ثم بالكسكسو؛ ثم يثاث بشراب الاتى. وقد صارت الكوامخ تدخل المائدة ايضا بدورها شيئاً فشيئاً؛ وهكذا تقدمت بضع ديار غنية الغية الى ميدان الرفاهية فى المطاعم وبعد هذا فلا باس أن نسوق هنا بعض أدبيات الغية حول بعض مطاعمهم نذكرها تفكها لا على انها من المقرر. فالتكلف فى بعضها غير خاف عن ذوى الاذواق السليمة .

منها ما قاله بعضهم فى البسيس - واللفظة عربية فصحة - وهو طعمة تستلذ عند العجائز؛ فيها يجازى معلم التلاميذ ان افتتح التمهيد حزباً جديداً؛ وربما استكثروا من لقمه يوم الختمة؛ فقد عقلت ان والذى صنع يوم ختمتى ثمانين لقمه قدمت فى قصعة عود؛ فيتناول كل من فى زاويتنا من الفقراء لقمه لقمه، والبسيس يصنع من السممن والعسل الملتوتين بالدقيق؛ مطبوخاً بالبيض؛ او من دقيق الزرع المقل؛ وهو الذ. ولذته قيل يوماً فى مساجلة مع المرحوم سيدى موسى بن الطيب ابن العم

بسيسك يا زهراء (١) خير بسيس	تطيب به فى الهضغ كل نفوس
صناع يد لتنته لنا فكان من	اخاير ما قد ذاقه كل سوسى
فهن ذاق منه لقمه خال انه	يمس سمهاء من مكان جلموس
فما الظلم من ثغر الحبيب معانقا	ازاء بسيس مثل ذا بنفيس

وقيل فى أملو

أملوا علينا من حديث (أماو)	ان حديث (أملو) لا يهل
تهزجه بالعسل المصفى	مع سفنج فى الخوان صفى

(I) زوجة محمد بلقاسم والد الفقيه سيدى بلقاسم الذى تاتى ترجمته فى الفصل الثالث .

تأخذ من هذا وذاك اخذة
وممن اتى الغ ولم يمتاع
وما البساطيل بهذا الباب
ولشيخنا سيدي الطاهر الإفرائي يهزح رفيقه الاديب سيدي العربي
الساموكني؛ وهما على مائدة الحاج ابراهيم الايفشاني الالفي:

ان الموائد انت من شجعانها
لله درك فارسا يفرى بسبيـ
ويك في قعر الطواجن ظفـره
واذا كررت على الطبائى كـرة ،
وتزج في بحر المكايل غائـصا
وتعوم في جمع من السادات في
حادث بواكفها يدا بحر النـدى
خير الاحبة احمد وابوه من
فرد مكارم مجده اعيت على
لازال في شاو المكارم جاريا

والزرد حرب انت من فرسانها (١)
ف السن لحم الشاء عن اخسانها (٢)
اسرى الدجاج تقاد في ارسانها (٣)
اهرقت رشفا من دما كيسانها (٤)
فلك السفنج قنتشى بحسانها (٥)
نعم همت كالسحب في نيسانها
فذا العلا طرا سنا انسانها
شاد المكارم في ذرى غسانها (٦)
اعشى البلاغة أو على حسانها
طلق العنان الى مدى احسانها

وفى سنة 1356 هـ. اكلت مع الفقيه ابن العم سيدي بلقاسم السليمانى،
عصيدة من الذرة البيضاء تعلوها حفرة تطفح زبدة ذاتبة؛ وقد اعنا فيها
بلبن طيب حلو ساخن؛ فكان ذلك هو الجادى حتى قيات هذه القصيدة التى
نسوقها على ما فيها لانها أمس بالمقام؛ والقصيدة اعنى بها فشرحت نحو
ثلاثة شروح الفية

وقبل أن نسوق القصيدة نقول: ان العادة فى العصيدة فى الخ
أن تصنع من جريش الذرة البيضاء؛ ويصب عليها حالة انضاجها الحليب،

- (١) الزرد المقصود به معناه العامى الذى هو الزردة المعلومة حفلة
الطعام لا معناه العربى الفصيح
- (٢) اخسان بكسر فحاء مسكنة لفظة شلاحية معناها العظام
- (٣) الارسان جمع رسن الازمة التى تقاد بها الخيل ونحوها
- (٤) الطبايى جمع طبلاة؛ وهى كلمة دخيلة وتطلق فى الخ على
الصينية وفى الرباط على الحوان والكاس تجمع على اكؤس وكؤس وأما
الكيسان فلم تقف لها على أصل
- (٥) المكايل جمع مكيلة؛ ويقصد بها فى الخ الزبديات والسكرجات
يجعل فيها السمن ونحوه
- (٦) يقصد بغسان قبيلة ايغشان؛ يحاول الاغيون بذلك تغليب الكلمة
وذلك غير جيد؛ لئلا يقع الالتباس فى المستقبل

ثم تطبخ طبخا جيدا بعد ما تلت بالمعصد - وهو عود تلت به العصيدة في مطبخها - لنا محكما حتى تغلظ؛ ثم تغرف الى الجفنة؛ وتسنم فيها ويحفر في اعلاها حوض مستدير يملأ بالزبدة الذائبة حتى يطفح؛ ويوتى باناء اللبن. واجود الالبان ما لا رائحة فيه من وطب، ولا مذك بالماء ولا حموضة؛ ثم يستدار بالجفنة؛ فياكل كل من جهته بكل ادب لقمة لقمة حتى اذا كان أمام كل واحد حفرة؛ او حفر فيها من اول وهلة حفرة؛ يصب فيها من اللبن ثم يلته باصابعه؛ وهو يغرف من الزبدة قليلا الى ملتوته، وقد يغافل من معه ان ارتفعت الكلفة بين الاكلين؛ فييثق من حوض الزبدة باصبعه؛ فترشح اليه الزبدة؛ ومتى لت أمامه وصار كالحريرة، يتناول منه بيده؛ ولا تعرف الملائق في مآكل الخ؛ وهكذا دواليك. حتى يكتفى من الاكل اكتفاء غير النهمين الشرهين؛ وللقوم ادب عال في الأذائة؛ هذا هو المعروف، واما هذا الذي وصف في القصيدة فانه مقصود للاحماض ولاريجية الادب

تلوح بلالا العصيدة يبرق ؟
شماريخ طود لم يكدي يتسلق (١)
تطيب بها كل النواحي وتعبق (٢)
أزاهيرها تحت الصبا تنفتق ؟
من الذرة المعطار ان كنت انشق
فيا طالما شم البعيد فيصدق
وللشنب البراق فيه نألق
متى حال فيها حظ غرثان يشهق (٣)
(كجائية الشيخ العراقي تفهق) (٤)

لمن جفنة قد اقبلت تنألق
سمنة حتى كان سنامها
وقد فغمت منها الحياشيم نكهة
أهذا أريج المسك أم نفح روضه
نعم انها من غير شك عصيدة
وعهدى بانقى ليس يغلط شمه
الم ترها كالتغر أشنب باسمها
تميس بلون الثلج ابيض ناصعا؛
لها قمة في وسطها حوض زبدة

فيوضع في الاطراف منها ويعنق (٥)
تخبطه وسط الدجنة أولق

فيا ليت شعري من تحط أمامه
ويخبط فيها باليدين كأنها

- (١) شماريخ ج شمراخ بالكسر رؤوس الجبال وتسلق الجبل
طلع عليه وتسلق الجدار
(٢) الحياشيم ج. خيشوم ثقبه الانف وفعم العطرأنفه ملاء
(٣) الغرثان الجائع
(٤) الشطر الاخير من قصيدة الاعشى المشهورة؛ واوله
(نفى الذم عن آل المحرق جفنة) وفهق الشراب في الكأس - اذا
سال - من جوانبه لكثرة الامتلاء
(٥) الايضاع والاعناق الجرى وسرعة السير :
(٦) الدجنة : الظلمة الاولق الجن

يشن عليها غارة مسمعة
فياتي على تلك العصيدة كلها
بلقم اكل آمن ليس يرهق (١)
اذا الجفنة الغناء جرداء سملق (٢)

* * *

فيا فرحى انى السعيد فانها
فيا طالما اجرى احاديثها وكم
تخط امامى والرجاء مصدق
اعرض فى نطقى بها وارقق (٣)
الى سيلها منذ ازمنات تشوق (٤)
فعمما قليل سيلها يتدفق
افى كل يوم نهمة تتحرق ؟
الى كل حين لى جراز يفلق (٥)

* * *

دلفت اليها والعيون كانها
حللت لها طوقى وزحزحت معطى
نطاق حوالى ركبتي تحملق (٦)
والقيت عنى ما به اتمنطق
ستعمل ايضا معصماى ومرفق
يؤيده عزم اذا هم يصدق ؟
تأنت له اللذات يفرى ويخلق (٧)
الى فوطة هم بتلك معلق (٨)
اذا لم يكن أمر حواليه مرهق ؟
وهل فاز فى اشغاله غير حازم
وهل فاز باللذات الا الذى اذا
فانفض نفص المعجلين فلم يمل
وهل يذكر الانسان امثالها سوى

(١) الغارة المسمعة المنتشرة على الاعداء وارهقت الانسان عن
عمله اعجلته عنه

(٢) الحديقة الغناء المزدهرة ؛ والارض الجرداء لا نبات فيها ؛ والسملق
القاع الصفصف لا نبات فيه ولا اشجار

(٣) التعريض والترقيق اذا كنت تكنى عن الشيء ولا تصرح به
ومنه المثل « اعن الصبوح ترقق »

(٤) المقصود بالسيل ملتوت العصيدة بالبن

(٥) الجراز السيف القاطع وهو بضم الجيم

(٦) دلف الشيخ فى مشيته مشى مشية المقيد

(٧) خلق الصانع الاديم اذا قدر كيف يقطعه وفراه قطعه وفى

المثل ما كل من خلق يفرى اى ما كل من قدر الاشياء يتمها كما قدرها

(٨) الفوطة : عربية فصيحة والاشارة بتلك الى الجفنة .

واما اذا الارهاق عن فرما
 وادنى الى القعب يطفح رائبا
 وللمحض فيه نضرة وتلالؤ
 وما اثرت فيه الوطاب ولادنا
 ولا مخضته العانسات وقد بدا
 وتعلوه امثال القباب سميكة
 فاتخذ منه حسوة بعد حسوة
 وما القصد الا ان ابل مصارنى
 وان تغتدى بد الفتوح لحملة
 تخطى الشجاع الدرع اذ يتدلق (١)
 كغرب ملىء ماؤه يتدفق (٢)
 كغضب على منته لعم ورونق
 الى اريه المبيض ارعن يمدق (٣)
 لشامات زبد من عليه ترقرق (٤)
 زجاجية لماعة تتاللق (٥)
 كما يحتنى الفحل الذى يترمق (٦)
 والا فهمى ما اليها احق (٧)
 تقرب فيها غارتى وتشرق

* * *

ومن فاز فى بدء فاجدر به اذا
 فاعلن باسم الله ان حانت الوغى
 فاحفر فى حرف العصيدة حفرة
 واجعل فيها يمنة ثم يسرة
 فاملأها محضا فاجدحها كماء
 تقدم ان يحظى بفوز يحقق
 ومن كان محفوبا به ليس يزلق
 موسعة كالحوض او هو اضيق
 سدودا صحاحا عاليات توثق
 يهيب طينا مشمعل محذق (٨)

- (١) تدلق السيل اندفع
 (٢) القعب بانفتح القدح الضخم وكثيرا ما يطلق على قدح اللبن
 قال تلك المكارم لاقبعان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
 والغرب بانفتح الدلو الكبيرة وهو مذكر
 (٣) الوطب بالفتح جلد اللبن الذى يخض فيه والارى العسل
 والارعن الاحمق ومدق اللبن بالماء مزجه به
 (٤) العانس لكثرة استخدام أهلها لها تنتن المخض وجمع الزبدة من
 المخوض فلا تبقى من الزبدة شيئا؛ بخلاف من لا تحذق ذلك
 (٥) المقصود الفقاقيع التى تعلو اللبن اثر ما يصب فى القعب
 (٦) ترمق الجمل الماء يشربه قليلا قليلا وكذلك يقلل فى اللبن
 (٧) الضمير فى اليها الى الجفنة
 (٨) جدح السويق لته ومنه المثل (جدح جوين من سويق غيره)
 والمشمعل الخفيف الطريف؛ والمحذق الذى تخرج فى حذق عمل حتى اتقنه

تكاد لديها جفنتي تشقق
 جهود مجد في المهمات يصدق
 وسباتي في جانبي الحوض تبتق (١)
 كما بان طرف واسع الجفن ازرق
 وتهوى كخطف البرق في الجو يبرق
 فعادت كسطل ليس فيها تشقق (٢)
 يبلغك السؤال الاناء المضيّق ؟
 وللسيل في وسط اللهاة تدفق
 كما يجد المخنوق روحا فيصعق
 تمدد ذيل حين يوضع ابلق (٣)
 بسرعة خفق القلب ايان يفرق (٤)
 بمنحدر حيننا وحيننا تسلق
 عفاريت تزجي حملها وتخندق
 ولي بعد اغذاذ امام ومعنق (٥)
 فما من معنى منى بذلك ضيق ؟
 الذ واحلى من رحيق يروق ؟
 سيول الروابي والسحاب تغدق
 يصب كما حل المزادة اخرق (٦)
 بسائط لكن ليس فيهن مورق
 وبعض ثقيمات عليه تفترق
 زوارق شتى فوقه وهي تفترق
 كما يغتدى في الزحف جيش مفترق

اخضعض فيها خضعضات بهمة
 وانى في امثال هذا لبازل
 فاجدح ما في حفرتي جدح عازم
 الى ان يرى والزبد يكسوه زرقة
 اذن يبتدى التجديف والكف ترتقى
 وقد رصصت فيها الانامل كلها
 امططها حتى اوسعها وهـل
 فتاتي وتمضي كالداء تواليها
 وللشندق صوت كلما صب وسطه
 اذا ارتفعت مدت ذنابي كأنما
 فاجدح ايضا ثم اجدح ثالثا
 فابقى ولاء هكذا واناملى
 وما فتئت جدحا وحملا كأنها
 الى ان اخوض الحوض ثم اجوزه
 وبطني ينادى هل هناك بقية
 وهل من مزيد فالعصيدة هذه
 فكان جوابي في سيول كأنها
 ورائب قعبي فينة بعد فينة
 وقد وسعت تلك المجالات فاغتند
 فتلتاح قبل الجدح والمحض مانج
 كبحر شديد مزبد قد تفرقت
 وانى اوالى حملة بعد حملة

- (١) بندق النهر كسر شطه لينبتق الماء
 (٢) السطل عربية فضيحة وهو الاناء الصغير للماء ويستعمل الآن
 في كل اناء ماء يحمل باليد وهو مجاز مرسل
 (٣) الذنابي الذئب نفسه والابلق الفرس
 (٤) فرق يفرق كفرح يفرح خاف
 (٥) والمقصود بالحوض حوض الزبدة والاعذاذ والاعناق الجرى
 (٦) الاخرق من لا يعرف كيف يصنع الاشياء ولا كيف يعالجها ؛
 فاذا أراد أن يحمل مزادة الماء أقلت فاها فيندفع الماء :

فتنصف هاتيك الجبال جميعها
الى ان ارى الفتح المبين وانسى
ولم يبق الا جولة وحدها لكى
فالحس كفى ثم اغسلها وقد
فاعلن حمدا خالصا من طويستي
فان يطعم الغالوذج الحلو قتيصة
فانى بحمد الله عندى عصيدة
فقد برئت من كل زور ولم يطف
فجات بما لم يات فيما اتى به الـ
ادام لنا الله العصيدة ما غدت
وما سالت الارياق ان عن ذكرها

* * *

المشروبات الالغية

اذا كان الحضرى يجد بين يدي ترفه وبين يدي غناه من المشروبات
المتنوعة ما يجد؛ من شراب الموز والبرتقال والموز والمشروبات المصرية
فان ابن الغ المسكين لا يجد الا العذب الزلال الذى يستقيه من الآبار بدلوه؛
ثم ان اراد تبريده فانه يعلق الدلو او السقاء فى ممر الهواء فاذا به اعذب
وابرد من ماء الحواضر المنلج؛ وما رأى كمن سمح؛ خصوصا ان كانت
فيه رائحة القطران، وقد احسن من قال فى ماء الغ فى مطلع قطعة
ألا ليت لى من ماء الغ مروقا من الخمر قد سموه ماء على غلط

(١) الصياصى الحصون

(٢) الملقق الاصبع التى يعلق بها ما تبقى فى الاناء؛ على عادة البادين

الى الآن

(٣) سيف البحر شاطئه

(٣) سيف البحر شطئه

(٤) تحتوى البسطيطة على اطراف الدجاج والبيض والحلويات والسكر

وامثالها

(٥) البسطيطة يزوق وجهها بالسكر والتوابل

(٦) للمقنع الكندى من قصيدته المشهورة حين يذكر أسباب الديون

التى عليه وفى جفنة لا يغلغ الباب دونها مكللة لحما مدفقة ثردا

وأما ما قيل فى المحلق فقد تقدم البيت الذى قاله الاعشى فى قصيدته

نفى الدم عن ال المحلق حفنة كجايبة الشيخ العراقى تفهق

(٧) نقنق : صوت كنعيق الضفاديع

وقد كان العلامة سيدى محمد بن مسعود يقول: ان الله عوض الخ
الفقيرة الجرداء عن الفواكه هذا الماء الحلو العذب الزلال الساسيل
نعم ان مشروب الخ الخاص هو الاتاى الذى يعرفه كل احد؛ وقد ذارت
قواف كثيرة حوله فى مناسبات؛ فمن ذلك قصيدة المشاعر الكبير ابن الخ
البكر سيدى الطاهر يوم تسابق السوسيون فى وصف الاتاى المشحر؛
بقصائد كثيرة (1) فقال هو

موشحنا محجرا مطسرا
خصل المدى فى الفضل لما برزا
متى سطا عانا له منازل
سلالتنا الخيرة الابرار
من صار فى قلب الحسود كمدا
من قد حكى نظامه الجماتا
من صنع تشجير الاتاى عبثا
فيه ورده الاخير مادحا
فصل القضية بقول منصف
أحدثها ذوو المجانة فقد
ترضى بان تفعلها او تقبلا
وربها نفسه افسادا
فيها النقاء وصفاء الظرف
وبدلوا النفيس فى شؤونه
حوت رماه البحر صيفا فنتن؛
فضده اذن تمام الحرج ؛
فى العود والمراش والمباخر
الا بهسراى مبهج وطيب
كما استحال لونه وشمه ؛
بيته مثل الصباح الابلسج
وبعدها رابعة سمعية
وهو كما قيل امام الكاس
بالطبخ» فافهم لا تكن بالساهى

هذا وانى قد رايت رجزا
قد دار بين سيدين احرضا
كلاهما لدى الصيال بازل
هما هلالا هالة الاكرار
سيدنا محمد ابن احمدنا
وكفؤه سيدنا عثماننا
تجاريا فى حكم امر حدثنا
فعابيه الاول عيبا قادحا
فبان لى أن أجرى الفكرة فى؛
فاعلم بان صنعة التشجير قد
أما الطباع المستقيمة فلا
لانها تسخم البرادا
والكاس قد شرط اهل الظرف
لذا تغالى الناس فى ماعونه
وربجه اذا غلا اسهك من
وشرط طيب الكاس طيب الارج
لنا تنافس ذوو المفاخر ؛
فما زوال الهمم والتقطيب
كذلك ايضا يستحيل طعمه ؛
فهذه قطعا ثلاث حجج ؛
وكلها حسية طبيعية ؛
قال فتى الظرف ابو نواس
فى وصف خمر «لم يشتها الطاهى

(1) يوجد بعضها بعين تراجم الاكرارين فى الفصل الثانى من القسم
الرابع كما يوجد بعضها فى ترجمة ابن العربى الادوزى فى القسم الثالث
وفى ترجمة العلامة ابى محمد الالغى قصيدة فى ذلك .

فهو كما سمعت سمي الطبخا
ان قلت ان قوله في الخمر
فالقصد أن الطبخ شين الكأس
فصح أن صنعة التشحير
لا هم الا أن يخاف البرد
أو اقتضاه سبب فلا حرج
لكن على السداد دون نفع
فالبرد أيضا يفسد الشرابا
نص عليه جلة أكياس

* * *

المعتاد في اول السنة الفلاحية

من انواع الاطعمة الالفية ؛ نوع يسمى (اوركيمن) يصنع من حبوب
الذرة والقمح والفول والعدس واللفت اليابس مع الاكرعة التي تجمع لذلك
من قبل؛ يطبخ الجميع في قدر طبخا جيدا طوال النهار؛ ويتحين صنع هذا
الطعام في ليلة اول السنة ويوتر ان اصل جمع هذه الحبوب اثر من آثار
نزول نوح من السفينة؛ فقد طلب ممن ركبوا معه ما تبقى مما تزودوا به؛
فاتي كل واحد بما عنده فطبخ الجميع طبخا واحدا؛ والالفيات يطبخنه تيمنا
ودراء للعين والجن؛ ولذلك يعتمد بعضهن الى اراقة بعض مرق هذا المطبوخ
على بعض زوايا الدار؛ وازاء أسراب المياه من الساحات داخل المنزل وما هي
بالعادة الوحيدة التي تصنع ليلة اول السنة؛ فأتذكر أن الناس يحرصون
على ان لا يبيت اى واحد خارج منزله مسافرا؛ ويرى بعضهم ان من لم يبيت
في داره تلك الليلة لا يزال مفارقا لداره طول السنة

الالبسة

الذي أدركنا عليه الناس عام: 1323 هـ. انهم يلبسون قمص الصوف
وسراويل الصوف - ويسمونها التبان - وعمائم الصوف، وذلك لباسهم
صيفا وشتاء؛ لا يعرفون اذ ذاك الكتان الا نادرا وذوو المروءة منهم يديرون
على أعاليمهم شملة من صوف؛ او رداء تاما لمن كانوا ملحوظين كالرؤساء
والعلماء وائمة المساجد؛ وفي الشتاء يلبسون الخفيف - وهي لغة فصحي -
ويستورد من (أزانيف) مكان في الاطلس الكبير الموالى سوس، وقد لبست
أنا - ما شاء الله - خنيفة غليظة محمر ما وراءها مما يقابل مقعدة الانسان ؛

وللناس اذ ذاك غالبا السلاهييم من الصوف المنسوج بالغ المعروف بوجودته ولم ندرك عند الناس لاجبة ولا سراويل الكتان ولا قمصه وعمائمه الا نادرا ثم سرعان ما انقلب الزمان فظهرت قمصان الكتان وسراويله وعمائمه؛ ثم جيبه؛ ولكن وشكان ما اختفى ذلك ايضا في ابان الحرب الثانية فراجع الناس معنادهم القديم الى ان انقضت وطفحت الاسواق بالكتان فعاد الناس اليه فهو الآن 1364 هـ. الملبوس المعتاد

واما النساء فان لهن عادتهن الدائمة؛ من رداء الصوف تجمع المرأة اعاليه بمصنوع من الفضة مثلث على تدييها؛ واحد على جانب والآخر على الجانب الآخر؛ ثم يجمعن الاسافل عليهن اما بحزام او بادخال بعض في البعض الآخر، وهذا الرداء يسمى (تفكوت) ان كان من الصوف؛ او المملحة ان كان من الكتان الاسود او الازار ان كان من الكتان الابيض؛ واما الفطاء؛ فان كان من الصوف فاسمه (تحيكت) او من الكتان فيسمى (أدال) والغالب الى الآن 1364 هـ. أن لا تلبس النساء الا الصوف؛ الا المترقات؛ فانهن يلبسن الكتان قمصا وملاحف وازرا حتى السراويل التي ما كن يعرفنه قد دبت اليهن لبستها وشيكاء، والفرجيات وجبات الساركة البيضاء او القهوية والسلاهييم المنسوجة من المنسوج الرفيع الرومي او البزويى قد صار اكل الآن ياخذ مكانته بين البسة الرجال الكبراء والتجار بعد ما دبت الحضارة الى الخ دبيها

الفرش.

ما كان يعرف الا الحصر التي تستورد من قرية (أمتضى)؛ ومتى كان هناك حنبل او زربية على قلة ذلك؛ فان بقاءها في الطي اكثر من بقائها منشورة تحت الناس؛ ولم يكن الناس يفرشون على عهد صغرنا الا الهياضر - جلود الكباش المدبوغة بصوفها - ثم لم تنتشر الزرابي الا في عهد آبائنا في ديار قليلة في الخ؛ ولا يزال ذلك قليلا الى الآن وأقل القليل جدا جدا المضارب والمخاد، ولا أعلم الآن دارا للاضياف استجمعت الفرش المعتادة في الحواضر من المضارب والزرابي والمخاد الا نحو دارين؛ على أن ذلك لا بد ان يزداد بتزايد اتساع الحضارة

المعتاد في المساجد

المسجد هو النادى العام لاهل القرية؛ ولا يتخلف عنه الا من لا خير فيه؛ ولاستاذ المسجد احترام؛ وهو الإمام والمؤذن - غالبا - وقارىء الحزب،

والحزب يقرأ في الخ على القاعدة الناصرية؛ تتبج الأحزاب الا فى عشايا
 الخميسات فيقرأ الكهف؛ وصباح الجمعة يس وتبارك، ولا يتعلق حزبه
 بالشهر؛ ويقرأ سبع من البردة فى حزب كل عشية؛ وفى المدارس العلمية
 تقسم الهزبية ايضا على أحزاب الاسبوع الصباحية. ولهم دعوات خاصة
 تقرأ وراء الحزب كما لهم دعوات خاصة كذلك كلما أريد التفرق من مجمع
 خصوصا المجمع التى يحضرها اهل الخير، تحتوى على الصلاة الالهيمية؛
 ثم الفاتحة ثم اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب
 النار؛ ثم الصلاة الالهيمية ايضا ثم سبحان ربك رب العزة عما يصفون
 وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

هكذا يختم كل مجلس؛ كما يدعى بذلك نفسه بعد الصلوات؛ ولا ريب
 ان هذا الدعاء المرتب قديم؛ لان مثل هذا مذكور فى العهد الموحدى، ولكل
 طرف منه أساس من الحديث؛ وفى ليلة ختمة القرآن؛ - وتكون دائما عشية
 الاحد - تزداد دعوات اخرى؛ ويتحين محبو الخير من الرجال والنساء
 الحضور، لما ثبت من ان ذلك الوقت يستجاب فيه الدعاء؛ ويأتى اهمل
 الفضل بالتمر ومقلو الذرة؛ او بقصعة طعام؛ وفى بعض المساجد من جيران
 الخ توجد احباس لهذه الختمة

أما كيفية التدبير من الاستاذ؛ فلا تختلف عن المعتاد فى كل المقرب
 ضغطا وتكرير السور وغسل الألواح صباحا؛ ثم املاء الاستاذ على التلاميذ
 كل واحد على حدة، ثم يكهل الاستاذ نصف اللوحة للتلاميذ ان استظهر
 نصفها الاول؛ الذى كتبه بيده؛ ولا يذهب التلاميذ الى الغداء الا بعد أن
 يحفظوا؛ ثم يرجعون الى تكرير السور التى كانوا حفظوها الى الهاجرة؛
 ثم من الظهر يقرأون ما سيمحى غدا ثم التكرار للمحفوظات، الى أن يقرب
 المغرب؛ وحضور الحزبين صباحا وعشية من واجبات التلميذ؛ وتكرر
 المحفوظات الى العشاء؛ وهن عصر يوم الاربعاء تكون الراحة الى عصر يوم
 الجمعة؛ الا أن التلاميذ يبكرون يوم الخميس ان لم يقب الاستاذ الى أهله،
 لتكرير السور الى الضحى؛ والعواشر تكون اياما قبل العيد وبعده؛ وعلى
 التلاميذ ضريبة الاربعاء والعواشر؛ كل بما تيسر، وقد كان المعتاد فى الخ
 البيضة الواحدة فى الاربعاء وفرشا فى العواشر؛ وذلك منذ نحو 40 عاما.
 ثم جاءت الدراهم فى الجميع؛ واجرة الاستاذ تجمع له من محصول السنة
 من البيادر بعدد معلوم من الأصح على كل دار؛ ومع حرت تقوم به جماعة
 القرية، ومع اضحية او ثمنها؛ ومؤننه بالتناوب غداء وعشاء؛ دارا لدارا؛

ولا هجورى ولا لهنة (1) فى الخ؛ وقد أدركنا ان استاذ المسجد هو موثق القرية ان لم يكن فيها عالم؛ وعدلها الممتاز؛ وعاهد الانكحة؛ والمصلح بين المتخاصمين

المعتاد فى المدرسة الالغية

كان سيدى محمد بن عبد الله المؤسس لمدرسة الخ عام: ١٢٩٧ هـ مجدا فأسس فى الخ القراءة الجديدة، فحين يتخرط التلميذ فى المدرسة بعد ان يحفظ القرآن يتدرج من الجرومية فالجمل والزواوى؛ ثم اللامية لابن مالك مع ابن عاشر؛ ثم الرسالة فاللفية لابن مالك؛ ثم بعد ذلك التحفة والمختصر والمقامات والزقافية؛ ثم المنهج وفى الرمضانات لا يقرأ الا الحساب والفرائض والبخارى، وبين هذه الدروس يتلو الطلبة من عشية الاربعاء الى عشية الجمعة فى كتب الادب بينهم يبتدون بالاسهل؛ كالمستطرف ومروج الذهب وابن خلكان؛ فسيره ابن هشام؛ فالواهب المدينة ثم لايزالون يترقون الى ان يقفوا بعد ان يشدوا فى نفع الطيب الذى هو الكتاب العالى عندهم؛ والعادة ان كتب الادب لا تقرأ فى ايام الدراسة تفرغا للعلوم الرئيسية ما عدا المقامات الحريية، واما العلقات والطفرائية ولامية العرب والهمزية والبردة والشقراطيسية؛ وبانت سعاد؛ فان هذه تقرأ فى العواشر غالبا؛ واما الدروس الدائمة فالفقه والنحو والتصريف والتفسير احيانا؛ والمعتاد ان يطالع التلاميذ دروس الفد بينهم يطالعها لهم نجاؤهم، ثم يقرأونها عند الاستاذ؛ ثم تعاد بينهم ايضا؛ ثم يتعهدهم الاستاذ فى حفظ الشواهد والايات التى تستطرد فى الدرس؛ ثم يواخذهم الاستاذ بانحفظ لعدد من الايات فى كل صباح من المتون مع تكرارها جماعة فى عشايا الاربعاءات؛ واما ما بين العشاءين فى غير الاربعاء والخميس فانه لمطالعة الدروس او لاعراب راس الحزب، حيث يجولون جولات فى كل المتون التى يدرسونها؛ ولهذا تجد أبناء المدرسة الالغية؛ اكثر السوسيين استحضارا للمتون؛ وعادتهم فى الدرس؛ ان يتغنوا بالايات التى تقرأ جماعة قبل افتتاح الدرس، وغالب قراءة الشادين فضلا عن المبتدئين فى اللوحات؛ يشققون فيها المتون؛ ثم تفسر بيتا بيتا؛ كما تعرب كل الشواهد بالسنة الطلبة لا بلسان الاستاذ كما أدركناه فى القرويين وابن يوسف؛ ويقراون الالفية أولا بشرح السيوطى ويتلو التلاميذ المكمودى مناوبة؛ ثم بشرح

(١) اللهنة بضم فسكون: ما يفطر به صباحا. فقد قال اعرابى لanas

لهنوا ضيفكم

الاشمونى والموضح فى المرة الثانية؛ والرسالة بابى الحسن؛ والتحفسة بالتاودى والتسولى؛ والمختصر بالدردير والمقامات بالشريشى؛ وللإستاذة الذين مروا بالمدرسة الألفية استحضار تام فى الفنون لكثرة ما مروا بها فلا يحتاج احدهم لاعداد الدرس؛ واكبر اعتناء الألفيين بالنحو واللغة والادب؛ فلا تمر كلمة الا عرف ضبطها؛ واذا احتفل مجلس طلبتهم ياتى احدهم بكتاب يتلوه؛ ثم لا يستحى الصغير أن ينبه الكبير ان لحن فى اعراب او فى ضبط كلمة؛ وقد تعجبت كثيرا حين خرجت من الغ فاسمع اللحن ثم لا يوجد من يرده، ومتى فرط منى ذلك عن غلط او عن طبيعة يقوم مثل الاخ النطوانى فى وجهى كمنصحة أن لا اتسبب فى معادة الناس؛ فياللعجب؛ فهؤلاء شيوخنا كابى الحسن وابى محمد الألفيين وكشيخنا سيدى الطاهر ما كان احد من الفتيان أمثالنا يستحى أن يرد على احدهم؛ وهؤلاء كذلك تلاميذنا عودناهم أن يردوا علينا؛ فسبحان من فرق بين البيئات

كتبت هذا للغد، ليعلم الغد كيف كان الغ واهل الغ فى هذا الميدان؛ وللألفيين ابيات سقيمة يفتنون بها المقروء فى مجلس الدرس؛ فما كان رجزا تقدم له ارجوزة فى ابيات قليلة؛ وما كان على بحر الطويل كالجمل تقدم فيه ابيات اخرى؛ فاول ابيات الرجزية: اعوذ بالله من الشيطان ٠٠٠ الخ ومن ابيات الطويل: قول حسان فيما اظن فى الرسول:

له هم لا منتهى لكبارها

وهمة الصغرى اجل من الدهر

وللمدارس فيما ادركنا قوانين فى حضور الصلوات وفى خدمة الاستاذ، فكان من بينها للمدرسة الألفية من بينها قوانين اصعب بها استقامت ما شاء الله حتى دب التدهور الى الجميع

دور المرأة الألفية

قديما يقسول الحضريون: (المرأة الفاسبة؛ امرأة وتجارة؛ والمرأة البدوية امرأة وحمارة؛ والمرأة المراكسية: امرأة وخسارة)

لا ريب أن لوصف المرأة البدوية بهذا الوصف حظا من الصواب غير قليل فهذه المرأة الألفية ككل نساء تلك النواحي؛ هى التى تقوم بكل شؤون بيتها، فتظل نهارها فى الاعمال المرتبة على اوقات اليوم؛ تقوم سحرا لتطحن ثم تسخن ماء الوضوء مع الفجر؛ ثم تحلب البقرة؛ ثم تسقى من اليبير بالقلعة على ظهرها تاخذ القلعة بحبل يمر بكاهلها؛ ثم ان أرادت ان تحطب فانها تبكر ولا تطلع عليها الشمس الا وراء روابى الغ حيث لا يزال الشبح الذى

هو الوقود الوحيد للالغيين؛ فتجتمع منه ابالة عظيمة تنظوها ثم ترجع بها على ظهرها والعجب أن ذلك الحمل الثقيل لا يوودهن، فإن النساء الحاطبات يرجعن بالاغانى يتداولنها باصواتهن الرخيمة؛ ثم لا تكاد تدخل الدار حتى تهىء الغداء ان لم تكن طبخته صباحا؛ ثم تمخض وطبها؛ ثم تنقى طحنها للغد؛ ثم تغربل طحين الصباح ثم تانى بالخضر من الحقل، ثم تسمى البقر؛ ثم ان كان عندها سقى من البير للحقول فهي التى تتولى ذلك؛ وزد على ذلك أن تتعهد مغزلهاء؛ وترضع ولدهاء؛ ثم ان كان حرث او حصاد، فهي التى تقوم بذلك بمعاونة زوجها او وحدها ان غاب. بهذا تملا نهارها؛ ثم تطبخ العشاء؛ هذا كله والغالب ان تحافظ على صلاتها فى دارها مع المسبح من المسجد، والمرأة الالغية هى سيدة الدار حقا - فهي الخازنة وهى المتصرفه فى الشعير والسمن والمراعية للاضياف ولو لم يحضر زوجها ان كانت الدار دار الاضياف -؛ والطلاق فى الغ لا يكاد يذكر؛ وكذلك الزوجة النانية؛ فلا اعلم من الغ الآن دارا فيها عدة الزوجات الا ثلاثا فقط من المتوسعين الذين دفعهم دافع خاص الى ذلك ومن الامثال الالغية: أن المرأة تقول: (دعوا لنا المطبخ ندع لكم الراى) اى اتركوا لنا ادارة المنزل؛ نترك لكم ما فى خارج المنزل، ومجمل القول أن المرأة الالغية تقوم ازاء زوجها الذى لا يعرف الراحة ايضا بدور عظيم فى الحياة مع الصيانة وعدم الزلق الا فى النادر الذى لا يكاد يخرم القاعدة؛ مع الصبر العظيم والاخلاص لزوجها والرفق فى العيشة؛ مع حفظها للسر ومحافظةها على مظاهر التدين والتصديق على المقابر؛ خصوصا ايام الجمعة وعاشوراء؛ فتذهب النساء بالتمر، ومقلو الترة او الفمخ؛ فيفرقنه على الصبيان

الامثال الالغية

ان درس الامثال التى تطلق عفوا من الالسنه هو عين الدراسة لفكرة الذين يطلقون تلك الامثال؛ ولذلك حرصت على جمع الامثال الالغية من قديم فى كراسة استوفت زهاء ثلاثمائة؛ ثم اخذها منى الكولونيل المستسبح: (جوستنار) ففرنسها ونشرها فى بعض المجلات الفرنسية؛ ثم رجعت كره اخرى ونحن فى معتقل: (أغبالو نكردوس) فامثيتها على الوزير الكبير اخى سيدى محمد الفاسى؛ فجمع منها عنى الفا وخمسين، ما بين منشور ومنظوم؛ وقد فسرها كلها بحكاياتها بالعربية الفصحى فضمها الى المجموعة الكبرى التى جمعها فى الامثال المغربية؛ ولهذا اكفكف القلم الآن عن تتبعها اكتفاء بما فى مجموعة الاخ الوزير المحترم

الالعب الالغية

هي نوعان: فمنها ما هو مخصوص بالصبيان؛ ومنها ما هو مخصوص بعامة الناس؛ اما الالعب الصبيان فانها :

1 - الالسداء، تقول العرب: (السدى الصبيان واستدوا: اذا كانسوا يلعبون بالجوز). وصبيان الخ انما يلعبون بالحصا؛ ولتشابه الملعب به سميها هذا اللالعب هذا الالسم

ياتى كل صبى بعدد من الحصا يتساوون ثم يعمد اولهم الى جمع الحصا فى كفه؛ ثم يلقيه الى الالعلى من بطن الكف؛ فيعرض له ظهر الكف؛ فيبقى ما يبقى ويسقط على الالارض ما يسقط، ثم اذا تراكمت الحصيات على الكف؛ ينظر فى الحصا فما كان منه لا يمس الجلد وقد علا الحصيات؛ ياخذ الالالعب على انه ربحه؛ ثم يرمى ما على ظهر كفه ثانيا الى الالعلى فينتلقاه ببطن الكف؛ ولكن ان سقطت حصاة واحدة فقد خسر الالالعب؛ فيعطى الحصا لغيره واذا توصل لقبض كل الحصيات براحتيه؛ يبتدى الالالعب فى التلقا ما انتشر امامه مما لم يقع على ظهر الكف؛ فيرمى الى الالعلى حصاة من يده فى الوقت الذى ينتقل فيه حصاة اخرى مما على الالارض؛ ومتى لم يفلح فى ذلك فقد خسر، وان امكن له ان يستتم التلقا المنتشر على الالارض؛ فانه لا بد ان لا يمس عند اخذ حصاة غيرها؛ الا اذا بقيت اثنتان فقط فانه لا بد ان يجمعها مرة واحدة ولو تباعدتا؛ ومتى تمت اللالعبة على هذه الوتيرة؛ فقد ربح حصاة واحدة ثم يعيد اللالعبة؛ الى ان يربح الالجميع او يخسر الباقي، فلا يتحصل له الا ما فاز به؛ ثم ينتظر حتى ياتيه دوره ثانيا؛ ومتى تمت الصفقة وانتهت الحصيات؛ يحسب كل واحد ما ربحه، فمن نقص له من العدد الذى كان له فان الالرايح لاكثر من عدده يدفع له حصاة حصاة مع ضربة فوق كفه لكل حصاة؛ وتسمى هذه اللالعبة (الكترن)

2 - شلوك - لالعبة تكون بنوى التمر؛ ياخذ الالالعب نوى فى باطن كفه؛ فيسال صاحبه: اشفع ام وتر، ثم يقرص على ظهر كفه كلما اخطأ. وتسمى اللالعبة عند العرب (خسازكا) قال الشاعر :

وشر اصناف الشيوخ ذو الربا

اخنس يحنى ظهره اذا مشى

الزور او مال اليتيم عنده

لعب الصبى بالحصى خسازكا

3 - ضما - لالعبة اشبه شىء بالشطرنج؛ الا ان شروطها خف؛ تلعب بالحصا مكان البيادق

4 - طابقت العصيدة - لعبة للاختباء؛ يختبئ صبي حيث لا يرى ولا يرى؛ ثم يتفرق الصبيان في المغابي، ثم ينادى احدهم بالشلحة: طابت العصيدة (نوانكلا) فيخرج المختبئ، فيفتش عن اصحابه فمن وقع عليه اولا يركب على ظهره مليا ويدور به بين الصبيان

5 - لعبة الجبل - وهي رياضة نافعة، يوخد جبل فيربط طرفاه فيدخل صبي في طرف وآخر في طرفه الآخر فيتجاذبان؛ لينظر من هو أقوى.

6 - لعبة الجمل - يحاول الصبيان في أن يحول كل واحد صاحبه

الى غاية محدودة

7 - رماية الهدف - يضعون حجرا مفلطحاً؛ فيرمونه من امد محدود يقف فيه جميع الرامين؛ فمن اصاب الهدف يصفقون له ويصيحون بالصوت الواحد فلان فائز

8 - صيادة اليمام - يحفرون حفرة وينصبون ازاها حجرا مفلطحاً غير كبير؛ ويستدونه الى عود يضيفون اليه خيطا بعقدة تنحل بمجرد ما يمسه ماس ثم ينثرون حوالى الحفرة الشعير، فيبتعدون؛ فاذا جاء اليمام يلتقط الحب فيتبعه الى الحفرة الصغيرة يدخل فيها؛ ولا بد ان كان في الحفرة أن يمسه الخيط؛ فاذا بالحجر يغطي الحفرة فيبقى هناك حيساً؛ فياخذه صاحب الحفرة

9 - لعبة الخيط بالحجر - يهدون الى حجر صغير قدر ربال حسنى يسوون اطرافه حتى يستدير؛ فيثقبونه ثقبين في وسطه، فيدخلون فيهما الخيط المستدير؛ فيدخل طرفا الخيط في السبابتين؛ فيدار الحجر دورا بينهما مستهراً؛ ويسمى (امجرى)

10 - الخدروف - لعبة معلومة عند كل المغاربة، لا احتاج أن أتكلف وصفها تفصيلاً؛ وهي بالاجمال: طرف من العود مدبب الرأس؛ وفيه حديدة؛ والعود مستدير أملس يرمى بخيط يدار بالعود؛ ثم يدور بنفسه بسرعة.

11 - المضاربة بالفاطو - وهو طرف من عيدان التين، يقطع على نحو 7 سنتيمات فيزال لبابه؛ ثم ينجر عود من الزيتون على مقدار الثقبنة المستطيلة؛ فيدخل في الثقبنة طرف صغير من الكاغد المجموع المبلل بالبقاق؛ فاذا وصل هذا الى طرف العود يبقى في محله؛ ولكن اذا ادخل مثله من الثقبنة، ويدفع بالعود يندفع الكاغد الاول بضغط الهواء؛ فيرمى بعيداً ما بصوت مسموع؛ يجعل الصبيان ذلك بمنزلة البنادق.

12 - المضاربة بالاحجار الصغيرة - وكثيرا ما يقع ذلك بين القرى المتقاربة؛ وترمى الاحجار بالمفلاع؛ والمقاليع على نوعين نوع يسمى (الدى)

وآخر يسمى تيزيبا يصنعان من الخلفاء؛ ولا فرق بينهما الا أن الاول يجمع مكان الحجر فيه، والآخر يبقى حبالا صغيرة متقاربة يدخل طرفاها في جبلي الطرفين

13 - اللعب بالكرة - ولا تضرب هنا الا بالرجل؛ والمعهود أن تغاط من الخرق البالية؛ قبل أن تظهر الكرة العصرية من المطاط

14 - المراماة بالماء يوم العنصرة - على أن هذا اللعب فلما يتعاطى في الخ كما يتعاطى في غيرها

هذه هي الألعاب المشهورة الخاصة بالصبيان الالغيين. واما اللعب العام؛ فانه للرجال او للنساء - ولا يختلط الجنسان في لعب (أحواش) بالغ؛ وهو لعب يعرفه كل الناس خصوصا شباب الحواضر الذي يعجب به ان رآه أو سمعه في المدياع ويقام في الاعراس والاعياد والإفراح، يديره رئيس يعرف ان يغنى؛ وفي يده دف؛ وحين يكون عرس او عيد او فرح كبير؛ كان المعتاد قبل احتلال تلك الناحية وقبل ان يزال منهم السلاح أن ياتي أرباب البنادق فيصطفون أمام اللاعبين؛ وتحت انظار النساء المطلات على اللعب من السطوح، فيطلقون بنادقهم بالترتيب؛ في الوقت الذي تطلق فيه النساء الزغاريت؛ ويرسلن على الرؤوس - طاقات الحبق - وهو الثبت الطيب الوحيد الذي يعنتى به في الخ حتى انه يستنبت عند كل ربة دار - وكذلك ترسل البندقيات هكذا اذا زفت عروس وقاربت ان تدخل القرية التي تزف اليها؛ والرجال اذ ذلك يغنون اغنياتهم؛ واما اذا كان لعب النساء فقط؛ فان الدعار من الرجال يستديرون بهن او يطاون، والغالب في الخ قبل الاحتلال أن لا يذهب الى أحواش الا زمر المروءة؛ واما بعد الاحتلال فقد صار الرؤساء الذين لا مروءة لهم يستكثرون من أحواش النساء تقربا الى المستعمرين؛ وفي هذا اللعب يوجد بين الاغاني اشعار الحب؛ والاشعار الحكم؛ يحفظ منها الكثير

وهناك لعب آخر كنا نعرفه قبل الاحتلال هو الرماية للاهداف في عشايا الاعياد؛ يخرج كل اهل القرى الى اطراف القرية يتعلمون الرماية؛ فينتخرج الصغار بالكبار؛ وهذا مما طوى بدخول المستعمر .

وبعد؛ فقد كان اهلنا المرابطون يترفعون عن لعب أحواش؛ وكان لبعض شيوخهم العظام سعى حثيث؛ في قطع ذلك في قريتنا حتى نادى القبائل بتغريم كل من اقامه؛ ولكن نبغ من اهلها من رد ذلك واعاده جذعا؛ ولله الامر من قبل ومن بعد.

أما أغاني الالغيين في وقت الحصاد وفي الدراس فكلها أذكار وحكم

واستفائة بالاشياخ المعتقدين عندهم؛ وهى لديهم معروفة بالتقليد؛ وكذلك ما يتكونه في محافل المشاهد المسماة عندهم بالمعاريف؛ فانها ادعية مأثورة يحفظها المسنون؛ وبالاجمال: ان عوائد الغ في الالعا بهى عوائد كل جزولة بلا تخصيص ولا تنقيص؛ بل هناك عند غير الالفين ازيد مما ذكرناه ثم ان ما ذكرناه لم يستوف الا قليلا. مع الاختصار في هذا القليل.

ما قيل في وصف الغ من الأشعار

وقفت على قواف غير قليلة حول الغ واهله؛ ولكننى لا اختار الآن الا ما له مساس خاص بارض الغ وبوصفه او التشوق اليه؛ او التشكى منه؛ وقد كنت انا نفسى صدرت منى اشياء من ذلك؛ فلاختر من كل ذلك ما يقارب الموضوع

قال شيخنا شاعر الجنوب وعلامة سوس ومفخرة الادب الالفى؛

سيدى الطاهر

ففى نشرها للعاشق الصب ما يبغى	نسيم الصبا هبى بنشر ربا الغ
به غير سماع لاهلامة لا يصغى،	تعلل شلوا لم تغادر يد النوى
منازل بدر التم لا منزل الفرغ؛ (1)	يجن الى تلك المنازل انها؛
بوجه الفضا منها عذار على صدغ؛	ربوع رباها المسك طيبا ونيتها؛
سماء حبا اثوابها الفجر بالصبغ	تخال اذا ما الزهر نور أرضه
فتاة على أعطافها صفرة الردغ؛ (2)	اذا أشمست أرجاؤها قلت انها؛
يد الدهر لكن شيمه الدهر أن يبغى	هى السؤل والممول لوسمحت بها
وقال ايضا يخاطب شيخ الغ العلامة على بن عبد الله استاذة الوحيد؛	وقال ايضا يخاطب شيخ الغ العلامة على بن عبد الله استاذة الوحيد؛

من قصيدة مطلعها

بانث فبان جميل الصبر أسماء	وانهل من سحب الاجفان أنواء
يقول وهو يصف نفسه بانه	كالجسد الملقى يكتنفه من الجوى
والدموع النار والماء	

أرسى بأحشائه الشوق المذيب كما	للمجد فى أرض (تحت الحصن) ارساء
أرض ثراها عبير؛ والنسيم شدا	والماء راح، وكالياقوت حصباء
وأربع طلعت فيها شمس هدى	فهى المنازل لا فرغ وعسواء
ناهت بواحدنا الغ فقلت لها	ايه فقد سلمات مصر وزوراء

(1) الفرغ من منازل القمر

(2) الردغ: الوحل. هكذا فى اصول اللغة القاموس وشرحه: ولا يتم التشبيه الا اذا كان معنى الردغ ما له لون خاص كالزعفران مثلا. ثم وقفت على ان هذا المعنى فى الردغ بالعين لا فى الردغ بالعين. ولا ادري ما وقع لشيخنا معانه يتثبت فى اللغة

وقال الاديب سيدى محمد بن الحاج الافرانى

أيا ساكننا أرضا هي الأرض وحردها
أجل بلاد الله علما ورفعة
بها العلم والهدى بها المجد والعلا
فما شئت من عيش هنىء وحكمة
بهم ولهم عيشى يطيب ومرتجى
يذكرنيهم جود سحب السما وان
ألا ليت شعرى هل يتاح لناقتى؛
فأبصر أيضا عيشة مطمئنة
فاستجمع الصفو المرىء لديهم

وقال الاديب العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود المعذرى :

ليهنكم يا آل الخ مفاخر
سموتم بدورا بل شموسا بنوركهم
فابقاكم للعلم والفضل والهدى؛
فخرتم بها ما بين غرب الى شرق
تفتق زهر الفضل من بعد ما رتق
الاه حباكم فى العلا قصب السبق

وقال ايضا

حتى ربع الرباب من (تحت حصن)
وبوادى العقيق فيه فرج
واقبران تحية من مشوق
منجدا زائرا لاوثق حصن
بالمطايا واعهد الى خير ركن
قاده لهواهم كل حين

وقال العلامة محمد يجيا الصحراوى لما مر بالغ سنة 1313 هـ. فهكت
فيه ما شاء الله ودرس فى المدرسة الالغية قليلا

يا أهل (تحت الحصن) أنتم فوقه
ما ضر من بالفوق معنى وصفه
فارقوا بجد واجتهاد للعلا
معنى وحصنكم بعلم يشرف
أن كان فى حس بتحت يوصف
ترقوا معالى حدها لا يوصف

وقد وقفت على قطعة للاديب سيدى محمد بن الحاج يجيبه بها؛
مطلعها

بانغت فى الارشاد يامن ينصف
أهل الوفا؛ والنصح دين يعرف

وقال الاديب ماء العيين بن العتيق الصحراوي

فيحفظ ودكم الفؤاد زعيم
سنة وناب من الخطوب عظيم
ما منكم في النائبات مليم
والعرض مما يستند سليم
أبدا بقارة الطريق مقيم
طنبا وأدى حقه لكريم (1)
ورق على أيك وهب نسيم

يا آل (تحت الحصن) ان يقع انوى
لا زلتُم ماتى الوفود وان دعت
انا بلوناكم فالفييناكم
لم تضجروا فطباعكم محمودة
انتم مناخ بنى السبيل وحيكم
(ان امرءا جعل الطريق لبابه ؛
فعليكم أسمى التحايا ما شدت

وحين وقف الاديب سيدى الحسن البونعماني على قطعة محمد يجبا
المذكورة؛ وعلى ما قاله ابن العتيق، قال

وعيون الغ من الوداع تكفكف
حسن اجل من العقود واشرف
ولكم بشعرهم السامع شنفوا
فكانتا دارت هناك القرقف (2)
لوفود شعر أين من يستنكف
فيها عكاظا لنهى تستوقف
غلبا بفكر فى المعارف تقطف
وعليه أعلام البيان ترفرف
كرما وآدابا وما يستظرف ؛
للوافدين وبالنوادير آنحفوا ،
وأنا بالغ فى المفاخر أعرف

لله ما قد هاج ذاك الموقف
نظموا دموعهم قصائد وهي فى
سم توجوا قبل الرحيل مجالسا
ذهل المودع والمودع للنوى
حيث الغ فما أجلك مجعما ؛
علماء صحراء الفسيحة جددوا
أحيا الولاتى فى الموات حدائقنا
وابن العتيق مطرب بقريضه
وعليهما نبياء الغ أغدقوا
هم أفعموا من كل فن أكؤسا
صف بالمفاخر الغ فهى جديرة

وقال بعضهم

وصدور من يرجون منه تشرح
ان الجوائج منك طرا تنجح
كم كان فيه للمتجارة مريج
فبسيط الغ كما تشاهد افيج
مبسوطة منها المكارم تطفح
(ان الاناء بما حواه يرشح)

أبواب الغ لكل آت تفتح
يا من يؤم أنخ قلوبك واقترح
ففسيح ما أبصرته بسهولة ؛
أرسل كظرفك فى البسيط عنانه
لا أمت فيه لا اعوجاج كراحة
من ذلك استمقت الطباع من أهله

(1) بيت قديم مبدل. وهو هكذا فى الاصل
ان امرءا جعل الطريق لبابه طنبا وانكر حقه للنيم
(2) القرقف : الخمر .

وكتب الاديب محمد بابيه نزيل الخ الصحراوي الى عميد الخ
سيدي علي بن عبد الله قطعة شطرها بعضهم؛ نصها

عرج بـ (تحت الحصن) يامن سادا
وانزل هنا لك ما تشاء وطولن
واكرع بمعهد ورد اعلامه الا
وامكث هنالك ألف ألف رانعا؛
قوم تقفوا في صيانة مجده
الخ وما الخ تلافى مجده
فاقرأ السلام على الفقيه وقل له
قبل يديه وأبلغن من خله

لترى بعينك في الوري أجوادا؛
وأطل به التطواف والتردادا
قطاب والإجراس والاونادا
بل بله عنك الحصر والتعدادا
ما رد للآداب الخ عمادا
أبناءؤه الإباء والاجهادا
صيرت الفك للعاوم مهادا
أن التشوق لم يزل مـزادادا

كان قاضي (أقا) ورد على الخ فقابله أدباؤها بقصائد ترحيب - على
عادتهم - فقلت له انا من بينهم قصيدة؛ من اولها

ما الخ غير شعوره في شعوره
بالعلم والادب البليغ فخاره
لم يحظ بالارض الخصيبة لا ولا
لكن له ادب تدفق نهـره
كل البلاد لها كنوز في الغنى
ما الخ الا البحر يزيد علمه
بل روض مجد خضلت جنباته؛
فبه يرحب بالنزيل فينشئ
فاذا افاض الشعر الغنى فقد
وبمدح الخ وتركه يدرى الوري؛

أسعد بمن ظفرت يدها بدره
ان قام كل في الندى لفخره
بالروض يونق من تدفق نهـره
مدا وهل أحد راي من جزره
وكنوز الخ جميعها في شعوره
وأشعر افضل مقتنى من بحره
وشذا القريض تارج من زهره
بجرا حقائبه برائح سحره
أدى بما أسماه غاية شكره
من كان فذا في العلا من غيره

اصبحنا يوما في الخ في فصل الشتاء سنة 1356 هـ. فاذا بسيط الخ
بجباله يميمس في حلة بيضاء من الثلج البراق؛ فحفز ذلك الشاب السيد
الحسن بن علي الصالحى، وهو ناشئ اذ ذاك في اول عهده بقرض النظم
فكتب الى

أهلا بوفد الخصب وفد سماء
حنت اليه وكابدت بفراقه
وتولدت حتى أتاح لها الا لا
نثر السحاب زمردا فتزينت
فترى البسيطة كالعروس تبرجت

نالت به الغبراء كل بهاء
ألم الغرام وصرحت بعناء
ه وصاله فتباشرت بهناء
بعقوده وتبرجت للقواء
وتتوجت بزهورها كسماء

جهدا قد احتفلوا بكل ثناء
نهج لفقير عباده وغناء
عند الإله لها سقى بالماء

وترى الخليفة بعد ما قد كابدوا
هذا بفضل الله ليس بغيره
لولا النبي المصطفى ورجاله :

بهذه القطعة الحسنية تحركت قريحتي. فقلت هذه القصيدة التي
صورت فيها جوئتي في صباح ذلك اليوم

ثلجا يشع بلونه الوضاء
من لمعة في سائر الأرجاء،
ميس العروس بحلة بيضاء
مصقولة براقاة اللالاء
س متى يشعشها المدير بماء
مخضلة من مسة الانداء
مرأة من تعادها بجلاء
بشعاعها الوهاج في الانحاء
حتى ليعشى أعين البصراء
شرك العيون وفتنة للرائي
كفي تحتظي في لمحة بمراء
ترناد في البيضاء لا الفبراء
لماعة الانجاد والبطحاء
والقالب مجلو من الاسواء
أسرارها بالطلعة الفراء
يغتر صاحبه بصحو شتاء
ساحاتها باللؤلؤ الوضاء
منها المفارق باخضرار سماء
غطيته بكرامة خضراء (1)
في تينك الخضراء والبيضاء
مما أرى من روعة وبهاء
أيدي السقاة بخمرة عذراء
سقى المرء تحت الشملة الصماء
سقى بعد في الجدران تحت كساء؟
بسمانط مبيضة زهراء ؟

ما ذا رأى من لم يكن بالرائي
لا سيما ان عم حتى لا ترى؛
والارض من أثوابه مياسة ؛
فكانما وجه البسيطة فضة
وكانها كل الثرى حجب الكؤو
أو روضة أزهارها مبيضة
والجو صاف والسماء كأنها
والشمس قد اقلت لدى اشراقها،
فيجلا بياض الثلج في برقانه
أنى التفت رايت أبيض ناصعا
تهوى به لو كنت اجمع أعينا
لله وقت ضحي خرجت لنزهة
والارض تبرز في قشيب ثيابها؛
واليوم طلق والحياة مسرة
والنفس تانس بالطبيعة اذ بدت
فوضعت فوقى معطفي والعقل لا
فهميت أخطو والبسيطة نضدت
في جانبها شامخات نوجت
فكأنني في صحن بلور وقد
فأجبل أبصارى اجالة حائر
متنقلا بلواحظي مترنحا
واللب مأخوذ كأن طافت به
فأقول يا عجا أفي ذا اليوم يب
من ذا يرى النعماء هذى ثم يب
من ذا الذي لا يستفز شعوره

(1) كرامة المائدة: غطاؤها. وبذلك فسر بعضهم (حبا وكرامة) اي
ناء وغطاءه .

أين الفرائح أين ما يعتاد ان يبهر عجيب أعين الشعراء ؟

* *

قضيته زما أجول وانسى
متمتعا بهناظر ما مثلها
وأنا أبيض ومجنى في راحتي
حول بياض ناصع يقق ومن
ما كنت أحسب أنني متهل ؛
حتى رايت اليوم القا كلها
قد جملت بالثلج يلمع صافيا
فاهتز عطفى نشوة وأتارنى
فاحس من طيب الحياة وعيشها

* * *

العادة في الخ ان شهر مارس هو مقياس الفلاحة؛ فان أمطر جسا،
الخصب والا فعكسه؛ فتأخر المطر في سنة الى هذا الشهر فصاب؛ قليل
في ذلك

د ما انقضى الصبر الجميل من بعد هجران طويل تولى على زرع الحقول م باصفرار وذبول مض البطاح والتلول شم الفروع والاصول أهل الفلاحة الذهول مسترسل الغيث الهطول ب بتموج السيول سوها من الزهر البليل مطارف وفي حجول صرت قشيبا مستطيل ماست تجرر الزيول تحت نسيمها العليل روى بفضلها الغليل حيا رواه الجميل	الغيث في مارس بعد كالوصل جاء بغثة بينا ترى الجفاف يسه والورق الرقيق سيه ولفحة السموم تره وصرصر الاعصار يهه والياس يرسل على اذا بمزن هامع يحى البلاد والقلو فتسترد الارض زه تلوح كالحسناء فى فاينما التفت أبه فكل حقل عادة تبهر من يبصرها فاحمد لله الذى ورد للريح بال
--	--

(١) لا ينسين القارىء أن القصيدة قيلت بعد النفى من الحمراء الى الخ

ما الخ في غير الريب
 تجهم ووحشة
 جرداء لا روض ولا
 لكنها فصل الريب
 بسائط مخضرة
 فأيضا التحيث من
 لاسيما عند الضحى
 حيث يا الخ به
 فان يزل عنك الريب
 مع غير فقر ذى طول
 فلا ميت لا مقييل
 حوض بها لمن يجول
 مع ما لارضها مثيل
 يحوطها الجو الصقيل
 مها تجد الظل الظليل
 وعند زبرج الاصيل
 اذا الفصل لا كل الفصول
 مع فتحتي تزول

ومما صدر عنى اذ ذاك وانا في هذا البسيط اتلون بين فرح وحزن؛
 فاقول كيفما تيسر ؛ فمن ذلك

يا طيب الخ في الربيع فما
 ارجاؤه الفيحاء مخضرة
 فكلما اسمته نظيرة
 يموج بالصحة لست ترى
 يفوز فيه رائد العلم ان
 لولا ينايع العلوم به
 مدرسة جوار زاوية
 وان صمعا مجده علمه
 ومن ذلك :

لله الخ ومراها ومجياها
 وما تحس به بين الشفاف وقد
 حتى اذا انكشفت بطحاؤها فاذا
 سماء افق المعالى من يطل على
 خصب القرائح لا خصب المزارع ما
 ففكر الخ حياة للعلوم ومن

ومما قيل في وصف الخ وهو وصف حقيقي

اوصاف الخ متناقضات
 عند القياس متناقضات
 ضد لغد يتقابلان
 كفارسين يتصان لان

(١) الدسيم الذاكر

مناخها بجذبه المغبر
غير ربيعها بسيط يكلج
فلا تمت ارضها لاهلها
فكل من يزورها مرات
لا بد ان يصفها فيشهد
ان شرفت ارض بنينا فبنو
ومن اتى الغ فما اتاهها
فانه من علمها سيعجب
فانها من جهة لمخصبة
مجدبة كما ترى حقولها
فكم علوم من بنينا فائضة
وكم بحوث عندهم مفجرة
روض الفهوم عندهم مزهر
خزائن العلوم دافقات
قلوبهم فى العلم بين العين
متعهم فى الادب الاندلسى
فكم قصائد لهم عصماء
وطيبهم من عرف (نوح الطيب)
فهذه الغ وذى اوصافها
سبحان من يجعل فى الاضداد

ومن ذلك

نعمة الالغى فتسح
بين رشف الكؤوس
يتملى قابعا بيـ
بنعيم كان فيه
والاعاصير تدوى
فيكاد البيت ينسد
جنة الـغ وان حفت

ومن ذلك :

الغ بسيط بلقع مقفر
تجول فيه ما تجول فلا

مباين لعلمها المقتـر
صقيعه وقت الشتاء يفتح
الا كمت حزنها لسهلها
بين فصول متفاوتات
حينما يذمها وحينما يحمدها
الغ هو من شرفوا وزينوا
وانما اتى بنى رباها
لكنه من فقرها سيكاب
كما ترى من غير تلك مجدبة
لكنها مخصبة عقولها
وكم بئار فى رباها غائضة
وكم هضاب عندهم محجرة
وما هناك قط روض يزهر
ولا مياه متدفقات
والشيخ والخلفاء للعيون
لا فى الرياحين ولا فى النرجس
بين بسائط لهم جرداء
فى وسط ذاك الجزر الجديب (١)
وارحمنا لمن هو الافها
لحكمة منفعة العباد

لكتتاب وسط داره
واصطلاء حول نساره
من التفافات ازاره
دفتر قطب مداره
فوقه أو فى جواره
ك جميعا بجسداده
بأنواع المكارة

لا روض فيه لا ولا عين
تبصر فيه موقفا عين

(١) الجرج بضممتين من الارض التى لا تنبت

يقطنه وان له كن
كانما يقطنه جن
حوليك دار الصوف والقطن
اعظم مما يجمد السدن
تكاد لا يندى بها المزن
ندامة وحسرة سن
تصخ الى اخباره اذن
الى تجاه ارضه يرنو
يعلو بهم بين الورى شان
بهم لها الزين او الشيمن

شتاؤه سم ذعاف لمن
يعصف فيه صرصر صافر
تشمق الاطراف منه وان
وتجمد الصهبا من قره
حتى مياه المزن فى افقه
كم قرعت من فم قاصده
لولا علوم من بنى الغ لسم
ولا رأيت قط من مبصر
لكن قطرا زانه اهله
هل البلاد غير سكانها

ومن ذلك ما قيل ارتجالا لسبب اقتضى ذلك

تصاغ كما تبغى وفوق الذى تبغى
من الغ بليغ بالقصائد لا تصغى
شهود على هذا بمنزلة الرفغ
جوانبه الا طلائع من صغدغ

اذا احتفلت اءاداب من كان فى الغ
فاية ارض حول الغ متى شدا
فالغ لكف الشعر والناس كلهم
لئن كان قفرا فهو كالحمد ليس فى

ومن ذلك :

لا الغ مال ولا الغ الامارات
يقر عينا بايات وآيات
مجد القصور ولا مجد الرياضات
والفهم حليتهم بين التدييات
هبت عليك باءاداب ذكيات

الغ المعارف والاداب بلدتهم
من رام علما وءادبا وحل بهم
ومن يرد عرض الدنيا فليس لهم
فالعلم حرفتهم والبحت شيمتهم
ان تسألن الصبا عن زهر ارضهم

ومن ذلك :

صحة الجسم وجورائق
ف وماء مستلذ فائق
خضرة الروض وماء دافق
ضفة النهر حفيف شائق
بعد يهفو لهواه عاشق

الغ فردوس لمن منيته
ونسيم مستطاب فى المصيب
أى مصطفى عجيب لوبه
انما المصطاف أشجار لها
فاذا اعوز هذان فمسا

كنت مررت فى سفرتى الى (تاهانارت) بوادى (توت) فصدرت منسى
قصيدة فى وصفه ؛ - مطلعها

وضيق واد بترت طويل كما امتد للماء خرطوم فيل

ثم شفعتها الاديب الالفى سيدى الطاهر بن على بن عبد الله بأخرى
مطلعها :

لك الفضل ترت على ما به يخاطبك اللوذعى الجليل (١)

ثم مضت ايام بعد رجوعى من السفر وشيوع القافيتين ؛ فاذا بهذه
القصيدة الجديدة؛ وقد قالها الاديب الالفى سيدى الحسن بن على بن عبد
الله ؛ حكاية على لسان الغ تحتج على ذكر ترت ونسيانها؛ هي؛ والقصيدة:

كجدول ماء بخد اسيل	اتنى الغ بدمع يسيل
تحلى بعز ومجد اثيسل	تنادى الاديب الاربب الذى
وكنز المحاسن لا لامثيل	جمال الوجود ومفخره
شفاء لكل فؤاد عليل	رئيس المعارف مختارنا
تبجل (ترت) بذكر جميسل	تقول اليس من الحيف ان
حظيت لديكم ولو بقليل	اينشر ذكر لرت وما
ب وينسيك أهلا وكل خليل	وما ترت الا مهر يشيـ
ط اذا ما مرنا به فى مقيـ	يذكر ضيقا مهر الصرا
وأتم سليل ونعم السليل	على أننى للعلا محتد
ثناء لغيرى وحقى جزيسل	ولكن هجرت فاحفظنى (٢)
وما يحتوى من سرى نبيل	اينسى بسيطى وما فوقه
روخير قرى يتلقى النزيسل	وما وسطه من ربا للزهو
ين وما مهدوا من سواء السبيل	وما بين ذلك للزائر
تسر مبردهم والخليل	اتسى علوم من النحو كسم
م هنا ما لهم من مثيل	اينسى نحارير فى كل علم
سوى مستحق اعتراف الجميل	اشادوا المعالى وما فيهم
مكانة الغ المقام الجليل	الا فانظرن يا ابن الغ السى
ق الغ اهتبالا بكل دليل	فى كل ناحية يستح
عزيز وما (ترت) غير الدليل	وما الغ بين البلاد سوى
ل اذا كان فى الشعر قال وقيل	اينفى العزيز ويبقى الدليلـ
فتنسف هذا الكتيب المهيل	الا غيرة منك الغيبة
ت لتشكر عن الغ فى كل جبل	لعلك ترأب ما قد صدعـ
كطيف خليل سرى لخليـ	فالغ سرت تحت ذيل الدجا
منك ومن صنوك المستيل	تراود انصافها بالقريض

(١) والقصيدتان فى (الرحلة الثالثة) من كتاب (خلال جزولة)

(٢) احفظه : اغضبه

فان القوافى لتنصف ما تسارع انت وذاك الزميل
فتكلفت الجواب تكلفا لا يرضى الادب مطلقا لا الالغى ولا الادب العام

فقلست

فما لك بين القرى من مثيل
اليك بها كم وفود تسييل
يزورك الا نسيم الاصيل
بيان المروق بالسلسيل
لدى وان لم يكن من دليل ؟
لروعته كل طود يميل
فهوم كما جال سيف صقيل
عزائم ما لهم من عديل
ش فيصدر كل ببرد الغليل
يزور مقامك وهو عليل
ك تشم كزهر بروض بليل
الا اعجب لذي صحة بالعليل
ف حوليك كل قبيل قبيل
راى من علم فصيح نبيل
يردها مثلا كل جيل
ترى كعذار بخد اسيل
يكذب انك قعر جليل
ك ومنك لاجلك كل سبيل
تجاوره فهو ايضا جمهيل
ت واشباهها ولنعم المنيل
ت وكل قريض ففى الغ قبيل
ابيت بالغ وفيها اقبل
غ مفاخر ما ان لها من مثيل
غ ؟ فيالك ظنا كبير يغيل
عن مرقم لم يكن بالبخیل
ن لالغ المعارف خير سليل
اخى خير نسل وخير زميل

حنانيك الغ المكان الجميل
اما كنت فى بهجة فذة
اما كنت روضا اريضا فما
قرائح منك يفجرها الـ
اينكر شانك بين القرى
اما فيك شعر بليغ ترى
اما فيك علم تفننه الـ
اما فيك صوفية لهم
اما فيك رى لكل العطا
ثراك شفاء لكل فتى
صباك تفوح بخلق بنى
فيا طالما صح من شمها
شرفت شرفت الى ان تشر
فله ذاك البسيط فكسب
اذا قال قافية فسدة
او ان حبرت كفه مهرقا
كذلك يا الغ انت ومن
فلا عجب ان يطيب اليـ
فيدرك (ترت) نصيب ومن
فانت تنيل الجمال لتسر
فكل مديح لهذى الجهها
ايطرق لى بالحصا وانسا
وفى كل وقت انت عن الـ
أمنى عقوق يظن لالـ
وكيف وانى اوالى التنا
سينكشف الدهر عنم يكو
اذن يعرف الناس منى ومن

ولتختتم هذه القوافي الالغية بأخرى كانت صدرت مني يوما قبل أن ألق
الالغيين وأمازجهم اثر ما نزلت بهم في منغاي عام ١٣٥٦ هـ

(يقولون واقسول)

فقلت نعم لكنني كيف أصبر؟
فقلت لقد حاولته ثم أقهر
أباغت حيناً بالدموع تفجر
تباعدت لكنني على الرغم احضر
فقلت لعيش بينهم ليس يكفر
الى أن يعودوا؟ قلت لا لست أقدر
على كل حال انني لست اغدر
يفي في النوى الا فتى متخير
ولكنني من ودهم لا احذر
ومن هو أذكي مخبراً حين يخبر
وليس كراء من بذلك يخبر
ومن مورد منهم حميد ومصدا
سيورد من شتى البحار ويصدر
لبحث عويص دونه الفكر يعثر
كجدوة نار في يفاع تسعر
فقلت انا مختارهم ما اخير
فقلت بلى لكن لمن ليس يشعر
فقلت متى في البido فضل مشهر؟
فقلت وءاداب بها كان يذكسر
تظنون اني للولادة منكر؟
فقلت لانني بعدكم متحضر
فقلت وخلق من كلينا مغير
فقلت وخلف بيننا اذ نفكر
يعنفني ان صحت بالشكو معسر
مذاركهم لم تدرو كيف التفكر
حياة بتنعيس الجمود تمرر؟
فاودعها شعرا بليغا فتدخر
جزوع عظامي بالاسى تنكسر
بان صفاة الحر لا تتأثر

يقولون صبيرا انسه بك اجدر
وقالوا تكلف ما استطعت فربما
وقالوا تجلد في الندى فقلت قد
وقالوا تباعد ما استطعت فقلت قد
وقالوا انبكي كل من قد تركتهم؟
وقالوا ألم تقدر تناسي ذكرهم؟
وقالوا اهم ايضا وفوا؟ قلت انسى
وقالوا قد استعبدت بالشوق قلت هل
وقالوا لست الحر؟ قلت لهم بلى
وقالوا من اعلى الناس عندك سؤدا
فقلت بنو الحمراء شيئا وبافعا
وقالوا ومن اولى الورى بجوارهم
فقلت بنو الحمراء من كان جارهم
وقالوا ومن اذكي الانام اذا سما
فقلت بنو الحمراء اصحاب فكرة
وقالوا سبى المراكشيون عقله
وقالوا اما في الخ والاهل غنية
وقالوا اذن انكرت فضلا مشهرا
وقالوا اما في الخ علم وحكمة؟
فقالوا ألم تولد بالغ؟ فقلت هل
وقالوا لماذا اليوم تعرض جامعا؟
وقالوا اهذا كل ما كان وحده؟
وقالوا سيكفيك التخلق امره
وقالوا وما التفكير؟ فقلت ابعده
فاني يكون الحر بين معاشر
امن بعد هذا تستطاب بالفكر
ومن عجب انى اجيش بفكرة
فيحسب من في الخ أنى خائر
فيعطف بعض كى يسلى وما درى

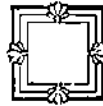
وما هي الا وثبة من خيالسه
فتودع في الاشعار خير ذخيرة
فكم شاعر فحل تخيل نكبة
فكيف أنا يا قوم أفلتها وقد
اكل مصاب فاض بالشكو جازع
فما كل ذى رزء اذا ان خائر
ينظر من اى البراكين ان طغى
وفورة جاش تستهل فتزفر
لكل اديب لا فح الفكر يشعر
لكيما يجيد القول فيها فيهسر
عركت بها عركا يقض ويسهر
خصوصا اذا يشكو خليا ويستر ؟
ولا كل ذى شعر شكنا متأسر
من احشائه الانون الا التفجر ؟

هذه القوافي هي التي وقفت عليها مما قيل في الغ التي كنت قلت
فيها من قديم متشوقا :

الا ليت شعري هل ابيتن ليلسة
وهل اردن يوما مياها بعنصر ؟
بالغ وحولى الشيخ يطهى به سكسو؟
وهل يدون بردي لطفى وأمقسو؟

والشيخ هو الوقود الوحيد في الغ وبه طبخهم : وسكسو هكذا ينطقون
به لا (كسكسو) والعنصر بفتحين بئر عذبة الماء امام دارنا وبردي
بفتح الباء وسكون الراء وفتح الدال : من بسيط الغ الشمالي وأمقسو:
بفتح الميم وسكون القاف جبل عسال في الشمال الشرقي من الغ
والبيتان عورض بهما البيتان المشهوران اللذان عورضا كثيرا من الادباء
قديما وحديثا

الا ليت شعري هل ابيتن ليلسة
وهل اردن يوما مياها مجنة ؟
بواد وحولى أذخر وجيليل ؟
وهل يدون لى شامة وطفيل ؟



تقسيم الكتاب

- ١ - القسم الاول في المرابطين ابناء الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد الذين يقطنون في الغ وفي اكادير ايزرى وامثالها من كل مكان فيسه مساكنهم بتلك الناحية . وفيه فصلان
الفصل الاول في المرابطين ابناء الشيخ الذين درجوا قبل عام ١٣٧٥ هـ
الفصل الثاني في المرابطين ابناء الشيخ الذين لا يزالون احياء بعد عام ١٣٧٥ هـ
- ٢ - القسم الثاني في الالغيين غير المرابطين من المانوزيين والايغسانيين والوقاويين والاغوديدين ؛ وقد نذكر من هؤلاء من لا يسكنون في الغ؛ بل في قبائلهم الداخلية ؛ وفيه خمسة فصول
الفصل الاول في الاغوديدين
الفصل الثاني في النازلين بالسكنى في قرية (دوكادير) وليسموا اصالة من الالغيين .
الفصل الثالث في الوقاويين
الفصل الرابع في الايغسانيين
الفصل الخامس في المانوزيين
- ٣ - القسم الثالث في اساتذة الالغيين في القرآن والعلوم والتصوف . وفيه فصلان :
الفصل الاول : في مشايخهم في التصوف
الفصل الثاني في اساتذة الالغيين في العلوم وبينهم بعض كبار من اسانذتهم في القرآن
- ٤ - القسم الرابع في تلامذة الالغيين علوما وتصوفا ؛ وفيه فصلان :
الفصل الاول : في تلامذة مدرستهم الالغية خاصة .
الفصل الثاني في مشاهير الاخدين من زاويتهم من العلماء واللامعين من غير العلماء
- ٥ - القسم الخامس : في اصدقائهم السوسيين الذين يترددون اليهم ؛ او كانوا هم الذين يترددون عليهم حتى تكونت بينهم حمة كالاستاذية والتلميذية . والمقصود بسوس جنوب مراكش

هذه هي اقسام الكتاب • وارجو من الله ان يوفقنى ويسهل لى
حتى يتم كما قدرته وخزرتة فى نفسى • فانه ان تم على ذلك النمط
سيؤدى مهمة تحيى غالب الاسر السوسية أو بعضها على الأقل ؛ كما ستشتر
من تراجم المتأخرين صحفا ان نشرت كما نريد فستفتح لسوس تاريخا
واسعا يمكن لمن بعدنا ان يستتم عليه • وانا منذ الان اقر بعجزى ويقصر
باعى • وبكونى بلا ريب اقع فى اغلاط • ولكن حين بذلت جهدى
وافرغت ما فى وسعى فلا عتب على والكمال انما هو لله وحده



الفصل الاول

من القسم الاول

ويتضمن تراجم هؤلاء :

عبد الله بن سعيد الجد الاعلى للمرابطين السعديين
احمد بن عبد الله بن سعيد ولده
محمد بن عبد الله بن سعيد ولد له اخر
علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
حسين بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
احمد بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد
عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الاخضيري
ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد التاكانزي
بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد التيبوتي
احمد بن بلقاسم ولده
سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه في اهله السلیمان
ابراهيم بن سليمان ولده
احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه في الصا
صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد
محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد
محمد بن بلقاسم التيبوتي الفقيه الاول في القاسمين
الحاج علي التيبوتي الفقيه
الحاج عبلا بن صالح ابو الاعلام
العلامة سيدي محمد بن عبد الله ولده مؤسس المدرسة الالغية منبع مجد
الشيخ سيدي الحاج علي بن احمد الدرقاوي مؤسس الزاوية المنبع الثاني لمجد

العلامة سيدى على بن عبد الله
الفقيه سيدى الحسن التياسينتى
الفقيه سيدى صالح بن احمد الاوفقيرى
الحاج بلقاسم بن عبد الله
سيدى عبلا باولا
النجيب سيدى احمد بن محمد بن عبد الله الصالحى
الفقيه سيدى البشير بن الطيب
الفقيه سيدى موسى بن الطيب
النجيب الحسين بن احمد بن الحاج صالح
السيدة تاكدا أم الشيخ الالفى
سيدى ابراهيم بن احمد الطالى
سيدى احمد ابو الفسدام
الفقيه الاديب سيدى على بن صالح الاوفقيرى
النجيب سيدى الحسين بن ابراهيم الصالحى
النجيب سيدى عبد الله بن احمد الصالحى
سيدى صالح بن احمد الصالحى
سيدى احمد بن محمد التاهالى
سيدى احمد بن الشيخ الالفى
سيدى عبد الرحمن بن محمد الصالحى
النجيب سيدى محمد بن عبد الله بن محمد الصالحى
النجيب المعنبط عبد الحى بن عبد الله الصالحى
العلامة سيدى المهدنى بن على بن عبد الله الصالحى

سیدی عبد اللہ بن سعید التہالی

نحو ۹۵۵ ھ - بعد ۱۰۵۱ ھ

نسبہ :

عبد اللہ بن سعید بن حسین بن یبورك؛ اوحسین بن مسعود علی ما فی بعض الرسوم اوحسین بن یبورك بن مسعود ان جمعنا بین ذلك وفدنا ان یبورك انما سقط فی بعض الرسوم .
هذا هو الجد الاعلی الذي تنتسب الیه قبیلتنا السعیدية؛ وهو علی شهرته غامض من نواح عدیة؛ حتی ان اصله وسقط رأسه غیر معروف الا رجم ظن ؛ وأقاویل تتداولها الالسنة ؛ والمعروف أيضا من سلسلة نسبه لم يتجاوز اولئك الثلاثة او الاربعة؛ والكلام حوله للباحث قلما یجد ما یتسنى به فی طریق بحثه الوعرة المدلهمة؛ وها نحن اولاء سنبدل جهدنا فی ذلك؛ علی حسب ما یتراءى لنا من كلام المؤرخین ومن رسوم وظهائر توصلنا بها؛ ونستعین مع ذلك بسوق ما یقوله اولاده او یشیع عنهم هنا وهناك .

ما شاع عنه فی الالسنة

شاع عند اولاده شیوعا متواترا ان أصله من (تامدولت أوقا) وأن ولادته هناك ثم انتقل بعد الی أكادیر تنسیست بین ساموكن وتامانارت؛ ثم من هناك اتصل بشیخه الرجل الصالح سیدی یحیا بن عبد الله التملی (وشیخه هذا فی التاریخ معروف موصوف بأنه شیخ یربى المریدین؛ ویرشده السالكین؛ ویصفی القلوب لتتصل بالملا الاعلی؛ وهو من اهل القرن العاشر؛ وقد توفي نحو عام ۹۹۹ ھ) فلأزم خدمته علی سلب الارادة؛ فیحسبى انه وكله علی غرس بستان من الرمان؛ فقام علیه منذ الغرس حتی اثمر؛ وبعد ذلك امره ان یاتیه برمان لاضیاف عنده؛ فاناہ به؛ فاذا به مر؛ فقال له ما هذا؟ او ما تعرف اننا اردناه للاكل؛ فقال له : اننى لاعرف مذاقه؛ فقال له الشیخ او لا تعرف الحلو من غیره فی البستان وانت القیم علیه من اول يوم؟ فقال : انك یا سیدی لم تأذن لى فی الاكل منه؛ فكان ذلك اول ما لاحظه الشیخ ملاحظة خاصة (۱)؛ ثم فی يوم اخر وقد تكاثر اضیاف اخرون

(۱) مثل هذه الحکایة توتر قبل ذلك العصر بین الشیخ التباع وبن

نلمیذہ الغزوانی .

عند الشيخ؛ امره ان يوقد الفران للخبز؛ فصار يتردد الى الشيخ بعد ما
 حوى وطيسه يعلمه بانقاد الفران حتى اضجره؛ فقال له بفضب : ان اتقد
 فادخله فبعد لاي قال الشيخ لاضيفه قوموا بنا الى ذلك الابله ؛ فانه
 لا يبعد أن يلج الوطيس لما سمعه مني من الكلمة الفارطة ؛ فوجدوه داخل
 التنور جالسا؛ واللفظي في الاشتعال؛ غير انه لم ينله ادنى ضرر؛ الا ما كان
 من رؤوس اظافر رجله فقد نالها بعض احتراق؛ فامرته بالخروج ثم ودعه؛
 فامرته ان يسكن في وادي (ايمور) حيث قضى عمره كله

ويقال ايضا انه لما سكن هناك دبت عقارب الحسد في اهل
 البلد؛ فراح عنده الشيخ يوما؛ فاشتكى عليه؛ فامرته باغماض بصره ثم
 بفتحته؛ فاذا به يرى الوادي كله يسيل خيلا ورجلا؛ فقال له هذه جنودك؛
 تتسلط على كل من تعدي عليك؛ فصار اهل البلد كلما امتدت من احد يد
 اليه يصاب بسوء فانكفوا عنه بذلك .

التطفيات التي اسسها في القفار

ثم يقولون ان من حكاياته ان له نطفية في (دراووغ) فمر به هناك
 بعض الملوك بجيش كثير؛ فاضر بهم العطش في ذلك المحل - وهو
 معطشة الى الآن؛ - فقال الملك لمن حضر من يقدر ان يسقيني انسا
 وجيشي؟ فلم ينتدب احد؛ فكرر ذلك فمثل بين يديه عبد الله بن سعيد؛
 وهو مشتمل برداء؛ فقال له انا اسقي الجميع؛ فقال له : او تقدر
 على ذلك يا صاحب الشملة؟ فقال له ستري؛ فمال بالجيش الى نطفية
 له كان قبل بناها هناك؛ فصار الجند يمر بها فيصدر ربا؛ وهو يتناول لكل
 من شرب خبزة يتناولها من تحت ابطه حتى روى الجيش .

ثم يذكرون ان عادة الشيخ ان يدور مع تلاميذه في القفار؛ فيؤسس
 النطفيات حتى انه اوصى اولاده فيما اوصاهم به؛ ان يقوموا على نطفياته؛
 فقام بنوه على ذلك الى الآن؛ ووال أكادير ايزرى هم القائمون بهذه المهمة؛
 لا يفرطون فيها ويعدون تلك النطفيات اثنتي عشرة؛ وكانت تسمى بنات
 الشيخ عند المتحدثين وهي

١ - (انيد نتوميلين) في الطريق المارة بين (اكرض وايشت) بوادي
 (تامانارت)

٢ - في (بو الجير بين تاكجكالت نيت تيكني) وبين (اوسا)

٣ - في الطريق بين (اداي) و (افران) في قفر هناك

٤ - في ايخف ايقير وينتكونا؛ بين (تيمولاي) و (بوزاكارن)

٥ - فوق المراكع في (تازاروايت) وسمعت من بعضهم ان هناك اثنتين
اخريين
٦ - في آيت (بومريم) في مسجد بناء هناك
٧ - المذكورة في (دراووغ) التي اصدرت ذلك الجحفل اللجب ربا حتى
ضرب بعطن فيما يقال :

٨ - في (سمون ايسان) في القفر الذي يوجد في جنوبي الخ

٩ - في (تينوضفيون ييزين) في طريق تامانارت من الخ

١٠ - في (قم ايفاغ) في شرق (اكجكال) بالغ

١١ - في (اودرى بتهالة)

١٢ - في (اكرض ايمالان) ب (ايسي)

هذه هي التظيفات التي تواتر عند المرابطين ان جدهم هو الذي
اسسها ثم اوصاهم بتعهد ترميمها؛ ولا يزالون على ذلك الى الان
ويقولون ايضا انه هو الذي بنى مسجد ايت بومريم ولا يزال قائما
يضاف الى الشيخ .

تلك هي الترجمة التي يلقبها اليك جميع مرابطينا؛ وهي في الحقيقة
لا تتجاوز في بعض ما فيها ماتعج به بعض الكتب التي يهرف بعض اصحابها
بما لا يعرف اذ كان يقول ما لا يدري؛ ونحن لا نستبعد ان يقع كل ذلك
لانا نعتقد ان قدرة الله لا يتعاضمها شيء؛ وان الامانة التي تدل عليها
الحكاية الاولى؛ وخرق العادة في عدم الاحتراق في الحكاية الثانية؛ واصداره
جميع الجيش طعاما وشرابا بتناوله من جنبه كل ذلك ممكن؛ ولكن الاصل
بقاء سنة الكون على ما هي عليه؛ ونحن كما امرنا بالانصياع لتشريعة
الكتاب المنزل امرنا ايضا بالانصياع لسنن الكون؛ وهذا هو اصل ديننا؛
ولا ننقل عن هذا الاصل الا بوقوع غيره وقوعا محققا او مظنونا بما
ثبتت به المعلومات؛ واين السند الذي يثبت به هذا؟ على ان امثال هذا
الشيخ رضى الله عنه يمكن ان يقع منه مثل ذلك او اكثر؛ وقدرة الله لا
يتعاضمها شيء؛ ومثل ذلك متواتر عن امثاله قديما وحديثا؛ لا يتوقف في
امكان وقوعه الاغبي جاهل؛ او من يكفر بقدرة الله تعالى؛ لكن المحدثين
يوثمون من اطاع امره في مثل دخول القرن؛ لحديث لاطاعة لمخلوق في
معصية الخالق؛ الوارد في مثل هذه القضية نفسها حين امر حذيفة من معه
في سرية ان يتساقطوا في نار امرهم بايقادها. هذا رأى المحدثين بل
رأى النبي صلى الله عليه وسلم في مثل هذه القضايا؛ ثم لا نغفل بمسلم
عاقل ان يتخطى ذلك الا اذا غلب على حاله؛ وذلك ما يؤول به ما يقع
لبعض الصوفية في هذا المقام. وبهذا تعلم ان لكل من المحدثين والصوفية
وجهة هو موليها استباقا للخيرات؛ وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا في كل
قضية على حدة .

وثائق واقوال المؤرخين

قرأت معنى ترجمة الجد التي يتداولها احفاده؛ وتعال معى لنسلك طريقا اخرى بين الوثائق التي بايدينا وبين العبارات التي وجدناها لبعض المؤرخين . فلعنا نجد في اثناء ذلك ما يتلج الصدر؛ او ينقع الغلة على الاقل لعنا تقع فيما بينها على ترجمة الرجل الحقيقية التي يمكن لمن يعرف كيف يؤرخ الرجال باعمالهم ويوزنون بقدر افعالهم التي يمكن الاطمئنان اليها ؛ لادراك كنه هذا الشيخ منها ؛ فانا لو اوجدون هنا بصيصا من النور يعرف به من هو الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد؛ ان لم نجد النور الوهاج الذى يلقى الشعاع التام على حياته

١ - نسخة من رسم (بعد ما يندب تقديمه لافتراق المنافع به ؛ والام بيد سيدى محمد بن ابراهيم الغرموزى الكرسيفى؛ قال فيه بعد الثناء على الله والصلاة على نبيه المختار تروج على بركة الله وسنة نبيه عليه السلام المرابط السيد عبد الله الایمورى زوجه المباركة زينب بنت احمد بن ابراهيم الغرموزى بصداق معلوم غير مجهول سماه لها عنسه وكيله على (بن حسين بن يورك) بعد ثبوت وكالته اياه بعد دفعه صداقتها وهو خمس وسبعون دينارا فضة - كذا - قبضه وكيلها (قبض معاينة) وهو جدها عمنا الطالب محمد بن ابراهيم الغرموزى بوكالتها (بالنطق) اذ هسى ثيبة (لها طلاقة) بائنة من الأزواج واعتدت عدتها؛ وعلى امساک بمعروف او تسريح باحسان؛ وبه شهد وشهد من ساقته القدرة للحضور محمد بن الحسن بن عبد الله بجمادى الاولى سنة واحد وثمانين وتسعمائة؛ ابراهيم ابن ايوب فى هذا التاريخ .

الحمد لله تفكير؛ ما فى وجهى الاساوير خمس وعشرون دينارا ونصف دينار ودرهم وثلث درهم؛ واربعة خيوط مفصلين بادز - كذا - واربعة حروز . الحمد لله؛ جملة الجهاز للمجهزة المذكورة؛ وصادقها بمقلوبه ٦٨ حمد ٠٠٠ ابراهيم ٨ ٠٠٠ (١) ٧ دراهم وذلك (١) ر بلقاسم ابراهيم من دين زوجه فاطمة بنت عبد الله ٣٤ درهما انتهى ما ظهر وتبين لنا نسخه من اصله بالاولا وكتبه من شهد فى المقابلة والمماثلة من غير زيادة ولا نقصان والله اعلم؛ باواخر ربيع الثانى عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن على بن احمد بن ابى بكر الغسانى وفقه الله تعالى)

هذا ما وجد مع بياضه الاصلى وقد ابقينا من البياض ما لم نهتد لفهم الساقط منه؛ واما ما اهتدينا اليه فقد وضعناه بين قوسين؛ واما قولنا

كذا بين عارضتين فهو ازاء كلمات لم نعرف المقصود بها؛ او لم تنضح لنا غاية الوضوح . وقد رأيت في آخر الرسم ما يظهر منه انه بقية كلام سقط من المنسوخ منه اصالة؛ وهو تنمة كلام فيه وصف الجهاز وقد تنبه لذلك من نقل عن الاصل فاعتذر بما رأينته .

٢ - فحامله المرابط الخير السيد عبد الله بن سعيد التهاlesi الساكن بوادي ايمور ابقيناه على ما كتب له مولانا ابو فارس اعزه الله من اسقاط كافة التسخير المخزنية واكرياتها ويبقى على ما عهد له من الاحترام التام والوفار العام وعلى الوفاق ان يعمل به ولا بد؛ وكتيب بجمادى الاولى عام ٩٩٩ هـ خديم المقام (١) ٠٠٠ ثم في الطرة ما نصه المذكور بعرضه؛ لا تخرق عليه العادة؛ وكتب عبد الله مملوك مولانا نصره الله لطف الله به هـ . كما نقل من أصله ؛ وقد سقط اسم الموقع للاصل واما ما في الطرة فهو بخط آخر لهذا القائد الذي سمي عبد الله؛ ولا شك ان هذا من قواد السلطان احمد الذهبي؛ وما ذكره في وسط الكتابة وسماه ابا فارس؛ هو الذي اشتهر من بين اولاد الذهبي ومن المتولين بعده؛ وقد كان قائدا لابيه على سوس في اواسط العقد العاشر من هذا القرن

٣ - الشيخ احمد بن ابراهيم سلام عليكم؛ وبعد فموجه ان الفقير المرابط السيد عبد الله بن سعيد من وادي ايمور تجرون امره على ما كتب اليه القائد احمد بن منصور حفظه الله في احترامه من السخر والا (نصافات والضيفات) والسلام عام ١٠٠٧ كتب به عبد الله تعالى ٠٠٠٠ لطف الله هـ كما وجد؛ وقد وقع فيه بتر في المحل الذي تركنا فيه البياض

٤ - ابقينا الفقير المرابط السيد عبد الله بن سعيد على ما كتبت به القائد احمد بن منصور في احترامه من جميع السخر والضيفات وسائر الانصافات والسلام وكتب به اواخر رجب عام ١٠٠٧ هـ عبد الله تعالى وكتب احمد بن ابراهيم التهاlesi لطف الله به

وفي الطرة ما نصه يبقي المرابط المذكور على احترامه من كافة الانصافات والضيفات يبقي على توقيره واحترامه على عادة امثاله المرابطين وقيده عبد الله اوائل شعبان المعظم عام ١٠٠٧ هـ انتهى كما هو؛ ويظهر ان القائد احمد بن منصور قائد عام على هذه النواحي واحمد بن ابراهيم التهاlesi رئيس آل تهالا؛ ولم نعرف الان القائد احمد بن منصور ولا احمد ابن ابراهيم التهاlesi؛ وما اضيع تاريخ بلادنا

٥ - ٠٠٠ وباطنا يفزع اليه من كان ملهوا فيغيثه؛ ومكسورا فيجبره
ومن نزع الشيطان بينه وبين اخوته يداويه ؛ ويصلح بين الناس عامة ؛ مع
كمال اوصاف دينه ؛ ومن عسرت حاجته قدم في طلب قضائها فقصيت؛
ذو بركة في جميع احواله؛ ويتبعه المريدون ويرشداهم من البلاد واقطارها
وجعل له ولاة الامور وقارا وجاها ؛ فابعدوا ساحته من مطالبهم كما حرروه
وعظموا حرمة من غير طلب ذلك منهم بل بمجرد علمهم انه اهل لذلك
فواظب على حالته كذلك حتى فارق الدنيا بالوفاة فترك اولاده متمسكين
بأوصافه سالكين سبيله ؛ على جهد الاستطاعة ؛ وهم ممن يستحقون التوقير
وان يدخلوا في جملة المتبعدين عن المطالبة بالوظائف المخزنية لبعدهم عما
فيه المستحقون للمطالبة بذلك؛ فترغب من امير المؤمنين المنصور بالله امام
وقته مولانا أبو العباس أحمد الشريف نصره الله تعالى وأيده ؛ أن يلحقهم بأمثالهم
في التحرير والخروج بهم عن المطالبة على عادته في اهل الخير والصلاح ؛
والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالى بحق جدتهم المصطفى صل الله عليه
وسلم وبه كتب اعلاما به اصغر عباد الله؛ بأوائل رجب عام ١٠٩١ هـ احمد
ابن علي بن ابراهيم التوييتي لطف الله به

الحمد لله؛ الامر كما ذكر وان المذكورين تجردوا عن الناس وملاستهم
واستقلوا بالله وبانفسهم ؛ عازلين انفسهم عن سواهم؛ ولم ينسبوا انفسهم
لقبيلة بل مستقلون لعبادة ربهم وما فيه صلاح دينهم ودنياهم؛ وتركوا ما لا
يعتبههم ؛ اعلمكم به ابراهيم بن الحسن بن محمد بن علي بن داود
السملائي لطف الله به؛ ومحمد بن محمد بن عيسى لطف الله به .

الحمد لله الامر على الوصف المذكور حسبما ذكر شهد به كاتبه محمد بن
محمد بن سعيد السملائي؛ وفقه الله بمنه

الحمد لله اعلم بشبوته وصحته احمد بن علي بن عبد الله السملائي؛ لطف
الله به ؛ ومحمد بن علي بن عبد الله بن احمد بن الحاج عمرو السملائي لطف
الله به .

المرابطون المذكورون اهل التوقير والاحترام كتب العمل على ما رسم
اعلاه ٠٠٠ فيه أعلم بن محمد التمل به حيا وميتا ؛ وله الاعتناء بمصالح
المسلمين الى ان مات رحمه الله ؛ وقام اولاده بعده باقتفاء أثره ٠٠٠ بسلوك
طريقته؛ موثرين طريق المسكنة؛ ومحبين لاهل الخير والصلاح فيما ظهر ؛
والله يعلم ما تكنه الصدور ؛ وكتب اعلامه العبيد الذليل؛ لربه الجليل أبو بكر
بن عبد الله التمانارتي؛ كان الله له وليا ونصيرا وسمح له بمنه ويمنه؛ ومحمد
ابن عبد الله بن عمر التمل لطف الله به؛ وسعيد بن علي بن ابي بكر السملائي

لطف الله به في الدارين آمين وعبد المؤمن بن محمد بن علي بن محمد الدنيا
العصماوى وفقه الله بمنه؛ ومحمد بن احمد بن الحسن الجمارى لطف الله
به؛ ومحمد بن عبد الله بن عمر الساموكينى بمنكب ابي القاسم عفا الله
عبيد الله تعالى محمد بن احمد بن عمر من (فم الحصن) تاب الله عليه؛ وع
الله تعالى الحسن بن عبد الله بن محمد من فم (الحصن) لطف الله به آمين
وابراهيم بن محمد بن ابراهيم الكرسيفى وفقه الله بمنه وكرمه آمين

هذه وثيقة جليمة وقعها كما ترى ثمانية عشر عالما من علماء القرن الحاد
عشر؛ وقد عرفنا بضعة منهم كعبد المؤمن الديباني عالم الغ في عصره؛ و ابرا
بن محمد بن ابراهيم الكرسيفى المذكور عنه انه كان من قادة الناس في عص
وكمحمد بن محمد بن سعيد السملالى احد العلماء العباسيين المشهورين؛ و
تزال آثار قلمه محفوظة؛ وجلهم نجهل تاريخه ومركزه في قومه؛ وان كـ
نعرف حق المعرفة انه لا تعتبر الشهادة في هذا المقام؛ الا ممن كان لا يستأنا
حكمه؛ ويعلم منه انه ليس من المتحيزين في حكمه؛ فلذلك لا نشك انهم كل
علماء كبار في عصرهم ذلك. وكفى بشهادة ثمانية عشرة من الاكابر المرتض
عند الناس علما وديانة .

ثم ان هذه الوثيقة قد وقع فيها بتر قليل في مفتحتها؛ وان كان ذلك
يضر لان المقصود منها أمكن أن يفلت من ذلك البتر؛ وقد وجدنا هذه الوثي
بين وثائق التحريرات والظواهر؛ وقد حوفظ عليها بينها؛ وذلك ما يدلنا على
المقصود بها هو الشيخ صاحب الترجمة الذى سقط اسمه فيما سقط من أول الوثي
وقد كتبت الوثيقة كما ترى في سنة ١٠٩١ هـ بعد وفاة صاحب الترجمة بك
ولكن كل هؤلاء أو غالبهم قد أدركوا عصره أو عرفوه معاينة ومصاحبة؛ وه
السلطان الذى رفعت اليه الوثيقة سمي في وسطها كما قرأته بامير المؤمنين
احمد؛ وفي ذلك اشكال لان سلطان ذلك العصر اسماعيل . من سنة: ٨٢٠
هـ الى سنة: ١١٣٩ هـ ولا ندرى كيف وقع؟ فهل هذه الوثيقة رفعت الى اح
ابن محرز صاحب الثورة المشهورة على اسماعيل؛ او الى من اسمه احمد مـ
اولاد اسماعيل؛ ويكون قائدا عاما على سوس تحت نظر والده؛ وتكون لفظ
(ابن) ساقطة من قلم الكاتب؛ ذلك كله ممكن؛ وان كان يستبعد باعتبارات آخر
ويمكن ان الكاتب غلط في اسم السلطان فسماه احمد؛ وهذا الامكان ابع
وابعد؛ على انى الآن لا استحضر كيف حال سوس في سنة ١٠٩١ هـ ونحنا
هذه النقطة الى تأمل طويل؛ ربما نتفرغ له بعد ان شاء الله؛ فنعلم هل احمد
محرز في سوس في ذلك العهد اولا

ثم اننى راجعت فوجدت ان سوس في هذا العهد تحت احمد بن محز
الذى لم يفتك به الا بعد ذلك؛ فهذه الوثيقة مرفوعة - اذن - الى احمد بـ

محرز بلا شك واما اولاد اسماعيل محمد العالم فاخوانه؛ فلم يولهم ابوهم على سوس بالتوالي الا بعد هذا الحين؛ على انه ليس فيمن تولى منهم على سوس من اسمه احمد

٦ - نقل من ام صحيحة بعد الثناءين؛ الحمد لله؛ صير سيدي عبد الله ابن سعيد المرابط من وادي (ايصور) لزوجه زينب بنت احمد بن ابراهيم الغرموزي من (اكروسيف) جميع الخمس المصحح له من بين اولاده الاربعه والامة والدار المعروفة بوادي ايمور في البلد والبلاد (صح) الناطق والصامت نصيرا تاما قاطعا بالبيع الصحيح القاطع في جميع حقوقها الواجبة لها عليه بل قبله؛ صداقا وجهازا بحيث لا رجوع ابدأ عليها في ذلك بسببه؛ وعرف قدره من شهد عليه من اليهود به؛ وبحال كمال الاشهاد؛ تاريخ أوائل ربيع النبوي سبعة وأربعين وألف أحمد بن بلقاسم بن أحمد الكرسيفي لطف الله به وهو عدل ورضي لموته؛ بلقاسم ايضا؛ ما في النسخة المنتسخ منها نقله بأول صفر عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن علي بن ابراهيم ومعه في النقل عبد الله بن علي بن أبي القاسم من نسبه تاب الله عليه آمين اه كما وجد؛ وفي قول الاصل بلقاسم أيضا اشكال؛ ولعله ابن بلقاسم فسقط (ابن)

٧ - منقول من ام صحيحة فيها بعد ما يجب تقديمه؛ وافق المرابط سيدي محمد بن عبد الله بن سعيد من ايمور وأخوه سيدي بلقاسم والدهما الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد فيما صرحه لزوجه زينب بنت احمد من خمس ماله في ديونها قبله صداقا وجهازا عليه فيما يطلق عليه اسم ماله في الرباع والعقار وحازته باتم الحوز؛ وفقا تاما وبراآه فيبري؛ واشهد على اشهادهما وعرفهما وفي رجب عام ١٠٥١ هـ ابو القاسم احمد ابن سعيد الكرسيفي ومعهما توسي ابن عبد الله بن سعيد؛ لطف الله به في الدارين؛ بالنبي صل الله عليه وسلم ءامين ءامين ءامين؛ آخر شعبان عام ١٠٩٢ هـ موسى مته هـ

ثم يليه اعلم بثبوت مضمون مقلوبه اعتمادا على شهوده وبه كتب برسم الاعلام له في مهل رجب ١١٠٢ هـ عبد المومن بن محمد بن علي وفقه الله .

ثم يليه اعلم بثبوت وصحة علي بن ابراهيم بن محمد بن احمد السملاي لطف الله به آمين . انتهى ما في الاصل ونقله مقابلة ومماثلة بلا ولا . سببه تعدد المنافع بتاريخ أوائل صفر عام ١١٣٣ هـ عبد الله بن علي بن ابي القاسم الساموكني؛ وقد صح النقل والمنقول منه قال مسن شهده من أصله ابراهيم بن علي بن ابراهيم الساموكني؛ لطف الله به آمين .

٨ - يعرف شهوده المرحوم بالله السيد عبد الله بن سعيد بن حسين

من وادى ايمور معرفة صحيحة تامة ويعلمونه توفي رحمة الله علينا وعليه ؛
 فاحاط بميراثه زوجته زينب بنت أحمد الغرموزى وبنوه السيد محمد والسيد
 احمد وسيدى بلقاسم وسيدى موسى وامامس ثم توفيت زوجها المذكورة
 فاحاط بميراثها انها السيد احمد المذكور؛ لا وارث لمن ذكرت وفاته سوى
 من ذكر فى علم شهوده؛ محمد بن محمد بن سليمان من (ترسواط) واخوه
 عبد القادر وعلى بن يحيى بن على من النسب؛ وابن عمه ابراهيم بن محمد
 ابن على تحقق ذلك فى علمهم؛ وقيدت شهادتهم مسؤولة منهم؛ وقيد عنهم
 عارفهم باواخر ذى القعدة الحرام عام ١٠٩٠ هـ ابراهيم بن محمد بن ابراهيم
 الكرسيفى وفقه الله ؛ وعبدالله بن على بن عبد الله الترسواطى؛ تاب الله عليه
 انتهى الاصل بمقابلة مماثلة باوائل صفر عام ١١٣٣ هـ ابراهيم بن على
 ابن ابراهيم الكرسيفى ومعه فى النقل عبد الله بن على بن ابى القاسم
 من نسبه ؛ تاب الله عليه

٩ - نسخة اصل من ام صحيحة؛ والاصل بيد السيد محمد الغرموزى
 لافتراق المنافع به؛ مفاصلة الشيخ بلقاسم بن ابراهيم الكرسيفى الغرموزى
 مع ابنتى اخيه احمد بن ابراهيم زينب بنت احمد ايم المرابط سيدى عبد
 الله بن سعيد بوادى ايمور انتھالى ام السيد احمد بن عبد الله؛ وشقيقتها
 النعامية زهرة بنت احمد فى جميع ما اورثهما الله فى ابويهما المذكورين
 فى أكرسيف واحوازه ؛ والجرفه واحوازا ؛ أرضا ومياها راكدا وجاريا ؛
 واشجارا؛ نوادر وديارا؛ و (قلاقل) - اى اطلالا - غامرا وغامرا؛ سهلا
 ووعرا ؛ مايسمى باسم المالية على تنوعه ؛ وسعايتهما بعد ان قبضتا منه
 خمسة وعشرين مثقالا ذهبيا سداسيا جواديا (كذا) ثمانية مثاقيل من ذلك
 لزينب المذكورة ؛ زادت ذلك على جهازها المجهزة به من بين اخوتها ؛ واخذت
 فى ذلك الموصوف؛ فدان الارض بـ (اخريك) والحدود من القبلة؛ المرابط
 السيد الحسين بن عبد الله اليوم؛ وجوفه (اى غربيه) ابو القاسم المذكور؛
 ويمينه الوادى وشرقه (اى الشمال) بنو احمد بن عبد الرحمن مع نصف
 الصنوة (اى نصف معلوم من حظ) الماء أمركز ؛ على العين بأعسلى اكرما
 ومفتاحة الارض بتسمتر ؛ وعزلا لذلك بين السيد أحمد بن عبد الله ؛ وذلك
 بحساب الناقتس (اى المناقتس الذى يناقتس الحساب ويحرره) حتى عرف كل
 واحد منهما ما هو ماله وانفصل معهما فى ذلك - انفصالا قاطعا جميع
 الدعاوى والحجج؛ بحيث لم يبق بينهم الا مودة ورحمة؛ وقتلا فيه الاسترعا
 بالاسترعاء؛ المقدمة والموخرة وبه كتب من اشهده بذلك؛ بافتتاح المحرر
 عام ١٠٣٩ هـ (كذا) محمد بن عبد الرحمن الكرسيفى لطف الله به امير
 واحمد بن بوبكر بن ابراهيم من النسب بلطف الله به امين واحمد بن ابراهيم

ابن محمد من النسب تاب الله عليه - أمين انتهى ما في الام وقوبل باصله
مقابلة ومماثلة حرفا بحرف بلا زيادة ولا نقصان؛ وبه نقل بنامن من ربيع
الثاني عام ١١٣٣ عبد ربه سعيد بن علي بن يعقوب بن ابراهيم الغشائي
لطف الله به - أمين وعبد ربه احمد بن علي بن محمد بن داود من شمس
جدمانه اغشان لطف الله به - أمين .

الحمد لله؛ اعلم بصحة النقل والمنقول منه وثبوتها مع عبيد ربه محمد
ابن علي الغشائي ؛ وفقه الله أمين اه كما وجد

١٠ - لبعلم الواقف عليه ان المرحومتين الاختين الفقيرتين خالتي
زينب بنت احمد بن ابراهيم واختها زهرة بنت احمد بن ابراهيم الغرموزي
انهما تصدقتا على المرحوم المراتب سيدي عبد الله بن سعيد من زاوية
ايومر بجميع ما اورثه الله ورسوله لهما من ابويهما باكرسيف خاصة والله
اعلم به ؛ وكتب بعد الطلب ؛ وذلك هو المعتمد عليه المعول عليه بذي قعدة
عام ١٠٦١ هـ بلقاسم أحمد بن سعيد الكرسيقي لطف الله به أمين .

اقول لعل لفظه ابن سقطت بين كلمتي بلقاسم واحمد . فيكون الكلام
هكذا بلقاسم بن احمد الخ . .

١١ - اشهدني سيدي عبد الله بن سعيد التهالي انه حضر لمحمد بن
احمد العسري - به عرف - البعقيلي؛ حين دفع لابن سيدي عبد الله
المذكور احمد سنة عشر مثقالا سداسيا من جهاز زوجته مريم بنت عبد
الله ؛ واستوفى ذلك منه برضى زوجته المذكورة وابراته منها ابراء صحيحا
حالا ومثالا وشهد به بحال كمال الاشهاد وعرفهم سعيد بن احمد بتاريخ
رجب عام ثلاثة وعشرين وألف انتهى من أمها بعد المقابلة والمماثلة ؛ قاله
ناقله باوائل ذي قعدة عام أحد وثمانين وألف ؛ عبد ربه محمد بن علي بن
احمد بن يعقوب امرح البعقيلي السطحي غفر الله ذنبه؛ ومحمد بن عبد
الواسع المرزوقي البعقيلي؛ لطف الله به اه

١٢ - وكل واستتاب الشاب الاكرم احمد بن سيدنا عبد الله بن سعيد
ابن حسين التهالي صاحبه في الله احمد بن عبد الرحمن من نسبه لينوب
(عنه) ويعقد له نكاح زوجته المباركة المسعوده بنت (عبد) الله بن عيسى
البعقيلي وهي الشيب وفوض له في (امرها ووكله) توكيلا تاما مطلقا عامما
اقامه مقامه (في كل ما يراه وظهر له) في صحة وجواز انتهى

١٣ - شهد لدى السيد احمد بن بلقاسم بن احمد بن يحيى الكرسيقي
انه حضر للمرابط السيد عبد الله بن سعيد من ايومر حين ذكر جهاز مريم
بنت عبد الله البعقيلي؛ وهي ام السيد عبد الله بن احمد بن عبد الله بن

سعيد من ايمور نهاية جهازها ستمائة اواق بين الذهب والفضة والحلج
وغيرها تحقق ذلك في علم شاهده بغير شك ولا ريب وقبل ذلك شهادته
مسؤولة منه عارفهم بتاريخ اواسط جمادى الثانية عام تسعة وسبعين والـ
احمد بن محمد بن عبد الله الكرسيفي وفقه الله؛ ومحمد بن احمد بسن
بلقاسم بن محمد من النسب اه .

١٤ - الرباط الافضل سيدى عبد الله بن سعيد بن حسين النهالى
مسكنا من تيطهاارين الساموكنى وطنا وتوفى بتيطهاارين يوم الاربعاء
السابع والعشرين من ربيع الثانى عام اربعين والـ ؛ هذا ما قاله الرسموكى
فى كتابه (الوفيات) وهو قد ادرك بعض عصره .

١٥ - عبد الله بن سعيد بن حسين النهالى مسكنا الساموكنى وطنسا
كان رضى الله عنه رجلا فاضلا متصوفا مرييا للمريدين ذا كرامات وجهادات
وعبادات وصالحات وظهرت له الكرامات وشوهدت له الخيرات؛ لقي اكار
العلماء؛ وصحب افاضل الصلحاء ودار عليهم زائرا وخدمهم ونصح المسلمين؛
وارشدهم وسعى فى مصالحهم جهده وانتفع به خلق كثير توفى بمسكنه
بتهالة سنة اربعين والـ

هذا ما قاله الحضيكى فى (طبقاته) عن صاحب الترجمة؛ وقد كتب عليه
شيخنا يقول الكاتب عبد الله بن محمد اللقى من ذرية سيدى عبد الله
بن سعيد هذا ما قاله الشيخ الحضيكى رحمه الله فى تاريخ وفاة سيدى
عبد الله بن سعيد كذب محض لا شك فيه ان صح عنه هذا النقل فقد
رايت بعينى رسم تصوير سيدى عبد الله بن سعيد لزوجته خمس ماله مورخا
بسبع واربعين والـ؛ ورسم موافقة اولاده فى ذلك مورخا بـ ١٠٥١ هـ وكذا
نسبه لساموكن كذب ايضا ؛ هذا ما كتبه شيخنا على نسخة للحضيكى نقلته
من خطه

استنتاجات ترجمة الشيخ من كل ذلك

اقول هذا كل ما توصلت اليه يدي مما يمكن ان تستخرج منه للشيخ
سيدى عبد الله بن سعيد ترجمة صحيحة يمكن الاعتماد عليها ؛ فلقد آلت
هذه المخطوطات الخمس عشرة ضوءا واضحا وضوحا ما على حياته التى
نحن اليوم فى صدد جلوتها الى عين القراء ؛ فلنتبع هذه المآخذ المتقدمة
مأخذا - مأخذا؛ لندرك ما تحتوى عليه تصريحا او تضمنا .

١ - فى وثيقة الزواج نعرف (اولا) ان الشيخ تزوج سنة ٩٨١ هـ
بزوجته زينب الكرسيفية؛ ولكن لنتساءل هذه اولى زوجته ام ثانيتهما؟
لان ما بايدينا فى الوثيقة الاخرى رقم ٨ يدل على ان هذه انما ولدت له من

اولاده احمد بن عبد الله فقط؛ واحمد هذا هو الذى رأيت في وثيقتي ١١-١٢
 قد تزوج بمريم بنت عبد الله البعقيلية سنة ١٠٢٣ هـ واما محمد وموسى
 وبلقاسم المذكورون في الوثيقة رقم ٧ فهم من زوجة اخرى؛ قد ماتت قبل
 ان يتوفى الشيخ لان الذين احاطوا بميراثه ليس فيهم من زوجته الا زينب
 كما ترى ذلك في رقم ٨ فان كان تزوجها اولاً فيمكن لنا ان نحزر مستهداً
 حياته على اقل تقدير في نحو ٩٥٥ هـ لان خمسا وعشرين سنة ونحوها؛
 هي اقل ما يحتاجه من كان لابد - بعد ان يحتلم - من ان يمر تحت يد شيخ
 من شيوخ القرية ؛ يخدمه سنوات وقد تواتر انه كان عند شيخه يجيىسا
 ابن عبد الله قبل ان يتزوج؛ وانه خدمه ما شاء الله حتى ليحكون انه عرس
 بسنانا قام عليه حتى اثمر ؛ واما اذا كانت هذه هي الثانية من ازواجه فلا بد
 ان تقدر ولادته على اقل تقدير ايضا في سنة ٩٥٠ هـ لان الزمان السدى
 يحتاجه بعد ان تزوج الاولى في العادة وفي الغالب ؛ لا يقل عن نحو خمس
 سنوات على ما كنا قدرناه في الزمن الذى يحتاج اليه في الاتصال بشيخه؛
 على الاعتبار المتقدم فسيكون له عند الزواج الثانى نحو ٣٠ سنة؛ وايا كان
 فان ولادته في نحو اوائل العقد السادس من القرن العاشر ولو كنا عرفنا
 ان احمد بن عبد الله اكبر من اخوته هؤلاء لربما ترجح الشق الاول او لو
 توصلنا بعقد نكاح الزوجة الاخرى التى نجهل اسمها واهلها كل الجهل
 لانجلت العقدة من اصلها؛ ولكن عقد نكاحها معدوم من ايدينا؛ ومن يتناول
 الى المعدوم فقد يتناول الى المحال

هذا؛ وقد زعم العم ابراهيم - وقد سمعته بعد ان كتبت ما تقدم -
 ان ترتيب اولاد الشيخ هكذا فاكبرهم محمد ثم بلقاسم ثم احمد ثم
 موسى؛ وهو غير مدفوع عن معرفة ذلك؛ فان ثبت ما فاله فعليه ينبنى
 هذا البحث؛ وقد ذاع عند غير العم ذلك؛ هذا وقد اخبرني الفقيه سيدى على
 من (اكرض افقيير) من اهلنا ان نساء سيدى عبد الله بن سعيد متعددة ؛
 النهائية من اساكا واصان من تهالة ويعد اليوم من تجكالت ؛ وهى ام سيدى
 محمد بن عبد الله ؛ والاقرانية وهى ام سيدى بلقاسم بن عبد الله ؛ وسيدى
 موسى شقيق لاحد هذين ؛ وكذلك كانت هناك زوجة اخرى ساموكنية لاعقب
 لها معروف ؛ ولا يدري من هى ام بنت الشيخ مماس ؛ قال : كنت رأيت هذا
 مخطوطا بين رسوم المرابط سيدى عبد الله بن محمد من ايت اووخا من
 اكادير ايزرى؛ وهناك بيان اكثر مما هنا؛ قال الا اننى لم استوعب كل
 ما هناك

(رجع) ونعرف (ثانيا) ان السادة الكرسيفيين هم اخوال احمد بن عبد
 الله بن سعيد؛ واخوال اولاده؛ وان لنا معشر اولاد احمد بن عبد الله

بالانصال بهذه الاسرة المباركة شرفا نيرا تستمده من ذى النورين جسد الكرسيفيين ثالث الخلفاء رضى الله عنه حقق الله فينا ذلك بالعلم والتفوى بفضلته ونعرف (ثالثا) ان هذه السيدة الشيب التى ربما كانت للشيخ عجمد الله بن سعيد - ان تزوجها اولاً - مثل ما كانت السيدة خديجة للنبي صل الله عليه وسلم؛ فلئن كنا نجهل معاملتها معه فى حياته - والاسرة قائمة؛ والضرة موجودة بمرأى منها - فقد وضحت لنا نفسيتها واخلاصها لزوجها فيما تصدقت به على وورثته؛ كما ترى ذلك فى رقم ١٠ فلئن قيل انمسا ذلك مجازاة للشيخ بما صيره لها من الخمس الذى حازه بين اولاده الاربعة؛ حين خمس ماله بينه وبينهم فى اواخر حياته كما فى رقم ٦ نقول لكن هل يجزى بالاحسان عن الاحسان الا المصطفون الاخير؟ ثم ان فى وصفها هى واختها زهرة بالفقيرتين لاشارة الى انهما اختارتا مسلك الشيخ الصوفى .

ونعرف (رابعا) أنها تأخرت وفاتها عن وفاة زوجها لما رأته من عسرة الورثة فى رقم ٨ كما نعرف ايضا انها توفيت قبل سنة ١٠٦١ هـ ضرورة ان الرسم الذى فيه الادلاء بهذه الشهادة؛ كتب فى السنة المذكورة وعبرر فيه عنها مع اختها بالمرحومتين؛ ولا يطلق هذا الوصف الا على المتوفى فى العادة؛ هذا مانستنتجه فيما يتعلق بالسيدة زينب زوجة الشيخ وجدتنا العليا ٢ - فى الوثائق الموضوعة تحت رقم ٢ ورقم ٣ ورقم ٤ ورقم ٥ فوائد شتى؛ منها نستفيدها وحدها وما كنا لنفزع عليها لولاها؛ لان الالسنة وان كانت تلوك بعضها ولكن شتان ما بين ما تلمسه باليد؛ وبين ما تنوره بنظر عال من اذراعات (١)

اولا - نتحقق الان تلك المكانة التى كانت للشيخ فى زمنه ؛ وفى ربيع حياته؛ حتى رأيناه قبل سنة ٩٩٩ هـ يتمتع بها بين الاهالى حتى توصمى بذلك الى الاستقلال بهذه الاحترامات الحكومية؛ فان سنة ٩٩٩ هـ تطلع على الشيخ قبل ان يطعن فى العقد السادس من عمره بل نضح انه اذ ذاك استتم ٤٥ سنة على ما تقدم وان المجد والشرف والاسمعة الطيبة التى يكلك المر؛ بتيجانها فى هذه السن لتدل دلالة صحيحة على انه فى ريق شبابه؛ كان يجتهد فى الارتقاء الى المعالى كل الاجتهاد؛ ثم ان هذه التجربات المتعددة فى أيام سلطان واحد؛ كما يحمل على مجدد يتزايد؛ فتتزايد الاحترامات والاكبارات من أجله .

على ان هناك فى عصر مولاي احمد الذهبى الذى افتتح بسنة ٩٨٦ هـ وانتهى بسنة ١٠١٢ هـ لنظرة خاصة الى امثال هؤلاء المتزيين بالصالح والتصوف فان رجال الحكومة اذ ذاك ينظرون اليهم نظرا شزرا ادى بكثير منهم

(١) تنورتها من اذراعات واهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عال

الى ان يلقى التنكيل والهوان ؛ فقد قرأت في وثيقة سقطت الى ؛ كتبها احد علماء جزولة يوم الاثنين الاول من ربيع الاول؛ سنة ٩٨٨هـ حين فتح مولانا احمد الذهبي هذه البلاد من جديد ؛ ونظمها تنظيما تاما ؛ ان السلطان امر ان لا يتخطى بالوظائف المخزنية احد من ارباب الزوايا؛ الا اولاد الشيخ سيدى بيورك بن الحسين الهشتوكى المتوفى قبل هذه السنة بنحو اربع سنوات ٩٨٣هـ والا اولاد سيدى خالد الكرسيفى؛ والا الشرفاء الكثيرون والركراكيون والفلايون واولاد سيدى يعقوب والشرفاء المعلومون؛ واما من عداهم فيلحق بغمار الناس فى الوظائف المخزنية؛ وليس صاحب الترجمة واحدا من هؤلاء.

هذا ما كان قرره احمد الذهبي سنة ٩٨٨ هـ ولا نشك فى ان هذه الفكرة انما اقتفى فيها والده السلطان محمدا الشيخ الذى نعهد منه سيلا طافحامن التنكيل بشيوخ من الصوفية الكبار فى زمانه ؛ فلهذا نعرف أن صاحب الترجمة ما كان لينال من رجال الحكومة هذا التوقير الجديد وهذا الاحترام الفائق لو لم يكن له حال كبير وسمعة طائفة؛ وشهرة ترغم صفحة ذلك السلطان الصلب الارادة على ان يلتفت اليه باعتبار جديد يستجده له بين ارباب الزوايا الذين ربما لا يزالون منزجين حينئذ فى غمار الناس ؛ وما يدورنا لعل السلطان الذهبي نفسه هو الذى راي منه تلك الكرامة فى (دراووغ) التى كنا ذكرنا ان اهلينا يرونها عن الشيخ بالتواتر ؛ اذ يقولون انه اصدر جيش سلطان شيعا وريا حين مروره هناك ؛ فلئن كانت هذه الكرامة كما يسميها اهلينا ؛ مما لا بد أن تزيد فيها الالسة ما يبرها اقصوصة من الاقاصيص فلا نستبعد ان يرى منه هذا السلطان مثل ذلك فيتصل به الناس فيموهونه بما تشاء لهم اخيلتهم والسلطان الذهبي الذى نعرف من هو فى التاريخ؛ لا نظنه ممن يتنازل الى احترام ذى زاوية من جديد؛ واعلان تحريره ومحاشاته من بين ارباب الزوايا الذين سامهم ما سامهم؛ بعد ان سد هذا الباب واحكم اجاقته؛ الايباعث آخر جديد يحفزها فلذلك نرى انه صاحب هذه القصة ؛ او الكرامة ؛ وانه هو الذى مر بمعطشة دراووغ حيث يتعرف به هناك الشيخ بما يحمله على ان يلتفت اليه التفاتنا خاصا؛ وقد قرأنا فى الوثيقة التى ذكرناها ان الغ من منازل احمد الذهبي اذ ذاك؛ وقد مانه فيه الوقاويون والايغشانيون والحربيليون؛ ولا يزال محل فى بسيط الغ يضاف الى سلطان ؛ ويقال له (اغرم اكليد) كما لا يزال محل مشرف على وادى ساموكن يضاف اليه ايضا ؛ ويقال له (اضار اوكليد) ويقول الساموكينيون الى الان ان هذا المحل الاخر يضاف الى احمد الذهبي ؛ وقد نزل هناك حين نازل حصن القبيلة الووكرضائية ؛ الكبيرة اذ ذاك ؛ وقد وجدنا فى تلك الوثيقة ذكرا لهذه الحرب المشبوبة بين الذهبي والقبيلة الووكرضائية ؛ وقد اجلاها اذ ذاك وشتت شملها والغالب ان هذا المحل المضاف الى سلطان بالغ هو منزل احمد الذهبي ايضا ؛ كما رايت هذا

المحل الآخر هو الذى اضيف له ؛ فتعلم من كل ذلك ان احمد الذهبى يمكن ان يبر بدراووغ المجاور لالغ فى مروره الى منزله بالغ من منزله باقران المدود ايضا من بين منازل فى تلك الوثيقة؛ ويمكن ان يصح بعض تلك القصة المتقدمة؛ وان تكون سبب اتصال صاحب الترجمة بالسلطان الذهبى وبرجال حكومته اذ ذاك ؛ فيتسبب عنه هذا الاحترام الذى رأينا آثاره فى تلك التحريات .

ثانيا - ندرک ان احترامه فى وسطه كان احتراماً كبيراً ؛ وانه مانال ذلك بجاه او عشيرة؛ بل ادركه بتفانيه فى منافع الامة؛ فيسعى فى اصلاح ذات البين بين المتخاصمين ويجرى فى الامور العامة التى لا يابه بها الا من جعل الاخلاص رائده فى كل ما يزاوله؛ والمصلحة؛ ونفع العباد ايا كانوا نصب عينيه فيقبل على المعاطش ؛ فيؤسس فيها نطقيات تنفع غلات ابناء السبيل وقد جعل جل همه فى امثال ذلك حتى ان اثنتى عشرة نطفية اسسها فى محلات معلومة بين الفيافي والقفار وكان يسميها بناته؛ فكان مما اوصى به بنيه ان يحافظوا على بناته هذه بالترميم والتعهد حيناً بعد حين؛ فكان اولاده عندهم الوصية؛ فهذه ثلاثة قرون مضت ولا تزال هذه البنات موضع عناية هؤلاء الابناء البررة

وزد ايضا على هذه المهمة التى قام بها اذ ذاك ؛ انه كان يطوف بطائفة من مريديه بالبلاد لتعليم الدين؛ وارشاد العباد؛ وعلان كلمة التوحيد والتزهد فى زهرة هذه الحياة الدنيا الفانية؛ حتى لا يهتبل بها اكثر من الحاجة؛ وحتى لا تفسد العقيدة الدينية بها؛ فيستولى الشر الذى لا تتكون جرائمه الا من حماة الاتحاد فهذه الاوصاف وما اليها مما نعهده من الصوفية المرشدين ؛ وصفه اولئك العلماء الذين وقعوا تلك الوثيقة الجليلة الموضوعة تحت رقم ٥ فقد ادركنا بواسطتها ان كل مايقوله بنو الشيخ اليوم ويتخذونه محورالاشادة بجدهم الاعلى ؛ صحيح كله؛ وان كانوا يقولون ذلك بلسان الاقاصيص وهؤلاء العلماء الثمانية عشر؛ اتوا بذلك على لسان الشهادة التى يعلم صاحبها ان شهادته سنكتب ثم يستل عنها غدا

اوليس ان اولاده يعلنون ان جدهم ما ترك لهم الا الدين وارشاد العباد اليه مع الاحتراف بطرق المعاش ؛ وانه نهاهم ان يسلكوا طرق ابناء الزوايا؛ الذين يالفون التكلف وجمع الزيارات ؛ مع نبذهم شارة الدين ؛ وتكبهم محجات اسلافهم المرشدين؛ فهذا ما يقوله ابناء صاحب الترجمة اليوم؛ وهذا ما وصفه به احد العلماء الثمانية عشر امس؛ وتلك - لعمري - منقبة افضل من كل المناقب فالاشتغال بالدين ؛ وسلوك سنن المهتمدين؛ والتعفف ورفع الهمة عما فى ايدي الناس والاحتراف بالطرق المشروعة فى المعاش؛ والمجاذبة بالنى

هي احسن في المعترك الحيوى مناقب عظيمة؛ فاية منقبة افضل من هذه بالناس؟

كدنا والله نعدم صفحة ذهبية من حياة الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد لو كنا عدنا هذه الوثيقة الجليلة؛ فقد ارتنا كيف ينظر الى الشيخ من مختلف القبائل المجاورة لتهالا بلدته والنائية عنها ؛ فالعلماء السملاليون والايغشانيون والاكماريون والساموكيون والتاماناريون والابسيون؛ كل هؤلاء قالوا مارواه وشاهدوه في الشيخ ومن خلفه في مقامه من اولاده؛ او رووا ذلك عن رآه وشاهده في الشيخ؛ وتحرى بعضهم ان لا يزيد على ما يشاهده؛ فقال هذا ما في الظاهر والله يعلم ما تكن الصدور؛ فالشهادة من امثال هؤلاء المتحرين الذين يظهر انهم ممن يزنون مايقولون ؛ فلايلقون الكلام على عواهنه ؛ ولا يجرون ذيل ظاهر الانسان على باطنه هي - والله - شهادة لها عند ذوى الالباب مكانة مكيئة؛ ومقام له من السمو والاعتبار ما له .

كثير من الذين حظوا بالشهرة في حياتهم؛ وظفروا بالسنة رطبة حول ذكركم ؛ لايكادون يرسمون ؛ وتنفض الايدي من غبار القبر ؛ حتى تبدأ تلك الشهرة في الاضمحلال ؛ ورطوبة تلك الالسنة؛ يدب اليها الذبول؛ ولكن الشيخ صاحب الترجمة؛ مضى عن وفاته يوم كتبت هذه الوثيقة عقدان بل اكثر؛ ثم جاءت هذه الوثيقة تعلن ان تلك الشهرة لم تزل في الانتشار؛ وان تلك الالسنة الرطبة؛ صارت لاجلها الاقلام رطبة بدورها فانت بماقرأه اليوم بعد قرنين ونصف ؛ فنتصور الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد من الافذاذ الذين وقفوا حياتهم في سبيل المنفعة العامة ؛ فلايكاد يرى تلمة يتسرب منها الى عباد الله ضرر حتى يبتدر اليها بكل ما اوتيه من قوة وعزيمة واخلاص ؛ ثم لا يفارقها حتى لا يكون منها لعباد الله الا برد وسلام

كنا عرفنا الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتي معنيا باصلاح الطرق وتسويتها في الهضاب الصعبة ؛ واقامة الجسور على الاودية ؛ وتأسيس النطقيات في المعاش؛ فها نحن نرى ثانيا صاحب الترجمة؛ معنيا بمثل ذلك غاية الاعتناء؛ فهل كان صاحب الترجمة يعرف الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التمانارتي فادرك منه ما لهذه المهمة من الاجل الجزيل؛ والذخر الباقي؟ ان معرفته به لا تبعد؛ فقد كان زوارا للصالحين والعلماء؛ وقد الم الشيخ الحضيكي في ترجمته التي كتبناها تحت رقم ١٥ بهذا الوصف؛ وقد ادرك عبد الله بن سعيد زمن التمانرتي فان الشيخ التمانرتي توفي سنة ٩٧١هـ وصاحب الترجمة اذ ذاك ربما اوفى على العقدين او يناهز؛ ولما كان الشيخ التمانرتي عالما جليلا طائر الصيت في عصره؛ فما الذي يمنع هذا السيد الامي ان يتردد الى زيارته؟ وان يتخذ عنه هذه الطريقة المحمودة التي هي نفع العباد في مصالحهم العامة وخصوصا حين يرى ان الكثيرين ممن ينتمون الى الخير والارشاد

لا يهتمون بمثل هذه المصالح العامة في الفجاج والفقار كما يهتمون بها فسي القرى والمساجد ؟ ولذلك لانستبعد ان هذه الفكرة انما اقتبسها صاحب الترجمة من الشيخ التمرتى مصلح طريق (تيسا) فى بعقيلة ؛ ومقيم الجسر على وادى الغاس وناصب التنظيفات المتعددة المعلومة الى اليوم فى قفار شتى

ثالثا - نعلم هذه التحليات التى يعجل بها صاحب الترجمة فى هذه النوائق من الوثيقة الاولى الى الوثيقة الاخيرة انه امى لا يحفظ القرآن فضلا عن ان يلم بالعلوم؛ لان هوءاء انما يصفونه بالفقر المرابط؛ ولا يوصف بذلك على العادة الا من كان له مقام فى الصلاح ؛ وظهرت عليه سمات خاصة ؛ واتسم بصفات تحمل كل من جالسه على ان يعترف بانه ليس من مطلق الناس فى الوجة الربانية؛ التى ولى اليها وجهه؛ ثم ليس له من حفظ القرآن ولا من العلوم شئ والا فيوصف بالطالب ان حفظ القرآن لاغير او بالعالم ان كانت معه علوم؛ هذه هى العادة المستمرة؛ فلما تتخطى عند التحليات؛ فكون هوءاء لا يصفون صاحب الترجمة الا بالفقر المرابط الصوفى نتحقق به ما عند اولاده الى اليوم من أنه امى لم يتشرف الا بالصلاح فقط ؛ ويزيد جيرانهم ان الشيخ واولاده الاولين ظهر صلاحهم بالامية ؛ وأن الاخيرين ظهر صلاحهم بالعلوم فهكذا عرفنا أن أحفاد الشيخ عندهم من أوصاف جدتهم ما ليس بقليل؛ وأنهم وان ادخلوا فى ترجمته فى اسمارهم ما يشبه الافاصيص ؛ فان الحقيقة فيها لا تزال واضحة وضوح الشمس ؛ ولذلك نعتد على حكاية أخذناها عنهم وان لم نجد لها فى هذه المستندات حلقة نتمسك بها ان تطلبنا النص الصريح يقولون ان الشيخ وان كان أميا يحب اهل العلم وينحاش اليهم

ويستشيرهم ويعنى بما يعنون به وهذا الوصف نجده فى ترجمة الحضىكى

ثم يقولون بعد ذلك فى تدعيم هذا انه كان من الواقفين على مدرسة (أوجو) حتى اسسها الفقيه سيدى سعيد الاوجوبى المعاصر للشيخ (وقد توفى هذا الفقيه سنة ١٠٤٧ هـ) فجعل الشيخ نصيبا للمدرسة من الحبوب يؤديه كل سنة من صلب ماله ؛ ثم أوصى اولاده بعده بالمواظبة على ذلك ؛ فواظبوا عليه منذ ذلك اليوم الى الآن •

فهذه الحكاية المدعمة بهذا الفعل المتسلسل الى اليوم ؛ مما يزيد لصاحب الترجمة درة أخرى غالية القيمة فى تاجه ؛ فقد عرفنا بذلك أنه ليس من بعض الصوفية الذين يعادون العلم وأهله ؛ ويناصبونهم العداة خوف أن يفضحهم ويكتشفوا الستر عن تمويهااتهم؛ فتراهم عند تشييد الزوايا يهرعون وعند تشييد المدارس يقبعون ؛ فدل ذلك أيضا زيادة على ماتقدم أن صاحب الترجمة واقف عند حده ؛ معترف لكل ذى فضل بفضله ؛ ولايعرف لاهل الفضل الا ذوهه •

وما عبر الانسان عن فضل نفسه بمثل اعتقاد الفضل في كل فاضل
فهذا ما أمكن لنا أن نعرفه صراحة أو استنتاجا من هذه الوثائق التي
كتبناها تحت هذه الأرقام ٢-٣-٤-٥ والحمد لله الذي يسر لنا ذلك جدا
كثيرا

٣- في الوثائق الموضوعة تحت أرقام ٦-٧-٨ نعلم أن أولاد الشيخ
الأربعة محمدا وأبا القاسم وموسى وأحمد قد بلغوا كلهم أشدهم في حياة أبيهم؛
فاستحق كل واحد منهم أن يدير أسرته الخاصة بنفسه؛ فالغالب أن والدهم
زوجهم جميعا كما زوج أخاهم أحمد على ما تراه فيما تحت رقمي: ١١ - ١٢
فسلك بهم الشيخ الطريقة التي يسلكها أولو العزم في الدين والدنيا؛
الذين يتقون مشاكسة النساء المختلفات إذ يقسمون أموالهم لأولادهم قسمة
لائصطدم وقانون الميراث الشرعي من عدم المساواة يفعلون ذلك
لأولادهم وهم لا يزالون في الحياة خوف أن ينشأ أيضا بين أولادهم حول
الميراث بعدهم ما يتسبب عنه فساد ذات اليبين وانقطاع أوامر الرحم؛
فهذه الطريقة هي التي سلكها الشيخ فخص ماله بينه وبين أولاده الأربعة
وذلك الخمس الذي صار له؛ هو الذي صيره لزوجته المباركة في مقابلة كل
ما لها قبله؛ وقد رأيت رسم ذلك التصيير ثم قرأنا في رقم - ١٢ - موافقة
أولاده على هذا التصيير

مثل هذه الموافقة تهبو لما قد يطرأ بعد بين الورثة؛ والا فالمال للشيخ وهو
لا يزال حيا؛ فليعمل ببعضه بل بكله ما شاء ما دام صحيحا؛ على ما يقوله
المالكية رحمهم الله؛ ثم إن الموافقة إنما حصلت من محمد وأبي القاسم وموسى
ولم يذكر فيها أحمد؛ لأنه ابن المصير إليها؛ وهو الذي سيؤول إليه هذا
المال متى هلك المصير لها لأنها أمه؛ وقد صار الأمر كذلك؛ فصار هذا الحظ
إليه وحده ولا وارث لها سواه كما ترى ذلك في الموضوع تحت رقم ٨ ثم إنه
تبين أيضا من ذلك أن للشيخ اعتنا بنائيل الأملاك على اختلاف أنواعها؛ وهذا
ما لا نشك فيه؛ لأنها مادة القوت الوحيدة (١) في هذه البلاد؛ فكما أن له في
أيمور أملاكها كانت له أيضا أملاك أخرى في مختلف النواحي؛ رأينا رسوم
بعضها واستمرارات تتعلق ببعض آخر؛ وخوف التطويل لم نضمها إلى هذه
الوثائق المتقدمة؛ ولأن كون الانسان ذا أملاك ليس بعجيب حتى نحتاج إلى
الاستدلال على وجوده بوثائق تساق؛ وإن كان غالب العامة وبعض الخاصة
من المتفكرين يحسبون أن الرجال الصالحين المشار إليهم بالإصابع الذين
يوصفون بالزهد والخير والاقبال على ما فيه منفعة العباد وارشادهم؛
ويتصدرون في منصبة التربية للمريدين كصاحب الترجمة؛ لايتأتى منهم

(١) وحدة بلا ياء وهذا وحيد كما يقال أيضا وحيدة .

الاشتغال ولو بما يحتاجون اليه ؛ مما اذن لهم فيه شرعا وطبعا ؛ ولا يخفى أن هذا قول مافون لا يصدر الاممن لا يعرف ماهو مدلول الزهد فى دين الاسلام ؛ ولا ما ينفع من المال ولا ما يضر ؛ ومثل هذا ينبغى أن تصك آذانه بقول أبى الدرداء ؛ وربما روى حديثنا ضعيفا اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ؛ واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا .

وبقوله أيضا ؛ من فقه الرجل استصلاحه لمعاشه . وأن يصرخ عليه بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر بن العاصى نعم المال الصالح ؛ للرجل الصالح وبقوله أيضا على ما يروى عنه (ليس خيركم من ترك دنياه لآخرته او آخرته لدنياه ؛ وانما خيركم من أخذ من هذه وهذه) أو كما قال فى أحاديث كثيرة فى الموضوع ؛ ويتلى عليه من سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ ما عسى أن يقتنع به ان أراد الله به خيرا ؛ وقد ادى هذا الظن السيء غالب الناس حتى حسبوا ان كل الذين يشار اليهم بخير من المتقدمين ماوصلوا ذلك المقام الا برهبانية وانزواء ونفض لليد ؛ حتى لا يضعون لينة على لينة ؛ ولا يوكئون على صرة ؛ ولا يفتحون عينا على عقار متائل ؛ فزلوا بهذا الضلال ضلالا بعيدا حتى أنهم متى رأوا فى أحد معاصريهم ممن ينتمون الى صلاح أو علم استصلاحا لمعاشه ؛ واشتغالا بما لا بد منه من دنياه ؛ لأكوه بالسنتهم ؛ ورشقوا عرضه بسهامهم؛ ويتهمضون فى أنديتهم بالتكلم فيه ؛ فصاروا يحملونه على المقياس الذى توهموه لمن سلك ذلك المسلك من الاخيار ؛ ومتى فسد المقياس ؛ فسد المقياس والمقياس عليه ؛ ورحم الله صاحب الابريز الذى أنحى على من يكتبون على ذلك تراجم الصالحين المرشدين ؛ اذ يتركون التكلم حول هذه النقطة ؛ حين يترجمون واحدا منهم ؛ فجزوا القراء الى أن يخالوا ما ليس فى الواقع

اذن نأتل صاحب الترجمة املاكا لابأس بها ؛ تقوم بأوده ؛ وتكفى أسرته فكان من ذلك امران أحدهما أنه لم يدر ورثته عالة يتكففون الناس ؛ بل ورثهم ماأنموه فأدر عليهم خيرات حسانا ؛ وثانيهما انه غادر فى اولاده هذه العادة المحمودة المترتبة من التعفف والاحتراف بطرق المعاش المشروعة ؛ ومن الاعتماد على النفس اعتماد الاباة الذين يريدون ان تكون يدهم دائما هى العليا واليد العليا خير من اليد السفلى ؛ فرحم الله ذلك السلف ؛ وبارك فى هذا الخلف .

هذه نظرات فى الذى وضعناه تحت أرقام ٦-٧-٨ وقد بقى منها ما يتعلق بتعيين زمان وفاة الشيخ ؛ وسنعود الى ذلك فيما ياتى

٤ - فى الوثيقتين الموضوعتين تحت رقم ٩-١٠ نعلم بعض ما يتعلق بزوجه زينب الكريمية ؛ وقد المننا بذلك فيما تقدم ؛ وذكرنا أنها توفيت قبل ١٠٦١ هـ ونعلم أيضا أن أسرتها الغرموزية ؛ أسرة مجيدة مذكورة فى

قومها فقد عبر عن أحد أفراد عائلتها بالشيخ بلقاسم والشيخ في عرفنا هو أمفاد الذي يرأس اخوانه ؛ ولا يمكن أن يرأس الانسان في هذه البلاد الا اذا تاهل المرياسة تاهلا طبيعيا ؛ من ماله وعقله ومركزه الاجتماعي ؛ وقد رأيت أثر هذا الشرف في كثرة الاملاك التي تذكر في رقم ٩- الذي فيه المفصلة ونعام أيضا ان هذه الاملاك الكرسيفية ؛ هي التي تصدقت بها زينب مع اختها على وريثة زوجها ؛ ان كانت الصدقة بعد وفاته ؛ أو على الشيخ نفسه ؛ ان كانت الصدقة في حياته ؛ لان الرسم على كل حال لم يكتب في حياتها ؛ بل هو استرعاء املاه من علمه على من حرر الرسم ؛ ثم ان الذي يشكل هو التاريخ الموجود في رقم ٩ الذي فيه ١٠٣٩ هـ فان هذا التاريخ غلط ؛ اما من كاتب الاصل ؛ أو من الناقل عنه وهو الاقرب لانه بينما هو يعبر عن السيدة زينب بلفظة ايم ؛ اذا به يأتي بهذا التاريخ الذي يدل على انه كتب في عصر زوجها الذي لا يزال حيا سنة ١٠٣٩ هـ وسيتجلى ذلك للقارئ حين يرى الكلام فيما يأتي على زمن وفاة الشيخ .

هذا ما يتعلق برقمى ٩ - ١٠ وهذه هي النظرات المتيسرة حولهما .

٥- في الوثائق الموضوعة تحت أرقام ١١-١٢-١٣ تجد مايتعلق بزواج ابن صاحب الترجمة ؛ فقد اختار له والده كما هو العادة في الشرق أجمع ؛ أن يختار الآباء للابناء ؛ كريمة من بعض الاسر الاماسينية البعقلية الشريفة ؛ وهي غنية كما يتجلى لك ذلك في الفضة والذهب والحلى التي جهزت بها السيدة ويساوى جهازها ستمائة اواق ؛ وهذا من مظاهر الثروة في بلادنا هذه ؛ والواقية في ذلك العصر؛ قيمة تساوى من نقد اليوم كثيرا؛ ولكل ناحية مقياس خاص في الثراء يعرفونه ؛ وهذا الاختيار مما يدل على سمو نظر صاحب الترجمة وعلو همته ؛ فانه لايسف الى غير الشرفاء الاعلين الامن ليس له شرف ولا علو همة ؛ فهل ينبج الابناء الا الاخوال ؛ اوليس اننا كثيرا ما ننشد هذا البيت :

والمرء لا يشبه الا ادخليس وكل ماقد كان فيهم الكيس؟(١)

أو ليس أننا نروى فيما بيننا هذا الكلام المأثور: خولوا اولادكم فقد خول صاحب الترجمة أحفاده ؛ فأنجبت هذه السيدة الاماسينية السيد عبد الله بن أحمد؛ الذي ستعرفه فيما بعد ان شاء الله ؛ فجاء نموذجا من أبيه أحمد؛ ومن جده صاحب الترجمة ؛ كما ستشاهد ذلك ؛ وقد توفيت مريم هذه قبل سنة ١٠٦٣ هـ كما رأينا ذلك في رسم مناداة لعبد الله بن أحمد على هالها الذي ورثه عنها ؛ ولا يورث الا الموتى .

(١) والمرء لايشبه الا اخواله وكل ما قد كان فيهم فانه فيه

هكذا عرفنا ناحية اخرى من نفسية الشيخ باختياره الكرائم لاولاده
كما اختار لنفسه قبل تلك الكريمة الكرسيقية ؛ وهل يعرف المرء الا باختياره

قد عرفناك باختيارك اذ كان دليلا على اللبيب اختياره

ثم ان في استنباط احمد بن عبد الله بن سعيد ؛ لاجد بن عبد الرحمن
من نسبه لدليلا لما سنستنتج منه حين نبحت عن اصل صاحب الترجمة؛ فيما
يأني قريبا فانظر فانا معك من المنتظرين .

هذا ما استفدناه تصريحا او ضمنا من هذه الارقام الثلاثة ١١-١٢-١٣
زيادة على ما كنا استفدناه قبل منها في تلك النظرات السابقة .

٦- ثم في الوثيقتين الموضوعتين تحت رقمي ١٤-١٥- المذكور فيهما
ما في ترجمتي الرسموكي والحضيكي مع ما كتبه شيخنا سيدى عبد الله بن
محمد فوائد جلية ؛ منها ما استوفينا حوله الكلام فيما تقدم ؛ ومنها ما لا بد
ان نقف ازاءه مليا ؛ حتى نتوفر عليه .

اولا - نجد في ترجمة الحضيكي زيادات في الاوصاف على ما عند
الرسموكي ؛ فبينما هذا لا يزيد على قوله - المرابط الافضل - اذا بالآخر يصفه
بكونه - رجلا فاضلا متصرفا مرييا للمريدين ذاكرامات وجهادات وعبادات
وصالحات ؛ ظهرت له الكرامة ؛ وشوهدت له الخيرات ؛ لقي اكاابر العلماء ؛
وصحب افاضل الصلحاء ودار عليهم زائرا وخدمهم ونصح المسلمين وأرشدهم
وسعى في مصالحهم جهده ؛ وانتفع به خلق كثير ؛ فهذه الاوصاف الجليلة التي
زادها هذا المؤرخ المتأخر عن صاحب الترجمة بنحو قرن على ما قاله المؤرخ الذي
أدرك عصره ؛ مما نكاد نقف ازاءها ؛ ونحن نرسم علامة الاستفهام ؛ لو لم نجد
ما يؤيدها من الاوصاف التي وصفتها به الوثيقة رقم ٥٥- التي وقعها ذلك اللغيف
من العلماء ؛ ومن الاوصاف أيضا التي لا تزال تتردد بين الالسنة الى الآن ؛
فان كانت تلك الوثيقة تقف عند وصفه بالارشاد والصلاح والسعي في ذات
البين وما اليها من الفضائل التي يستحق بها المرء العامل ؛ الذكر الخالد بين
الناس والثناء العطر من الاقلام ؛ فان في السنة المحدثين نسبة كرامات اليه
أيضا ؛ فجاءت ترجمة الحضيكي جامعة بين الامرين ؛ وضاربة بكلا السهمين ؛
وهذا المزج نفسه بين آثار العلم وأثار التصوف؛ منه تكونت شخصية الحضيكي
والتحمت به نفسيته ؛ فان لم يكن عبد الله بن سعيد عالما فيكفيه شرفا أنه
يزور اكاابر العلماء ويدور عليهم ويحبهم ومن أحب قوما حشر معهم على أسلأت
البراع أولا ثم في مقامات المحشر ثانيا ؛ فهذه الاوصاف - اذن - التي زادها
الحضيكي على ما قاله الرسموكي ؛ ليس منفردا بها ؛ فقد وصفته تلك الوثيقة
أيضا بمثل ذلك أو أكثر في بعض النواحي

ثانيا - ان صاحب الترجمة موصوف كما ترى بالتصوف وانه يخدم اكاابر

الصلحاء ويزورهم والمقصود بالصلحاء هم الصوفية فأما كونه يخدم الصوفية ؛ فلم نعلم ممن اتصل منهم الا شيخه يحيى بن عبد الله التملي ؛ ولم نعلم انه اتصل بغيره ؛ وان كنا لانكاد نشك انه يزور أكابر الصوفية الذين ادرك أعصارهم كالشيخ أحمد بن موسى والشيخ محمد بن ابراهيم التامانارتي من الأكاير ؛ فضلا عن اقرانها واصحابها الذين يعدون اذ ذاك بالعشرات ؛ وكذلك لانعرف ايضا أنه اتصل بأحد من أكابر العلماء ؛ وهم كثيرون جدا في ذلك العصر - الا ما كان من الفقيه سيدي سعيد الاوجوي الصوابي وقد تقدم ذكر ذلك ؛ ولكن الحضيكي حين قال انه لقي اكابر العلماء وصحب افاضل الصلحاء ؛ ودار عليهم زائرا وخدمهم ؛ لانظن الا انه تلقى ذلك عن الجيل الذي ادركه ؛ ولا شك أنه يدرك من يروون عن ادركوا الشيخ صاحب الترجمة بكثرة ومثل الحضيكي لانظن منه الا التثبت فيما يقوله أو يكتبه حسب علمه .

ثم ان التصوف الذي اتصف به صاحب الترجمة يظهر أنه تصوف عملي ؛ مشيد بإقامة مصالح العباد؛ وبنصح المسلمين وارشادهم ؛ والسعي في مصالحهم جهده - كما وصفه بذلك الحضيكي - وانه ليس بذلك التصوف الجامد الذي يحمل صاحبه على الانزواء في قنن الجبال ؛ أو في مغارات الاودية ؛ فحصل له بذلك نفع نفسه أولا ؛ بزجه نفسه في جماعة المسلمين ؛ ويد الله مع الجماعة ؛ وبمشاركتهم في كل ما يحسون به من خير أو شر ؛ وخصب أو جذب ؛ فيتجه لوجهتهم ؛ ويضع همه بين همومهم ؛ ولا خير فيمن لايهتم بأمور المسلمين .

ويظهر - ايضا - ان التربية للمريدين الشائعة عنه حتى انتفع به خلق كثير كما قال الحضيكي ليست بالتربية الاصطلاحية عند القوم ؛ كما فصلتها رائية الشريشي بل هي تربية ارشاد لكل من لقيه من العباد من غير ان يتخذ له سيما خاصة يتسم بها اتباعه ؛ وينحاشون الى حظيرتها وخدمهم ؛ كما هو الغالب على من ينتهجون طريقة التربية الاصطلاحية . وادل دليل على ذلك اننا لم نر من ينتسب اليه من اشياخ الجيل الذي درج وراءه ؛ وما كان الرسموكي الذي ادرك عصره ليست غالباً عن ذلك لو كان ؛ مع اننا راينا انه وصف بذلك الشيخ سيدي محمد بن احمد الحرابي المتوفى سنة ١٠٢٠ هـ والشيخ سيدي احمد بن محمد السكراي المتوفى سنة ١٠٦٧ هـ ولعمري ان هذا الارشاد العام من غير تقييد بسيما خاصة ؛ لهو الذي يوافق صاحبه محجة السنة البيضاء التي ليها كنهها لايزبغ عنها الا هالك .

وقد دخل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فوجده مملوءا بخلق وكل طائفة حلقت على كبير من الصحابة فعلاهم عمر بالدرة ؛ فامرهم بالاجتماع حلقة واحدة ؛ فقال لهم : تريدون ان يقال غدا اصحاب فلان واصحاب فلان ؟ هذا ماقرانه في مختصر تاريخ ابن عساکر

ولم نسفه بلفظه لطول العهد به ؛ وكأنه رضى الله عنه يتوجس خيفة مما وقع بعده فى المسلمين ؛ وكانهم لا يتلون قوله تعالى «ولاتكونوا من المشركين مسن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا» وقوله ايضا «ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ليست منهم فى شىء»

فهذا الذى كان عليه الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد من اقوم طرق الصوفية على ان طرفهم كما يقولون كالازهار ؛ تختلف الوانها وان كان الماء الذى تسقى به واحدا

وقد اخبرت ان الشيخ الوالد رحمه الله كان مرة فى مشهد صاحب الترجمة مع الفقراء فقال ان هذا السيد كان شغله فى عصره كمشغلنا هذا ؛ وكانت نظرائه صوفية ؛ كما كانت نظرائنا بفضل الله كذلك او كما قال :

ثالثا - ان تلامذ من الرسموكى والحضيكى وصف الشيخ بأنه ساموكنى وطنا؛ تهالى مسكنا ؛ سبق بذلك الرسموكى فاخذه عنه الحضيكى على عادته فى غالب التراجم التى اخذها منه بعزو او بغير عزو ؛ فبقى ذلك مشكلا عند كل من يراه من اولاده لامور شتى ؛ منها ما يزعم من ان قبيلة ساموكن قبيلة منحطة فى انظار الناس فينسبون اليها حكايات واقاصيص جعلتها فى المجتمع كباهلة بين قبائل العرب حتى ان بعض من لا يستحى جاء باكذوبة عن الشيخ الحضيكى ؛ فحواها انه سأل مرة انسانا عن هو امام مسجدهم ؛ فذكر له انه طالب ساموكنى فرعم ان الشيخ قال لـ اوصيكم بعد اليوم ؛ فان وجدتم طالبا (ولتيتيا) فذاك والا فتبلغوا بطالب (ازغارى) فان لم تجدوا الا اماما ساموكنيا ؛ فأريخوا مسجدهم تلك السنة ؛ الى ان يتيسر لكم امام آخر فهذه الاكذوبة وعشرات من أمثالها يتعاطاها سفلة الناس ورعايهم وجهالهم فترسب بها هذه القبيلة فى انظارهم ؛ فاما ذوو العقول الراجحة فانهم يعلمون ان الناس سواسية ؛ وان بنى آدم كلهم كاسنان المشط لا يتفاضلون الا بالتقوى بل يزيدون اننا اذا نظرنا الى اقامة الدين ؛ والاقبال على استظهار كتاب الله ؛ ونبوغ بعض العلماء فينة بعد فينة ؛ وعلمنا ان هذا وامثاله مما تتسامى به القبائل وترفع به راسا عاليا يناطح الجوزاء فان لقبيلة ساموكن حقا غير قليل فى ذلك؛ فيماذا تفضلها القبائل الاخرى ياترى ؟ وهل يميل الى هذه الشعوبية الممقوتة الا ذوو الراى الفائل ولكن مع مدافعة ذوى العقول هذا الدفاع المجيد عن هذه القبيلة ؛ فان آذان الرعاع صم دونه حتى أنهم كيزعمون فيما يزعمون ان الفضلاء الساموكنيين انفسهم سرعان ما يتملصون من هذه النسبة؛ كلما وجدوا الى ذلك سبيلا فقلما يتغرب احدهم ويبقى على هذه النسبة ؛ هذا ما يتفوه به من لا يراعون الا ولاذمة وهذه بلاشك فرية افتروها من سخافة عقولهم؛ والا فمن ذا الذى يتبرأ من نسبه وبلده وان كان ماكان .

لهذا يتبرأ أهلنا من أن تكون بيتهم وبين آل ساموكن أواصر؛ وينظرون الى كل من لزمهم بذلك نظرا شمرًا؛ حتى ان من اراد ان ينزهم او اراد ان يداعبهم فانه يضرب على هذا الوتر الحساس؛ فاذا باحدهم يثور بشعور أو بغير شعور.

لازال اتذكر اننى كنت مرة -وانا في طور البلوغ- في دار الرئيس احمد ابن الحاج ابراهيم الغشاني؛ فضاكنى وداعبني فلم ينشب ان لمس هذه النسبة فتاورته في ذلك؛ وانا كنت اجهل ماوراء الاكمة؛ فقام رحمه الله الى الحضيكي فارانى هذه الترجمة؛ فاطرقت حياء فلم اجد ما اقول؛ فصرت ادافع -اذن- عن الساموكنية؛ ولكن مضمنا في نفسى أحس به يخزنى وخزا؛ وغرارة الشمبية لا تزال تشب في التعصب الممقوت؛ ثم اننى بعد ذلك بكثير قرأت في تاليف الاستاذ مودخ رجال هذا الجيل الماضى بسوس سيدى محمد بن احمد الرفاكي فسمح الله في أجله؛ انه بات ليلة عند الرئيس الحاج ابراهيم الغشاني؛ فكان هذا اراد ان يستغز ضيفه؛ فصار يعلى امامه شان مرابطينا السعيدين ويعرض في أثناء ذلك بالسادات شرفاء (تيمكيدشت) ويعمز نسبتهم الى الشرف؛ فلم يصبر الاستاذ أن قال من هم مرابطوك هؤلاء؟ وهل هم الاساموكنيون؟ فجاذبه رب مثواه في ذلك ماشاء الله؛ فاحتج عليه الاستاذ بالحضيكي؛ فأتى به فوجد الامر على ما قال.

هذا ماقرانه في كتاب الاستاذ حفظه الله ونحن نعلم ان ذلك منه انما هو حكاية عما وقع في ذلك المجلس ودفاع عن اشياخه؛ والبادى اعظم.

هذا بعض ما يروج حول هذه الساموكنية؛ ولا يعتمد ذلك كما ترى الاعلى الشعوبية الممقوتة؛ التى ينبغى ان تنطوى بين المسلمين.

ومما يحول ايضا بين اهاليها وبين قبول هذه النسبة ان ذلك لم يعرف قط ولا كانت عليه اشارة من علم؛ فيما رووه عن آبائهم واجدادهم؛ فما عرف عندهم ان الشيخ صاحب الترجمة استوطن وادى ساموكن؛ ولا كان ما يدل عليه ولو توهمًا؛ قالوا ان الجدد لم يزل ساكنا بآيمورطوال حياته حتى اقبّر فيه؛ وليس هناك في وادى ساموكن ما يدل على أنه كان نازلا فيه ولو حقة من الزمان فلا دار له هناك؛ ولا املاك؛ ولا ما ينسب اليه والعادة تقضى في البادية ان من الم بمحل وسكن فيه زمنا لا بد ان يدع فيه اثرا من الاثار؛ وليكن على الاقل دارا نزلها وحيث لا يوجد شيء من ذلك هناك؛ فلاشك ان هذا غلط من قائله ايا كان سواء قاله الحضيكي من عند نفسه او نقله عن غيره؛ وهذا الذى يقال للحضيكي يقال لغيره ممن سبقه الى ذلك؛ فقلما ينتقل الانسان من بلد الى بلد الا لاحد امور ثلاثة:

- اما جلاؤه عن ظلمة لايحترمونه الى محل يجد فيه امانا على نفسه.
- وأما أن ينتقل الى املاك تآثلها في مسكنه الجديد؛ فيجب أن يجاورها؛ وأن يكون استغلالها تحت نظره.

- واما ان يكون المنقول اليه بلدا فسيحا طيبا ينتقل اليه من بلد وخيم الهواء ضيق الرقعة يصعب فيه المرعى والمورد ؛ قالوا فهذه البواعث الثلاثة ينتقل الانسان من بلد الى بلد ؛ وهى كلها منتفية ؛ فليس هناك فى ايمور من يضايق الشيخ حتى يحتاج الى النقلة منه الى ساموكن ؛ بل كان من الاحترام هناك فى المكانة التى يعطيه عليها كثيرون؛ ولاكانت له فى ساموكن املاك تأهلها فاحبان يجاورها فلو كانت له هذه الاملاك هناك لذكرت بين الاماكن التى فيها عقاراته وقد راينا رسوم تبريجات احفاده بعضهم على بعض تتعدد فيها الاملاك المتنوعة فى امكنة مختلفة ؛ ولم يجر فيها ذكر لساموكن ؛ وكذلك أنت رأيت فى هذه الوثائق ما ذكر فيه بعض امكنة فيها عقارات للشيخ ولا ذكر فيها لساموكن افتقد ان الشيخ باع ما تأثله هناك بعد ان ملكه؛ وهو من عرفنا منه التوسع حتى لا يحتاج الى بيع مثل العقارات التى تكون فى ذلك الوادى والعادة جارية ان عقارات الاودية آخر ما يباع من المتاع ؛ فهذا كله يعرف انه لا اصل له هناك ولا عقار يمكن ان يحفره الى النقلة اليه ؛ وكذلك لا يمكن ان يحمله ايضا على مغادرة (ناهالا) الى ساموكن فسحة أرجاء ذلك الوادى وصحة هوائه ؛ واتساع مراعيه مع ان الواقع ان ذلك الوادى عميق واضيق من سم الخياط ؛ واعمق من لهاء الاسد ؛ فلايتلقى اهاليه الشمس على اعالي ابنتهم الا بعد متونع النهار بكثير ؛ ثم يودعونها قبل الطفل ؛ فى حين ان تهاالا بلد متسع الارحاء منفسح المرعى ؛ لايمكن ان يغادره ذولب باختياره ليزج نفسه فى ذلك القبر العميق قالوا فهذا يدرك معنا كل متامل انه حين انتفت هذه الاسباب التى بهاغالبنا ينتقل من بلد الى بلد ؛ ينتفى كذلك المسبب ضرورة ان المسببات تنتفى بانتهاء جميع اسبابها .

قالوا قد راينا انه حين تزوج عام ١٩٨١ هـ وصف فى عقد النكاح بنسبته الى ايمور ؛ ثم عاش بعد ذلك ستين سنة او اكثر ؛ على ما تعلمه فيما سيأتى ففى أى وقت توطن فى واد ساموكن ؟ أقبل هذا الوقت ؟ فيستحق حينئذ النسبة فى رسم النكاح الى ساموكن ؛ مع انه لم ينسب فيه كما رأيت الا الى ايمور خاصة ؛ ام بعد ذلك وقد تزوج وولد الاولاد ؟ فما الذى يحمله - اذن على السكنى هنالك - والانتقال باولاده اليه ؟ الاتلك الاسباب التى ذكرنا انها هى التى بها ينتقل الانسان - غالباً - عن بلده ؛ فقد راينا انها كلها انتفتت افلا ينتفى كذلك المسبب ؟

قالوا عجباً ! ايعرف غيرنا عن جدنا ما لانعرفه عنه ؟ مع ان اهل مكة ادرك بشعابها ؛ ايستحضر كل واحد من اهالينا الذين يعدون بالمئات ابا عن اب ؛ الامكنة التى اسس فيها ما اسسه فى حياته حتى اننا نعرف ما بين المهامه الفيج والفقار المترامية ؛ آثاره اثرا اثرا ؛ ثم ننسى شيئاً مما وراء ذلك ؟ أفليس

الاصوليون المحدثون يقولون ان ما ورد عن طريق الاحاد ؛ وان كان مرويا عن عدول ضابطين ؛ وكان بمثابة ان يروى بالتواتر لو كان موجودا في الواقع ؟ ان ذلك مخدوش فينا بل ان بعض الاصوليين لا يقبله البتة ؛ ايعرف واحد من تاغابين او من بعض قرى قبيلة رسموكة ؛ ان جدنا توطن وادي ساموكن ثم يخفى عنا ذلك جميعا ؟ ان هذا لعجب عجاب .

قالوا لا يسبقن الى ذهن القارىء اننا ممن يرمى تلك القبيلة بما يرميها به رعاونا او نأبى ان ننتظم نحن واياهم في سلك واحد ؛ فلسنا والحمد لله من ذوى الشعوبية المفقوتة ولا ممن يتصلون مما ثبت ؛ ولا ممن يتطاولون الى ما لم يكن ؛ فان آل ساموكن اناس فضلا فيهم ما في الناس جميعا ؛ ذهب وخرف ولو صح اننا واياهم يجمعنا جنم واحد اوضح ان جدنا سكن بين ظهراينهم لتلفينا ذلك بكلنا اليمين ولا بديناها للناس اجمعين ؛ فاننا في شرف نفسي يكفينا عن كل شرف وراء ذلك ؛ ولكن الواقع ان هؤلاء الفضلاء في واد ونحن في واد فان ثبت ذلك بعد بما تثبت به المعلومات من الادلة والحجج والبراهين وتبين ان جدنا كان من ذلك الوادي فاننا ممن يتشرف بهم اهل ذلك الوادي كما تشرفت برسول الله صلى الله عليه وسلم عدنان .

قالوا اننا نرى الرسموكي وتابعه الحضيكي يقولان في الشيخ التهاالي مسكنا الساموكني وطنا ؛ فهذه العبارة لانكاد ندرک لها معنى ؛ فلاندرى هل المقصود ان وطنه الاعلى هو ساموكن ؛ ثم اتخذ تهالا بعد ذلك مسكنا ؛ فان كان هذا هو المقصود وهو الاقرب ؛ فاننا نحتاج اولا ان نعرف اين ولد الشيخ واين مسكن والده لندرک مقدار ما لذلك من صحة ؛ ولكننا لانعرف على ما يقوله الناس الا ان الشيخ بنفسه هو الذي قدم من (تامدولت) ولا يمكن ان يقدم بنفسه ؛ مع اضافة ذلك له ؛ الا اذا بلغ مبلغ من يقدر على النقلة وجوب البلاد ؛ فحيث تواتر عند الناس انه كان في اكادير تنبسيست ؛ ثم بعد ذلك كان عند شيخه يحيى بن عبد الله سنوات ؛ ثم تزوج سنة ٩٨١ هـ في ايمور حيث عاش ستين سنة او اكثر ؛ ففي اى وقت يكون ساموكن وطنه ؟ كما قاله الرسموكي ؛ في حين اننا نرى نقلته من تامدولت فسكناه في اكادير تنبسيست ؛ فانقطاعه الى شيخه سنوات ؛ فتزوجه سنة ٩٨١ هـ هذه الامور كلها لابد ان تتتابع كما ترى وقد قدرنا لهذا الوقت كله نحو ٢٥ سنة ثم تلقى من ذلك اعوام الصبا فما الذي يبقى بعد ذلك ؟ حتى يستوطن فيه ساموكن استيطاننا يستحق ان ينسب له ؛ حتى يكون في مقابلة سكناه في تهالا الذي كان ستين سنة فاكثر وان لم يكن هذا مقصود الرسموكي بتلك العبارة ؛ فليت شعرنا ماذا يقصد بها؟

قالوا فتبين لنا من كل هذا ان هذه العبارة لابد ان تكون غلطا من قائلها والحاصل ان اهلنا يابون بكل ما في امكانهم ان ينسب الشيخ الى ساموكن مطلق نسبة وان يكون به ولو مرور ما ؛ ويرد ذلك علماؤنا كما ترى في رقم ١٥ ما

كتبه شيخنا على هذه الجملة من كلام الحضيكي ان ذلك كذب محض ؛ فهذه الاجوبة التي ذكرناها تفصيلا ومددنا فيها القول ؛ وانينا فيها بالحجج والبراهين المنطقية تارة ؛ والخطابية تارة هي كل ما يمكن ان يتمسك به مسر ينفى ذلك ؛ وقد سمعت غالب ذلك من اهالينا فنظمته كما ترى .

اما انا فقد وقفت ازاء هذه المسألة ؛ موقف من لا يريد ان يسير الا بمصباح ينير امامه ؛ فقد فتشت واكثرت التسال عن مولد الشيخ ومكان منشئه ؛ ومقبر والديه ؛ علني ان اعرف ما استند اليه في هذا المبحث ولكني لم ارجع بعد كثرة السؤال الا بخفي حنين ؛ فعولت على ان ارجع الى هذه الوثائق نفسها لعلني اجد فيما بينها ما يفتح لي هذا الباب .

كنا قرأنا في الوثيقة الموضوعة تحت رقم ١- ان عليا عم الشيخ هو الذي كان وكيله عند عقد النكاح ؛ وقرأنا ايضا في رقم ١٢- ان احمد بن عبد الرحمن توكل في عقد نكاح احمد بن عبد الله عنه ؛ وقد ذكر كاتب الرسم أنه من نسبه ؛ فأدركنا بذلك أن لاسرة الشيخ فروعا موجودة ؛ وأدركنا ان الشيخ ليس وحده ؛ ولكن ابن يسكن هؤلاء الفروع ؛ فهل كانوا يسكنون الشيخ بايمور ؛ او كانوا في اكادير تبتسيست وانما يزورونه هناك عند امثال هذه الافراح كما تجرى به عادة ذوى الارحام ؛ لاندرى ؛ ولا طارق الحصى يدري اى هذين كان كما لم نخرج ايضا بعد مراجعتنا لهذه الوثائق كلها من جديد ؛ الا بجهل مطبق عن هذه النقطة ولا يسترعى نظرنا الا ما عند الرسموكى الذى يدفعه اهالينا بما رايت .

اكثرت التامل فخطر لي انه يمكن ان يجمع بين مايقوله اهالينا ومايقوله الرسموكى بتاويل كلامه .

ان اهالينا يقولون ان الشيخ كان في اكادير تبتسيست قبل ايمور ولم يكن في وادى ساموكن فقط ؛ وقال الرسموكى ان وطنه هو ساموكن ؛ او ليس أنه يمكن ان ساموكن اذ ذلك كان يطلق على ما يعم اكادير تبتسيست؛ وهو في جواره ؛ فلتن كان الامر هكذا فان الرسموكى اذن صادق ؛ ولا اقرب من هذا التاويل والجمع متى امكن لا يصارالى الترجيح كما هي القاعدة الاصولية ؛ وايضا اننا نستبعد ان يلقي الرسموكى الكلام جزافا فيما هو بصده فى كتابه ؛ وقول المورخين لا يطرح بسهولة خصوصا من عاصر وشاهد اوشاهد من شاهد ؛ ومتى تاولنا كلامه هذا التاويل القريب فانه يمكن لنا ان نجمع بينه بكل سهولة مع ما عند اهالينا كما ترى ؛ اوليس هذا مما يترجح ؟ فنذكر اذن- ان الشيخ ما انتقل الى ايمور الا قبل تزوجه بحقبة ؛ وكون عاقد رسم النكاح لم يصفه الا الى ايمور ؛ ولم يصفه الى مكانه الاصلى ؛ لا يدفع هذا لان الانسان بمشواه الان ؛ لا بما درج منه على ان العقود لا يستدل بها الا فيما

سيفت له لاغير . واما ماسوى ذلك فلايستدل عليه بها وذلك معلوم عند كل فقيه

بهذا عرفنا وغلب على ظننا ان اصل الشيخ من اكادير نتبسيست كما يقوله اهاليها وتواتر عندهم ويدل عليه قول الرسموكى ان فهمناه ذلك الفهم الماضى ؛ واما نسب الشيخ ؛ فسترى امامك الكلام حوله .

ثم هانحن اولاء ترجح عندنا ان الشيخ كان فى اكادير نتبسيست ؛ قبل ان ينتقل الى ايمور؛ ولكن هل ولادته ومنشاه هناك ام كان فى تمدولت؛ كما يقوله اهاليها ؛ اننى ارجح فى هذه النقطة ان ولادة الشيخ ومنشاه فى اكادير نتبسيست ؛ وان الذى انتقل من تمدولت احد اجداد الشيخ؛ والذى رجح هذا عندى ان وقت جلاء تآمدولت المشهور كان فى أوائل القرن التاسع اوقبله بدليل انهم يقولون ان الشيخ على بن يونس الاغشاني هو الذى كان سبب هذا الجلاء فى حكاية تحكى ؛ وعلى هذا كان حيا فى القرن التاسع ؛ وترجمته واخباره ينسبها النقلة الى الشيخ احمد بن عبد الرحمن المسجداى المتوفى حوالى مولد الشيخ صاحب الترجمة ؛ ثم يظهر من ترجمته لعل بن يونس انه لم يدركه ؛ وحياة المسجداى فى النصف الاول من القرن العاشر ؛ وقد توفى سنة ٩٤٨ هـ فهذا ندرى ان الجلاء التمدلتي كان قبل الشيخ صاحب الترجمة ولايمكن ان يكون هو بل ولاابوه من بين الجالين . فربما كان الجالى هو جده الادنى او الاعلى ؛ ويرجح عندنا ان الشيخ ليس هو الجالى بنفسه ؛ ان السنوات التى حزرناها له قبل زواجه وقبل اتصاله بشيخه يحيى بن عبدالله اقصر من ذلك واضيق ؛ ثم اذا اضفنا الى ذلك المقدار المحزور من عمره ما عاشه بعد فان ذلك يناهز نحو ١٠٠ سنة ولانعلم ان الشيخ عاش اكثر من ذلك حتى تزيد فى ذلك القدر المحزور سنوات اخرى يأتى له فيها ان ينتقل من بلد الى بلد انتقالا يضاف له كما يقوله اهاليها .

هذا ما ترجح عندنا فى هذه النقطة والله اعلم ؛ واما ان نقول ان اصله الاصيل من ايمور ؛ بدليل وجوده هو فيه فهو ضعيف ؛ لاننا لم نجد لذلك دليلا مسموعا ولامعقولا ؛ الا ماكان من الاستصحاب المعكوس الذى هو ان نقول ان وجوده هو فى ايمور ؛ دليل على وجوداصوله هناك فهذا هو الاستصحاب المعكوس وهو ضعيف فى الاستدلال ؛ وكون التواتر عند اهاليها هو ان اصله من اكادير نتبسيست ؛ يكفى فى رد هذا التوهم وخصوصا حين يتايد هذا الخبر التواتر بما قاله الرسموكى ؛ من ان وطنه من ساموكن وقد عرفت ما مقصوده بساموكن فيما تقدم على ما أولنا اليه كلامه ؛ وهذا منتهى ما أمكن لنا فى الموضوع ؛ والحمد لله . وقد كان أكادير نتبسيست من قرى ساموكن قبل ان يستلحقه آيت على المريضيون

رابعا - انك قرأت فى ترجمتى الرسموكى والحضيمكى الموضوعتين تحت

رقمى -١٤-١٥- ان الشيخ توفى يوم الاربعاء ٢٧ من ربيع الثانى سنة ١٠٤٠هـ ثم قرأت بعد ذلك انتقاد ذلك لشيخنا الالفى حفظه الله مستدلا بما فى رقمى -٦- و -٧- من رسم التصوير المورخ باوائل ربيع النبوى سنة ١٠٤٧هـ وعن رسم الموافقة من اولاد الشيخ على هذا التصوير المورخ بوجوب سنة ١٠٥١هـ وماخذ ماذهب اليه شيخنا فى ذلك ان الرسم الاول يظهر من لوائح عبارته ؛ انه كتب حين الاشهاد كما يظهر ايضا من الثانى ان ذلك الابرار من اولاد الشيخ لابيهم كتب فى حياته وان تاريخ الابرار هورجب سنة ١٠٥١هـ وان كان الرسم لم يكتب الا فى سنة ١٠٩٢ هـ حين طلب ذلك من الشهور فاملوه استرعاء ؛ وعينوا وقت وقوع ذلك ؛ فبهذا استدلال شيخنا وبهذا انتقد ان يكون الشيخ توفى سنة ١٠٤٠ وتكون وفاته على هذا بعد ١٠٥١هـ وقد كنا حزرنا ولادته فى ٩٥٥هـ فيكون عمره يناهز المائة كما ترى .

ثم اننا ان تتبعنا هذه الوثائق الماضية ؛ نجد ايضا فى التى وضعناها تحت رقم -٩- فى رسم المفاصلة بين السيدة زينب زوجة الشيخ وبين آلهما فيما ورثوه عن آبائهم انه وصف هذه السيدة بايم الشيخ سيدى عبد الله بن سعيد ثم اوضح ذلك الرسم سنة ١٠٣٩هـ فكان فى ذلك غرابة ؛ لاننا نتيقن ان صاحب الترجمة فى هذه السنة لا يزال حيا ؛ وكيف توصف قرينته بايم وهذا غلط بلاشك ؛ ولا يعتورنا ريب فى ذلك ونظن ان هذا الغلط ممن نسخ من الاصل ؛ وكانه اراد ان ينقل ١٠٥٩هـ فسبقه القلم فاستبدل -٣٥٥- او مثل ذلك

اذن فلم يبق بين ايدينا الا ما للرسموكى وما فى رقمى -٦-٧- فالمتبادر هو ما ذهب اليه شيخنا الذى دل عليه ما فى هذين الرقمين ؛ لان من يبعد عن الانسان ؛ ولا يخالطه - كما كان ذلك من الرسموكى مع صاحب الترجمة اقرب الى الغلط من الموثق الذى يجعل بين عينيه تاريخ الوثيقة التى يكتبها وان كنا نستبعد ايضا باعتبارات اخرى عدم تثبيت الرسموكى فيما تصدى له من تحرير وفيات معاصريه ويتايد هذا الاستبعاد بالمعاصرة ؛ وبأن غلطا الممتد الى مافوق احدى عشرة ؛ كثيرقلما يقع للمتصدى لمثل ذلك ؛ ويتايد ايضا بانه عين يوم الوفاة وعين الشهر وذلك كله مما يدل على التثبيت ؛ ولكن مع كل هذه الاعتبارات ؛ وهذه المؤيدات لقول الرسموكى ؛ لانزال مع شيخنا فيما يرجح عنده ؛ لان عبارات مافى وثيقة التصوير وما فى اختها اقوى اعتبارا من هذه الاعتبارات الاخرى ولنقتصر اذن على انه توفى بعد ١٠٥١هـ ولنابق على ذلك الى ان يظهر لنا ما ينقلنا عنه ؛ واما الحضيكى فانها هو تبع للرسموكى فيما ذهب اليه ؛ نقول ذلك وان كنا نميل احيانا الى التردد حين يتجلى تثبيت الرسموكى من جهة اخرى فتتجبر ؛ والله اعلم .

هذا ما يمكن لنا ان نقوله في وقت وفاة صاحب الترجمة ؛ وبذلك ندرکانه
معه حتى ناهز نحو ١٠٠ سنة رحمه الله .

هذه نظرات حول هذه الوثائق الخمس عشرة ؛ وقد بينا فيها كل ما
وصلت اليه بحوثنا ؛ وابدنا ما ندل عليه تصریحا او تضمنا ؛ ولم يبق لنا
الا كلمة اخيرة حول كلمة قرأناها في الوثيقة الموضوعة تحت رقم ٥- وهي
قول احمد بن علي بن ابراهيم التوييتي فيما خاطب به السلطان «فرغب من
امير المؤمنين المنصور بالله امام وقته ابي العباس احمد الشريف نصره الله
تعالى وايدته ؛ ان يلحقهم بامثالهم في التحرير والخروج بهم عن المطالبة على
عادته في اهل الخير والصلاح والدين والقراءة والاقراء على وجه الله تعالى
بحق جدتهم المصطفى صلى الله عليه وسلم» فقد رايت انه قال بحق جدتهم
المصطفى صلى الله عليه وسلم فما معنى ذلك ؟ امقصوده انهم شرفاء ؟ هذا ما
لم يدعه قط مرابطونا ؛ ولا سمعنا من ادعاه لهم او انها هي كلمة ارسلها
التوييتي على عواهبها ؛ وذلك ايضا بعيد ؛ ولهذا يحتاج المقام الى تأن وتبصر
حتى ندرک ما يرمى اليه هذا الكلام الذي وقعه ثمانية عشر عالما ؛ ولكي نعرف
ذلك ينبغي لنا ان نجول بابصارنا من هنا وهناك .

قرأت معي فيما تقدم ؛ البحث عن منشأ الشيخ واصله ؛ وقد استقر رأينا
اخيرا على ترجيح ما يقوله اهاليينا من ان الاصل الاصيل من تاملدولت ثم لا يعرفون
ما وراء ذلك ولم اجد انا ولم اسمع شيئا آخر يمتد منه نسبهم ؛ الا ما كان
الاستاذ سيدي محمد بن احمد الاولوي الامنوزي اخبرني به منذ سنوات
انه راي رسما كتبه بعض آل الشيخ قبله ؛ ذكر فيه النسبة الى الجعفرية
يعنى الى جعفر بن ابي طالب ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال انه رآه
في بعض السلات من جهتهم ؛ هذا ما سمعته لا غير ولكن هل لهذا من صحة ؟
فان اهاليينا بقوا جاهلين هذه النسبة الى الان ؛ ولم اعرف لها روجانا بينهم
قط ؛ الا ما كان من رسالة رأيت فيها هذه النسبة وهي مخطوطة بيد الاستاذ
العلامة سيدي محمد بن عبد الله رحمه الله كتبتها الى قلاميذه بابي مروان ؛ ولا
ادري من اين تسرب اليه ذلك ؛ بل ولا سمعت بعد عنه ذكرا يروج حول ذلك
هذا كل ما خطر حول هذه النسبة ثم لم يتصل بذلك رواج بل ولا عرف له
مستند ؛ حتى جاء الاستاذ سيدي محمد بن مسعود العدري فصار يخاطب
بهذه النسبة شيخه الشيخ الالغي في قصائد ورسائل ؛ بل وسم بذلك قصيدة
نونية ستقرأها ان شاء الله في ترجمة الشيخ (هز الراية الجعفرية ونشر
النفحات العنبرية في المناجحة عن الطريقة الالغية بذكر بعض مالها من
المآثر السنية في كتاب الترياق المداوي)

وقد سألت شيخى سيدي سعيد الننانى عن استقفي من عنده هذا الاستاذ

هذه النسبة ؛ ومن اين توصل بها ؟ فذكر عنه ان الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ذكر له أنه رأى ذلك في طرة كتاب ؛ هذا هو مستقى ما يقوله الاستاذ ابن مسعود ؛ ثم عنه انتشرت اخيرا هذه النسبة فوصلت الى مسامع اهالينا فاما الذين عقولهم فى اصمختهم فانهم تلقوا ذلك كانه ثابت بما تثبت به المعلومات ؛ واما ذوو الالباب فلا يزالون فى ريب لان الانساب لا تثبت بمثل ما فى الطرة ؛ ولو كان الرسم الذى ذكره الاستاذ الامنوزى موجودا ؛ وتحققنا منه هذه النسبة لكان ذلك مثارا لمن اراد ان يظن هذا الظن ومثل هذا يكتفى فيه بالظن- ولكننا لم نتوصل بهذا الرسم لتعلم ما هنالك ؛ لان هذه النسبة لو كانت صحيحة لما فرط فيها الاولون وحافظوا عليها ؛ فنقول اذن فى حقهم الناس مصدقون فى انسابهم ؛ واما حيث لا يذكرون ذلك ولا يرفعون به راسا فلا مصر اليه الا بما تثبت به المعلومات ؛ لا بما وجد فى الطرر ثم اننى كنت سمعت ان هذه النسبة كانت مكتوبة فى جدار مشهد الجد صاحب الترجمة ثم محيت ؛ ثم لادرى اكانت مكتوبة قبل تجديده فى اول هذا القرن ام لم تكتب فيه الا بعد تجديده ؟ ولهذا يضعف ايضا الاستدلال بها .

هذا كل ما عرفه رائجا عن هذه النسبة الجديدة وانا الى الان لم تبلغ عندي حتى درجة الوهم ؛ لانى استبعد ان يكون ذلك ثم ينسأه الاباء ؛ ولم يملأوا به مسامع الابناء مع أن كثيرين ممن انتقلوا من (تامدولت) عضوا على هذه النسبة بالتواجد وحافظوا عليها بالمحافظة على سلسلة انسابهم الى الامام جعفر ؛ ويتعهد ذلك بظواهر الملوك ؛ كابناء على بن يونس الايفشانيين فلم يمس سلسلة نسب متصل الى جعفر ستراه عند ذكرهم ؛ واستبعد ايضا ان تكون هذه النسبة موجودة لعبد الله بن سعيد ؛ ثم تتخطاها تلك الوثيقة التى حشر فيها اوئيك العلماء ما عرفوه .

ثم لقائل ان يقول ان هذه الوثيقة هاهى ذى تنادى بان جدهم هو المصطفى صل الله عليه وسلم ؛ فيكونون حينئذ شرفاء ابناء فاطمة من الحسن او الحسين ؛ فاذا علقت صحة هذه النسبة بمثل هذه الوثيقة مع انها هكذا ؛ فلم لا يحكم بان الشيخ صاحب الترجمة شريف وان ذريته شرفاء ؟ اقول هنا لعمري ايراد له حظ من النظر . ولكن الذى يمنعنا من قبول ذلك ان مثل هذه النسبة لو كانت لما فرط فيها الاولون ؛ ولا علموا بها فى كل مناسبة ولربما ظهائر الملوك التى بين ايدينا عدة منها ؛ وقد ذكرنا منها اثنين فيما تقدم وسنذكر فى آخر هذه الترجمة سائرهما تصرح بذلك وتعلمه على عادة الظواهر الملوكية فى ذلك ؛ وهذا كله جدير ان لا يقبل به ذلك القول الذى صدر من الفقيه سيدى احمد بن على التويستى فى تلك الوثيقة .

ثم لقائل آخر ان يقول اولم يمكن ان تفسر هذه النسبة الشرفية التى

ذكرت في الوثيقة هذه بانها هي النسبة الجعفرية ؛ لانها ممتدة الى زينب بنت فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فكما انها ولدت الحسن والحسين ابني علي بن ابي طالب كذلك ولدت زينب بنت علي بن ابي طالب التي اولدها جعفر بن ابي طالب سالته الزينية وهي مشهورة ؛ فما المانع ان يطلق علي هؤلاء الزينبيين ايضا ان جدتهم هو المصطفى صلى الله عليه وسلم؟ كما يقال ذلك في اولاد الحسن والحسين اقول ان لهذا القائل مغزى ساميا وقولا فيه مايلفت نظر المتأمل .

حقا ان قوله اقرب ما تؤول به قوله تلك الوثيقة وهذا القول على الاقل نجد فيما يروج اخيرا من يلوكة بلسانه ؛ وان لم نعلم عليه ؛ ولا كانت عليه لوائح البرهنة ؛ علي ان ابناء المصطفى اختصوا -عرفا- بابناء الحسن والحسين منذ القرن الثامن الى الآن وهذا مما يستبعد به ان نمد ايدينا الى نقل ما يقوله هذا القائل برمته .

يطرق آذاني فينة ان هناك نحو وادي ايسى شجرة نسب للشيخ صاحب الترجمة صارت الى بعض الناس هناك احتجتها ؛ ولم ادر؛ اهذ الذي يطرق آذاني صحيح او هو من بنيات الالسنه ؛ وطالما حثت بعض الناس اليه لعلهم يجتهدون في التوصل بنسخة منه على الاقل ؛ لعلنا نجد فيه ما نخرج به مما يدور عليه هذا المبحث ؛ ولكنني بكل اسف لا اجد الا كسلا واعراضا ولا حول ولا قوة الا بالله .

نخرج من هذا المبحث ؛ ونحن كما دخلناه ؛ شكنا على شك في هذه النسبة وما دعنا لم نجد هذه الشجرة وذلك الرسم الذي يذكره الاستاذ الاموزي فاننا لانجد الابابا موصدا امام نتيجة يتناول اليها بعض من لم يفهم شرف الاسلام العام ؛ وأبي الا أن يزج نفسه في الطالبين ؛ ولا ندرى ؛ فلعل الايام تصدق ظنهم ؛ فيقع لنا في هذا مثل ما وقع للاستاذ احمد بن خالد الناصري الذي اعلن الشك في نسبة الناصريين في الجعفرية في كتاب الاستقصاء ثم لم يلبث ان ظهر بما تقوى به عنده ما حاده الى ان يرجح هذه النسبة في كتابه (طلعة المشتري) .

هذا آخر ما تيسر تحريريه فيما يتعلق بالشيخ سيدي عبد الله بن سعيد رحمه الله فقد بذلنا في ذلك جهونا؛ واسهبنا بعض الاسهاب؛ علنا نتعرف منه نواحي غامضة ونحن نسلك طرق البحث التحليل بقدر الامكان؛ ونتمسك بما رايناه صحيحا بالبرهان وتلقى ظهريا ما لاتدعمه حجة .

وله من الاولاد من راينهم فيما تقدم فاما احمد فسترى ترجمته ؛ واما محمد فدفن في (كاور) بمجاط ؛ واما بلقاسم فدفن في قرية (تيدلي) بقبيلة ايفشان واما موسى الذي مات بعد والده بلاعقب كما قاله العم ابراهيم ؛ ولم

يعقب كما يعقب اخوته ؛ فانه قال ان الغالب انه دفن في ايمور ؛ لان قبره لم يعرف كما عرفت قبور اخوته في اماكنها ؛ وقد اخبرنا شيخنا سيدي عبد الله انه راي رسما مورخا بنحو ١٠٩٨ هـ يتضمن وقف بعض ماله على ضريح والده قال وقد توفي موسى اذ ذاك في تلك السنة كما نبه عليه كاتب الرسم ؛ ثم ذكر انه راي مثل ذلك الوقت من زوج موسى ؛ وانه مورخ بسنة ١١٠١ هـ فدل هذا على ان موسى تاخرت وفاته كثيرا ؛ وانه ليعقب له مع انه متزوج لانه عزب كما هو متوهم .

اخبرني الفقيه سيدي علي بن صالح من اكرض ا فقير انه راي في سلة سيدي بلا ارخا وهو عبد الله بن محمد من اكادير ايزرى بين رسومه ما يدل على ان ازواج سيدي عبد الله بن سعيد متعددت ؛ فالتهالية هي ام محمد ؛ والاقرانية هي ام بلقاسم والكرسيفية ام احمد والساموكنية ليعقب لها يعرف ؛ وذكر ان اولاد الشيخ خمسة فزاد اثنين منهما موسى ؛ والخامس مان في حياة ابيه ؛ ولم يسم ؛ ثم قال ان التهالية من تاجكالت انتهى ما كتبه عنه ثم اننا كنا سقنا فيما تقدم ثلاث تحريرات من السلاطين ؛ فلنتبعها الان بكل ما تابعها وراء ذلك من الملوك الى الآن ؛ لتجتمع الفائدة في محل لمن ارادها

(٤)

ظهر السلطان علي ابودميعة التازروالتى حملته اولاد المرابط الصالح سيدي عبد الله بن سعيد التهالي من تظهيرين بيقون على عاداتهم من التوقير والاحترام والتحرير النام ولا يطالبون بسائر الوظائف المخزنية باسرها؛ وبه نوكد الابري بباعلي (١) بن الحسن وغيره وكتبه بر رمضان سنة ١٠٦٣ هـ

عبد الله سبحانه
علي

(٥)

ظهر في ايام السلطان مولاي عبد الله بن اسماعيل كتابنا هذا اسماء الله ؛ واعز امره ؛ واطلع في سماء المعالي شمس المتيرة وبدره بيد حاملية المرابطين سيدي صالح بن عبد الله ؛ وسيدي احمد بن علي ؛ وسيدي عبد الله بن موسى احفاد الولي الصالح سيدي عبد الله بن

(١) احسبه علي بن الحسن بن احمد بن موسى ولعله كان قائدا على جهة ايمور والغ فاستحق ان ينبه علي ذلك

سعيد رحمه الله و قدس روحه يتعرفون منه بحول الله وقوته اننا جددنا لهم على ما بنايديهم ؛ من ظهائر سيدنا ومولانا اسماعيل قدس الله روحه ؛ وظهائر الملوك السابقين من قبله من التوقير والاحترام لهم ؛ ولجميع من تعلق بهم والواقف عليه يعمل به ولا يتعدده والسلام في مهل رجب الفرد عام ١١٥٢ هـ وعليه طابع ليس بجميل ؛ لم نهندلقراءة مافيه وقد ذكر فيه كماترى ظهائر اسماعيلية واعلمها هي التي تمزقت بين تلك الظهائر ولم يبق من بعضها الاطابع كتب فيه :
(وصيف المقام العالى منصور بن الرامى وفقه الله) وفي دائرته ماياتسى (وما توفيقى الا بالله عليه توكلت) ولاندرى من منصور هذا ؛ ولا من كان وصيفه من الملوك (ثم عرفت انه قائد من القواد الكبار فى الجند الاسماعيلي وقد كان ولاء على سوس حيناً) .

(٦)

ظهير حسنى

يعلم من كتابنا هذا اسمى الله مقداره واطلع فى سماء الاسعاد شموسه واقماره اننا بحول الله وقوته ؛ اسدلنا على المرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد النازكين ببلاد مجاطة من سوس ؛ اردية التوقير والاحترام ؛ وحملناهم على كاهل المبرة والاكرام ؛ وحاشيناهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ فالواقف عليه من خدامنا وولاء امرنا يعمل به ولا يجحد عن كزيم مذهبه والسلام صدر به امرنا المعترز بالله فى ٢٤ جمادى الثانى ١٣٠٠ هـ وفوقه طابع صغير فيه الحسن بسن محمد الله وليه .

(٧)

ظهير عزيزى .

يعلم من كتابنا هذا اسماء الله واعز امره ؛ واطلع فى سماء الاسعاد شموسه واقماره ؛ اننا بحمد الله وقوته وشامل يمنه ومنتته جددنا للمرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد النازكين ببلاد مجاطة من سوس حكم ماتضمنه ظهير سيدنا الوالد المقدس بالله من سدل اردية التوقير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل المبرة والاكرام ؛ ومحاشانهم عن زمرة العوام مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛ تجديدا تاما نامر

الواقف عليه أن يعمل بمقتضاه ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه والاسرار

اصدرنا به امرنا الشريف في ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦ هـ فوفقه طابع في

عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه .

تحرير للقائد سعيد الكلولى الحاحى الذى كان قائدا عاما على تزئيت ومر

اليها سنة ١٣١٥ هـ .

مضمن كتابنا هذا اسعده الله يستقر بايدى حامليه المرابطين الاخيار
معادن جواهر الاسرار السيد الكامل والمربي الواصل يتيمة عقد الاولياء
وخالصة القوم الاصفياء سيدى عبد الله بن سعيد السوسى دفين زاوينة
بأيهور عمرها الله بذكره على ممر الدهور يعاملون بمقتضى حقهم من مزيد
التعظيم والاکرام وزائد التوقير والاحترام ؛ تمييزا لهم عن غيرهم من العوام
وتزئيتها لساحتهم المطهرة عن ساءها بصد ذلك او رام وامتنالا لامر الله
بتعظيم حرمانه التى هتكها من كبائر الاجترام وتنفيذا لحكم ما تضمنه مسا
بايديهم من ظهير سيدنا المقدس من انهم لايسامون بادنى تكليف ولايضامون
باقل توظيف وغير ذلك مما هو المعتاد من القيام بالخدمة المخزنية ؛ واداء
الوظائف الامامية من الهدايا والمواصلات ؛ سوى ما اوجبه الله عليهم من اداء
الاعشار لزاويتهم التى للعلم والتى للفقراء قياما بواجب التعاون على البر
والتقوى ؛ ونبذا لمنهى الائم والعدوان ؛ فلامحيد لهم عن ذلك ولاسيبل لاحد
من العمال اليهم بوجه ولابحال ؛ هذا ونامرهم بالوقوف عند حدود الله سرا
وعلانية واقتفاء سنن سلفهم ؛ وان لاياتوا ماينافى الانخراط فى سلكهم
ونعهد اليهم ايضا بتوفيرهم -ظاهرا وباطنا- جزيل حقوق القائمين بامر
الدين وحماية حوزته ؛ الوارئين للجد الاكبر فى طريقته ارباب الزاويتين
العلمية والفقراية ؛ السيد البركة سيدى الحاج عبلا بن صالح بزواينة
تحت الحصن وولده الشيخ صالح العلماء وعالم الصلحاء الفقيه سيدى
على بن عبدالله وحاشيته القريبة وكذلك قدوة السالكين ومربي المريدين
الشيخ سيدى على بن احمد الدرقاوى وحاشيته كذلك ؛ فان هؤلاء ممن وجبا
عليهم القيام على ساق الجد فى خدمتهم بحسب الاقتداء ؛ لاختصوا به من حلية
العلم وزينة الوفاة ونشرهم فى الناس بضاعتهم من النصح والعلم والاسرار
فبهذا استوجبوا من ولاة امور المسلمين ومن غيرهم السعى فى خدمتهم ؛
والاجتهاد فى قضاء اوطارهم وان لا يواخذوا بما يواخذ به عامة المرابطين من
مصالحهم المخزنية اوغيرها رعيا لمنصب العلم ؛ وذبا عن جناب حزب الهدى
وفريقه ؛ امن الله سيرنا من مخاوف طريقه وامدنا بنور توفيقه واعلم بهذا
من سيقف عليه من ائمة المسلمين بعد ان شاء الله ؛ فى ٢٤ ذى الحجة عام
١٣١٥ هـ ووقعه احمد بن محمد الكلولى الذى هو خليفة القائد سعيد ؛ وعضده

الايمن اذ ذاك والذى حرر هذا بقلمه الاستاذ محمد بن عبد الرحمن
التامرى الشهير بالدرقاوى ؛ وقد توفى سنة ١٣٤٠ هـ

(٩)

ظهري مجتمدى لجلالة سلطان العصر محمد بن يوسف حفظه الله

يعلم من كتابنا هذا اسماء الله واعز امره ؛ اننا بحول الله وقوته وشامل
بمنه ومنته جددنا للمرابطين اولاد سيدى عبدالله بن سعيد النازلين ببلاد
مجاطة من سوس حكم ماتضمنته ظهائر اسلافنا الكرام ؛ قدس الله ارواحهم
فى دار السلام ؛ من سدل اردية التوفير عليهم والاحترام وحملهم على كاهل
المبرة والاكرام وحاشيناهم وعائلتهم من خدمة الطرق التى يكلف بها العوام
مراعاة لسلفهم الصالح ودؤوبهم على عمارة زاويتهم بذكر الله عز وجل ؛
تجديدا تاما ؛ نامر الواقف عليه من عمالنا وولاة امرنا ان يعمل بمقتضاه
ولايحيد عن كريم مذهبه ولايتعداه والسلام

صدر به امرنا المعتز بالله تعالى فى ٦ صفر الخير عام ١٣٥٣ هـ وقد سجل
هذا الظهير الشريف فى الوزارة الكبرى بتاريخ ١٣ صفر عامه الموافق ٢٦
مايو سنة ١٩٣٤م محمد المقرئ وفقه الله ؛ وفوقه طابع صغير فيه محمد بن
يوسف الله وليه .

هذه هى الظهائر والتجريدات التى وجدناها فى الموضوع ؛ وهناك رسائل
ايضا فى تايد التحرير من القائد سعيد الكلولى يكتبها هو او خليفته احمد
بن محمد تركناها هنا اختصارا ؛ للاستغناء عنها بذلك المرسوم ؛ واما
ظهائر الملوك الاخرين فانها تمزقت حتى لم نهندمها الا الى كلمات لاتسمن
ولاتغنى من جوع ؛ ولاثبت هنا ابياتا كنت قلتها صبيحة ٢٠-١-١٣٦٢ هـ
وقد بت هناك بايمور قصد زيارة تربة الجد

كيما نزور هناك خير مزور
جمعت شتيت مسرة وحبور
طى ابتهاج فى الد مسير
فيه الجود ثووا طوال دهور
كالشمس تشرق فى طفاوة نور
وارشد صين من الهوى بالسور
ل المكرمات مشهر ماثور
اسماء من عمل لهم مشكور
ماكان خير مشيد مذكور

لله رحلتنا الى ايمور
عقدت يد الاسعاد منها رحلة
طويت جبال ثم اوداء بها
يحدو بنا الشوق المبرج للذى
حيث استفاض الدين منهم مشرقا
حيث المنابع صافيات للهدى
حيث استتب اساس اصلاح لك
عمل له الاخلاص مصفاة وما
شهدت لهم طرق اشادوا حولها

كانت معاشي ليس تسلم غيرها
 لله منك الهمة القعاء يسا
 علما لعصرك كنت ثمت خلفت
 فكذا يكون الصالحون وهكذا
 زدت الكرامة والتشرف والرضا
 وتقفت الإبناء ما رسمت لهم
 فإذا بها ضمنت صدور العجز
 من كان مثل التاج في أيمور
 أيديك ما يبقى طوال عصور
 تشدى مناقبهم من المسطور
 ممن يدير دواليب المقدور
 أيديك من عمل رضى مبرور

هذا آخر ما يتعلق بجدنا الأعلى عبد الله بن سعيد رحمه الله ورضى عنه



سیدی احمد بن عبد الله الاغی

نحو ۱۰۰۰ھ نحو ۱۰۸۰ھ

نِسْبَهُ

احمد بن عبد الله بن سعید بن حسین بن بیورک .
هذا ولد من اولاد جدنا الاکبر الذی قرأت ترجمته ؛ وقد رایت ان له اربعة
بنین هذا منهم ؛ وهذا هو جدنا آل الخ ؛ ومن نسله انتشر صلاح کثیر وعلم
غزیر ؛ ولکننا لم نعلم ایضا من اخباره علی الحقيقة الا بعض تنف تلقفنا
بعضها من السنة المحدثین والا بعض امور توصلنا بها من اثناء تلك الوثائق
التي قرأتها معنا ؛ ومن رسوم اخرى لانطیل بسوقها .

رايت فيما تقدم ان والدته هي زينب الكرسيقية وان والده زوجه نحو
سنة ۱۰۲۳ھ بهريم بنت عبد الله بن عيسى البعيل التي ساقته اليه ذلك
الجهاز الذي ذكرنا انه ستمائة مثقال ؛ وهي ام ولده عبد الله بن احمد الذي
ستقرأ ايضا ترجمته فيما بعد ان شاء الله ؛ ثم انه تزوج ايضا بامرأة
اخرى من آل (اغرابو) كما راينا بخط الفقيه سيدي ابراهيم بن سليمان ؛
وهذه الاخرية هي ام اولاده كلهم ما عدا عبدالله الذي ولدته الاولى .

وكان صاحب الترجمة ساكنا في مسكن والده بايمور حتى انتقل الى الخ
بسبب لانه عرفه كما لاندرى ايضا كيف اختار هذه القرية التي هي الى
الصحراء المقفرة اقرب منها الى العمران ولم يقع لنا في ذلك الا هذه
الحكاية التي اخذناها جزافا كما نلقيا اليك جزافا

يقولون ان سيدي احمد بن عبدالله جاء يوما على حمارة له ؛ وقد جلا عن
ايمور فنزل في سفح الجبل الشاهق في شمالي الخ ؛ فاجتمع عليه هناك
الوقفاويون والايثسانيون والتاكانزيون والحريبيون الالفيون ؛ فصارت كل
قبيلة تقترح عليه ان يشرفها بالنزول بين ظهرايينها وانها قائمة به احسن قيام
فانتسب الشيخ عنهم فصار رؤساء القبائل يتجادبون الحديث حول ذلك ؛
وكل يريد ان يستبد بالشيخ ؛ ولكنهم حين لم يتفقوا بمجاذبة الكلام ؛ شاور
بعضهم بعضا ؛ وكادوا يميلون الى امتشاق الحسام لولا ان اسرع اليهم ذلك
السيد المنتدب عنهم فهدهم ؛ وربط على قلوبهم بهيبته ؛ فامر باقامة صلاة
العصر ؛ وكان وقتها حائنا ؛ فاصطفوا وراءه ؛ وقد نبذوا ما هم فيه ؛ فما كادت

الصلوة تنقضى حتى علت في جنوبي مصلاهم ذاك ؛ طلقنا من البارود ترى
 مننى فالتفت اليهم - وقد سلم من الصلاة - فقال لهم ماذا ؟ فقيل له ان هناك
 في قرية دو كادير رجلا صالحا كان مريضا . ولعله توفي الآن - والعادة ان
 الطلقين لاتتابعان كذلك الا اذا حدث امر غير عادي فقال لهم ان الاولى بسنا
 الان ان نعتم اجر الصلاة على هذا الرجل الصالح اولا ؛ ثم بعد ذلك ننظر فيما
 اختلفتم فيه ؛ فقام يقدم ذلك الجماء الفقير ؛ فواروا الرجل الصالح سيدي
 احمد الفقير - وهو اسم ذلك السيد المتوفى اذ ذاك ثم لما نفخت الايدي من
 القبر وتمت سنة التعزية التفت الشيخ الى الحاضرين فقال لهم: انسى
 نازل في هذه القرية المتوسطة بينكم جميعا ؛ فاكون كائني نازل بين ظهراني كل
 قبيل منكم ؛ فرضي من حضر بذلك ؛ وتفرقوا على احسن حال ثم ان ذلك
 المصلي الذي صليت فيه العصر ؛ لا يزال يسمى الى الان (اكن نناكزين) ويقولون
 انه سمى بذلك اضافة لتلك الصلاة العصرية التي صلت فيه اذ ذاك
 (شعب العصر)

ويقولون ايضا ان ذلك الصالح المتوفى سيدي احمد الفقير كان اهل القرية
 الحريليون الذين آووه للتبرك به وللتيمن بوجوده بين ظهرانيهم ؛ قالوا
 له وهو محتضر وهم حوله سيكون لمن تركنا وراءك ياسيدنا ؟ فاننا سنصبح
 بعدك في مضيعة اذ نعدم منك مرشدا بارشاده نهتدي في السبل ؛ فقال لهم
 لاهلكه لاتضيعون ؛ فلاندفنون احمد الفقير حتى ياتي اليكم الله باحمد آخر
 هذه هي الحكاية المتداولة المتواترة التي تذكر سببا لسكنى صاحب
 الترجمة في هذه القرية ؛ ونحن لانرى في كل هذه الحكاية ما يعد مستغربا
 بل كلها في دائرة الامكان ؛ وان كنا نرى في بعض حواشيهما ذيو لا ممانعه
 مثله في الاساطير ولكن التاريخ فلما يسلم من امثال هذه الاهداب المذهبة
 السماعة

هكذا استقبلت قرية دو كادير هذا الرجل المبارك الذي يقود اليها بحمارته
 من الصلاح والعلم والدين والعمران مالا يقوده كثيرون ممن يقبلون السى
 مكان بجياد جرد عناق .

تلقى الحريليون اصحاب القرية ضيفهم بكلتا اليدين واستهلوا فرحا
 باختياره قريتهم الضئيلة دون تلك القبائل التي كادت تتناحر دونه ؛ فقاموا
 بقضهم وقضيضهم فبنوا داره ؛ وافسحوا له في مزارعهم وحقولهم . فعينوا
 له مواضع منها ؛ فاستقر باولاده في القرية ؛ وطاب له المقام ؛ ولاشك انه
 بابتعاده عن ذوى رحمه بايمور يجد سعة وفسحة مما لا يمكن ان يجدهما بين ذوى
 رحمه ؛ ورحم الله عمر الذي كتب الى ابي موسى قل لذوى القربى يتزاورون
 ولا يتجاورون

ثم ان هناك حكاية اخرى تؤثر بعد ان استقر صاحب الترجمة بسدانه

الجديدة وبعد ان راي من جيرانه الجدد اكبارا واحتراما ؛ لايراهما لو كان لايزال بايمور ؛ او ليس انهم اسسوا له منزلا بين منازلهم ؛ وجعلوا له حقولا ومزادع بين حقولهم ومزارعهم غير انهم بعد شهور كثيرة ؛ صاروا - كما يحكى الحكاؤون- يشاهدون منه مصائب تصيب بها نهمهم وما شئتهم ؛ فكل بهيمة اوشاة افلتت الى حقوله او مزارعه لانقلتها مصيبة عاجلة ؛ فتكرر ذلك مرات ؛ حتى اتدى اهل القرية يوما ؛ فاجالوا القداح بينهم لعلمهم يقعون على دواء ؛ فقال ذو راي منهم ان هذا السيد مادام يصاب ولا يصيب ؛ وتقلت ماشية الناس الى حقوله ؛ ولا ماشية له هو تقلت الى حقول الناس لايزال الامر كما ترونه ؛ والدواء الوحيد ان تجعلوا له ماشية كما لكم ماشية فلا بد ان تقع ايضا ماشيته في حقولكم ومزارعكم غلطا ؛ فتساوى الكفتان فيزول ما ترونه لامحانة ؛ فاتبع اهل القرية راي هذا الرجل الخبير ؛ فجمعوا ما بينهم صرمة من غنم ساقوها الى الشيخ ؛ فانقطعت تلك المصائب ؛ وعادت المواشى الى عاداتها ؛ فلم يسمع بعد بضرر الم بها ؛ هذا ما يحكى نسمعه لك ايها القارىء الكريم ؛ كما اسمعناه من هم اكبر منى ومنك ؛ ولك الخيار في القبول والرد وما على انا كمورخ الا ان ابلغه اياك .

اخبرنى العم ابراهيم بن احمد ان الجدد سيدي احمد بن عبدالله ؛ كان في عمره كله لا يهتم بتنايل الاملاك من جديد بعد ماورثه عن ابيه ؛ قال ولم نر له رسما واحدا في ذلك ؛ بل ما كان يهتم باقامة الزاوية بالغ ؛ يحمل الناس الى الانحياش اليها ؛ ولم يتنايل كل هذه الاملاك التي بايدي احفاده ؛ ولا اقام الزاوية وشمانها كما ينبغي ؛ الا ولده على بن احمد ؛ واما والده احمد فقد تبلغ بما تيسر مكتفيا بذلك ؛ منحاشا الى المسكنة والانقباض ؛ هذا معنى مقاله العم ؛ وكان هو وحده من صار اليه خبر من مضى من اهلنا ؛ وحين كان بهذه المثابة ؛ وكانت هذه شهادته في صاحب الترجمة فلنكتف بها

رايت انه تزوج نحو سنة ١٠٢٣هـ والغالب ان يكون في ذلك الوقت ابن عشرين اوفوقها بقليل او تحتها بقليل ؛ ولذلك حزرنا ولادته بسنة ١٠٠٠ وهذا هو الغالب ان يتزوج فيه الناس ؛ وان امكن ان يكون اكبر من هذا ؛ وان تكون ولادته قبل الالف ؛ وان كان الغالب ما حزرناه لانه اصغر من اخويه محمد وبلقاسم كما قيل وقد عرفنا انه اُمى لا يشتغل بالقراءة التي يتاخر بها الزواج في الغالب بهذه البلاد ؛ واما وفاته فلانكاد نهندى الى وقتها ؛ ولم نجد على ذلك الا ما يفيدنا الوهم فقط ؛ فقد راينا ولده عبد الله في رسم كتب سنة ١٠٦٣هـ ينادى فيه على من كان تحت ايديهم متخلف امه مريم بنت عبد الله بن عيسى البعقيلي وقد توفيت اذ ذاك كما دل عليه ذلك الرسم تضمنا ثم لم يذكر في ذلك الرقم ما يشعر بان والده توفى اذ ذاك ؛ وكذلك راينا لآخيه

محمد بن عبدالله بن سعيد ايضا رسما آخر كتب سنة ١٠٧٨ هـ يشهد فيه اخوه محمد انه اقتبس اخاه احمد بن عبد الله صاحب الترجمة - بعض ما كان لزوجته مريم في ايام والده ولم يتعرض فيه لوفاة سيدى احمد؛ بل الذى يتوهمه منه القارىء انه لا يزال حيا اذ ذاك وان هذا الرسم كتب فى مقابلته ولكن هذا انما هو وهم فقط؛ وايا كان فلم نهتد الى وقت وفاته تحقيقا واطنا الا ما كان من العم ابراهيم؛ فانه ذكر ان وفاته فى آخر العشرة الثامنة؛ ولذلك رايتنا وضعنا رقم الوفاة نحو ١٠٨٠ هـ

ثم ان هناك حكاية اخرى ان ثبتت فان وفاته تتأخر ايضا عن سنة ١٠٨٠ هـ وهى ان بعض المسنين ممن يجولون فى الاخبار حكى لى ان السلطان مولانا الرشيد مر بالغ بعد ماقوض دولة ايليج وشنت شملها؛ فطاف بجانب صاحب الترجمة بنىء - ولم يستحضر ذلك كما هو - فانس منه مصيبة حملته على تخمين ظنه به؛ واكبار مقامه .

هذا ما حكاه لى هذا المسن فان صح هذا فان وفاته وراء رجب من سنة ١٠٨١ هـ لان الرشيد القى كلكله على ايليج فى ربيع النبوى - كما وجدته مقيدا فريض فيها اربعة اشهر حتى خرب دار بودميعة؛ ولم يدع فيها حجرا على حجر؛ ولا سقفا قائما؛ ولا بابا فى محله؛ فيكون رحيله فى شهر رجب من هذه السنة ان حسبنا الاربعة اشهر؛ فيكون مروره بالغ فى طريقه الى نارودانت فى اثناء هذا الشهر . هذا ما يمكن لنا قوله فى حين وفاته؛ وذلك كما ترى وهم فى وهم ولم نخرج بعد كل هذا البحث الا بمثل ما دخلنا به من الشك فلو شاعت هذه الحكاية الاخيرة شيوعا يستثير الظن لان كانا عليها فى طريقنا الى هذا الحزر؛ ولكن كفى بها ضعفا أننى لم اسمعها الا من واحد من غير أهلنا ولصاحب الترجمة من الاولاد (١) عبد الله المذكور (٢) محمد (٣) على (٤) ابراهيم (٥) مسعود (٦) الحسن (٧) موسى . فاما موسى ومسعود فلا عقب لهما؛ واما الحسن فقد عدا عليه اخوه ابراهيم وقتله فى ايام والده؛ فخلف الحسن عقبا يسكن اليوم بايمور؛ ولكونهم لم يرثوا جدهم صاحب الترجمة بسبب اعمامهم الذين حجبوهم؛ لا يدكرون فى اولاد الشيخ؛ ولا يتناولون من نذور مشهده حتى نسي انهم من اعقاب صاحب الترجمة .

ومن العجب ان العم الذى هو ماهو فى انسابنا؛ ومن املائه كتبت فى غير هذا الكتاب (١) جميع اعقاب صاحب الترجمة الى اليوم؛ لم يعرف عن هؤلاء انهم من اولاد الحسن بن احمد؛ حتى نبهه الى ذلك ولده الاستاذ عبد الله بن ابراهيم؛ استاذ مدرسة ايمور اليوم .
واما الباقي من اولاد الشيخ؛ فهم (١) عبد الله (٢) محمد (٣) على (٤) ابراهيم فاعقبوا كلهم خيرا كثيرا .

سیدی محمد بن عبد اللہ

نحو ۵۹۸۰ نحو ۵۱۰۶۰

هو اكبر اولاد الشيخ سیدی عبد الله بن سعید ؛ ویدگرایضا بالصلاح
وقد استقر فی جهة (كاور) وله دار فی كاور وفي (تلات غزبن) وفي اكادیر
(ازری) ولايزال الناس یرون من ضریحه حیث مشهده فی (كاور) مايدل علی
ان له روحانية عجیبة ؛ ولها احوال غریبة ؛ وتقام علیه حفلات سنویة الی الیوم
وله اولاد كثیرون ؛ عقبهم الیوم فی (اكادیر ازری) وفي (تركا اخضیر) وفي
ایت (بوصحیب) ؛ (ادبران) وبعض اهل (اکرض افقر) وفي (تاکانزا) وفي
(انویدر) وفي (تأحووات) وفي (دوتمروت) بـ (آیت وققا) وفي (ایمور)
وهم انمی من أبناء عمیهم احمد وبلقاسم



سيدي علي بن احمد الالغي

نحو ١٠٥٠ هـ بعد ١١٣٠ هـ

نسبه

علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن بيورك .
كنت رايت في ترجمة والده انه لم يزد على ان انتقل الى الغ ؛ ولم يتائل
فيه مزرعة جديدة بالشراء ؛ وانما اكتفى بما يدره عليه ماتصدق به آل القرية
ولا يزال حقل كبير حول هضبة (اوسايك) ينسب له الى الان ويسمى اودري
ولعله هو الذي تصدق عليه به من الحربيليين ؛ كما لا تزال داره التي اسمها
له من تلقوا نزولهم بينهم بكلنا اليدين ؛ مشهورة الى الان

خلف صاحب الترجمة والده ؛ فوجد لاهله امامه ذيلا ممدودا من الاحترام
من جيرانه ؛ فاتم الله عليه نعمته ؛ فزاده شرفا الى شرف ؛ وقد كان آل
(تاكانزا) جلوا عن وطنهم بسبب ما ؛ فاستردهم اليه بوجاهته ؛ وكان مقامه
عند الحربيليين مقاما كبيرا ؛ وسترى في بطاقة كتبها اليه عبد الرحمن الساموكي
في شان آل سيدي احمد الفقير - وقد نشرناها في ترجمة هذا الاتية - ذلك
الخطاب العظيم الذي يخاطبه به امغار قبيلة ساموكن ؛ وقد وافقت ايامه
العصر الاسماعيل الممتد ما بين ١٠٨٢ هـ الى ١١٣٩ هـ فقد مرتنا في ترجمة
الجد ما يدل على ان هناك ظواهر اسماعيلية لهذه الاسرة ؛ ولانشك في ان عليا
هذا هو الذي تلقاها ؛ لانه رئيس الاسرة السعيدية ؛ التي كان لها في زمانه
مقام سام بين جيرانها ؛ وقد وقفت على رسوم صدقات كثيرة ؛ من الحربيليين
الساموكيين وغيرهم لزواية صاحب الترجمة ؛ وان كان جل ذلك كله منسوبا
لوالده ؛ ليتأتى لآخوانه اجمعين ان يتوصلوا منه بحفظ ؛ وهذا مما يدل على سمو
نفس ، وعلو همة ، وسلامة سريرة ؛ قال العم ابراهيم : ان هذه المعاريف (١)
التي تقام على مشهد سيدي احمد بن عبد الله من آل (اداي) و (تاجارمونت)
وامتضى و(تاكانزا) وغيرهم انما تنافس هؤلاء بها طلبا لعلو الشان ؛ كما
طابت ايضا نفوسهم بحبوب وثمار بكيل معلوم على كل اسرة ؛ يعينون بها
سنويا الزاوية الالغية ؛ قال : وهو الذي حمى أكادير نيت على لآل مريبيض ؛ وعين

(١) حفلات الطعام العامة على مشاهد المعتقدين والمفرد معروف .

لهم صنجة يزنون بها ومكيلا يكتالون به ؛ ودعا لهم فيه بالبركة ؛ ثم لم يزل ذلك معمولاً به الى سنوات الاحتلال حين حدث الكيلو والعبرة الفرنسيان منذ عام ١٣٥٤ هـ وهو الذى حوى بسببه زاوية والده سيدى أحمد الالغية هذه ؛ والمسكن التى يسكنها صاحب الترجمة ازاها ؛ وهاك رسماً مصححاً من تصحيف فى عبارته :

اتفقت جماعة اهل الجرفة الحربليون - وهم آل (تاكازرا) وجماعة بنى وبقا وجماعة آل ابقشان ؛ على المصالح فى زاوية الشيخ الول الصالح المرحوم بالله السيد احمد بن عبد الله بن سعيد المرابط بتظاهرين اصلاً ووجاراً ؛ وفى دار بنه السيد على بن احمد بن عبد الله على امر السراق وغيرهم مما لا يليق بين المسلمين ؛ فجميع من سرق شيئاً فى هرى الشيخ وفى دار ابنه المذكور يعطى لثمان قبيلته اثني عشر مثقالاً ؛ كما يعطى السارقون من الحصون ؛ ومن سرق شيئاً ايضا فى حوزة حرم الشيخ وساحته وفى حرم الدار يعطى ايضا مثقالاً واحداً ؛ اتفقوا كلهم على ذلك اتفاقاً كلياً برضاهم رضا تاماً ؛ فكل من حام حول ذلك الحمى فلا يلومن الانفسه ؛ فى رجب ١١٣٠ هـ محمد بن محمد ابن عبد الله بن يوسف بن حسين الميمونى الايسى ومحمد بن احمد بن ايسى القاسم بن عبد الله من النسب اه بعد ما اصلحت فيه كلمات وهذبت عبارات وهكذا تعينت الزاوية العليا وصارت لها حرمة رسمية بين جيرانها؛ فباويع من حدثته نفسه ان تمتد يده الى شىء منها ؛ ثم لا يزال الحال على ذلك الى زمن الاحتلال ١٣٥٢

كانت دار سيدى احمد بن عبد الله مبنية فى القرية السليمانية ؛ وهى لانزال الى الان شاخصة ؛ ثم لما دفن سيدى احمد فى دار البرج كما كان اذ ذاك يسمى ؛ وبنى عليه مشهد ازاها مسجد ؛ بنى صاحب الترجمة داره ازاها المشهد ؛ واتخذها دار سكناء ؛ واختار تلك السعة لئلا يضيق على اخوته فى مساكنهم فى القرية السليمانية ؛ ولا يضيقوا عليه ؛ وهذا المشهد وتلك الدار هما اللذان رايت من الوثيقة المتقدمة ما جعلته لهما القبائل الالغية من الحرمة

اكتت لانزال تذكر تلك الوثيقة الكبرى المتقدمة فى ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد اتنى وقها ثمانية عشر عالماً ؛ انها كتبت فى ايام صاحب الترجمة ؛ ويغلب على الظن أنه هو الذى طلبها منهم ؛ وانهم ما وصفوا من ذرية الشيخ عبد الله بن سعيد الا ما رواه من هذا السيد صاحب الترجمة ؛ وبذلك نستدل على ان له فى مصالح المسلمين سعياً حثيثاً متواصلاً حتى يصح لسه الاتصاف بتلك الاوصاف العلية التى وصف بها خلف الشيخ ايسن سعيد فى تلك الوثيقة .

ثم ان لصاحب الترجمة اربعة اولاد (١) بلقاسم (٢) محمد (٣) احمد (٤)

عبد الله ؛ وكلهم اعقبوا بعده كما سيمربك فيمن يصلح ان يذكر منهم ان شاء الله .

ثم اننا رمزنا لوفاة صاحب الترجمة بانها وقعت بعد سنة ١١٣٠ هـ والذي حملنا على ذلك ماتبيناه من التاريخ الذي في تلك الوثيقة المتقدمة ؛ ثم انه في سنة ١١٥٢ هـ لم يكن والله اعلم حيا ؛ لانك رايت فيما كتبناه تحت رقم ٥٥- من الظواهر الملحقة بترجمة الجده ان الذي حضر هناك ولده احمد بن علي مع بنى عمه ؛ والغالب انه اذ ذاك لم يعيش بعد ؛ او كان شيخا كبيرا لا يقدر غسل السفر ؛ والله اعلم .

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١٠٥٠ هـ فيشمل ذلك العقد الخامس والسادس من القرن الحادى ؛ توهمنا ذلك لماربناه من تصدده على اخوته ؛ وتولييه الزاوية بينهم ؛ وشفوفه عليهم مع وجودهم ؛ والغالب ان لا يكون كذلك الا اذا كان من كبارهم ؛ ولانستحضر الان ترتيب اولاد سيدى احمد بن عبد الله فى السن ؛ لنعلم منزلته بينهم ؛ وان كنا نستشف وراء ما يهر بين ايدينا ان اخاه عبدالله بن احمد اكبر من على هذا ؛ ثم على ؛ ثم باقى اخوته وكيفما كان ؛ فالذى يظهر لنا ان ولادته فى نحو ١٠٥٠ هـ ان لم تكن قبل ذلك بكثير . هذا ما امكن لنا فيما يتعلق بسيدى على بن احمد رحمه الله ورضى عنه .



سیدی عبد الله بن احمد الالغی

نحو ۵۱۰۴۰ بعد ۵۱۱۰۲ هـ

سبہ

عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن بيورك .
كنت يوما اطالع الطبقات للحضيكي ؛ فوجدت فيها في ترجمة سيدي محمد
ابن محمد الحضيكي صنو جد المؤلف ما يأتي .
واخبرني الفاضل الولي الصالح عمنا الشيخ السيد محمد القشاني انه
بان عنده مرة هو والرجل الصالح عبد الله بن احمد حفيد الولي سيدي عبد
الله بن سعيد التظهريني ؛ قال فعقدنا النية على زيارة صالحى (أسا) من
ناحية الصحراء فلما كنا بالطريق اشتهينا الطعام والفاكهة فقلت لهما اما انذا
فما معنى شيء ولكن تركت المزود في دارى معلقا على الوتد ؛ فمن قدر ان ياتينا
به منكما فليفعل ؛ قال فقام الفقير محمد الحضيكي ؛ فقال باسم الله فاخذه
براس عكازه وهو لا يبرح من مكانه ؛ ونحن جلوس فاكلنا ؛ فلما رجعنا من
زيارتنا وقع لنا مثل ذلك .

اذن كان سيدي عبد الله بن احمد ممن اشتهر في عصره بما يشتهر به
العباد والصالحون في العادة من اصحاب الكرامات ؛ فقد افادتنا هذه الحكاية
انه ممن يظن به انه قد تخرق له العادة ؛ فاردت ان اشفع ذلك بما لعله يعرف
عنه بين اهاليها ؛ فسالت جهينة اخبارنا : العم ابراهيم ؛ فذكر انه كان مشهورا
بالصلاح والعبادة والتنسك والقناعة بما تيسر في عصره ؛ ولم يوشر عنه
الاهتبال بتائيل الاملاك كما اثر عن اخوته ؛ وقد اشتغل بخويصة نفسه
وباستقلال ما ورثه عن ابيه وامه ؛ قلت اننى وقفت على رسوم تبريحات
متعددة له حول ماصار اليه من ارث ابيه وامه ينادى فيها على من اعتمرها
من آله ؛ وللإختصار لم نجلبها الى القارىء وقد وقفت ايضا بين الرسوم على
بطاقة بخط الاستاذ القاضى سيدي عبد المؤمن بن محمد الايفشاني ؛ وهى هذه
كُتبت فيها شهادة لبعضهم

(اعترفت زوجة ولدى عبد الله وهى حواء بنت على بن الحسن الحريلبية ؛
واقرت على ان ما وضعته بوجه الامانة بيد المرابط سيدي عبد الله بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد التهاى من ايمور ؛ من ثوبين قبضت جميعها ؛ وانها لم

تضع غيرهما عنده ؛ وبه كتب برسم الاشهاد عنها بذلك فى تاريخ ١١٠٢ م
عبد المؤمن بن محمد بن على بن محمد وفقه الله بمنه .

تأمل هذه البطاقة فنفهم منها ان صاحب الترجمة كان مقصودا بالودائع
وان امانته اهلته لذلك ؛ ثم نفهم ايضا انه كان لايزال حيا فى هذا التاريخ ؛
لان الغالب ان هذا الابرء لو كتب بعد وفاته ؛ لترجم عليه كاتبه ؛ كما هو
العادة ؛ ولذلك رمزنا لزمان وفاته بعد هذه السنة كما رمزنا لولادته بنسخ
١٠٤٠ هـ لان هناك فى رسوم تبريجاته ما هو مورخ بـ رجب سنة ١٠٦٣ هـ
والغالب انه لايتولى ذلك بنفسه الا من له ما فوق عقدين ؛ ولايتهم رشده فسر
العادة الا بذلك ؛ وامه مريم بنت عبد الله توفيت قبل ١٠٦٣ هـ لانا راينا
قام يتطلب اذ ذاك بمتخلفها وحفظها بين اخوتها .

ويظهر من حاله انه وان كان فى سمة الصالحين ؛ كان مشتغلا باقامة
اسباب معاشه ؛ ذاذا عن حظه يدكل من يمتد اليه ؛ وكونه لم يشتر هس
بنفسه شيئا كما قال العم ؛ لاينافى هذا وهذه الحكاية بنفسها هى حالة حياة
مرايطنا ؛ دين وصلاح فى ضمنه الكد وراء الحلال ؛ لئلا تمتد يدهم فى فاقة
الى استجداء .

واستف ترب الارض كميليرى له على من الطول امرؤ متطول
حكى العم انه لما اظلم اجله ؛ اقترح على اهله ان يزيروه قبر جده بايمور
فحملوه وهو مريض ؛ فباتوا به فى قرية (سلات) فاجتمع اليه اهل القرية ؛
فطلب منهم فى آخر المجلس ان يفضلوا بحمل قنطرة من قريتهم الى ايمور ؛
فما اصبح الصباح ؛ حتى فاظت نفسه ؛ فكان هو القنطرة المحمولة على ايدي
اهل (سلات) الى ايمور ؛ فدفن ازاء قبر الجد ؛ رحم الله الجميع

ولصاحب الترجمة من الاولاد ثلاثة سليمان وصالح ؛ وحسين ؛ وكلهم
اعقبوا غير حسين الذى مات عزبا ؛ وسترى بحول الله ترجمته فيما بعد

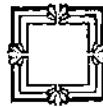


سیدی حسین بن عبد الله الاعلی

من اهل القرن الثانی عشر

نسبه

حسین بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعید بن حسین بن یبورد .
هنا من اولاد المتقدم ؛ وتوثر عنه بركة ؛ وكان سیدی الحاج عبلا بن صالح
یرفع من شأنه ؛ والناس كذلك یقصدون ضریحه ، بالزیارات والندود ؛ خصوصا
من كان ذا ارب فی النسل ؛ فانهم یرون انه مجرب لذلك ؛ وذكر العم انه
مات عزبا عن غیر عقب ؛ ولذلك یستأثر عصبته بنو صالح بما ذبح علی قبره
وهو من اهل القرن الثانی عشر ؛ ولم نعرف عنه غیر ذلك الآن .



سيدي احمد بن على الاغمر

قبل ١١٠٠ هـ بعد ١١٥٢

نسبه :

احمد بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن ييورك .

كان والده على بن احمد رئيس الزاوية الالغية ؛ كما قرأت ذلك في ترجمته ثم بعده تولاهما احمد هذا ؛ ولكنه كما يظهر ليس له من خصال جدوده الا انه يجول في مسلاخهم ؛ ولم يوتر عنه اى شىء ؛ كانه لم ينحدر من تلك الاصلاح التي تركت افعال اصحابها دويا لايزال يدوى الى الآن ؛ واطنه كان ككثير من ابناء الصالحين من ارباب الزوايا ؛ ورث جاها وحرمة واعتقادا ؛ فاراد ان يستغلها من غير عمل جديد يضع به لبنة في الجدار ؛ وكفى من خموله ان لم اسمع به يذكر الا في الوثيقة التي وضعناها تحت رقم ٥٠ - في ترجمة الجد وهو احد الثلاثة الذين ذكروا فيها ؛ والا في خبر سقط الى ايضا اخيرا ؛ وذلك ان بعضهم ذكر في معرض حروب بعقيلة ومجاط ؛ ان بعقيلة علا كعبها مرة على مجاط ؛ وصاروا يتوصلون منهم بالاتاوة على راس كل سنة فسافر امغار على بن باها بمجاط الى (تامانارت) ليمتار لاهله تمرا ؛ ولكنه طرق اذنه من ملعب التامانارتيين اشعار شلحية من النظامين ؛ يخزون مجاط باسفاف الهم وموت النفوس حين جعلهم البعقليون مطايا ذللا يمتطونهم كيف يشاءون فلم يطلق امغار على ان يصبر بعد ؛ وقد استشرت منه النخوة ؛ وجرح منه الشعور جرحا يتدفق دماء حارة ؛ ففارق (تامانارت) من غير ان يتذكر الحاجة التي ورد بسببها فمر برئيس زاوية الغوهو صاحب الترجمة فكشف له عن عجره وبجره ؛ وقال له ادع لي ؛ فانتى انوى مغامرة ؛ فاما القبر واما الممد فدلله سيدي احمد على ان ياتى الامر من بابه ؛ فامر ان لا يستبد بذلك عز رئيس ايلغ - ولعله احمد بن محمد بن بومديعة اليلغى اوولده سيدي يع وهو آنذاك كما استرد شان ايلغ وجالت يده من جديد بين القبائل ؛ وكان مشواه ملتقى عاما ؛ وندوة للرؤساء متسى ارادوا ان يتراءوا فى امورها ما يريدونه من المصالح ؛ وقد تقلصت ايضا ذبول الحكومة منذ نوفي مولد اسماعيل ؛ وكانت يد السلطان سيدي محمد بن عبد الله ؛ لما تطل ايضا على هذه القبائل .

ذهب امغار على بن باها ؛ ففاوض الرئيس الايليغى ؛ وقال له اننا لانصبر بعد لاداء هذه الاتاوات باى وجه ؛ واننا لناجزون بعقيلة حتى نردهم عنا وعن حرماننا صاغرين ؛ فقال له الرئيس ما هكذا ياسعد تورود الابل ؟ وما هكذا تساس الامور ؟

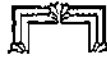
ان الحيلة فى مثل هذا - وقد استشرتني ووضعت فى ثقتك - افضل لما ترمى اليه والتدرج اسهل واقرب الى السلامة ؛ اذهبوا الى اصحابكم واطلبوا منهم ان يتجاوزوا لكم عن هذه الاتاوة فى هذه السنة ؛ وتطلبوا عذراتا لتلقونه اثم ؛ ثم عدوهم ان توفوهم السنة القادمة اتاوة سنتين فى واحدة ؛ فيطلبون اذ ذاك مشاورتي ؛ فسارمى بحجرى معكم ؛ واستحسن ذلك ؛ فهكذا فعلت مجاط فقالت لها بعقيلة سنتنظر فى ذلك ؛ ثم نرد اليكم راينا الاخير ؛ فقالوا فيما بينهم ليس عندنا ما نبرم حتى نراجع الايليغى فالفقوا اليه الحديث ؛ فقال لابس بالنظرة ان استعسر اصحابكم فهى اولى من مغالبة لاندرون فيها لن الانتصار ؛ فقال ذو راى من بعقيلة ان هذا امر تدبر بليل ؛ وما طلب تاخير هذه الاتاوة فى هذه السنة الا علامة ان القوم بدا لهم راى آخر ؛ وعزيمة جديدة ليزيلوا بها هاماتهم من تحت ايدينا ؛ قال الحاكى فكان ذلك اول ما انفكت مجاط فى ذلك العهد من بعقيلة ؛ بمعاونة الرئيس الايليغى ؛ وببركة مشاورة سيدى احمد بن على اوسيدى يحيى ثم كان ذلك ايضا اول افتراق بين ايليغى وبين بعقيلة ثم امتد آخر الدهر ؛ ثم ان بعقيلة آنست من اصحابها تمرا ؛ ورفع الجباه مما يدل على ان رفع الاتاوة فى تلك السنة معناه قد انتهى ذلنا منذ هذه السنة ؛ قال فصارت بعقيلة تقتل لمجاط فى الذروة والغارب ؛ وتربص بها يوما يمكن ان تصبجها فيه بغارة ملحاح لاتبقى ولا تذر .

كان فى (وانكيسا) رجل يلقب (بزم) وكان من روساء بعقيلة ؛ فصارىختلف الى (ازغار) كانه يخطب هناك امرأة ؛ وهو فى السرية سرية كبرى يحتاج بها (تيزلمى) فى مرة ذهب مع روساء امثاله كانهم ياتون بالعروس ؛ فامسر بطحن زرع كثير وخبزه ؛ وفى وسط ليلة جاء ومن معه يقدمون آل ازغار ؛ ثم يجرون كل من مروا به من البعقيليين ؛ وقد تعرضت بفال موقرة خبزا فى ثنية هناك ؛ فتناول من الاخباز التى فيها ماتت من المغاوير الاشداء خبزة خبزة وعند انبثاق الفجر ؛ كان الجيش يتجاوز التخوم ؛ ويخوض فى بحبوحة (تيزلمى) وقد طاف النهب والقتل بالاموال والنفوس ؛ فما متع النهار حتى تجاوزت الطلائع نازامورت ومجاط فى دهش المبغوت ينظايرون فرارا امام هذه الغارة الشعواء ؛ حتى تلاحقت جماعات من مجاط فى (كراما) فتوافقت هناك ؛ ثم صمدت للبعقيليين الذين اكتسحوا كل ما امامهم ؛ فوافقوهم ساعة ثم هبت نسمة من النصر لمجاط ؛ فمالوا على الآخرين ؛ وهم مغترون بما نالوه

صباحا ؛ فاقبلوا عليهم قتلا واسرا ؛ حتى ان فارسا قتل بالسلاح الابيض م
 (كراما) الى بسيف وانكيسا ٢٧ رجلا ؛ وقد انجلت الوقعة بتشتت شمل
 المغيرين ؛ وقد سقط منهم ٢٨٠ قتيلًا ؛ ثم انضافت وانكيسا كلها الى مجاز
 وصارت تخوم بلادها في اكادير نتزكتن ؛ وقد وضعوا فيه حرسا كثيرا ثم
 لم يزل الامر كذلك حتى كاد لهم البعقيليون بعد سنة بوقعة اخرى خر مس
 المجاطيين فيها ٢٠٠ من حرس ذلك الحصن ؛ فاستردت بعقيلة وانكيس
 هذه هي الحكاية برمتها ؛ وقد ذكر من حكى لي - وهو ممن يعرفون مايقولون
 انها مكتوبة هكذا عند بعض رجالات وانكيسا .

ثم ان سيدى احمد ان ثبت ان له في هذا العهد هذا الذكر ؛ فذلك يدل على ان
 طال عمره بعد اوائل القرن الثاني عشر ؛ لان هذه الحكاية - ان صح انه
 وقعت في ايام الرئيس احمد بن محمد الايليغى ؛ ولم تقع في زمن سيدى يع
 ولده او في زمن سيدى على حفيده - يظهر انها تاخرت عن سنة ١١٥٢ هـ والذ
 اعلم

واما ولادته فقد رمزنا لها بنحو ١١٠٠ هـ لاننا راينا انه هو الاكبر مس
 اخوته لتوليه امر الزاوية بينهم ؛ وتلك هي العادة المتبعة ؛ وقولنا نحو كذا في
 امثال هذه المواضع نقصد به العشرة التي قبل والتي بعد او اكثر من ذلك .
 وقد خلف صاحب الترجمة رحمه الله ثلاثة اولاد (١) الحسن (٢) محمد
 (٣) بلقاسم



سيدي عبد الله بن موسى الاوخضيري

نحو ١١٠٠ هـ بعد ١١٠٢ هـ

نسبه

عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد .

هذا هو جد بعض آل اكادير ايزرى ؛ وجاهه محمد بن عبد الله بن سعيد كان له ملك في قرية (كاور) بمجاط ؛ فانحاز اليه عن ايمور ؛ فوافاه هناك بجله وقبره هناك مزاراة مقصودة الى اليوم ؛ وهو جد آل اكادير ايزرى ؛ وقد اعقب اولادا منهم موسى والد صاحب الترجمة .

كنت رايت في الوثيقة الخامسة من ملحقات ترجمة الجدة ذكره مع سيدي احمد بن علي ؛ ومع سيدي صالح بن عبد الله بن احمد فظهر بذلك انه من تبار الاسرة السعيدية اذ ذاك ومن وجهاتها المذكورين ؛ لانه لايقف في امثال تلك المواقف الا الرجال المتفوقون في الاسر .

سالت عنه العم ؛ فقال لي انه من افاذ رجالنا ؛ وممن عضوا بالنواجذ على التراث السعدي ؛ وماهو الا الاقبال على ارشاد العباد ونصحهم والتفاني في مصالحهم ؛ مع اقبال في نفسه على ربه ؛ مجتنبيا للاسفاف الذي يتلى به ابناء الزوايا ؛ وقد كانت له سمعة وصيت في عصره ؛ واعتقاد من الناس يسوقهم الى اثنياب حضرته ويؤثر عنه من الاحوال ما تشنف به السامع في هذه الحلي حلاه العم حفظه الله .

ثم ان له دارا اتخذها في قرية تاركا اوخضير التي نسبناه اليها ؛ فحجب له سكنها فهناك قضى ما شاء الله من عمره حتى توفي ؛ وقبره مزاراة عند اهل تلك الجهة ؛ ويقيمون عليه حفلة طعام في راس كل سنة ؛ وهو من لدات سيدي احمد بن علي المتقدم ؛ ولذلك رقمنا له في الولادة والوفاة بما رقمنا به لذلك .

وله عقب كثير كما ذكرناه من آل اكادير ايزرى رحمه الله .

سیدی

ابراهيم بن بلقاسم التاگانزی

قبل ۱۰۹۰ هـ - ۳ - ۱۱۵۸ هـ

نسبه

ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد *

ابن عم المتقدم ؛ وكان بلقاسم من اولاد سيدى محمد بن عبد الله بن سعيد وله
هو خمسة اولاد (۱) ابراهيم صاحب الترجمة (۲) عبد الله ؛ وهو جد
المرابطين السعديين الساكنين بقرية (دوتمنروت) بايت وفقا (۳) محمد بن
بلقاسم ؛ جد مرابطى قرية انويدير (۴) الحسن جد مرابطى قرية تاحاواوان
(۵) على انقطع عقبه بعدما انتشر فى قرية انويدير *

ابراهيم هذا رجل صالح مذكور فى عصره وبعده ؛ وان كانت شهرته لم
تصل شهرة ابناء اعمامه الاخيرين ؛ كان متوطنا واولا فى قرية انويدير فبقي هناك
ماشاء الله ؛ وقد نشأ له اولاد ؛ من بينهم ولده على ؛ وكان يرعى غنم اهله
فتاور مرة رجلا امنوزيا تعدى عليه ؛ فاذا بالمرابط استاسد على ذلك المعتدى
فكان الله فى عونته ؛ فمزق احشاءه بطعنة ؛ فاجفل والده باسرنه عن تلك
القرية التى بنيت فى نحر امانوز وقد خاف على ولده الامانوزيين الذين لا
يعرفون المعتدى من المعتدى عليه ؛ ولا يعرفون الا ان ولدهم قتل ؛ فلا بد ان
يقتلوا قاتله ؛ فمهر بقرية تاكانزا ؛ فطلب منه اهلها ان يحط رحله بين
ظهراينهم ؛ ثم لايمس جانبه ماس باصبع ؛ فنزل هناك وقد تحول بكل مايملكه
ثم ان ولده عليا الذى اسكرته خمرة الغرارة ؛ لايزال يتناب الخ ؛ ولا يحسب
حسابا للامانوزيين ؛ فذهب به والده الى قرية اخواله آل قرية اكرض اقبو
فزوجه هناك ؛ قصد ابعاده عن بسيط الخ ؛ وقد كانت زوجة صاحب الترجمة
بنات داود بن الفقير احمد بن داود بن يوسف الحربيل التى استفرا
ترجمته ان شاء الله فيما ياتى

ثم ان سيدى ابراهيم بقى بين ظهرائى التاكانزيين الكرام مبعجلا محترما
موقرا ؛ الى ان التحق بربه فى ذلك التاريخ ؛ وتونر عنه احوال سنينة مما
نعرف امثالها من ابناء عمه الابرار ؛ وقد اعقب ستة ذكور .

(١) على (٢) بلقاسم (٣) محمد (٤) محمد (٥) صالح (٦) الحسن .

فاما محمد «ضما» فمات عن غير عقب ؛ واما محمد «فتحا» وصالح والحسن
فبعد ان انتشر لهم عقب انقرض ؛ فلاديار منهم اليوم ؛ واما على وبلقاسم
فمنهما انتشر ما انتشر ؛ ومن آل على كان الاستاذ سيدى على بن صالح الالفيرى
الذى ستقرأ ترجمته ان شاء الله فيما ياتى ؛ وهو الذى افادنا ترجمة جده هذا
واوقفنا على تاريخه جزاه الله خيرا .

ثم انه دفن فى تاكانزا فى مقبرة (تافراوت او كادير) ؛ وتقام له حفلتان
طعاميتان على راس كل سنة حفلة من اولاده ؛ وحفلة من الذين اكرموا مشواه
فى حياته ؛ ثم لم ينسوه بعد وفاته رحمه الله .



سیدی بلقاسم بن علي التیسیوتی الالغی

من اواسط القرن الثاني عشر الى اواخره

—•••••—

نسبه

بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن بيورك .
كان لسیدی علي بن احمد المتقدم اربعة اولاد تقدم منهم احمد وهذا اخوهم
بلقاسم واما محمد وعبد الله فلم يؤثر عنهما ما يذكر ان به .

بلقاسم هذا صنو عمه عبد الله مبداء ؛ فكلهما يؤثر عنه الصلاح والانزواء
الى التصوف ؛ والذي يظهر لي من حال صاحب الترجمة ان له مقاما ربما اوفي
على مقام عمه وقد ادركت ذلك من اخبار تنهال علي من اهاليها ؛ وقد اخبر
ان يتبذ عن قرية اهله ؛ فنزل في (تسيوت) وهو اول من اختط ديارهم هناك ثم
اورثها اولاده ؛ والغالب انه كان اشترى هناك اولاً من اهل الكجكال الذين لهم
اوساط بسيط الخ ؛ قبل ان يبيعوها لرابطينا هؤلاء ولكن بعدهم ؛ ثم تحقق
عندي انهم وهبوا له تلك البقعة ؛ فيكون ملكه هناك سبب نقلته عن قرية
اهله ؛ وهناك حكاية مهلهلة مما يلهج بامثالها في امثال صاحب الترجمة ؛ ولي
سبب نقلته تقول

انه طاف به امر وكرب شديد من قرية اهله ؛ فصار ينادى الاولياء
لينتظروا في حاله ؛ وليختاروا له مسكنا ملائما ينتقل اليه ؛ فاكثر من
الاستغاثة بهم اکتارا ؛ ثم انه طلع لجبل ايقشان الشاهق وهو ملتقى الاولياء
فيما يقال - ثم صار ينادى بأعلى صوته ؛ اين انتم يارجال الاغاثة فانبى في
ضيق وكرب شديد ؛ ثم اهوى براسه مضطجعا ؛ فوقف عليه بعضهم مناما
او يقظة فيما يزعمه بعض من حكي لي ؛ فقال له اهذا انت ؟ اهكذا يرقد من
كان مجزونا ويرفع صوته بالاستغاثة بنا ؟ قم لاريك مسكنك الجديد ؛ فراه
موضع قرية تسيوت ؛ كانه نقطة مثلثة في وسط هذا البسيط ؛ قال فكان
ذلك هو اول ماتبه الى سكنها ؛ فبنى داره ومسجده في بقعة وهبها له
الاکجکاليون ؛ ولا يزال هؤلاء يتداولون ذكر هذه الهبة الى الان . ثم استقر
القرار ؛ وطابت له السكنى ؛ ووجد هناك فسحة في قلبه وداره ؛ ما كان ليجد

مثلها في قرية دوكدير ؛ حيث بنو ابيه مقيمون ؛ يتراحمون على ما خلفه ابوهم سيدي علي ؛ وهناك حجر معلوم في جدار داره الاصلية يتبرك به الناس ويقولون ان احد الاولياء ؛ هو الذي اعطاه له ليحمله في داره ؛ وهو ظاهر في وجه الجدار المقابل لمسجده الذي اسسه ازاء داره ؛ وقد فتح اليها بابا من المسجد

ذكر العم ان صاحب الترجمة كان ساكنا في هذه الدار التي بالقريسة السليمانية وهي دار كان والده علي بناها قبل ان ينتقل الى مستقره الاخير بالزاوية العليا ازاء والده سيدي احمد بن عبد الله ؛ وهي بنفسها مسكن سيدي محمد بن ابراهيم السلامي - وستاني ترجمته - ولا تزال في ملك اولاد صاحب الترجمة الى الان ؛ وقد ابوا ان يبيعوها بعدما خوطبوا بذلك مرارا حافظوا عليها اثرا خالدا من آثار جدهم هذا ؛ وذكر ايضا من احواله انه صاحب خمول وديانة ؛ وافناء الاوقات كلها في الاذكار فكان ذلك مما شهره حتى صارت الوجوه تلتفت اليه ؛ لانهم يعرفون منه ما يعرفون من آباءه السالفين .

اقول يجول في ظني ان صاحب الترجمة ؛ مامال الى الانزواء في ذلك الممكن الجديد ؛ الا انه راي من ابناء ابيه مشيا آخر غير ما يعتاد من اسرتهم الكريمة من عهد الجد الاعلى ؛ فيحفزه ذلك الى ان ينتبذ عنهم كل الانبذ والله اعلم .

ثم اننا لم نتيقن بل لم نصل ولو بوهم الى وقت ولادته ولاوفاته؛ وانما يعرف انه ممن عاش في اواسط القرن الثاني عشر ؛ وانه توفي في اواخره .

وقد ظن العم ان وفاته تكون قبل ١١٧٠ هـ وعند الله علم ذلك .

وقد اعقب اربعة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) عبد الله (٤) ابراهيم وكلهم اعقبوا الا الاخير ؛ فقد انقطع عقبه بعدما انتشر ؛ رحم الله الجميع .

وقد وقفت على ان محمد بن بلقاسم المذكور توفي يوم الجمعة ١١-١١ عام ١٢٤٧ هـ وعلى وفيات بعض اولاده ؛ وهم مريم بنت محمد توفيت ليلة الاثنين ١١-٦-١٢٣٢ هـ واحمد بن محمد بن بلقاسم عند الظهر في يوم الثلاثاء ١٨-١١-١٢٤٠ هـ ومحمد بن محمد بن بلقاسم في السبت ١٣-١٢- عام ١٢٦٠ هـ وولد هذا عبد الله بن محمد بن محمد بن بلقاسم في الاربعاء ٢-١٢- عام ١٢٠٤ هـ وامرأة محمد بن بلقاسم المذكور فاطمة بنت ابراهيم في الثلاثاء ١٨-٢-١٢٦١ هـ .

وقفت على هذه الوفيات في طرة دليل الخيرات لهذه الاسرة ؛ فجمعتها هنا لغايتها .

سيدي احمد بن بلقاسم التيميوتى

نحو ١١٥٠ هـ - بعد ١٢٤٥ هـ

نسبه

احمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد بن حسين بن يبور
هذا ولد سيدي بلقاسم المتقدم ؛ وهو من رجال الخ في اوائل القرن
الثالث عشر ومن رجال الصلاح الذين تضرب اليهم اكباد الابن من مرابطينا
في ذلك العهد ؛ ورث من ابيه تالدا من الشهرة والاحترام ؛ فزاد هو مجدا
طارفا اشتهرت به قرية تيسوت الحديثة اشتهارا ؛ وكان ابوه يرتفع شأنه بمقدار
ما يحبه هو من الخمول ؛ ويتطير صيته كلما امعن تحت ذيل الانزواء ؛ فعاد
ولده فتلقى مكانة والده هذه بحالة حسنة ؛ وسريرة طيبة ؛ فكان من التابعين
له باحسان فارتفعت منزلته وعلا مقامه وكان له من المظهر الصالح الهادي
للدن الذي يجول فيه ما يستحق به ان تتخذ عتبة بابه متعلق الانظار ؛ وله
مع ذلك غرائب صدرت منه في عصره ؛ وراى برهانها منه الناس عيانا ؛ فسلموا
حاله ؛ وعلموا له منزلته .

هناك خوارق متعددة تتداولها الالسن ؛ ولما كنا في هذا الكتاب نتسكب
الاكتار منها ما امكن ؛ لعدم تثبت الرواة ؛ اضربنا عن ذكرها صفحا ؛ الا ان
هناك واحدة اشتهرت كل الاشتهار ؛ حتى صارت تحت كل لسان ؛ وفي ضمن
كل اذن ؛ وقد تلقيت بالتواتر ؛ فرأينا ان نسوقها

كان لصاحب الترجمة غنم في مرتبع ازاء (تاركانترماط) وكان لاهل ذلك
الموطن تعال وقوة ؛ لا ينتظرون بهما الى الضعفة كمرابطينا ؛ الا كما ينظر
المختال القوى الى خنفساء تعرضت امام قدمه في الطريق ؛ فعمد بعض رعاها
الى غنم هذا السيد ؛ وقد اقبلت للمورد فزادها عنه ظلما وعدوانا ؛ والساء
موجود ؛ والعين ثرارة ؛ وقد اصدر كل الرعاء ؛ فرجع الغنم بعطشه فبلغ
ذلك صاحب الترجمة فتار منه ما يشور من كل مظلوم ففرع الى الباب الذي لا
يفلق دون دعوات المظلومين ؛ فنفذ السهم واستجيبت الدعوة ؛ فاصبحت عين
اولئك الطاعين غائصة ؛ لا تبص بعد بفطرة وقد بذلوا كل الجهود في حفرها
بعد ؛ فاصبح الماء واقفا لا يجري ؛ فدامت تلك العين اثرا خالدا من آثار دعوات
المستضعفين .

هذه حكاية صحيحة رويت بالتواتر ولا تزال العين ماثلة شاهدة لصاحب

الترجمة بتلك الدعوة التي لم توصل ابواب السماء دونها

ثم انتشر لسيدى احمد بن بلقاسم مال واولاد شيوخا في ظل ذلك المجد الوريث

فصار الشيطان ينزغ بينهم وبين بنى سليمان معاصريهم في قرية (دوكادير)

فعدا عبد لصاحب الترجمة على ولد آل سليمان فارداه ؛ وكان ذلك نشأ

بين الاسرتين لما بينهما من المعاصرة والقربى والغنى - والاقارب دائما كالعقارب

ولا يبتك مثل خبير - وقد وقعت على وثيقة فيها فصل هذه القضية بخط الاستاذ

سيدى محمد بن عبدالله ابن الشيخ سيدى محمد بن احمد الحضيكي ؛ وهي هذه

(وبعد فقد حضرنا وتوسطنا بين اخواننا سيدى احمد بن بلقاسم من ذرية

الولى سيدى عبد الله بن سعيد التيطهاى من تيبوت ؛ وبين ابناء سيدى

سليمان المرابطين من (تحت الحصن) ؛ منهم سيدى ابراهيم بن سليمان واخوانه

وخالى احمد بن محمد بن سعيد وغيرهم في شان المقتول من ابناء سيدى سليمان

فاتفق رايهم على ان يقتلوا عبد سيدى احمد بن بلقاسم ؛ الذى قالوا انه هو

القاتل له ؛ فاذا قتلوه انقطع نزاعهم وانفصل امر الثار المذكور ؛ وانجز رايهم

ولم يبق بينهم شئ من دعوى مال ولا غيره الا تهمتهم لاولاد سيدى احمد بسن

بلقاسم بانهم هو الامرون لعبدهم بالقتل فمتى طلبوا منهم الحلف على نفسى

دعواهم ؛ استحلفوهوم ؛ طال الزمن او قصر ؛ وعلى هذا اتفق رايهم ؛ وتفصلوا

في ذلك القتل بذلك تفصلا صحيحا قاطعا ابدا مؤبدا واما ما كتبوه بينهم من

العرف الفاسد بحضور بعض اولاد سيدى احمد بن موسى فلم يبق عليه

الحال بينهم لكونه مخالفا طريق الشريعة المحمدية ؛ وكتبنا هذا بينهم فصلا

قاطعا للنزاع بينهم بتاريخ اواخر ذى الحجة عام ١٢٤٥ هـ عبد ربه محمد بن

عبد الله بن محمد الحضيكي بزواية الفلالى ؛ كان الله له

اقول ان خوولة مرابطينا آل سليمان لآل الحضيكي نشأت من ان مريم بنت

محمد بن سليمان تزوجها آل الشيخ الحضيكي

امتنح صاحب الترجمة في اواخر ايامه بهذه المحنة ؛ وكثيرا ما يمتحن

الاصفياء بامثالها الا من عصمه الله ؛ فلاندرى كيف تلقاها ؛ وكيف تجلد ازاها

وان كنا نتيقن انه مغلوب في آخر عمره باولاده ؛ فهم المسوردون المصدرون ؛

النقم الشيطان عقولهم فقادهم الى مايس من الهم ان ينقادوا اليه ؛ ولكن

الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الحضيكي اغاث الله به الاسرتين السليمانية

والقاسمية ؛ وهم يمتون اليه بخوولة ؛ فجزر الصدع ؛ واتى بحكمة القصاص

وفى القصاص حياة عند اولى الالباب

ثم انك رايت لا يزال حيا سنة ١٢٤٥ هـ ثم لم تطل به الحياة بعد ذلك ؛

وقد قال العم انه توفي حوالى ١٢٦٠ هـ وكيفما كان ؛ انه لم يعيش بعد ١٢٦٠ هـ

رحمه الله من رجل صالح لا يزال صيته يرن الى الآن ؛ وله من الاولاد

المعقبيين على ؛ ومحمد .

الفقيه سيدى سليمان بن محمد الالغى

نحو ١١٣٠ هـ - ٤-٩-١١٩٩ هـ

نسبه

سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا اول فقيه اعرفه من قبيلتنا السعيدية ؛ واول من بدا له ان يول وجهته مع قريته الاتى ذكره سيدى احمد بن صالح شطر المعارف ؛ فانفتح بهما باب جديد لاهالينا لم يلبثوا بعد ان ازدحموا فى عتبه ازدحاما يأخذ فيه البعض بعنق البعض - فى لجة امسك فلانا عن فل -

كانت القبائل الشمالية والايسية والتملية بل والايغثمانية ؛ يتالامها العلماء من ازمان ؛ واهلنا فى الغ فى نسك وعبادة وامية قد تجرف باللسان مايناه بالسبحة البنان واخيرا وفقت الاسرتان الصالحية والمحمدية الى ان يرسلوا اولادهم فى هذا الميدان ؛ فجاء سليمان بن محمد بن احمد ؛ واحمد بن صالح بن عبد الله بن احمد ؛ يحملان الى قومهما قبسا من العلوم ؛ فادركا به من الشاؤ ماظهر به للسعديين الذين لايعرفون الا الامية المتدنية ان للعلم شرفا خالدا ؛ ومجدا مؤثلا اكثر من شرف ما ورتوه عن آبائهم ؛ ومن المجد الذى عرفوه من قبل .

على ان صاحب الترجمة لم نقف من اوليته على شىء ؛ حين كان يتلقى القرآن ؛ وكدا نجهل ايضا استاذه فى العلوم ؛ لو لم تهدنا الصدف الى مخطوط قال فيه (ذكر شيخنا سيدى مسعود بن محمد المرزكونى كذا) وكنت قبل ذلك وقفت على عقد نكاحه فوجدته مكتوبا بخط هذا الاستاذ سنة ١١٥٦ هـ ثم عرفنا ان هذا الاستاذ من اصحاب سيدى احمد بن ناصر ؛ وانه كان يدرس فى سملالة ؛ وقد تخرج به الاستاذ سيدى محمد بن الحسن التوغزيفسى الشهير ؛ فوضح الصبح حينئذ لى عيين ؛ فعرفنا المنبع الذى استقى منه سليمان ؛ ومن اين تلقى تلك القبسة العلمية التى يتورها جيران الغ بنظر عال

اذا كانت سنة الكون تتمشى على نظام واحد ؛ وعلمنا انه من المستحيل العادى وجود نبات بلا بذرة ؛ ووجود دخان بلا نار ؛ فلا بد كذلك ان ننظر ما هو الحامل لهذه الاسرة المحمدية - آل صاحب الترجمة - حتى مالوا بولدهم ال

المدرسة من بعد ان كانوا لا يعرفون عن اهلهم الا المسرح لسوائبهم والحرب لعياداتهم فلنفتش اذن - عن المرأة - كما يقول نابليون - لعلنا نجد من ام سيدى سليمان ما يدعم لنا هذه السنة الكونية التي يذكر عنها انها لا تخرم فيما يزعم راجعنا ذلك العقد الذى ذكرنا اولاً انه محرر بقلم الاسناذ مسعود بن محمد المرزكونى السملالى فوجدنا اثناءه ان ام صاحب الترجمة سوهى عائشة بنت الطالب الحسن بن على التوييتى - وهبت لابنيها سليمان هذا وصنوه سعيد كل ما كان لها مما يسمى مالا من املاك وحبوب وعقار وخرثى الدار ؛ ما كان لها حينئذ وما سيكون ؛ وكذلك جهازها وحفظها من ايها ؛ وهبت لهما ذلك هبة تامة

اذن ام سليمان هي عائشة التوييتية ؛ وابوها هو الطالب الحسن بن على ؛ وقد كنا راينا فى الوثيقة الكبرى التى نشرناها فى اول ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد ؛ فقبها يسمى احمد بن على بن ابراهيم التوييتى ؛ فيكون اذن احمد هذا خال صاحب الترجمة ؛ ولذلك راينا فى تلك الوثيقة اول من عتد فصولها ؛ ثم اتبعه العلماء الاخرون فهو حينئذ انما يشيد بذكر اصهاره ثم جاء عطف اولئك العلماء ينفي من التهم ما لعله يتوجس فى مثل هذه الشهادة التى صدرت من هذا الفقيه لاصهاره فعائشة والدة سيدى سليمان هي التى ضرب عرقها فى ولدها ؛ فيزته الى اسرته لعلها ترى منه خلال خاله احمد بن على ؛ وشرقه العلمى ؛ اذن اتضح السبب ؛ وجاءت سنة الكون مدعمة بهذه النتيجة فسليمان العالم انما ورث العلم عن اخواله ولعل الطالب الحسن بن على عالم ايضا ؛ والطالب اذ ذاك يطلق على العالم ؛ وقد عرفنا ذلك من قصة سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ حين قال ان اهل بلادنا لا يسمون العالم الا الطالب فلان ؛ لكن بعد اقرارنا له بالعلم ؛ ما مقدار غور علمه ؛ وما هي المكانة التى تبوأها من بين علماء عصره ؛ اما آثار قلمه التى رايتها فى الرسوم ومخطوطات القسمات ؛ وفى اثناء سؤال رايته رفعه الى عالم ذلك العصر سيدى احمد بن بلقاسم انكرسيقى المفتى المتوفى ١١٨٠ هـ فانها تدل على رقة فى العربية ؛ يتبين ذلك من ثنايا عباراته المهلهلة التى يتعثر فيها البراع عشرة بعد عشرة ؛ واما منزلته فى عصره ؛ فهي منزلة متوسطة ؛ لانه لا يدلى بينهم بالافتاء ولا بالتدريس ؛ وكيف يظهر ؛ والاستاذ الحضيكى معاصره واقرانه الافذاذ قد ازدحموا فى هذا الميدان فلا يجاريهم الاكل بازل فتعاس (١)

وابسن اللبون اذا ما لزفى قرن لم يستطع صولة البزل القناعيس وانما الذى عرف به ان يتعاطى قسمة التركات؛ ويفصل ما بين الخصوم فى النوازل غير العويصة ؛ فقد اخبرت ان فى ايقشان ومجاط وكل القبائل التى تحاذى الخ مخطوطات يده فى ذلك ؛ كما اخبرنى به العم حفظه الله ؛

(١) البازل الذى نه تسع سنين والقنعاس بكسر القاف : العظيم من الاجل

واما رسوم القرية وما اتيها في ذلك العصر ؛ فتكاد تكون مقصورة عليه وعسل
 قريته سيدي احمد بن صالح الاتي ذكره فقد عجت سلات اهالينا بمخطوطاتهما
 وقد مرت بين يدي مرة سلة رسوم لاسرة فقيرة ؛ فرايت مخطوطات رسومه
 بين ما فيها كثيرا جدا ؛ وعلى ذلك فليقس ؛ وكان رحمه الله عدلا نبيا دينا
 مشهورا ببركة وصلاح ممزوجين بهذه القصة (١) من المعارف فتكونت له بذلك
 حلة ضافية ؛ وله مع ذلك ثروة لانماثل بين اخوته ؛ وكانه بسببها انتشر له
 من الذكر ما انتشر ؛ فهو اول من اثل الاملاك بين المتأخرين في مختلف البلدان
 بالغ وبنامانارت وغيرها ؛ ولا يزال اولاده الى الان يتوسعون فيها ؛ اثلها لهم
 مما اشتراه من الوفقاويين ومن الحريليين ؛ وبوادى تامانارت ؛ وقد صار في
 زمنه بهذا العلم والمال والدين رجل الخ المقصود في آخر القرن الثاني عشر ؛
 بعد ان تناسى بعض ابناء عمه سيدي علي بن احمد ما كان لابيهم ولجدهم ؛
 فاقبلوا على الدنيا وحدها وكانت له زوجتان احدهما عائشة بنت عبد
 الرحمن بن محمد البعليلية التي عقد عليها سنة ١١٥٦ هـ فكان له منها فاطمة
 بنت سليمان المولودة في رمضان ١١٥٧ هـ ومحمد بن سليمان المولود وسط
 ربيع النبوي ١١٦٠ هـ واحمد بن سليمان -٣- من ربيع الاول ١١٦٣ هـ والزوجة
 الثانية ؛ فاطمة بنت احمد بن ابراهيم بن محمد الاسدومي ؛ تزوج بها قبل
 ١١٦٧ هـ وكان الاولى ماتت اذ ذاك فولدت له عائشة في رجب ١١٦٧ هـ ومحمد
 بن سليمان -١٠- ١٢-١١٦٩ هـ ومحمد الاول مات اذ ذاك ؛ ثم ولده الفقيه
 ابراهيم -١٦- ٨-١١٧٨ هـ وسعيد بن سليمان وسط رجب ١١٨١ هـ واحمد
 ابن سليمان -٤- ١٢-١١٨٣ هـ وكان احمد الاول مات اذ ذاك ثم سمي الثاني
 باسمه ؛ والله اعلم

نقلنا ولادات هؤلاء من خط صاحب الترجمة ؛ لنذكر منها ان اعتناقه
 للمبدأ العلمي قد امله الى الافادة بالقلم ؛ بعد ان كان اهله الاولون لا يعرفون
 كيف يقبضون القلم ؛ وقد توفي رحمه الله عن سن عالية ربما اوفت على ٨٠
 سنة بكثير وانما رقمنا لولادته بنحو ١١٣٠ هـ لاننا حين رابناه تزوج سنة
 ١١٥٦ هـ قدرنا انه اذ ذاك بعد ان مضى له دهر في تلقي القرآن ؛ والتقلب في
 المدارس لا يقل عمره على نحو ٢٤ سنة على ما هي عليه العادة المألوفة التي
 استمرت الى عصرنا في تلك الجهة واما زمن وفاته فقد افادناه ولده سيدي
 ابراهيم رحمه الله ؛ وكذا نجهلها كما جهلنا كل وفيات من تقدم ؛ ولكن من
 ادخل الى دارة اليراع ؛ وورثه بنيه فاول فائدة يستفيدها منه هذه الفائدة
 التي ليست بقليلة ؛ وان جهلها كثيرون .

وممن اخذ عنهم المترجم الشيخ سيدي محمد بن يحيى الازاريفي المشهور
 هذا وباسم المترجم سميت القرية ايت سليمان ؛ وان كان فيها غير اولاده
 كابناء سعيد اخيه .

(١) القصة بالفتح مائة وثمانون برؤوس الاصابع

الفقيه ابراهيم بن سليمان

١٦-٨-١١٧٨ هـ = نحو ١٢٦٣ هـ

نسبه

ابراهيم بن سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد .
لم ننعته بالفقيه الا متابعا لصاحبه محمد بن ابراهيم السلامسى ؛
فاننى رايتنه فى رسم وصفه بذلك وهو رفيقه الدائم ؛ ومجاوره المكاسر (١) ؛
ويدل ذلك بعض الدلالة على انه كان معروفاً بذلك الوصف فى عصره ؛ والوصف
بالفقيه فى بلادنا هذه يضمن به الناس ولا يكادون يضيفونه الا لمن يستحقه
حقيقة او ظنا ؛ وليست عادتنا كعادة احواز الحمراء وما وراءها حين يتدفق
هذا الوصف على كل من دب ودرج ؛ وعلى من مر بالمسجد ؛ وان لم يتقن حتى
حفظ الفاتحة ؛ مادام يجز الجبة والسلهام وعلى راسه عمامة كالمسئف (٢) .

لم نعرف من اولية صاحب الترجمة شيئا بل حتى من اخرياته ؛ وكل
ما عرفناه انه من حفظة القرآن ولكن لم ندرك كيف تلقاه ؛ وهل سافر وراء
تجويده كما هى عادة بعض الناس ؛ او انما جوده فى القرية فقط ؛ وكذلك
عرفنا ان عنده قبصة من المعارف يستطيع بها قلمه ان تفل عثراته قلة ما ؛
ويمكن بها لاصحابه كابن ابراهيم السلامسى ان يصفه بالفقيه ؛ ولكن لاندرى
من اين تعلم ؛ امن عند ابيه ؛ ام من عند الاستاذ سيدى محمد بن الحسن
التوغزيفتى خليفة استاذ والده سيدى مسعود المرزكونى بسملالة فسسى
التدريس ؛ وقد امتد عمر التوغزيفتى الى ما بعد ١٢١٢ هـ ام من عند تلاميذ
الحضيكى واولاده الذين يخوضون بحار العلوم فى المدرسة الفلالية بين سحر
الغ ونجره فى هذا الحين ؛ ام من عند عبد الله الجشتمى التملى الذى مافارق
المدرسة الجشتمية سنة ١١٩٦ هـ حتى خلف فيها استاذا يسير على خطته فى
التدريس فهؤلاء وكثيرون من امثالهم من الاساتذة الكرسيفيين وغيرهم من
رفعوا راية التدريس فى ذلك العصر ؛ فلاندرى بمن منهم اتصل صاحب
الترجمة ؛ فاقتبس علم التراكات ؛ وفصل بعض النوازل والقيام بتحرير كل
رسم فى القرية مع صاحبه سيدى صالح بن عبد الله الاثنى ذكره ان شاء الله
ومع جاره السلامسى الذى ستعرفه ايضا .

(١) الجار المكاسر الذى يسكن فى كسر دارك بكسر الكاف اى جانبها
(٢) المسئف بكسر الميم وفتح السين الغربال الكبير

اخبرني العم ان يده في معلوماته اقصر من يد والده ؛ ادرك عنه ذلك من محجرات يده التي راي منها مات ؛ واما انا فلم يمكن لي ان اري الا بضع عشرات من تلك السلة التي ذكرتها في ترجمة والده .

ثم انه يشاع عنه وراء هذه المنزلة صلاح كثير وكشف وخوارق ؛ وكرم لكل من قصده ؛ فكانت هذه الخصال التي تجمعت فيه يدعم بعضها بعضا ؛ والكرم يحليها برواء يراق من الثروة التي صارت اليه من بين ما خلفه والده ومما استجده هو ايضا فتحوطه تلك الخلال بسياج متين سميك

اخبرني بعض الناس ان بعض المسمنين الذين ادركهم ؛ قال عهدى به في مسغبة والناس يتضورون جوعا ؛ والاملاء -وما اقلهم- اوصدوا ابوابهم دون رغبات المدقعين الراغبين؛ وهو يظل وعليه سراويل سوداء يدور على قدور منصوبة عند باب داره تفور بالجزر اليابس والحفنات من الطعام ؛ وهو يناول كل من وقف عليه من ابناء السبيل حتى يفرغ ما في القدور دام على ذلك طوال تلك المسغبة ؛ وهذا ما امكن من الكرم في بلادنا الفقيرة

واخبرني آخر من مجاط انه كان مرة عندهم وهم يعتقدون فيه خيرا كثيرا ودعوة مستجابة ؛ فراه امراة منهم وشاهدت له بركة ؛ فبقيت بعد ذلك تذكره ؛ وهي التي اخبرت من حكى لي

واخبرت ايضا انه كان صاحب مرة معاصره سيدي صالح بن عبد الله الزاوي - الاتي - فزارا المقبرة العليا التي هي من آثار سيدي بلقاسم التسيوتي وهو الذي استحدثها ودفن فيها زوجته اولا ؛ ثم دفن ازاءها ثم تنابع الدفن فيها حتى اتسعت زارا من هناك ؛ ثم مشيا في غربها حتى وصلا محل المدرسة اليوم ؛ فقال احدهما لصاحبه ماتسمع ؟ فقال اسمع قراءة ؛ ثم انحدرا حتى وصلا بير العنصر شمالي القرية السليمانية فقال ايضا احدهما لصاحبه ما تسمع ؟ فقال له اسمع اذكارا يجهر بها ؛ قال المخبر فهذا منهما كشف بالمدرسة والزاوية قبل ان تخرجا الى الوجود باكثر من نصف قرن اقول ان هذا المخبر الذي اخبرني عدل ثقة ؛ ولكن اشك فيمن اخبره وهو لم يدرك الحادثة ؛ وقد انقطع سندها ؛ ثم انني لم اسمعها الا منه ؛ وهذا كله ما نلتق به هذه الحكاية حتى تكون ارق من شعرة ؛ فلا تواتر ولا سند متصل ؛ فماذا يبقى بعد ؟ على ان امثال هذه الاخبار كثيرة ؛ تسيل بها السنة المحدثين ؛ وقد راينا وسمعنا من مثل ذلك كثيرا ؛ فلو كان لهذه ما يشبث به امثالها لتلقيناها بكلتا اليدين فان الكشف طبيعة روحية تكون في بعض الناس متجلية اتم التجلي وربما كان ذلك في المسلمين وفي غيرهم ؛ ولذلك لا يقبله اساطين ارباب هذا الفن الا بشاهدي كتاب وسنة ؛ وذلك لا يستبعد حصوله الا من كان اغلف العقل وان كان يتظاهر بانه احلق الناس ؛ ولكن لما كان الكذب والتقول في ذلك

كتبنا ينبغي ان لايقبل ان لم يصدم الكتاب والسنة الا بعد الوقوع وقوعا صحيحا ؛ تحقيفا او ظنا قويا (ثم بعد كتبي هذاوقفت على ما يؤيد تلك الحكاية من اقوال اناس آخرين مما يدل على شيوعها)

اتصل صاحب الترجمة بالقلم فيحرر رسوم القرية قبل وفاة والده سنة ١١٩٩ هـ كما رايت ذلك في رسم كتبه قبل هذه السنة بقليل ؛ ثم دأب على ذلك الى نيف وستين من القرن الماضي ؛ فوافاه اجله ؛ وقد فتننا لعنا نجد مقيدا لبعض اولاده ينبه على وقت وفاته ؛ ولكننا لم نجده ؛ والعم يقول انه توفي نحو ١٢٦٣ هـ لان والدته (تكدا) بنت عدي (التي ستاتي ترجمتها) ادركته حيا حين تزوجت الى الخ سنة ١٢٦٠ هـ ثم عاش بعد ذلك ؛ ولذلك رقمنا له بما ترى .

ولصاحب الترجمة ثلاثة اولاد (١) احمد (٢) محمد (٣) والطيب ؛ وكلهم اعقبوا اولادا كثيرين بارك الله فيهم .

هذا المترجم هو الحافر للمير في (ناغيا) سنة ١٢١٤ هـ وهي ملك المرابطين للمحربيين ؛ وقد وقع فيها خصام بينهم حوالي ١٣٦٢ هـ فادلى الاولون برسم شهد فيه الحربيليون انفسهم اذ ذاك بان الحافر هو سيدي ابراهيم في سنة ١٢١٤ هـ وذكروا القدر الذي انفقه في الحفر ؛ وقد حكم في القضية شيخنا سيدي الطاهر بن محمد ولكنه حين راى ماراى نبذ عنه الفصل في القضية وهو يقول بلسان الحال : ربي وصلاتي



سيدي احمد بن صالح الالغي

قبل ١١٣٨ هـ - بعد ١١٨٥ هـ

نسبه

احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد

هذا قرين الفقيه سيدي سليمان بن محمد المتقدم وما اولاه ان يدعى بالفقيه ؛ ويوصف به مادام قرينه هذا يوصف به وصفتها واحدة؛ ومجالتهما واحدة ؛ وقد طلعا على ابناء عبد الله بن سعيد بفجر جديد من انوار المعارف هي ابقى وادوم

عاشا معا يتقلبان في قسم الشركات وفض بعض النوازل؛ يكتب احدهما فيعطف عليه الاخر ؛ وكان سيدي سليمان هو الذي له الصدارة ثم يليه احمد هذا ؛ فلا يزالان دائما كانفرقين

ذكرنا في ترجمة سيدي سليمان ان شيخه في العلوم التي عنده ؛ هو سيدي مسعود بن محمد المرزكوني ؛ فهل صاحبه هذا ايضا كذلك ؟ فانا لم نقع الى الآن على ما نستدل به في هذه النقطة ؛ ولم اتصل بشيء من كتبه لعلى اقع على كلمة نفهم منها ما فهمناه من الكلمة التي وقفنا عليها لسيدي سليمان حتى اخباره لم اعرف منها الا ما ذكره لي العم من انه رديف سيدي سليمان في كل مايزاوله ؛ وقد سألت شيخنا سيدي عبد الله بن محمد عنه لعله يفيدني فما زاد على ان قال انه رأى في مخطوطاته ما يدل على ان له يسدا في الفرائض والحساب والهيئة ؛ ومشاركة قليلة من العربية والفقه ؛ فهذا كل ما نفضالي عنه ؛ ثم لم يتيسر لي ان ارى من رسومه ومخطوطاته ما ادرك انا به بدوري ما لعله يخفى عن اولئك ؛ حتى مبتدأ حياته ومنتهاها لم ندر كيف هو ؛ وكل ما نعرفه انه معاصر لسيدي سليمان الذي كان حيا من نحو ١١٣٠ هـ الى ١١٩٩ هـ فلذلك المعاصرة رايت رقم الولادة مرقوما بما قبل ١١٣٨ هـ والوفاة بما بعد ١١٨٥ هـ فاحتطنا في زمن الولادة والوفاة

ولم يعقب الا من ولده عبد الله وحده رحم الله الجميع •

سیدی صالح بن عبد اللہ الزاوی

قبل ۱۲۱۰ ھ - نحو ۱۲۶۰ ھ

نسبہ

صالح بن عبد اللہ بن صالح بن عبد اللہ بن احمد بن عبد اللہ بن سعید سیدی صالح کاسمہ ؛ صلح هو ومن امتد منهم ؛ ومن امتدوا منه ؛ فقد رايت ترجمة والد جده عبد الله بن احمد ؛ وما وصف به ؛ ويذكر مثل ذلك الصلاح في جده صالح بن عبد الله وفي ابيه عبد الله بن صالح ؛ ولكن منعنا ان نقردهما بترجمة انا لانعرف عنهما الا هذا الوصف فقط ؛ وهذا الوصف في الحقيقة كثير من اتصف به من اهاليها الى الان ؛ وشرطنا ان نعرف للرجل ما يستحق ان يذكر له وراء صلاحه ؛ الا اذا كانت له شهرة بصلاحه تلقت الانظار فاننا نعتني به بدوننا ؛ وثلثت اليه بصرنا ؛ وهل يراعى المورخ الا ما يراه بصره ؟

حفظ صاحب الترجمة القرآن ؛ واتقن رواية المكي ؛ واستبصر شيئا مما وراء ذلك فكان ممن يحرر بقلمه كل ما عن من الرسوم وما اليها من اول القرن الماضي الى وسطه وقد جرى ذكره في كلامنا على سیدی ابراهيم بن سليمان وقد حكى عن سیدی صالح اخبار كثير وديانة ومسكنة ودعوة مستجابة ؛ وكشف لايزال يذكر به تواتر عنه الى الان ؛ وكان قليل ذات اليد فلا يملك الا حمارا وبقرة يحرث بهما فيجمع البركة التي تيسرت فيزيكها فنزل البركة ؛ فتكفيه ما تكفي مات الكثيرين ؛ حكى لي مجاطي عن مجاطة ثقة ان فلانا من كبار مجاطة سماه ؛ كان من رؤساء قومه ؛ فصادف مرة صاحب الترجمة قد جمع من محصول فلاحته مقدار عشر غرائر ؛ فقال له ان هذا لا يكفيك مؤنة السنة فلماذا لا تكثر الفلاحة ؟ فقال له صاحب الترجمة وكم تدخل انت من محصولك ؟ فقال ادخل المائة فاكثر فقال له : وما يدريك ان يتوقف صاحب المائة على صاحب العشر ؟ فلما توسطت السنة ؛ ووصل وقت الحرن احتاج المجاطي الى البدر ؛ فجاء اليه فسلفه اياه ؛ وكثر ايضا تحدث الناس بانه كان سنة ۱۲۵۵ ھ صباحا في متوضا مسجد الزاوية ؛ فاخبر من حضر

بقرق كثير في وادي تامانارت ؛ وبعد يوم جاء الخبر بان سيلا جارفا حمل سقى تامانارت واجنت اشجارها ؛ وهذه الحكاية يتحدث بها الناس تحدثا كثيرا وقد كان تزوج امرأة من ناكفيسشت بسملالة ؛ فولدت له ولده الحاج عبد الله وحده ؛ ثم لم يرزق سواه ؛ فبقى كذلك سنوات كثيرة ؛ فوفد عليه اصهاره يوما وقد عرفوا له مكانته من الصلاح ؛ وراوا ان يجبروا خاطره - فقالوا ان كان لك غرض في زوجة اخرى ؛ فلا تمنعنا اختنا ؛ ولا الحياء منا ؛ فقد طيبنا نفسا بذلك ؛ فلا احب اليانا من ان تعمر هذه الدار ؛ فقال لهم ان جعل الله البركة في عبد الله فانه يكفي ؛ فالعبرة بالبركة لا بالكثرة وان لم يجعل الله فيه البركة فماذا يجدي مائة من الاولاد ؛ فسرعان ما يطوف الوباء الجسارف فاذا هم لاعين ولا اثر فاعقب عبد الله وحده ؛ فكان منه الخير الطيب ؛ والنسل المنتشر المبارك .

كان سيدي صالح مقصودا في عصره بالرقى والتمايم والدعوات ؛ معروفًا بذلك فلا يخلو مكانه من الواردين ؛ وكان اذا راي من اطال المكث عنده يقول ان اردت دعوة او تميمة اورقية فهاهي ذى عندي ؛ وان اردت مائدة ممدودة وفراشا مبسوطة فعليك بسيدي ابراهيم بن سليمان ؛ يقول ذلك لان هذا غنى كريم ؛ موطن العتبة بكرة وعشيا بالوارد والصادر .

سيدي

محمد بن احمد السعيدى

نحو ١٢١٥ هـ - ٢١٦ هـ

نسب

محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد
هذا جد والدى ومريه ومعينه على حفظ القرآن ؛ كما سترى ذلك في
ترجمته ان شاء الله ؛ وقد كان لوالده احمد وجاهة وذكر ومال ؛ ولكنه لا
يذكر الا بهذه الوجاهة وهي ما لانعتبره في اهالينا بالترجمة الخاصة؛ مالم يكن
معها صلاح مشهور او علم لان امثال هذه الوجاهات في قبيلتنا وجاهات شخصية
لا تعدو نفع الاسرة ؛ ولانجد القبيلة منها ظلا وريفا ولا تسمع منها كلمة نافذة
ولذلك اسقطنا شرطها في اهالينا خاصة .

كان صاحب الترجمة ممن اتقن كتاب الله الكريم ؛ وممن اشتهر بصلاح
وبركة وشهرة وسطى لم تدرك شهرة معاصره سيدي صالح المتقدم الذكر ؛
وكان الناس يتناوبونه للرقى والتمائم والتطبب خصوصا في المرض الذى
يسمونه قطع اللحم ؛ فانه ممن اشتهر عنه مداواته ؛ وقد طال عمره كثيرا حتى
استوفى تسعين ؛ وله من الاولاد جدنا احمد الذى هو والدنا آل الشيخ ؛
واعمامنا ؛ ثم بعد سنتين لحق ايضا سيدي احمد بابيه ؛ وذلك سنة ١٢٩٨ هـ
وولادته نحو ١٢٣٠ هـ وقد خلف عمنا محمدا المتوفى ١٣٢٩ هـ وعمنا الحاج
عبد الله المتوفى في الحجاز في ذى الحجة سنة ١٣٠٥ هـ والشيخ الوالد الذى
سترى ترجمته ان شاء الله ؛ والعم ابراهيم الذى افادنا جل مافى هذا الكتاب
وسرى ترجمته ؛ والعم بلقاسم المتوفى ٦ ذى القعدة ١٣٦٦ هـ

فهؤلاء اولاد احمد بن محمد رحم الله الجميع والحقنا بهم مسلمين .

سیدی محمد بن بلقاسم التیمیوتی

نحو ۱۲۵۰ هـ - نحو ۱۲۸۹ هـ

نسبه

محمد بن بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن علی بن احمد بن عبداللہ بن سعید
هذا اول فقيه علامة متمكن شهير نشأ بالغ من اهلينا بعد الفقيه سیدی
سليمان المتقدم فرفع راية الاقناء رفع من يخلق ويفرى ؛ ويقبل ويدبر ويؤاحم
معاصريه باكتاد العماليق الذين يكون لهم الخصل في كل مسابقة ؛ والاستحواذ
في كل مزدحم ؛ لولا انه سقط بقصر العمر دون المدى .

جاء الفقهاء المتقدمون سليمان بن محمد وابنه ابراهيم واحمد بن صالح
بعلالة يتبلغ بها ؛ وبفجر له نور ضئيل ؛ لم ينشب ان ذهب بلا آثار باقية
ولا اخبار توثر فظهر انه الفجر الكاذب الذي يتعرض تعرض ذنب السرحان ؛
ثم لم يلبث ان تجيش عليه الدياجير فتغمره ؛ ثم جاء الفجر الصادق اليين
الذي يتبين به الخيط الابيض من الخيط الاسود بصاحب الترجمة العلامة
الفهامة الفقيه المتمكن في تفهم النوازل وفقهها غاية التمكن ؛ فلم يلبث اصحاب
القضايا وارباب الخصومات ؛ ان سالت اليه بهم الاباطح ؛ وهو يقضى
ويحكم بما اراه الله ؛ وقد طار صيته بين فقهاء عصره فكاتبهم وكاتبوه ؛
وعرفوا له مكانته التي اطل منها ما بين الاقران ؛ ثم بينما هو يتاهب فلكه للارساء
ويستعد للزوج ؛ اذا به اعتبط او فر ما كان نشاطا واعلى ما كان شهرة فذهب
مبكيا على شبابه النضر ؛ وابقى ثلثة واسعة في الخ اذا ابكت قلوب الاصدقاء
واشتمت افئدة الحساد ؛ وما اكثرهم في كل عصر ولكن ان ذهب سیدی محمد
ابن بلقاسم ؛ فان الخ يتمخض عن علامة آخر سينزع نزعا ينسى نزع ابن بلقاسم
ويرد البشر الى الدين سالت اعينهم دما بالرزء بصاحبهم هذا ؛ حتى تعود
الثغور كلبابه بواسم ؛ وايام الخ به وبآثاره وبارآثار معاصريه اعيلا ومواسم هكلنا
جاء صاحب الترجمة كبرق اومض ؛ ثم لم يلبث ان تبعه خصب كثير ؛ اد
كفجر صادق لم تشب بعده الشمس ان طلعت فاستوت في رابعة النهار
فلئن كان هو امضى حياته هذه القصيرة بين النوازل واربابها فقط ؛ فسياتي
من يضيف الى ذلك مجدا موثلا ؛ فيؤسس مدرسة يتدفق اليها الطلبة من كل

فج عميق *
 بداية صاحب الترجمة غامضة ؛ فلم ندر متقلبه في حين اخذه للقرآن ؛
 ومن هم اساتذته فيه ؛ وهل اعلم الرحلة وراه اولاً ؛ وكذلك لاندرى عن
 شيخه الاستاذين محمد بن محمد المافاماني ومحمد بن محمد بووازي الساموكني
 وقد خاطب كل واحد منهما بشيخه ؛ اين اخذ منهما ؛ والاستاذ المافاماني
 تان في المدرسة الايفغانية حوالي ١٢٧٠ هـ ماشاء الله سنوات كثيرة ؛ والآخر
 كان أيضا في مسجد (ايشوكاك) في أكادير ايزري ؛ فهل اخذ منهما في هذين
 المجلين او في غيرهما ؟ الجواب عن ذلك درج في غفلة التاريخ ؛ ولكن شيوخه
 الذين نعلمهم حقا ؛ ونراه لازمهم كل الملازمة هم آل اكشيم الحاج عبد الله بن
 عبد الرحمن واخوانه محمد والحاج احمد وربما اخذ ايضا عن والدهم شيخ
 الاسلام عبد الرحمن بن عبد الله الذي لا يزال حيا يوم التحق بتلك المدرسة قبل
 ١٢٦٨ هـ فهؤلاء اشياخه حقا المعروفون ؛ فلولا انه انتسب بالتلميذية للاستاذ
 ابن المافاماني والساموكني لما توهمنا انه عدا هؤلاء الجشتميين الى غيرهم *
 ثم اننا راجعنا كتبه التي خلفها ولا يزال اهله يحافظون على هذه الخزانة
 الى الان ؛ محافظة الضنين على درهمه الوحيد ؛ فراينا نسخ البهجة للسيوطي
 وانها بعد العصر بالسبت الثاني من شعبان ١٢٦٨ هـ والتاودي على الزقافية
 في الاثني الثاني عشر من رمضان ١٢٦٨ هـ والاجوبة الروضية عن مسائل
 مرضية ؛ في المبيع بالثنيا والوصية ؛ والمقنع ؛ وشرح الزواوي والفقهيات
 للجشتميين والتاودي على التحفة ومن الزواوي ؛ وكنز العربية شرح الاجرومية
 للصنهاجي وبعض شرح السلم ؛ والدردير على المختصر والازهرى على
 الاجرومية ؛ وابن كثيران (كذا) على ابن عاشر ؛ وابو الحسن على الرسالة ؛
 هذه كلها نسخها بيده وربما نسخ غيرها ؛ لان من ارسلته وراى ذلك قال انه
 لم يتتبع كتبه كل المتتبع حتى يعرف ابقي وراه هذه من مخطوطاته شيء ام لا قال انه
 لم يورخ من منسوخاته الا التي ذكر تاريخها لاغير ؛ فمن هذا النسخ والصبر
 عليه ندرنا همة الرجل واكبابه بكل ما في جهده على التحصيل ؛ فحين كانت
 كتب الدراسة تعوزه والمطبوعات اذ ذاك لما توجد في الاسواق للبيع ؛ ولا هناك
 خزائن يستعار منها اقبل على الانتساخ ؛ ولاتكون هذه الهمة الا في الافراد
 الذين يجعلون نصب اعينهم التحصيل *

كثيرا ما اسمع بعد رجوعي هذه المرة الى الخ بصاحب الترجمة واناخلو
 من علمه ومعرفة شأنه قبل ؛ فصرت ابحت عنه علني اصادف من ادركه ؛ او
 من عنده حقيقة خبره ؛ فلم اجد الا العم فنفض لي بعض مايتعلق به ؛ والامسا
 كان من شيخ كبير السن من آله ؛ هو ابن اخيه فقال لي استحضر وانا صغير
 ارعى بهم (١) أسرنا في سفح ربوة مشرفة على قرينتنا ؛ والفصل فصل الربيع وقد

(١) اليهم يفتح فسكون صفار الضم

اتسحت الربا بالازهار وبرزت الارض في برد موشى قشيب ؛ فشاهدنا ونحن صبية صفار جنازة مضى بها اهل القرية فسمعنا من يقول انها للفقير سيدى محمد بن بلقاسم ؛ وقد ادركت من مباحثته ان تلك السنة ربما كانت ١٢٨٩ هـ ثم حكى لى ايضا - وقد سألته عما يسمعه من عند اهله عنه - قيل لهذا الفقيه لماذا نرى المتخاصمين يتناطحون ويتشاكسون ويترامى بعضهم على بعض ؛ فاذا جلسوا اليك لا يلبثون ان يرجعوا فى هدوء وسكون ؛ ماذا تصنع بهم حتى تفنا شرتهم ؛ وتسكن من حدتهم ؟ فقال اذا جلس المتخاصمان الى فلا يخلوان معا من احد امرين اما ان ينقادا معا لحكم الشريعة ؛ ويتبعان الحكم الذى احكم به عليهما ؛ فيقومان حامدين شاكرين ؛ وقد ادرك صاحب الغلط منهما غلظه واما ان يلد أحدهما والآخر ممن يتحمل الصبر ؛ فيستجيبى منى ؛ فاننى أكلفه ان يتنازل عن بعض حقه فيخرجان راضيين معا ؛ فليل له واما اذا كانا معا من ذوى الالداد ؛ وذوى الصمم عما تقول وممن لا يستجيبى منك ولا يهتبل بمقامك ؛ فقال اذا كانا كذلك فانى اعالجهما بالتى هى احسن حتى اصرفهما عنى وكسل ما أتطلبه منهما ان يهدءا حتى يبتعدا عن مجلسى ؛ قلت هذه السياسة التى اوتيتها هى لاريب التى رفعت من شأنه ؛ واعلت من مقامه ؛ وأسألت اليه البطاح باعناق المطايا ؛ فان الاخلاق الحسنة ملاك العلم ونخاعه الذى به يقوم صلبه وكان من عادته انه يأخذ ممن له الحق حظا يتفاوضان عليه وقد ادرك مسر العلماء من يقولون ان قضاة البادية الذين لا يتوصلون بحقهم من بيت المال وقد انتصبوا للقضاء ويمضون فيه جل اوقاتهم فى مراجعة المسألة ومحاسبة وكتابة وتبج الرسوم لا بد لهم من اجرة ؛ واولى دن يعطيها من صحت له القضية ؛ وفاز فيها ؛ هذا قول بعضهم (١) وللبعض الاخر كلام آخر ؛ وعلى تلك الطريقة يسير غالب علماء سوس ؛ وعلماء الغ قديما وحديثا ؛ ومن بينهم صاحب الترجمة ؛ فكان يفاوض فى ذلك صاحب الحق حتى يتراضيا على اجرة تطيب بها نفس المعطى وقد اخبرنى المسن ابن اخيه المذكور انه سمع ان بعض الوقاويين كان حكمه وصاحباً له فى قضية فحكم له وتوصل منه بما تراضيا عليه ثم ان الوقاوى راجع الفقيه فقال له اننا غلطنا فى الحساب حين ادفع لك اجرتك ؛ فقال الفقيه انتى تحققت ما توصلت به منك ؛ ولم يجتز الى درهم واحد يزيد على ما تراضينا عليه ؛ فكان الوقاوى تناوله بكلمة مست شعوره فثار عليه فقال لتواخذنى بين يدى الله ان خنتك فى درهم واحد ؛ ولتشف فى باب الجنة ان قسدت حتى تصدنى بدانقك ان مر الى ؛ فتوى الوقاوى البساط ؛ وقد جد الجدد وراى من الاستاذ انه لم يبق ذلك المرباط الضعيف

(١) اعبد الرحمن الجشتمى

لنا اسوة بالاقدميين شيوخنا فكم اخذوا اجر الفتاوى وقد اغلوا

المستكين - بعد ما اعل العلم شأنه ؛ وارهف حده؛ وازال الغشاوة عن بصيرته
 اخال ان سيدى محمد بن بلقاسم فارق المدرسة الجشتيمية نحو ١٢٧٥ هـ
 قبل السنة التى سافر فيها استاذ سيدى الحاج احمد الى الحج ؛ ثم انه منذ ان
 لازم داره وانقطع عن الاخذ اقبل على فض النوازل ؛ وقسم التركات ؛ واجالة
 قلم الفتوى وما اكثر مخطوطات يده فى ذلك ببلاد الوفقويين والمجايطين
 والحربيليين ؛ وكان الذى يصاحبه غالبا سيدى الحاج عبد الله بن صالح؛ وقد
 اخبرت انه هو الذى قسم املاك ايت اورعى ببغلاش؛ اخبرنى بعض البغلاشيين
 المسنين بذلك ؛ وقال انه يستحضر ذلك الوقت وهو صبي صغير

ان اعجب مارايته لصاحب الترجمة اعتناؤه بتحرير المسائل ؛ فما تنزل
 بين يديه نازلة الا امعن فيها بل يشاور علماء عصره ليدلوا فيها بآرائهم فقد
 وقفت له على اسئلة يوجهها الى الاستاذ محمد بن محمد المافامانى ؛ والى الاستاذ
 محمد بن محمد بووازي الساموكنى ؛ ومعاصره الاستاذ الحاج ياسين والفقيه
 محمد بن صالح الساموكنى ؛ والى الاستاذ احمد بن عدى العركوبى ؛ والاستاذ
 محمد بن محمد الايسى الملقب هموش ؛ والاستاذ على بن محمد التوزونتى المجاطى
 التمكيدشتى ؛ والاستاذ احمد بن محمد الايفرى النامانارتى والاستاذ سعيد
 الاساكي الافرانى وأشياخه الجشتيميين وربما كتب سوالا واحدا فى قضية
 واحدة ؛ ففرقه عليهم جميعا ليرى جواب كل ؛ وهذه همة الافذاذ الذين يودون
 ان يقفوا على الحقيقة ؛ وشيمة المنصفين الذين لا يتكبرون من ظهور جهلهم
 ولا يتعالمون على معاصريهم حتى لا يتنازلوا الى مساالتهم فى مسألة ؛ وكذلك
 رايت له ايضا مكاتبات بينه وبين الفقيه سعيد بن على البريمى التازروالتى؛
 والاستاذ الحاج الحسين الافرانى ؛ وهذه بطاقة كتبها اليه هذا الاستاذ

ه وبعد فقد اذنت للفقيه سيدى محمد بن بلقاسم التيبوتى سلالة سيدى
 عبد الله بن سعيد فى تنفيذ الحكم الذى ابرمه سيدى احمد بن محمد المنكبى
 الايفرى - على محمد بن بلقاسم مطوس ؛ به علم الالقى بعد أن ألقى السلاح
 ولم يات بما ينفعه كتبه باذنه فى ٢٣ من ذى الحجة عام ١٢٨٥ هـ عبد ربه
 الحسين ابن الحاج احمد بن الحاج بلقاسم الافرانى كان الله له ولها ونصرا»

وهذا مايدلك على شهرة صاحب الترجمة بين معاصريه ؛ على قرب
 برؤزه بينهم فقد رايت فى مخاطبات بعضهم اليه اجلالا واحتراما ؛ ثم ما زال
 صيته يدوى حتى وصل الخبر مسامع يعسوب هذه الجهة فى ذلك العصر ؛
 الشريف الحسين بن هاشم الايلقى فاستحضره على بغلة مسرجة اتى بها
 عبيده ؛ فركبها وهو لابس خنيفا غليظا مما اعتيد لباسه فى الشتاء فى ذلك
 العهد ؛ وفى مدخل راسه المتدى وراءه كتاب فقهي صاحبه معه هكذا تحكى
 حياته تعجبا لان المعتاد من العلماء تحسين الهيئة ؛ فتوى بايلخ فبعد أن رحب

به رب المتوى سآله عن مسآله فقهيآ تتعلق بملك جرى فيه خلاف بيئه وبين رئيس الجرايين امغار محمد بن علي ؛ وقد كان علماء ايليغ وهم كثيرون اذ ذاك افتوا بان الحق لسيدى الحسين ؛ ولكن اراد هذا ان يتثبت خوف ان يكون هؤلاء انما هبوا بالريح التى توافق خاطر صاحبهم فذكر له صاحب الترجمة ؛ وانه قوال للحق ؛ لايبالى باحد فلذلك استحضره فقال له ماظهر لك فى مسآله صفتها كذا وكذا ؟ فاستمهله هذا الى القد ؛ فراجع حتى عرف ماهناك ؛ وفى اليوم الثانى قال له الرئيس الق مسآلتك على هؤلاء العلماء فانهم قالوا فيها قولهم ؛ ثم انفتل الرئيس عن المجلس ليترك الفراغ لمن اراد ان يبدى ما ظهر له بكل حرية ؛ فالتفت سيدى محمد بن بلقاسم الى العلماء فقال لهم انكم افتيتم فى هذه المسآله بخلاف الحق ؛ اين انتم مما قال فلان ونص عليه فلان ؛ وقال فلان انه هو المشهور ؟ ثم ناقشهم فيما ذهبوا اليه فاطرقوا كلهم بعد ان قطعت جهيزآ قول كل خطيب .

حضر الشريف فاعلن له ضيفه الحق فى المسآله ؛ وان الملك انما هو للجراى ؛ وليس له ؛ فالقى سيدى الحسين على اذنايه من اولئك العلماء نظرة طويلة من النظرات التى يلقيها الانسان على من يعسف عن طريق الحق تزلفا اليه ؛ فكان ذلك لصاحب الترجمة كمدياع اذاع شهرته ثانيا الى عنان السماء ؛ ثم صار صاحب ايليغ يرسل اليه فى الرمضانات لدرس الحديث المعهود ؛ الى ان انقضى اجله بسرعة .

هذه الحكاية سمعتها من اناس كثيرين فكانت لنا كالمجهز الذى نستقرب به ماتباعد عنا مما يتعلق به (ثم بعد هذا اتصلت باوراق كثيرة من مساءلاته للعلماء ومن فتاويه ؛ فبعد ان عزمت على سوق بعضها هنا ؛ رايتان احيل القارىء اليها فى كتابنا - آثار فقهية للمتأخرين بالغ وغيره - فقد حشرنا فيها كل آثاره التى لاتعدو الفقهيآت ؛ لان الادباء الذين كتب لهم هذا الكتاب - لايسامحونا ان سقنا بين ايديهم مسآئل فقهية التى يعدونها - فيما يزعمون- من المستثقلات)

كان الاستاذ التسيوتى اتصل بالجشتميين كما رايت فى تواريخ نسخته لتلك الكتب قبل سنة ١٢٦٨ هـ اوفى تلك السنة بنفسها ؛ واخال انه اخذ عن المافامانى والساموكنى قبل ان يتصل بالمدرسة الجشتمية ؛ اخذ عنهما المبادئ والله اعلم . ثم قبل ١٢٨٠ هـ رجع موفورا مودعامن اساتذته الجشتميين الى داره ؛ وقد وقفت على مقيد لاسرته بينوا فيه مالكل من الاخوة ؛ وهويهم بينوا ذلك ليلتحق كل واحد بحظه متى شاء ؛ ثم بقى الشمل منهم بعد ذلك مجتمعا ؛ وكانت اسرة غنية تحدرت اليها الثروة ممن قبلها ؛ وقدرات فى ترجمة عمه الرجل الصالح سيدى احمد بن بلقاسم انه كان ثريا ؛ ولكن

الأخبار تحدث عن هذه الاسرة بغنى وافر اكثر مما يظن ؛ حتى انهم ذكروا لها عبيدا ومدخرات ومواشى كثيرة ؛ حتى ليقال انفقوا وكدت - ١٠٠ - شاة في يوم واحد ؛ ولا يخلو هذا من اغراق ؛ ولكن ذلك على كل حال يدل على ثروة خطيرة بحسب مقياس هذه البلاد الفقيرة التي يعد فيها من يملك اذذاك مائة ريال كرتشارد الاسرائيلي المشهور في بلاد اوربا ؛ على ان ماناله الاستاذ من المكانة والشهرة بسرعة مما يشهد لذلك ؛ لان الناس عبيد المال في كل عصر ؛ وكلمة من ملكه هي العليا دائما ؛ وقد اسس الفقيه من بين اسرته دارا خاصة به ؛ واتل املاكا جديدة من وراء ما يتوصل به في قضائه ؛ فعزم على التزوج وقد اعد كل شيء اذا يمرض غير طويل الم به ؛ فلم يفارقه حتى اراحه القبر

وبعضنا قائل ما اغتاله احد وبعضنا ساكت لم يوت من حصر

ووفاته في نحو ١٢٨٩ هـ كما ذكره العم ابراهيم ؛ وكما تبين ايضا من حديث ابن اخيه المسن المتقدم ؛ وهو على كل حال لم يدرك جمادى الثانية من سنة ١٢٩٠ لاني رايت بطاقة فيها تحرير امة من اخوانه احمد وعبد الله ومحمد - فتحا - بخط الاستاذ افكان - وقد نشرناها في ترجمته - فلم يذكر بينهم ؛ وقد اطلعت له على مورخ بسنة ١٢٨٦ هـ وقد تاخر عنه الفقيه الحاج علي ابن عمه بسنوات ؛ كما اخبرني به المسن المذكور ؛ فلذلك نرجح ان وفاته في نحو تلك السنة ولو كان يورخ دائما ما يكتبه لربما استدللنا لذلك بكثير مما رايناه له ؛ ولكن عمت البلوى منه ومن غيره من فقهاء هذه البلاد بعدم الاعتناء بالتاريخ الا في الرسوم ولو كان ايضا يمكن لنا ان نتبع الرسوم المحررة بيده لربما امكنت مقاربة معرفة وقت وفاته ؛ ولكن ابن من يعنى بذلك ؛ فياضيمة الاعتناء ومدقته في قرية تسيوت في المقبرة هناك ؛ وعليه بيت ؛ واما وقت ولادته فقد قررناها بنحو ١٢٥٠ هـ احتياطا والا فالغالب ان ولادته قبل بقليل ؛ وقد رايناه حين اتصل بالجستيمية سنة ١٢٦٨ هـ او قبلها كان حصل على بعض المبادئ حتى امكن له ان يعنى وينسخ ويكتب ما يكتب في آخر منسوخه ؛ والغالب انه اذ ذاك كان ابن نحو - ١٩ - سنة او اكثر ؛ وقلما يكون اقل في نظر من اعتبر ما يتقلب به ابناء هذه البلاد قبل ان يشدوا ويدركوا هذا المدرك .

هذا ما امكن لنا ان نقوله عن الفقيه الاول بالغ سيدى محمد بن بلقاسم التسيوتى الذى ابتهجت به الخ حينما قصيرا ؛ ثم رزته سريعا ولم يخلف لها الا تلك الآثار الفقهية لاغير ؛ رحمه الله ؛ وجعله في اعلى عليين

الحاج على التيميوتى

نحو ١٢٤٥ هـ - ٢٥-٤-١٢٩٨

تسبيبه

على بن محمد بن محمد بن بلقاسم بن على بن احمد بن عبد الله بن سعيد هذا فقيه آخر من قرية تيميوت ؛ وان كان لم يحفظ بما حظى به ابن عمه سيدى محمد بن بلقاسم ؛ لتفوق ذلك عليه في المعلومات ولفارقته المدرسة ؛ ولتصدره في ميدان الشهرة ؛ ولاشك في ان آل بلقاسم ارادوا أن يزاحم اولادهم آل سليمان الذين كانوا اذ ذاك علماء الخ ؛ فمالوا باولادهم هؤلاء الى المدارس فحظى سيدى محمد بن بلقاسم ؛ وكبا الحاج على ابن عمه دون المدى

التحق بعد حفظه للقرآن بالمدرسة المولودية ؛ عند الاستاذ الحاج ياسين فبقى هناك ماشاء الله ؛ حتى حج مع استاذه ؛ ثم لم يزل رابضا بتلك المدرسة يتمصص من بعض معلومات الى ان زار اهله سنة ١٢٩٨ هـ فمرض فلحق بربه في وقت الصبح يوم الجمعة من غير ان ينزع بقوسه نزعا نعرف به متانة عضلاته ولا اخاله الا انه كان خديم استاذه الحاج ياسين ؛ لانه من المقربين اليه .

حكى لى ذلك المسن التيميوتى السالف في الترجمة المتقدمة ؛ ان صاحب الترجمة كان كثر اللحية ؛ وقد ابيض نصف شعره لحيته شيبا حين توفى ؛ قال وهو اكبر من ابن عمه التقدم ؛ وقد حكى كيف احتضر ؛ وان القرغرة وسكرة الموت اشتدتا عليه حتى اسمته بعض نسائه طيبا فهدا حتى خرجت روحه ؛ وكان ترانه من بين اخوته من متخلف والدهم مصونا في بيت ؛ قال وبه استعان ورتته في المسغبة التي دهمت الناس ١٢٩٩ هـ بعد موته قال وكان متقسما لايبالي بنفسه وكتبه لم تزل بالمدرسة المولودية حتى توفى ؛ فجاء استاذه الحاج ياسين تيميوتى فعزى اهله .

وقد ذكره لى العم ابراهيم وقال انه ضعيف المعلومات ؛ كانه بليد ؛ ولكنه اجتهد غير ان القدر حرمه من مناه ؛ فهذه الشهادة من عمنا الذى يعتمد قوله في مثل هذا المقام ؛ ندرك ان اضاءة صاحب الترجمة اصغر من عين بقة ؛ وان ساحة مجال فهمه كصفحة وجنة الدبابة ؛ ولولانا شرطنا ان نذكر كل من له مسكة من العلم او الصلاح من اهالينا كيفما كان ؛ لكان الاولى ان لا يذكر من لم يفد لافى حياته ولا فى مماته شيئا فقد حيا بلا آثار ؛ وتوفى بلا آثار ؛ فقد حيا فى تلك

المدرسة حياة كثيرين من بلداء الطلبة ؛ حتى شاب ثم ذهب كان لم يكن حيا ؛ ومن
لم يحي في التاريخ باثاره ؛ فلاحياة له
ولبعض الالفين :

بنفحاته المذكيات	الفجر بالنور وزهر الربا
يوثر عنه في المجالات	لولا فرند ذى الفقار وما
له فقط في المشرفيات	ما رايت اليوم من ذاكر



الحاج عبد الله بن صالح الالغى

١٢٤٥ هـ - ٢٦ - ١٢ - ١٣٢٢ هـ

نسبه :

عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد .

كثيرا ماتجد بين الاسر اسرة واطنة تقتحمها الانظار ؛ وليس حولها ما يلفت اليها العيون . حتى لكانها لاتزال بعد في مكنون العدم ؛ ولكنها لاتنبت ان تتمخض عن بعض افراد ينبتون بينها مثل ما تنبت نبتة تنشق عنها النواة فتراها بين صفار النبات ؛ ؛ ومفرش النجم ؛ كان ورقها الضئيلة من فصيلة اوراق تلك النباتات التي حولها ؛ ثم لايمضى الا حقبة حتى تراها تعلو ما حولها شيئا فشيئا والايام تمضي ؛ والليالي تمر كما تمر جنبات الدولاب ؛ ثم لايشعر بها حتى تعلو متناول اليد ؛ وهي تسرع الى كبد السماء ؛ ثم لاتنشب ان تراها سحيفة فارعة كأنها عماد من عمد السماء ؛ لو كانت السماء مما يحتاج تدعيمها الى عمد ؛ ثم تنفرع عنها عراجين وعشاكيل ؛ ثم تدر على اهلها اكلها كل حين باذن ربها .

مثل تلك النخلة مثل هذه الاسرة الصالحة ؛ فقد عهدناها منذ عهدجدها عبد الله بن احمد ؛ ممعنة في الانزواء والمسكنة ؛ ولايزيدها صلاح اهلها وميلهم الى الخير ؛ وانحياشهم الى زاوية لايزاحمهم فيها احد من المثرين من ابنا اعمامهم الذين يتهاكون على كسب الدينار والدرهم ؛ الا ربوضا على الارض واطرافا عادة الرجال الذين قيل فيهم :

ان لله عبادا فطننا

نظروا فيها فلما علموا

تخذوها لجة واتخذوا

طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

انها ليست لحي وطنا

صالح الاعمال فيها سفنا

جاء صاحب الترجمة اميا وحيد والده ؛ فجعل الله فيه البركة التي قال والده فيها انها هي المعتبرة لا الكثرة ؛ فتزوج رقية بنت الحسين الاغوديدية فشر الله منهما خيرا كثيرا ؛ واخرج من صلبيهما من يرفرف بهم على الخ لسوا خفاق يشاهده الاقارب والاباعد الى الان .

ورث الحاج عبد الله من والده ذلك الصلاح المتقدم عنه؛ والبركة الموضوعة في بنانه ؛ فمأست يده مريضا ولا تميمة ولادواء الا جاء الشفاء سريعا ؛ حتى ان ذلك ليلفت الابصار ؛ فقال له انما ذلك شيء يتقدح في ذهني عند سؤال سائل التي يصفها للناس ؛ فقد ساله والدي مرة من اين يستقى تلك الادوية ويصحح ماقاله انه ربما وصف في وقتين مختلفين شيئين متضادين ؛ لده واحد للسائلين ؛ فيشفي كلاهما بما وصفه له وورث ذلك التطيب عن والده سيدى صالح ؛ ولكنه لم يرث عنه ذلك الانزواء الذي ازجى به حياته ؛ بل تملص هو من الخمول الذي صاحب آباءه منذ الجد الاعلى سيدى عبد الله بن احمد ؛ فجاء بهمة عالية في كل النواحي ففلح وكسب واثل وتاجر ؛ فلم يمتوسط العشرة الثامنة -٧٥- من القرن الماضي حتى كانت له ماشية كثيرة في ايسافن مرتبع اهلينا الالغيين ؛ فقد كان نوى من ولده البكر سيدى محمد الذي ولد سنة ١٢٦٥ هـ ان يقوم له بماشيته ؛ ولكن هذا يهرب من ذلك الى المسجد ؛ فمزال اهله يردونه الى الرعي حتى هرب ست مرات ؛ فحينئذ فهم والده عن الله ؛ فاعتنى بتعليم ولده القرآن فشارط له في داره استاذا خاصا كما ستري ذلك في ترجمة ولده ؛ ثم لما اطل سيدى محمد بن بلقاسم على الخ بروعة العلم التي اظلمتة انحاش اليه صاحب الترجمة ؛ فصارا يتصاحبان كما رابته في ترجمة المذكور ؛ ولاشك ان ذلك هو الحامل له على انقاد الجهد فى تحقيق ولده ؛ ومن هنالك جاءت هذه الفكرة التي طلعت على الخ بحظوة لم تطلع بمثلها اية فكرة اخرى .

وكان ايضا يصاحب امغار محمد المجاطى ؛ لما لهذا فيه من حسن نية ؛ واخبرت انه صاحبه مرارا الى اقران ؛ كما اخبرت ايضا ان له بال (اساكا اوبلاغ) اتصالا ؛ وان الشيخ احمد ابلاغ الاساكي ؛ قال لمولاي الحسن حين زار سوس ١٣٠٣ هـ وقد كان هناك احد اولاد صاحب الترجمة ؛ ان والد هذا سيدى الحاج عبد الله شيخنا .

هكذا خرج من انزواء اهله ؛ فصار يعمل لكل جانب حركة ؛ ولكل حركة بركة ؛ فاتصل بالناس وتعرف باهل عصره ؛ واشاد بذلك من جديد ذكر آل عبد الله بن سعيد ؛ مع امعان فيما يعود عليه بفائدة دينية اودنيوية وقد اخبرت انه قارض مرة بعد ١٢٩٥ هـ الفقيه سيدى محمد بن احمد النيمولاي فى دراهم اشترى بها زراعا كثيرا نحو مائة غرارة فى تيمولاي فقيل له ان الزرع رخيص جدا لاريج فيه ؛ فقال يكفيننا فلس واحد للصاع ان ربحتاه وقد ولد له ايضا بعد ابنه محمد المتقدم اولاد آخرون رباهم كما شاء ؛ فمنهم من رباه للدين والعلم والارشاد ؛ ومنهم من رباه للجانب الاخر الذى لا يد منه والطائر لاطير بغير الجناحين ؛ فقد ولد له ولده الحازم الملازم للصف سيدى

احمد سنة ١٢٧٥ هـ والاستاذ على سنة ١٢٧٦ هـ وابراهيم ١٢٨٢ هـ وكلهم اعقبوا خيرا كثيرا ؛ اطال الله عمر ابيهم حتى شاهد ابناء ابناؤه بكثرة ثم ايده الله فادى فريضة الحج سنة ١٢٩٣ هـ في رفقة الاستاذ سيبلى محمد بن ابراهيم التامانارتى ولذلك افضل الله عليه .

غرس من اولاده ما غرس ؛ واعتنى بتعليمهم اعتناء كثيرا ؛ فبسعد ان كانوا يتعلمون في المسجد القرآن راي ان يخصص لهم استاذًا على حدة ؛ فعل ذلك بولده الاستاذ الكبير ؛ وكان احب اولاده اليه ؛ ثم الحقه بالمدرسة التانكرتية ؛ فرجع منها سنة ١٢٩١ هـ فقترت عين الوالد بما توجهت اليه همة ولده ؛ فكان له خير معين ؛ ثم تأسست المدرسة ؛ وقد طبقت شهرة ولسده الافاق ثم توج شرفه بالمشول بين يدي مولاي الحسن سلطان عصره فاقبلت اليه الرفاق من كل جهة ؛ ولكن الزمن الذي اقر عين الوالد بما حظى به الولد ؛ لم يلبث ان ارمض كبده باعتباطه شابا كما ستري ذلك ؛ فاحتسب عبد الله مصيبته به ؛ ثم جاء علي ولده الاخر بمارد الحياة الى الوالد وعرف به ان في الباقي خلفا . فطال عمره عقدين آخرين ؛ وولده هذا في شفوقه علي الاقران شفوقا كبيرا ؛ وامتنعه الله بطول العمر حتى راي من جميع اولاده تفوقا فسي العلم والدنيا والدين ؛ وكان لعلو همته لايجب الامعال الامور ؛ حتى في البناء فلايجب الا العالى المتين ؛ وكثيرا مايقول اذا راي من بناء الفقراء في زاوية الوالد ؛ انما هذا جمع احجار لمن سيبني بعد ؛ وليس ببناء وماصدقه في ذلك رحمه الله ؛ ولكن الشيخ الوالد يقول اننا ستمضي فيه اعمارنا والامر اسرع من ذلك ؛ ولمن جاء بعدنا ان يفعل به ماشاء على كيفية تروقه ؛ وقد رزى ايضا صاحب الترجمة بموت حفيده احمد بن محمد انجب ما يكون فكان رزؤه به كرزؤه بوالده قبله .

اما اخلاقه فانها هيئة لينة لايبالغ في العتاب ولا يستقصي في التنايب ؛ وقد ذكر الاستاذ علي ولده ان والده ماكان يتكلم معه في اى شىء حتى يبلغ فيه الحزم الطبيين ؛ ثم لايتجاوز كلمة او كلمتين ؛ ولكن ولده يفهم منها ما يريد به والده ؛ ومبلغ تاثيره في ذلك الامر .

واما دينه وملازمته للصف الاول في المسجد فاشهر من نار على علم لايجول بينه وبين ذلك اى حائل ؛ ومواظبته على ذلك في ايام اقلال اسرته اولا كمواظبته عليه اذ اسرته تدرك الف غرارة فاكثر من محصول الفلاحة ؛ والحظائر تعج بالمواشى والمدخرات تكتظ بها المخازن ؛ لايطيبه عن ذلك اى شىء من هذا كله ؛ ولسان حاله ينشد قول بعض الافغيين .

ومن عرف الدنيا كمعرفتى بها فليس بمغتر بقل ولا كثر
ومن عرف الرب الذى خلق الفنى نظيرى فانى يطبى عنه بالوفرا

(١) اطباء بتشديد الطاء استعماله

واما نظراته فى مختلف الامور فهى صائبة ؛ ويؤثر عنه كشف كثير ؛ وآراءه
 سديدة ؛ وحكم ماثورة ؛ حكى لى استاذى سيدى عبد الله بن محمد انه القى
 يوما من صدره مقدار بيضة من دم متجمد ؛ قال فحصل لى دهش كثير ؛ فذهبت
 بها اليه ؛ فقال لاباس عندك ان هذا من اثر الشفاء ؛ فكان الامر كذلك
 وقد توفيت رقية ام اولاده المتقدمة سنة ١٣١٤ هـ كما اخبرنى به العم
 ثم اقرن ايضا بعائشة البعليلية ؛ ورقية تلك توصف بالخير بين نسائنا ؛
 وكفاها شرفا انها تكشفت عن هذين العلامتين اللذين هما ماهما
 وفى اواسط سنة ١٣٢٢ هـ كان مرض يعترى صاحب الترجمة ولكنه يبل منه
 فشحاح مرة انه توفى مع انه ابل من ذلك المرض ؛ فوفد بعض الوقفاويين
 المنزوية قال حفيده استاذنا عبد الله فوجدنا امام الدار ؛ فقلنا انه الان ميل
 من ذلك المرض ولا باس عنده ؛ فاستحيا الوقفاوى فرجع ؛ فاخبر الجد بذلك
 فقال او تقول الناس ذلك ؟ انى اذن لبت قريبا ؛ قال ثم لم تمض ايام حتى
 سقط ؛ فالتحق بربه فى ليلة جمعة ؛ فغسله ولده الاستاذ على بن عبد الله
 والشيخ الوالد ؛ ثم صلى عليه هذا ؛ فوورى فى القبة ازاء ولده الاستاذ محمد
 ابن عبد الله ؛ وفى بقية من كفته كفن الفقيه الصالح سيدى عبد الله بن محمد
 ابن القاضى الايديكى الذى توفى بعد هذا بشهور
 وقد رثاه شاعر العصر فى القطر السوسى ؛ الاستاذ الطاهر بن محمد
 بقوله : يعزى ولده الاستاذ على بن عبد الله

على مثل هذا الحادث القادح الوقع
 ابعد مصاب المسلمين بفقد من
 وبعد مصاب الدين بالواحد الذى
 وبعد ابي الاشياخ افضل والسد
 لقد زلزلت ارض السيادة بعده
 وغيب منه اللحد بدرا تكشفت
 وقلل منه الموت لادر — دره
 واوحش ربع الدين منه وطالما
 فاق امرى يغرى العويص فريه
 لقد كان للمجد المؤئل ساعدا
 فوالله ما قام النعى بموته
 فصيرا امام الدين فالصبر صارم
 ففبك لتشييد الكمال كفاية
 فلا تخضع الصم الصلاب لزعرع
 فلا رزء الا دون رزئك فليكن
 فدونكها مولاي من فكرة ذوت
 تسر وفاء لوتمد بمنجد

تذل نفوس لامصون من الدمع
 يقوم مقام العين للمجد والسمع
 ينوب اذا عد الكرام عن الجمع
 يساء بضر او يسر بما نفع
 ودكت جبال المجد من نفخة الروع
 عن الدين والدنيا به ظلمة النقع
 شبا صارم ان سل فل شبا السبع
 نأى جنبه جنح الظلام عن الضجع
 ويكشف وجه الراى فى الجلب والدفع
 فمات فكف المجد منى بالقطع
 فأخرس الا والكمال هو المنع
 يسلم فيرمى مارن الرزء بالجدع
 اذا مال منه السركن تجذب بالضع
 يهب وانت فى العلاء علم الرفع
 تلقيك امر الله بالسمع والطوع
 نضارتها اذ خانها مسعد الطبع
 من القول لاستقصت مدى الواجب المرعى

الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الالغى

١٣٦٥ هـ - ٢٢ - ٤ - ١٣٠٣ هـ

نسبه

محمد بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد .

الغ عبارة عن هذا البسيط الافيح التسمع الذى زويت عنه زهرة الحياة
الدنيا ؛ ولم يحظ بالرياض الاريضة والجنان الخضراء ؛ والحدائق الغناء
والمزارع المخصبة والالفاف الغلب ومتنوع الاشجار ؛ والجداول المطردة والانهار
الفياضة والمرايح التى تفيض حيناً بالعشب النضر ؛ وحيناً بالغناء الاحوى ؛ كل
ذلك منعه منه يد الطبيعة ؛ وحرمت اهله من الاستمتاع به ؛ فما هناك الاغصير
شمالية او قبولية او دبورية ؛ تصرصر فى هذا البسيط الاجرد فتثير زوايح
تدافع متتابعة ؛ وهى قائمة ممتدة من الغبراء الى القبة الزرقاء ؛ كأنها صوف
نخيل متدافع ؛ وصرير الجواء يصك الاذان ؛ وتلاطم مختلف الرياح كأنه صفر
الجنة فى اوديتها .

فاية حياة ياترى تستطاب فى بلد هذه بعض صفاته ؟ او اى عمر يظن من
أمضوا اعمارهم فى وسط تلك المهام القفار ؛ انهم امضوه تحت قبة السماء
- كما يمضى الناس اعمارهم فى هذه الحياة الاولى تحت قبة السماء - ولكن رب
العباد الشفيق الرفيق الذى شملت رحمته كل شىء ؛ لا يزوى عن بلدة متعة من
هذه المتع ؛ الا عوضها متعة اخرى من ناحية اخرى ؛ فباى متعة ياترى عوضت
الغ بعد ما حرمت مما ذكرناه

متعة الغ التى فاز بها فى هذه الحياة الاولى ؛ هى متعة الدين والعلم والادب
وكان الذين نبعث هذه النعمة العظيمة من ايديهم رجالا نبغوا اخيراً فى الغ ؛ فى
مقدمتهم الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله صاحب الترجمة

فهو اول من وضع الحجر الاساسى فى العلم والادب الالغيين ؛ واول من
علم لبنيه حق التعليم كيف السيادة بالمعارف ؛ وكيف تستخرج دفائن الافكار
بعلم الادب ؛ ثم باشارته وبمعاونته اسس الشيخ الوالد زاويته بالغ بعدما علم
ان يسكن فى موضع آخر ؛ هو البق بالحياة وامكن ان يتيسر له فيه ماجعله
نصب عينيه كما سترى ذلك فى ترجمته ؛ فنالت الغ ببركة الاستاذ ابن عبد
الله مكانة وعظمة املت على لسان شاعر سوس ؛ وريبب الغ شيخنا الاقران
ان يقول من قصيدة فى الاستاذ على صنو صاحب الترجمة الذى كان ثانياً اثنين

في الإشادة بمعارف الخ المأجدة :

ناهت بواجدها السخ فقلت أها ايه فقد سلمت مصر وزوراء
ارض تراها عبر والنسيم شذا والماء راح وكالياقوت حصبا

الاستاذ محمد بن عبد الله هو اول من ذاق العلم من اهالينا ذوق من ادرك منه انه اساس السيادة الدينية والدنيوية ومغناطيس جميع المقامات اعليا التي تشرب اليها نفوس الاحياء الاباة ؛ فاقبل عليه وعلى تعليمه اقبالا غربيا حتى لايجول بينه وبين تعليمه منصب القضاء الذي انتصب فيه بين هذه القبائل ؛ فلم يكن كالاستاذ التسيوتي المتقدم الذي استراح في الدرجة الاولى واكتفى من وراء علمه بمنصب القضاء

الاستاذ محمد بن عبد الله هو المنبع الاول لجميع العلوم التي اشتهرت بها الخ ؛ ووسمت بها من اواخر القرن الماضي بين البلدان السوسية ؛ حتى صارت مثلا مضروبا في الاندية العلمية ؛ فكل من زاول العلم بعده من الالفين وتلاميذهم وتلاميذ تلاميذهم ؛ وهم عشرات انما هم كلهم حسنة من حسنت هذا الاستاذ

الاستاذ محمد بن عبد الله هو الذي وضع بفكرته البذرة الاولى لعلم الادب بين ما يليقه من المفطعات والقصائد لتلاميذه ؛ ثم مازال نبغ اصحابه ونبغ تلاميذهم ينتهجون منهجه ؛ حتى صاغوا للخ خاصة ؛ ولسوس عامة بل وللجنوب المغربي اجمع تاجا من الادب مرصعا ؛ يتلألا فوق هامات هذا العلم العالي الذي لايتعالى اليه الا المصطفون الاخيار ؛ فلئن كان شعر الاستاذ ليس بما بلغ به المدى ؛ فان من بعده ممن سار في طريقه ؛ حازوا به خصل السبق وتلك سنة النمو والتدرج والترقى ؛ ولايمكن في العادة ان تنخرم سنة الله في كل شيء ؛ ولن تجد لسنة الله تبديلا

فليعلم العالم اجمع هذا الاستاذ ؛ ولتخلده آثاره في الخالدين ؛ وليسبق ذكره معسولا في افواه ذاكريه في ندوات التاريخ التي لاتزداد بتقادم الأزمنة الاجدة وطلاوة .

فليحيى الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ وليحيى ذكره امد الدهر ؛ وليحيى كل من بذل جهده في اعلاء شان العلم والادب ؛ وليحيى هذا الادب الاندلسي النضير الذي ما ازهر في الخ بل في الجنوب المغربي الا بسببه

مبتدأ

كان بكر والديه وكانا يطعمان منه مايطعمه كل والدين من مرابطينا

اصحاب المواشى من ابنتهما البكر ان يكون ساعدا لهما ؛ ومعيناعلى مشاق الحياة
وكانا يميلان به فى الصغر الى رعاية الغنم ؛ ولكنه كان يهرب الى المسجد ؛ وقع
منه ذلك ست مرات ؛ فانعكست به القضية المعتادة ؛ لاننا لانشاهد الا مسرعا
يهرب من المسجد لامن يهرب اليه فكان ذلك كارهاص لما سيؤول اليه امره

كان مسجد الزاوية كانه موقوف على طلبة دويملان التملين احفاد
الشيخ سيدى يحيى بن عبد الله شيخ جدنا عبد الله بن سعيد ؛ فكان اولاده
محترمين عند اهالينا يثمنون بهم فتداولوا هذا المسجد ؛ وكان فى تعليمهم
نقص فاستحيا منهم اهل قرية الزاوية ان يستبدلوهم بغيرهم فمن عند اقدمهم
افتتح صاحب الترجمة ؛ ثم لما راي والده ان القراءة بالمسجد عرجاء ؛ شارب
له فى داره الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم افكان سوقد افردنا له ترجمة
فيه تخرج فى القرآن وذلك نحو ١٢٨٠ هـ

في مدرسة تانكرت

كان من اول ما لاحظت عيون السعادة صاحب الترجمة ان وفق والده
فالحقه بهذه المدرسة ؛ حيث كان الاستاذ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارنى
الافرانى والد استاذنا سيدى الطاهر ؛ فهناك رابط كل سنوات اخذه ؛ ولم
يتجاوز ذلك الاستاذ فى كل ما اخذه ؛ حتى افوعم اناؤه ؛ وغنقت رحيقه
فرجع يختال فى رضا استاذه ؛ وقد حمل بين يديه مهمة عظيمة ؛ جعلها كل
مناه فى الحياة ؛ فعزم على ان يمضى فيها عمره كله ؛ وماتلك المهمة التى جعلها
نصب عينيه الابث العلم ونشره ؛ فلا حياة الا بعلم ؛ ولا علم الا بهمة ؛ ولا همة
الا ممن نفخت فيه روح تستمد من الملا الاعلى ؛ وكانت سنة اياه من تانكرت
١٢٩١ هـ

في مسجد قريش

قف بنا الان قليلا لنلقى نظرة عجل على هذا الطالب النحيف الذى لا يحرك
جسده الضئيل الا بعض دماء تجرى فى شرايينه ؛ والا همة عالية تتناول
الشريا من القعود ؛ فعهدنا به وقد هاجر منذ عشر سنين ؛ من قرية ساذجة
منتهى سمو اهله فى التعلم ان يحفظوا القرآن ؛ ومنتهى سمو جيرانها الذين
تعلموا بعض علوم ؛ ان ينصوها حباثل لفصل الدعاوى وفض الخصومات
لينتشر عليهم من ورائها بضعة دراهم ؛ فهذا الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم
التيبوتى هاجر مهاجر وكد وتعب حتى حصل ؛ ثم رجع فوجد اهله يتنعمون بمال
وافر ؛ وثروة كثيرة ؛ وانعام يضيع فيها العبد ؛ ثم ماجال فى ذهنه ولا مثل بين
عينيه الا ان يجعل عمره كله فى فض النوازل ومزاولة الخصوم ؛ ليزيد تلك

التروة ضخامة الى ضخامة ؛ ولم يدر في خلد ان يبيت ما حصله في صدور النشء
ولا حاك في صدره ان مثله من يؤسسون المدارس وان نظيره يبني له بمثل
هذه الاعمال مستقبلا كفيلا بدوام المجد وخلود الذكر ؛ ووفر الاجر عند الله
فكان منتهى عمله وهجراه ان يظل يدور من ايت وفقا الى امتضى الى مجاط
الى ايلينغ ؛ ليحتقب مستجدا يزيده الى ما عنده فكان جزاؤه بعد ان امضى في
ذلك نحو عشر سنين انه لامات مات ذكره ؛ وكادت آثاره تنمحي من الوجود لو
لم تتصل ببعضها ؛ فاستخرجنا منها بعض ما يتعلق به ؛ واما صاحبنا هذا
الاستاذ محمد بن عبد الله ؛ فقد رجع بهذه الهمة العليا ؛ وبهذه النظرة التي
لا ترى الا السماوات العليا ؛ فجعل امام عينيه ما جعل مع ان دار والده ان قيست
بدار آل الاستاذ التسيوتي قفراء لولا بعض ما استجده فيها والده الحاج عبد
الله بسنعية الحثيث الجديد ؛ ثم ليس هناك شيء آخر يعتمد عليه في أداء
مهمته هذه ؛ ولكن همم الرجال اذا توجهت الى شيء كونت الاسس اولاً ؛ ثم
رفعت عليها بناء مشمخرا يناطح اجواز السماء ثم لم يطل العمر بالاستاذ محمد
ابن عبد الله منذ توجه الى مهمته هذه الا بمقدار ما طال بالاستاذ التسيوتي منذ
فارق المدرسة ؛ وانتشبه في القضاء ؛ ولكن ان وازنا بين العمليين ؛ ندرك
ما بين الرجلين ؛ فهؤلاء تلاميذ الاستاذ محمد بن عبد الله قد ملاوا هذه الارحاء
علما ؛ فابن من ابناهم الاستاذ التسيوتي من عمله ؟ واين ما يذكر به اليوم بعد
ان صار من المروسين ؟

هذا الاستاذ محمد بن عبد الله قد رجع بهذه الهمة ؛ وها هوذا قد انتصب
في مسجد قرية الزاوية بالغ ؛ وها هوذا يحول المسجد الى مدرسة فيزيد بعض
ابنية يسع بها المكان ؛ وهؤلاء الطلبة يجتمعون عليه ؛ وها هوذا يمونهم من
عنده وهاهي ذى دروس علمية منتظمة تتوالى في المجلس الجديد الذي اسسه
هناك وهاهي ذى سنوات ٩١-٩٢-٩٣- قد مضت وهو لا يزداد الا نشاطا ؛
والطلبة المنقطعون اليه قد بدأت حالات النجابة والتفوق تستدير بهم ؛ فها هذه
الاعمال ؟ وما هذه العزائم ؟ افليس الرجل غربيا بهمة النادرة ان قيس باهله
وبعلمائهم ؟

في المدرسة البومروانية

اذا اراد الله بانسان خيرا هياؤه من حيث لا يحتسب اعانات ؛ واركانا
بكنى عليها بنيانه ؛ حتى لاتزعزعه العواصف ؛ ولاتنسه القواصف فهذا
بمينه ماجرى لاستاذنا صاحب الترجمة ؛ فان سنة ١٢٩٤ هـ كانت على ابواب
المسغبة العظيمة التي امت بسوس ١٢٩٥ هـ فاجتاحته فاهلكت النفوس ؛
واقضت الاموال ؛ وانت على اسر كثيرة وعلى قرى عامرة فاجتشت اصولها ؛ ولا
يدري الا الله كيف تكون حالة الاستاذ لو بقى في ذلك المسجد في تلك المسغبة

وقد تطوق به وؤونة طلبته الفقراء الغرباء ؛ ولكن رعاية الله فوق كل رعاية ؛ فقد
 حدثه العناية الربانية التي لا يعمدها العاملون المخلصون الى المدرسة البومروانية
 فشارك فيها ؛ والمدارس لا تخلو من زرع مدخر ؛ ينفع في امثال هذه المساعف
 وقد كان الاستاذ يفضل شيئاً مما يتوصل به من شرط مسجد الزاوية فتجد
 له في السنوات الثلاث ما اذافه الى ما يتوصل به من شرط المدرسة البومروانية
 من سنة ٩٤-٩٥- فكان زرعاً كثيراً فصار يشتري الاملاك في تلك المسفة
 والاملاك من ارض ما يكون ؛ والمدخرون للحبوب قليلون ؛ والجهد يحصل
 الناس على بيع نفائس ما يملكون برخص ؛ فحاز بذلك املاكاً كثيرة في قرينته
 وما اليها ؛ ففي سنة ١٢٩٦ هـ وهو لا يزال مشارطاً في المدرسة تلك ؛ عزم على
 تنفيذ فكرة جعلها نصب عينيه فبادر الى تاسيس مدرسته الخاصة وقصد
 شجعه ما بيده ؛ وما صار اليه ببركة شرطه الذي باعه ؛ ومن الاملاك المغلة
 قرأى ان يستشير من هم اكبر منه ؛ فان المشورة لاناتي الابخير ؛ فاعمل رحلة
 الى شيخ العصر وبركة تلك الجهة سيدى الحسن بن احمد بن محمد التمكششى
 فاستشاره فاذن له بعد ما اشار عليه ايضاً العالم المدرس مسعود بن محمد
 البونعماني بتاسيس مدرسة كما حدثنى بذلك تلميذه الفقيه سيدى عبدالرحمن
 العوفى عن ابي الحسن صنو المترجم وخليفته في مدرسته الالقية صانها الله
 وكان سيدى الحسن يشك في مقدرة الاستاذ لما رآه من ضؤولة جسده ؛
 ونحافة قوامه فظن انه رجل اقوال لارجل افعال ؛ ولم يدرك ما قال الشاعر

ترى الرجل النحيف فتزدرية وفي اثوابه اسد هصور

وكان سيدى الحسن اسر الى بعض جلسائه ما يدل على ذلك في صورة
 مباسطة يسائله هل يقدر هذا على تنفيذ ما يقول ؟ فتكفل الزمان بجواب
 سيدى الحسن حين توسطت سنة ١٢٩٧ هـ فشاهد المدرسة تشيد ؛ وما كان
 مظنوناً صار محققاً

المدرسة الالغيتاؤسس

كان الاستاذ لا يزال بالمدرسة البومروانية ؛ وهو يوالى الدروس لتلاميذه
 بهمته المعروفة ؛ فما كان يجب ان يبطل درسا في وقته ما استطاع الى ذلك
 سبيلا ؛ فحين كان لابد له من القيام على بناء مدرسته بنفسه ؛ استدعى الشيخ
 الوالد ؛ وكان اذ ذاك مشارطاً في المدرسة الفوكرضية ليقوم مقامه في موالة
 الدروس لتلاميذه فاسعفه الوالد ؛ فودع فوكرض ؛ فجاء مع من معه من التلاميذ
 فحل محل صاحب الترجمة فى بومروان سبعة اشهر حتى تمت الدورة
 السنوية التي شارط عليها الاستاذ اصحاب المدرسة ؛ وقد تمت المدرسة
 الالقية ؛ وفصلت بيوتها الكثيرة ؛ ولكنها بعد ذلك ضاقت بالطلبة ؛ فصار من
 له منهم طاقة يبنى من جديد لنفسه .

المعهد في كثر المدارس السوسية المثبتة بين القبائل انها تؤسس على ايدي اهل القبيلة الذين يجمعون من عندهم اجرة اساتذتها ؛ ومن اعشارهم للطلبة الغرباء المنقطعين فيها ؛ ولم يعهد بسوس فيما نعلم من قام بنفسه بتأسيس مدرسة وحده كما يفعله اسانذة السباعيين ومن اليهم حيث تتوفر لهم الاموال ؛ ويوجد معينون مقتدرون ؛ الا ما كان من صاحبنا الاستاذ محمد ابن عبد الله اعصامي الذي اتكل على ربه اولاً؛ ثم على جهوده ثانياً؛ فانه اشاد مدرسته الالغية وحده ؛ جمع عليها العملة ؛ فقام بهم من داره مؤونة واجرة ولم نعلم ان احدا اعانه سوى الحاج ابراهيم الايغسانى ؛ فقد سمعنا انه امده ببعض اعانات ثم عزم الاستاذ على ان يقوم باود من ينقطع اليها - بلغوا ما بلغوا- وحده مما تدره عليه املاكه المستجدة كما ذكرنا ؛ ثم طابت نفوس بعض جيران الخ باعانات من اعشارهم التاكانزيون والتاجرموتيون والافوديديون احوال الاستاذ واما آل (اسيف مقورن) فقد انعموا بان يمنوها بالحطب دائما ؛ واما مرابطونا الذين يجب عليهم ان يكونوا خير معينين لابن اخيهم الذى قاد اليهم المجد الموثل بأرسانه ؛ فجعله فى تناول ايديهم ؛ وفتح لهم بفتح هذا الباب بابا خالدا لا يوصد امام قاصديه ثم احاب بهم ليوجهوا اليه ابناءهم لعلهم يدركون من الشرف مالم يختر على بال لهم ولا لابانهم من قبل ؛ هؤلاء الذين يجب ان يتبادروا كلهم اجمعون اکتعون ابغون ابصعون قد انقسموا فرقتين ؛ فاما من شرح الله صدورهم للتقوى وانار الله بصائرهم بانوار حب الخير ؛ ومسحت صدورهم من الاحن والاضغان والحدس ؛ فقد انضموا الى جانب الاستاذ ؛ وأبلغوه ان اعشارهم سيكون منها للمدرسة نصيب ؛ فهم اولى بذلك من التاكانزيين ومن معهم باعانة هذه المدرسة ؛ ثم صاروا ياتون بذلك فى بعض السنوات بصفة غير منتظمة ؛ واما الفريق الاخر فقد اصبحوا ممن يتخبطهم الشيطان من المس تناكل قلوبهم مما ينفسونه على اخيهم فيما آتاه الله من فضله ؛ فأوحى اليهم حسدهم ما اوحى فأقبلوا يؤسسون بزعمهم مدرسة اخرى بايمور ؛ ازاء مشهد الجند سيدى عبد الله بن سعيد ؛ فصاروا يدفعون اليها بقبضة من اعشارهم؛ فكانت مدرستهم كمسجد الضرار - كما سماها بذلك والدنا الشيخ رحمه الله- ولكن مضت ايام فايام ومدرسة الاستاذ فى ترقق واشتهار ؛ ومدرستهم كانما بنيت فى قعر بير ؛ لان المدارس باسانذتها لاباسمائها ؛ كما ان الصمصامة بساعد عمرو ابن معد يكرب لابنصلها ؛ فما مضت سنوات حتى راينا وراى العالم من خرجتهم المدرسة الالغية ؛ فارونا ايها الايموريون واحدا تخرج من مدرستكم ؛ الا حين شارط فيها الاسانذة سيدى احمد بن صالح الافرانى ؛ ويليه سيدى

محمد بن الحاج ؛ وسيدى المكى اليزيدى وهؤلاء ومن تابعهم انما علمهم من
الاساتذة الالفيين الاخرين وما هم الانفحة من نفتح المدرسة الالفية ؛ لان هؤلاء
خريجوها واولادها والمربون فى حجرها

الاستاذ فى مدرستهما الجديدة

طارت الاخبار بارتكاز المدرسة الالفية على الجهد والاجتهاد ؛ فانها اليها
الطلبة من كل حدب ينسلون فصار من يرد يجد من تلك الثلة التى كانت
صاحبت الاستاذ من اول يوم اذ كان فى مسجد القرية ؛ وفى المدرسة البومروانية
كالاستاذ العربى الساموكنى واقرانه من فداء تلاميذ الاستاذ قد تفوقوا ؛
ونالوا فى تعلمهم المقام الذى يتمكن به صاحبه فيقبل ويرد ؛ ويزن بالقسطاس
وزن الناقد البصير ؛ فاتخذوهم قدوة فى الاجتهاد ؛ واملوا ان يصبحوا امثالهم
غدا ؛ ان ساروا على الدرب الذى سار عليه هؤلاء قبل ؛ فمن بين من التحق
بالمدرسة ؛ فى تلك الحقبة الاستاذان الكبيران شيخنا الطاهر الافرانى وابوالقاسم
التاجارمونتى وامثالهما الذين سترى لهم بعد ما ترى ؛ فيقبل الاستاذ كل من
ورد عليه ، ويركزه فى الطبقة التى تليق به ؛ فيقبل عليهم تهديبا وتربية ؛ وكان
طلبتها فى ذلك العهد لا يتجاوزون خمسين ولم تدرك شاو المدارس القديمة
العهد التى تزخر اذ ذلك بما فوق المائة لكل واحدة ؛ كالمدراس الادوزيسية
والبونعمانية والبوعبدلية والتمكدشتية والارازانية الراسلوايدية والمحمدية
النهشتوكية ؛ فان لم تدرك الالفية الحديثة العهد هذه القديمات المكتظة
بالتلاميذ ؛ فان العبرة بالفائدة الحاصلة ؛ وبعدد الخريجين لا بكثرة المجتمعين
بغات الطير اكثرها فراخا وام الصقر مقالات نزور

كيف دراسته الاستاذ

كما ان مهرة البنائين يرون ان منتهى الفكرة هو مبدأ العمل ؛ وان وضع
أسس بناء فكرت فى ان تجعله عاليا ؛ لا بد لها من ارض صلبة ثابتة ؛ حتى
تطبق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم راسية لئلا تتزعزع اركان
تطبيق ان يرتكز عليها بناء عال متين فوق دعائم راسية لئلا تتزعزع اركان
واختلاف تقلبات الجو ؛ كذلك مهرة المعلمين الذين يرون النشء ؛ يرون ان
البدائيات مجلى النهايات ؛ وان الخطط تبني على ما رسمت عليه من اول يوم
فتراهم يسلكون بالمبتدىء مسلك الحفظ وتنبهه ذاكرته شيئا فشيئا بمعاودة
ما يدرس ؛ ليتمرن على الاستحضار ؛ وعلى تفهم ما يتلقى فيستكثر له من
تكرير القواعد وممارستها فى كل فرصة ؛ مع اجالتها باسالات لسانه ؛ فذلك

ادعى للرسوخ ؛ ولان تكون له ملكة ثابتة مع الزمان حتى لا ينساها ولا تاتبس
لعم غيرها ان امعن بعد في طرق العلم الشتى التى يدفع اليها متى شدا فعلى
هذه الطريقة سار الاستاذ فى تعليمه ؛ فبئها لكل من درج بين يديه فعادت
محجة لكل من يعلم من الالفين بعد؛ فلئن كان بعض المبتدئين يجدون فى ذلك
بعض صعوبة ؛ فانهم يحمدون مغبتها بعد حين ؛ ثم بعد ان يشدوتلميذه وقد
اتفق الاجرومية التى يقرأها لابد مرتين فى اللوحة بشرط ان يحفظ كل الحدود
حتى ان لم يدرك معناها كله الان فانه يعدها فى حافظته لاسيأتى ؛ وقد قرأ
ايضا المتون الصغرى الجمل والزواوى واللامية والمبنيات وهذه هى متون
المبتدىء فى النحو ؛ واما فى الفقه فابن عاشر ؛ فان استتم هذه واتقنها
ولو باعادتها مرات ؛ يستقبل الالفية والرسالة ؛ والمقامات ؛ وهو ماخوذ
بحفظ كل الشواهد وما يكتبه فى لوحته ؛ لان الدرس فى هذا الطور الثانى
لا يكون ايضا الا بها ؛ وهو وطبقته يطالع النجباء لهم الدروس التى سيقرونها ثم
يعيدونها هم بانفسهم مرات بعد ان درسها لهم الاستاذ ؛ واعراب الحزب بين
المنشئين للمبتدئين امر لابد منه ؛ فهكذا لايمضى للتلميذ سنتان فثلاث حتى
يتمكن وقد اتم الالفية والرسالة فيقبل به الى المختصر والتحفة والزفافية
والعمل والمنهج والالفية بالاشموني ؛ وقد كان فى المرة الاولى يقتصر له على
البهجة والمكودى ؛ ثم فى هذا الدور الثالث يدفع به الى خوض كل شىء من حديث
وتفسير وفرائض وحساب بعد ما اتم من هذين بشىء قليل فى الدور الثانى
هذا وهو فى عشية الاربعاء وفى يوم الخميس يتلو فى كتب الادب التى كان
يتلخج جرائيمه من المقامات الحريرية التى يدرسها يوميا ؛ بل ويحفظها وفى
العواشر تدرس قصائد ادبية اخرى كلامية العجم ؛ وبانت سعاد ؛ والمعلقات
السبع؛ والدريدية والدالية لليوسى والهمزية والبردة ؛ فيدرك الطالب
بذلك كله شواو كبيرا ثم يطالب فى مناسبات مختلفة ان يترامى على
صوغ الرسائل والقصائد ؛ ثم ان ظهرت فيه اهلية وظهر بقريحة جيدة فانه يعنى
به فى الادب والانشاء ؛ والا فيكتفى منه بان يدرك الفضة من القصة ؛ والتمرة
من الجمرة ؛ وفى الدور الثالث يدرس ايضا علم البيان فى متون التلخيص
والاستعارات بمنظومة ابن كيران ؛ والاصول فى جمع الجوامع ؛ هذه خطة
الدراسة الالفية ؛ وعلى هذه الوتيرة ينمشى اهلهما ؛ ولا ينتخون هذا النظام
والاستاذ يستعين بحذاق تلاميذه فى مختلف الطبقات ليتدربوا ايضا على
التعليم ؛ فجاءت هذه الطريقة بنتيجة عظيمة لايمكن ان يهنى اليها الا من
سار بنظام ؛ والنظام والتؤدة والرفق والتدرج شيئا فشيئا ؛ ما دخلت فى
شىء الا سار هو بنفسه بالطبع حتى يكون من المثل العليا يشاهده كل احد .
هذا ما اسسه الاستاذ محمد بن عبد الله فى مدرسته الجديدة التى سار
فيها سيرا منظما متوازنا ؛ وقد حفظه الله من العثرات التى توالى عليه بعد
ان كاد ينبطح فى بعضها ؛ وما اولع العثرات بالساعين فى انجاز الاعمال .

ماكاد الناس يفتنون من مسغبة ١٢٩٥ هـ حتى جاءتهم سنة ١٢٩٩ هـ بمسغبة أخرى أشد وأعظم ؛ والاستاذ قد امكن له ان يتملص من الاولى بانحيائه الى المدرسة البومروانية التي كفته مؤنة تلاميذه ؛ وأبقت على مساقصده فسي مسجد الزاوية قبلها وامتته بشرط آخر تأتي له به وبما في يده ان يخرج فائزا من تلك السنة الشهباء باملاك وافرة هي معتمده يوم اسس المدرسة ولكن هذه الاملاك بورية ؛ وقد افلت سنة ١٢٩٨ هـ من غير ان تريح الى خزائنه حبة واحدة ؛ ثم طلعت السنة التي بعدها فاذا الناس يتصورون سغباً ؛ ويسقطون بالجوع في الطرقات ؛ فماذا يفعل الاستاذ الان ؟ والمدرسة قد اجتمع فيها عشرات من المنقطعين ؛ والسنة الماضية محلة ؛ وهذه الحاضرة ادهى وامر ؛ طعن الاستاذ هذه الطعنة ؛ فلم يجد لها دواء الا ان يجيل على تلاميذه نظرة فيستبقى منهم من تقدم في التعلم وظهرت نجابته ؛ ثم يودع سواهم ويواعدهم يوم يعود الدهر بخيره ؛ وهل وجود عمر الا اذا جاد الله ؟ فذهبوا وفؤاد الاستاذ وراهم ممزق شعاع ؛ ودموعه على وجناته تساقط سمطين سمطين كما يقول الزمخشري

زار الشيخ سيدي المدني الناصري تلك السنة الخ ؛ فنزل بالاستاذ واذ كان لابد من شكوى الى ذي مروءة يواسي او يسلي او يستوجع ؛ نفص الاستاذ شكواه الى ضيفه فقال له وعيناه مفروقتان بالدموع - كما حكى من حضر- اني ياسيدي كنت شيدت هذه المدرسة لتعمر ؛ وأهاب السعد اولاً بالطلبة اليها ؛ حتى اذا توافروا والفناهم وألفونا اضطرتنا هذه السنة العجفاء ان نأمر بعضهم بمغادرتها وصدورنا تتأجج اسفا ؛ فكان السعد الذي كان ازاناً اولاً ؛ قد طلقنا اليوم وكان الله لم يرد عمارة مدرستنا هذه ؛ لترى باعيننا كيف خاب في ايدينا رجاؤنا فهدها الشيخ بكلمات مسح بها بعض ما ألم به ؛ ثم قال له قم بنا الى هري المدرسة ؛ فمد الشيخ يده الى حفنة فبارك فيها فقال له لا تخف منذ اليوم ان يخلو هذا الهري من الشعير ؛ فان كل الاولياء يباركون فيه به ماباركه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومثلك لا يخيب له رجاء ؛ مادام قصدك حسناً - فشجعه الشيخ بكلام آخر كثير

ثم ما دارت الدورة السنوية ؛ حتى انجابت الغمة ؛ وانكشفت الغمام وألقى الخصب بجرانه في الخ ؛ وقد كان الناس تكلفوا ما اطاقوه من حزن والاستاذ بينهم باخ في ذلك جهده ؛ فافاء عليه محصوله تلك السنة ما يناهز الف غرارة فيما يقال ؛ فاقعومت مخازنه ومخازن المدرسة بالخيرات التي فاضت اليها من ربها ومن اعشار الناس ؛ فراجع الطلبة المودعون مدرستهم واتبعهم آخرون فسارت المدرسة في طريقها ؛ وانطوت تلك المسغبة الشديدة

عن الناس ؛ فاقال الله عشرة الاستاذ بصدق نيته وحسن طويته ؛ ومن كان
لله كان الله له

العشرة الثانية

اشتهر الاستاذ بعلمه وفقهه كل الشهرة ؛ وصار بينه وبين اقرانه سابقة
في ميدان الافتاء ؛ فصار ارباب النوازل وذوو الخصومات ؛ والمنظليون لقسم
التركات يردون عليه ويحكمونه فيما بينهم ؛ ثم لم تزل شهرته تتسع وهؤلاء
يتكاثرون حتى ليكادون يحولون بينه وبين ان يودى حق المدرسة ؛ وربما
تعرض له ايضا اشغال يسافر اليها فيبقى الطلبة بلا دراسة كسفره الى
مراكش في اواسط سنة ١٣٠٠ هـ فحين اطلت سنة ١٣٠١ هـ راي ان يستعين
بالاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم اليزيدى فشارطه في مدرسته ليتمكن
للدروس ان تتمشى بنظام ؛ ان حال بينه هو وبين موالاتها اشغال طائفة
او اصحاب النوازل الذين يصيرون امام داره كانه سوق ؛ فكان هذا الاستاذ
اليزيدى مما وقى به صاحب الترجمة من العشرة الثانية لان الطلبة الغريباء لا
اتقل عليهم من ابطال الدروس ؛ وتخلل الفترات بينها ؛ ولا ينيك مثل خير

الاستاذ وطلبتهم في وادي افران

بدا للاستاذ ان يزور هو وكل من في مدرسته وادي افران ؛ فقصدا
الشيخ سيدى المدني ومعهم الاستاذ اليزيدى ؛ والدراسة سائرة في طريقها
ولم يقطعها السفر وقد وجدت للاستاذ هذه الابيات يخاطب بها سيدى المدني
هذا ؛ واظن ذلك في سفرته هذه

ايا ابن القطب احيا الدين جهرا	وجد ما وهى وازاح جهلا
اتينا كي نزوركم وكنتم	لذلك فى اعتقاد العبد اهلا
فمنوا بالقبول فذاك قصدى	وسعدى قولكم اهلا وسهلا
ومبد للضراعة نحو ربى	ليقبل جمعنا شيخا وكهلا
وتم عليك من ربى سلام	به يرويكم نهلا وعلا

فحين حلوا دار الشيخ تطلب منهم رؤساء قبيلة تانكرت ان يتبعوا
قراهم بيانا فاسعفوهم ؛ وكان الزيت مخصبا جدا فى تلك السنة ؛ حتى كاد
يكون بلائمن ؛ فصار اهل القرى يجمعون للاستاذ والطلبة قبضة - نحو كيلو -
من الزيت لكل دار ثم انبعوا سيرهم يتفرون ايضا قرى قبيلة اداوشقرا ؛ الى
ان حلوا بتيمولاي اسفل افران وذلك كله محبة لاهل العلم ؛ والمنقطعين اليه ثم
رجع الاستاذ ومن معه الى الغ يحتقبون خيرا كثيرا واجرا حافلا ؛ ولا جناح على
المؤمنين ان يتغوا فضلا من ربهم من الباب المشروع

الاستاذ يعاود إدارة الدروس بنفسه

رايت ان الاستاذ اليزيدى هو الذى قام بادارة الدراسة سنة ١٣٠١ هـ والاستاذ مشغول بأرباب التوازل المتكاثرين ؛ ثم كان نفسه لم تطيب الا بمزاولة ذلك فلازم بنفسه ؛ فودع الاستاذ اليزيدى ومكنه شرطه ؛ وجزاه خيرا ؛ ثم انتصب لما هو بصدده ؛ ثم لايجد منه المتداعون الا مافضل عس اوقات الدراسة ؛ وقد سمعت انهم اذ ذاك يتجمعون امام باب المدرسة ينتظرون فراغه من الدروس ؛ هذا مع ان الاستاذ ضعيف البنية جدا ؛ هزيل نحيف من امراض لازمته منذ زمان ؛ لايجد متعة للحياة ؛ وقد حكى لى العم انه كان يقول الامن يعطينى صحة كاملة وجسما قويا فاناوله كل هذا المجد ؛ ولكن مع هذا الحال لم يطق ان يتخلف عن درس واحد فقصى بهذا كل هذه السنة ١٣٠٢ هـ

الاستاذ مع رؤساء إيليف

كان يعسوب جزولة ذلك العصر سيدى الحسين بن هاشم مولعا بكل مايزيده فى المعالي لبنة ؛ فيزيد الى ارباب الصوارم والعوالى ؛ ارباب الدفاتر والاقلام ؛ فكان حوّه منهم هالة كبيرة ؛ من بينهم الاستاذ المترجم الذى يقد اليه منذ كان بمدرسة تانكرت تلميذا فى الرضانات لدرس البخارى وفسى ١٢٩٣ هـ حين ودع والده الحاج عبد الله واستاذه ابن ابراهيم الى الحج اعتمر الى الرئيس بانه يتخلف فى رمضان تلك السنة ؛ فأبى أن يقبله فقال له الاستاذ ابن ابراهيم انه سيأتى فى رمضان فكان ذلك باذن استاذه اكيدا عليه ؛ ثم قال له استاذه بعد : كان يمكن ان تنفقل قبل ان يالفك الرئيس واما الان فلانم كان ذلك ديدن الاستاذ الالقى فى كل الرضانات حتى لحق بالمالا الاعلى

الاستاذ يتصل بالسلطان

جاء السلطان مولانا الحسن سنة ١٢٩٩ هـ الى سوس فنزل ازاء تزنيست فاهرع اليه كل من له اعتبار من الرؤساء والعلماء ؛ فكان صاحب الترجمة ممن ادى الحق الذى عليه لصاحب العرش المغربى ؛ فزاره مع طلبته ؛ ثم فى سنة ١٣٠٠ هـ سافر هو والقائدان سعيد المجاطى ؛ والحسن البشيرانى الى الحمراء فادوا التحية هناك فى ٢٤ - جمادى الثانية ؛ فوصل الجميع بصلات حسنة خصوصا الاستاذ فانه اعتنى به اعتناء زائدا ؛ ومن بين ما اتحفه به كسى كل من يتعلق به من اهل داره ذكورا وانانا ؛ طلب منه - كما سمعت - ان يقيد ذلك فنقد له التجميع ؛ واذ ذاك كتب له ولجميع المرابطين ذلك الظهير الشريف الذى نشرناه تحت رقم ٦- فى الملحقات بترجمة الجدى سيدى عبد الله بن سعيد فكانت هذه الحفاوة التى لاقاها من السلطان هذه السنة هى التى حدثت الى ان يعود الى زيارته ثانيا سنة ١٣٠٣ هـ والانسان اسير الاحسان

روح الاستاذ تلتحق بالرفيق الاعلى في مرا كس

ماشينا الاستاذ منذ وثبته الاولى فصاحبنا في كل تقلباته المختلفة وفي جميع مقاماته التي يترقى فيها ولاشك ان القارىء يدرك سمو هذه المهمة الفذة التي هي كلها تطلع الى المرتبة العليا التي لا يعلى عليها ؛ وبرهن على هذه العبقرية كل برهنة ماحكاه العم ان الاستاذ على بن عبد الله صنو صاحب الترجمة كان يقول للاستاذ حين اقبل على تشييد المدرسة كل اقبال: ما نصنع نحن بمدرسة جديدة والمدارس المبنية في القبائل كثيرة جدا ؛ وما يعمرها الا امثالنا ؛ ولا توصل ابوابها دوننا ؛ فباى شيء تقوم هذه المدرسة اليوم او بعد اليوم ؟ مع ان المدارس لا تقوم الا بمعاونة قبيلة من القبائل ؛ فقال له الاستاذ ما بنيت هذه المدرسة الا لاجرب هممنا لاعرف انحن رجال مقتدرون ام لا ؛ ولكي يعرف الناس بعد من انت ؛ هل انت رجل مقتدر نهاض بالعظائم ؛ وانت خائر العزيمة ممن يردهم خيال ويرهبهم ظل ؛ ويتطايرون بنفخة واحدة ادراج الرياح ؟

هذه هي همة الاستاذ ؛ وهذه مقدرته التي برهن عليها بفعله وقوله ؛ ولكن ربما يحسب بعض القراء ان التجارب التي اكتسبها من عمل طويل ؛ وان الدروس التي تلقاها من عقود كثيرة مرت به ؛ هي التي شجذت همته ؛ وارتته انه لا يفوز في الحياة الا المقدمون المغامرون ؛ فتكون تجارب شببته وكهولته هي التي اوحت اليه الفكرة العليا التي ينفذها في شيخوخته ؛ ولكن كم يطول عجه ان عرف ان هذه المهمة النافذة ؛ وان هذه الاعمال الخالدة ؛ وان هذا الاقدام الذي لا يلتوى انما ذلك من شاب نشيط مغامر تواق الى المعالي ؛ وانه ودع هذه الحياة قبل ان يتسلق قمة العقد الرابع ؛ فلئن كان الاستاذ يحيا النووى ؛ والفتاح الشهير اسكندر المقدوني ؛ قاما بما قاما به ؛ فيما يقارب هذه السن ؛ فان لهذا الاستاذ من الاعمال التي يناتى لمن كان في وسطه ان يقوم بها ما يبراحهما به في شرفهما هذا بمنكب عريض مع مراعاة الازمنة والامكنة ؛ وما يمكن في كل عصر ؛ وما صاحبنا الاصنو سيدى بيورك بن عبدالله بن يعقوب السملالى في همته وفي علمه وفي قصر عمره .

كنا غادرنا الاستاذ بين تلاميذه في مدرسته يوالى الدروس سنة ١٣٠٢ هـ ثم في ١٣ - من ربيع الاول من سنة ١٣٠٣ هـ غادر المدرسة ؛ وقد استناب والذي في موالة الدروس مع الاشراف على صنوه على بن عبد الله الذى هو خليفته الرسمى فسافر مع القائدين المذكورين ليجددوا التحية لصاحب العرش ؛ وقد لازمه ذلك الهزال ؛ ولكن ذا المهمة النافذة والنفس الكبيرة ؛ لا يبالى بجسده ؛ في قضاء مهمته .

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

فرجع القائدان بعد ان تم المرام ؛ وتشرفا بالثول بين يدي صاحب الجلالة مولانا الحسن فبقى الاستاذ وراءهم هناك مع لمة من اصحابه ؛ وداؤه يلح عليه وربما عالجه بمرهم لم ينجح فيه ؛ ثم ازداد عليه مضضه فاحس بدنو الاجل فطلب ممن معه ان يخرجوا به من الحمراء ؛ فنزلوا به في قرية صغيرة في احوال تامصلوحت ؛ وهناك جاءت الدقيقة الاخيرة ؛ فلفظ الاستاذ محمد بن عبد الله النفس الاخير .

قضى الامر ؛ ونزل ماليس لبنى آدم طاقة ترده ؛ فافاق رفقاًؤه ؛ فمالسوا بالاستاذ الى مقبرة صغيرة ازاء تلك القرية فواروه فيها ؛ ثم جمعوا متاعهم فرجعوا ادراجهم الى الخ ؛ وهم يتدبون سعدهم ؛ ويبكون جدهم ؛ ولا يدرون باي وجه يردون على اهاليهم ؛ وبأى طلعة يطلعون على الخ وقد غادروا بدمه الوضاء بتامصلوحت ؛ وحفروا هم له بايديهم هناك ؛ ثم افردوه في رمس تسفى عليه الريح والموور .

دهم نعي الاستاذ المدرسة ومن حوايلها ؛ فقامت القيامة ؛ واسود وجه النهار وهم في صحو يكاد يقطر غضارة ؛ فاقبل والده الحاج عبد الله مطرق الراس عليه غيرة ترهقه فترة ؛ يفصح جبينه بما لم يقدر لسانه ان ينطق به استسلاما للقضاء فادى حق التعزية وقوبلت وفود المعزين الذين تواردوا من كل جهة من الالغيين وغيرهم ؛ بنفوس تعرف ماهو التجلد ؛ وكيف يكون الاحرار الاباة ؛ في امثال هذه المواقف الجلي ؛ وكان من بين الواردين الشيخ سيدى المدنى الناصرى ؛ فسمعت انه قال لسيدى الحاج عبدالله ؛ وقد شاهد منه نزوة ؛ حق على من رزى بمثل هذا النابغة مثلك ؛ ان تطير عليه شعفات قلبه ؛ فنطق لسان بما يكنه ؛ وان كان لسان المعزى ينطق عادة بغير ذلك وكانه ينشده بلسان الحال ماقاله بعض الالغيين بعد ذلك العصر .

نعزيك لا انا جهلنا مقام من	نعزيك فيه بين من عانقوا الموتى
ولكننا نمشى على سنة مضى	عليها جميع الناس ان دفتوا ميتا
فنامر بالصبر الجميل واننا	جميعا لقي حزن عظيم كما انتا
والسننا تنلو العزاء واننا	على جزع كنا عليه كما كنتا
اسلوى وقد فات الذى كان عمدة	عليها مدى اعمارنا نحذر الفتوى ؟
وكيف التسلى والذى منه نشاة	لاحياتنا قد صار فى عالم الموتى ؟
قوورى والاشخاص منا شواخص	فمن ذا الذى من بعده يرفع الصوننا ؟
فاى لبيب ليس يعذران راي	صراخ الاى يرزون ذلكم الميتا ؟
فما كل مرموس كاستاذنا السدى	له همة لم تدر فى عزمها حتى ؟

تجاليد الاستاذ تنقل إلى الغ

كان الشيخ الوالد رحمه الله من الاستاذ بمنزلة اليد لاختها ؛ فهما لدتان سنا وهمة وتطلعا الى المعالي ؛ فالتحم ما بينهما التحاما ؛ فقد رايت كيف ناب الوالد عن الاستاذ في المدرسة البومروانية ؛ ثم ناب عنه في المدرسة الالغية في رحلته هذه التي التحق فيها بربه فقام الوالد وصنو الاستاذ علي بن عبد الله فالتحقا بالحمراء فبانا فيها ليلة واحدة ريثما تم لهما تابوت ؛ فمرا بهرمس الاستاذ فوضعا تجاليد في التابوت فأقبلا يغذان السير ؛ فدفناه عند اهله في وسط المقبرة القاسمية ؛ ثم جمع اهله همتهم على تاسيس قبة عليه ؛ فتولى الشيخ الوالد كبر ذلك ؛ ولكن لم يلبث قبو القبة ان سقط ؛ فكان القدر يمل في ذلك موغظتين

اولاهما ان ما اسسه الاستاذ بيده في ايامه ؛ واشاده في صدور تلاميذه وخلفه من بعده خالدا مخلدا ؛ هو قبته الخالدة الدائمة التي لاتسها الاعاصير الالغية ؛ وخواصف (تيفرमित) العاتية ؛ ولانتمد اليها يد الدهر وان تطاول فمن كانت له هذه القبة من المجد الموثل ؛ فكيف يتوقف بعد على ما لا بد ان ينهار اما اليوم واما في الغد ؟

والاخري ما نهت عنه الشريعة باحاديث صحاح لامغمز فيها لغامز ؛ ولا يمكن ان ترد بأعمال المتأخرين الادين ؛ وحين يابى الاحياء ان يقفوا عند نهيا فان ارواح الموتى تجار الى الله في عليها ان لاتبقى متصلة ببدة من البدع فجاءت الاعاصير الالغية ؛ والقواصف التفرميتية تؤمن على دعواتها فمالت على الجدران تسفيها هباء منثورا ؛ وما لاسس له فلا بد ان ينهار . والمعدوم شرعا كالمعدوم حسا

اخلاق الاستاذ

كان الاستاذ كما رايت محفوظا في كل ماتمسه يده ؛ وقد جعل الله البركة في عمره ؛ وأنزل اليمن على عمله فيني وائل وولد وعلم ؛ وكل ذلك في اثنتي عشرة سنة منذ فارق المدرسة التانكرتية سنة ١٢٩١ هـ الى منتهى ١٣٠٢ هـ وقد كان الشيخ الوالد كثيرا ما يذكر ذلك ويجعله مضرب الامثال في المحفوظين الذين أخذ الله بأيديهم ؛ ووقفهم حتى فعلوا ثم بقيت افعالهم خالدة فاسمع ما قاله الوالد في رحلته الحجازية حين ذكره للاستاذ علي بن عبد الله خليفته في المدرسة

متبعا شقيقه محمدا من كان في الهمة فردا او احدا
من يفعل الخير الذي قد فعله ؟ يعمل في العمر القصير عمله

قد خلف الذى عليه يجرى
لانه اكرم من كريم
قد فاق بالجد والاجتهاد
ففاتهم وسلموا فى السبق
وهو الذى قد شاد فى بلدتنا
وغرس العلم له تلامذة
وحبس الاحباس ثم خلفا
فهذه الثلاثة التى ذكر

فى حال موته بخير ذخير
بأى عزم مقعد مقيم
اقرانه من زمن المهاد
من مثله فى الغرب اوفى الشرق؟
مدرسة شادت له كل ثنا
عديدة لهم فهوم نافذة
اولاده ينتجعون الشرفا
لفاعل اجر بها وان قبر

وسمعت من الاخ المرحوم سيدى احمد ؛ وكان ممن ينصف الرجال
ولا يغبطهم حقوقهم ؛ ان سيدى محمد بن عبد الله هو الذى اسس لآل سيدى
صالح ما فرغوا فيه الى الان ؛ وهم الان ديار متعددة ؛ واسر شتى ؛ قال وكل
ما فى ايدى هذه الاسر استحدثه الاستاذ فى ايامه القصيرة ؛ ثم لم يستحدث
من الاملاك بعده عشر العشرات ثم يفيض سجلا من الثناء على الاستاذ ؛ فصاحب
الترجمة محظوظ من هذه الجهات افلا ترى ان ملاك ذلك كله اخلاقه ؟ افلا
يكون أيضا محظوظا من جهتين ؟

فقد سمعت ان قضية كانت فى يده لبعض اناس من آل دو كدير ؛ فادل
بعضهم برسوم زور ؛ فرده الاستاذ ؛ فاجتهد الاخر بكل ما فى امكانه ان يقبله
الاستاذ ؛ والاستاذ يرده عليه ثم قلب له ظهر المجن ؛ فصار يتوعده لعل ذلك
يؤثر فيه فيقبل رسمه ؛ فكان الاستاذ ازاء ذلك كحائط من فولاذ ؛ لا يتأثر
بأى شئ ؛ وهذه ناحية اخرى نعرفها من خلقه بهذه القضية .

وكذلك جرت له هو بنفسه نازلة مع سملاى ؛ اشتهرت فى ذلك الحين
كل الاشتهار ؛ فظهرت أنه صلب الارادة ثبت حاذق لانتشى عليه الحيل ؛
وذلك انه دابن سماليا فى بعض المساعب بجبوب بشن اكثر مما فى السوق
ثم أجله وللأجل حظ من الثمن ثم لما اخصب الناس راغ السملاى ؛ فقال انما
ارد الحبوب بوجهها ؛ فصار يدلى ببعض فتاو من فقهاء يفتونه بما ذكر فيها انه
باع بالفلاء لمن كان مضطرا ؛ فى حين ان هذه ليست اخت تلك ؛ فاستفتى
هو بدوره علماء آخرين ؛ وبين لهم ان هذا الانسان ذو املاك تداين عليها ؛
فاقتوه بلزوم الثمن ؛ ثم قام الرؤساء السملاليون وهم يعرفون للاستاذ مكاتنه
فألزمو ذلك الانسان ان يغرم ؛ فالتجأ هذا الى رئيس ايلبغ سيدى الحسين
فأرسل الى صاحب الترجمة ان ياتيه برسومه ؛ لينظر اهى صحيحة ام لا ؛
فأرسلها اليه الاستاذ ؛ فأعرض سيدى الحسين عن القضية ؛ ومكن السملاى
من الرسوم فأحرقها ؛ ثم دالت الايام على سيدى الحسين ؛ وقد حاصرت القبائل

أواخر ١٣٠٢ هـ او أواسط هذه السنة ؛ فاتصل بامغار محمد المجاطى ؛ فكان أول ما اشترطه عليه امغار محمد بين شروط ان ينصف الاستاذ ابن عبد الله فى قضيته ؛ فأرسل اليه فى الحين ؛ فقال له الاستاذ اعطنى رسومى اولا ؛ فقال له سيدى الحسين ان الرسوم قد احرقها المدين ؛ ولكنى ساقف معك بغيرها ؛ فقال له الاستاذ ؛ مادمت تريد ان تنصفنى فانى ايضا اقول لك ان ماوصلك من الرسوم انما هى نسخ منقولة من الاصول ؛ واما الاصول من الرسوم فهامى ذى عندى . فعلت ذلك احتياطا فجعل سيدى الحسين دعوا هما فى يد الاستاذ سيدى أحمد بن ابراهيم السملالى العلامة الشهير ؛ قال سيدى الحاج احمد اليزيدى فمرىبى الاستاذ بن عبد الله وانا اذ ذاك بالاختصاص ؛ فتصاحبنا فبتنا عند الاستاذ السملالى ؛ فحكم بصحة دعوى الاستاذ والزم السملالى بالقرم ؛ وكتب له بذلك فقال الاستاذ ابن عبد الله لسيدى الحاج احمد اليزيدى الذى كان واسطة بينهما ؛ سل الاستاذ السملالى كم اجرتة فى القضية فقال له الاخر ؛ مثل لاياخذ من مثله اجرة ؛ انما اجرة امثالنا فيما بيننا هو التعاون على النوازل ؛ والتناصر على احقاق الحق فيها وابطال الباطل .

هذه الحكاية تربنا نواحى شتى من اخلاق الاستاذ ؛ فنرى منها انه لايلقب ولايحنى هامته ولو كرئيس ابلغ الذى كانت له سطوة هائلة اذ ذاك ونرى ايضا احتياطه فى الرسوم فأدركننا انه ممن لا يخدع ولايقعقح له بالشنان فهذه نواح اخرى نعرفها زيادة على ماتقدم

وللاستاذ نظرات صائبة ؛ وقد راي من ولده استاذنا عبد الله وهو ابن اربع سنوات ما حمله على ان قال ان ابنى هذا لجرىء ؛ فكان كذلك ؛ فكانما كسب له ستر الغيب ومن اوتى العقل فقداوتى الفراسة التامة ؛ والتوسم فى كل ما يعلن امامه (واتقوا فراسة المومن)

وكان رحمه الله فى الدروس جهورى الصوت فصيحاً ؛ حكى بعض سامعيه انه لم يعهد له ثانيا بعده ؛ على ان لصنوه الاستاذ على فصاحة كذلك تضرب بها الامثال .

آثاره

لاادرى اى آثار اخرى ينتظرها القارىء عن الاستاذ ؛ بعد ان راي فى كل ماتقدم اعمالا خالدة ؛ لانصدر الا عن رجال عبقريين ؛ فمثل الاستاذ الذى افرغ ايامه القصيرة فى التعليم ينبغى ان تتطلب آثاره فى صدور اصحابه ؛ فما بعدهم له من اثر ؛ واما آثار قلمه فقلما يتفرغ لها من كان مطوقا بمثل ماطوق به ؛ فقد اخبرنى ولده استاذنا عبد الله حفظه الله انه كان افتتح

الاخوان المذاكرين معنا وجميع من تعلق بنا ؛ وقصد الانخراط بسمطناوعنى
وبعد فان الله تبارك وتعالى ؛ قد شرع الاستخلاف لمصلحة الائتلاف
وجعل انتظام الامر مقصورا على الاتحاد ؛ ووعد على الاجتماع وواعد على الالحاد
فقال : (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)

ولذلك استخلفنا عليكم اخانا عليا ؛ سدده الله فيما كان له وليا ؛
فانخذوه ابا ؛ وتوقيره ديدنا وادبا واوصيه بجميع الاخوان ان يحلم عن جافيههم
ويشكر سعى وافيههم ؛ وينصح جهده ويوطئ لجمعهم مهده ؛ وان لايميز بينهم
الا بمقتضاه وان يرضى لجمعهم مايجبه لنفسه ويرضاه ؛ واوصى الجميع الامير
والامور ؛ ان يلاحظوا الله تبارك وتعالى في جميع الامور ؛ وان يعلموا ان اعظم
الصدقة في عصرنا هو الصبر والكظم ؛ وأحق به الاقارب بالدم والعظم ثم
بالمجاورين والمجاورين ؛ مع مراعاة خدمة الله تعالى في ذلك كله؛ واعلموا قطعا
ان حقيقة العلم هو العمل بالمعلوم ؛ ومن تعلم ولم يعمل فهو مدموم ملسوم
وانا استودعكم الله الذي لاتضيع ودائعه ؛ وأبضع تعليمكم في سفر الارجاء الى
انبي صلى الله عليه وسلم فانه لاتكسد بضائعه ؛ ولما حان اعمال ذى الظفر
والخافر ؛ انشأت لكم مودعا في بحر الوافر

اودع جمعكم ونظام امر

(الى آخر ابيات ثلاثة) ومن ذلك ايضا رسالة كتبها الى تلميذه الاستاذ

سيدى الطاهر الافرائى نصها ؛

امد الله بالعلم اللدنى ولد شيخنا المحفوف من الله بالرحمة والرضا ؛
سيدى الطاهر ؛ وامتتنا واياه فضلا منه سبحانه بصفاء الباطن واستقامة
الظاهر وجعلنا من الطائفة الظاهرين على الحق حتى نكون لاسرار الكتاب
والسنة من اجلى المظاهر وسلام الله تعالى عليه يصحبه دائما حتى يكون
بكمال الفضل من جملة المشاهر .

وبعد ؛ فاعلم ياولدى ارشدك الله وسددك ؛ واعانك على الاستقامة
وبالصفاء ايندك ؛ ان النهايات على قدر البدايات ؛ وحمد البداية انما هو بكمال
الادب مع الله تبارك وتعالى سرا وجهرا بامثال امره واجتناب نهيه ؛ ومع رسول
الله صلى الله عليه وسلم باتباع سنته وخدمة ملته ؛ وكمال التواضع لسائر
أمنته ؛ بحيث يرى العبد سائر المسلمين اشقاء من هذا الاب الدينى صلى الله
الله عليه وسلم ويقصد بذلك اقرار عين النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وطاعة
من هم من خير عبيده سبحانه ؛ ولاسيما الاخوان المذاكرين الذين ينتفع
المرء بمجالستهم ويزداد علما بمدارستهم ؛ فحقهم أكد وأكد ؛ وقد كنت احببت
القيام على هذه القدم لسائر الاخوان ؛ وادعو الله لهم بذلك في كل وقت واوان

ولكن كمال بنوتى لوالده ادرجه الله فى مدارج العرفان ؛ وجعله فى عالم البرزخ مغبوطا لكل فان؛ يظهر لى انى قصرت فى حقاك ؛ ويستقل لى ما ادخرت من طيب العلوم فى حقاك ؛ فتفكرت فى وجه يتحقق به كمالك ؛ وتحصل عما قريب ان شاء الله آمالك ؛ فرأيت السبيل الى ذلك هو كمال الادب والجد فى الطلب فهما شاهدان عدلان على استحقاق المدعى ؛ مايمد اليه يده ويدعى ؛ ولذلك اوجبت عليك القيام بها ازيد من غيرك ؛ غير ملتفت الى سير غيرك فى سيرك ؛ واذا علمت - اصلحك الله من انا ومن انت - تستقل كل ماجدت به بعد واجب الادب ومننت ؛ واذا علمت ان جدك الصديق رضى الله عنه انما فارق سائر المسلمين بالصدق الذى وقر فى صدره ؛ من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وقدره حق قدره ؛ تبلى لك صباح الفلاح ؛ وتيسر لك فى هذا الامر اعمال المفتاح؛ فتح الله منا ومنك البصائر وطهر بفضله العميم الظواهر والسرائر وهو حسبى ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ؛ والسلام عليكم

من هذه الرسائل ومن نفسها ؛ تفهم ايها القارىء نفسية الاستاذ وكيف تربيته ؛ وكيف احترامه لاشياخه ؛ وكيف نظرتة الى جميع المسلمين ؛ وكيف يحب من تلاميذه ان تكون نظرتهم الى ما بينهم والى سواهم ؛ وامورا كثيرة ربما تفهمها مما تقدم ؛ فرحم الله الاستاذ الذى وان كان تيجانى المشرب على يد الشيخ سيدى الحاج الحسين الافرانى ؛ لا يعرف للتعصب لذلك معنى ؛ وقد رايت فى ورفات افتتح فيها والدى كتابا فى شيخه سيدى سعيد ابن هوى؛ ذكر فيها ان صاحب الترجمة هو الذى حثه على تالفيه ؛ وسماه له (المبدي، المعيد فى ذكر الشيخ سيدى سعيد) فمن ذلك ترى اولئك الرجال يعرف كل منهم لآخيه فضله ولا يعرف الفضل لاهل الفضل الا ذويه

واما آثاره الشعرية ؛ فكثير منها شعر الفقهاء كما قاله استاذنا سيدى الطاهر الافرانى فلننسخ منها ماتانى لنا ؛ وامكن ان يقبله الادباء .

فمن ذلك قطعة حائية وقفت عليها بين اوراق للفقهاء سيدى الحسن التياسينتى يخاطب بها استاذه سيدى محمد بن ابراهيم ؛ ويتشوق الى افرانى (وفيهما بعض اصلاح لبعض الالفين) :

اذا ما هب من افران ريح	هفا بالقلب من صدرى جنوح
يشم بها اريجاً من حماهم	فيبدو منه نحوهم جموح
فاصبر ما اطيق فيرتمى بسى	تفكرهم فازفر او اصيح
ابيت على التملل فى فراشى	كان الجسم عمته جروح
وذلك كله من أجل شوقى	الى من وجهه الاسنى صيح
ابى الثانى وشيخى من حبانى	فاغدو فى جداه كما ادوح
محمد نجل ابراهيم مجسد	عظيم من ابى بكر صريح

تأزر بالسيادة وارتداهَا
 غذانا بالعلوم وليس يغذو
 كما يغدو الربى والنصيح
 يرسل العلم مكسالا شحيح
 جزاه الله مايجزى عليما
 له عمل بمعلمه صحيح

وقال ايضا يخاطب صنوه الاستاذ على بن عبد الله وهو اذ ذاك صغير؛
 بعد ماكتب اليه اخوه هذا مانصه :

الحمد لله فان ظهر لسيدى ان يتصدق على بربع رطل من السكر فحبذا
 فقد جاءنى سبلى محمد اليزيدى ؛ ولم يجده عندى

على بن عبد الله

فاجابه : الحمد لله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه؛سلام
 الله على كاتب الحروف اعلاه ؛ وقرب بها زعمه وطره وادناه
 وبعد : فماهذا الجفاء مع الواسطة العظمى صلى الله عليه وسلم وعلى آله
 بعدم الصلاة عليه ؛ فسبحان من خلق اقواما للفظاظاة والجفاء ؛ وخيلتهم ظنونهم
 ذلك الصنع من عدم المداهنة واظهار الوفاء ؛ كلا ان الادب مفتاح كل وزمامه ؛
 والنبي صلى الله عليه وسلم اعظم العالم الادمى وامامه ؛ (لقد كان لك فى رسول
 الله اسوة حسنة) والسلام عليكم

مداعبة

فتارة ذو سرقة	وتارة ذو درقة
وحيت ضيف طرقة	بعث نحوى ورققة
وقصده بكل ذ	الذ ان يصون ورقه

وكتب اليه ايضا

سلام عليك يا على الشقيق والسف
 فديتك ان العلم حصن وساوس
 وفتح هذا الحصن فيما علمته
 وبنى وزهر الروض من مفرق الفصن
 وانت بتحت الحصن فاصعد الى الحصن
 وحققه الرحمن عند الاخ الحصنى

ومن شعره ايضا

اذا الله اودع الانامل حكمة
 بعد حروف من قصور جزاؤها
 بوضع السطور فالعطية جلست
 بجنة عدن سلها حيث ملت

وبعث الى تلاميذه وهم سبعة وقد سمعهم افتتحوا الدرس بالصلاة على
 النبى صلى الله عليه وسلم ؛ كماهى عادة الشيخ ابن ناصر ومن اقتفى اثره ؛
 ياسبعة من سعد سبعة جمعهم
 فتحوا الندى بذكر من لو جال فى
 تلك الصلاة على النبى فياها
 ظفروا بامر نعم ما الامر
 صخر الجنادل دكت الصخر
 من لذة لم تحكها الخمر

وقال يحض تلاميذه على الاعتناء بالمقامات الحريرية ؛ ويصفها لهم
ويذكر ان من فاز بفهمها يسهل عليه قول الشعر

اذا رمتم نظما مقفى مجبرا
فان الذى قد فاز من فهم ما بها
فزوروا مقامات الحريرى على الوسع
سينزع فى اشعاره اسهل النزع

وقال يخاطب نداماه على الشراب

أنشئوا يا خير قوم
أدب المجلس شعر
عجبا كيف حصرتم
ان كاسا دون شعر
ولكم ارجو من اللـ
ملحا اذ ما حضرتم
طبق معنى ما نشرتم
ولشرب الكاس صرتم
حنظل لو قد سبرتم
هـ مناكم ان صبرتم

وكتب على نسخة التصريح فى آخرها

أتعبت فى تملك التصريح
بالله فاحفظه أمن تملكه
واجعل الاهى من الاولاد
نفسى وما اجمعه وروحي
من بعد ربه ولازم مسلكه
مالكه او اخوتى فى النادى

وقال ايضا

تكلف الاسفار للاوطار
من عادة الاكياس فى الرجال
وكتب الى الشيخ الوالد ؛ وهو
فاذ رجع الى البلد كتب اليه ما نصه

سلام كما المسك والعبير
على من له فى ابتدا سيره
أبى حسن من بغربته انـ
ارانى الزمان بشاشتته
والبسنى حلة طرؤها
الى آخرها
على من بادران وصم بر
مهابة عال على المنبر
كسار بقلبي لم يجبر
بوصلكم الابرك الاكبر
سلاما سلاما على المتخير

هذه نماذج من اشعار الاستاذ ؛ وقد اعتنى بجمع غالبها تلميذه سيدى
العربى الساموكنى فى كراسة صغيرة مع مقطعات مما قاله لاخيه الاستاذ
على فى بدايته

الآخون عنها

(١) الاستاذ الطاهرى بن محمد الافرانى

- ٢) سيدي ابراهيم بن محمد ابن عم المتقدم
- ٣) الاستاذ العربي الساموكي
- ٤) الاستاذ ابو القاسم التاجار مونتني
- ٥) الاستاذ محمد بن الحاج الافراني
- ٦) صنوه الحسن ابن الحاج
- ٧) الاستاذ الحسين التاطاروسني
- ٨) الاستاذ المكي اليزيدي
- ٩) ابن عمه الاستاذ محمد بن عبد الله اليزيدي الكبير
- ١٠) سيدي الطيب الركيبي
- ١١) الفقيه سيدي احمد الصمامي
- ١٢) سيدي الحسن بن عبد الله السملاي
- ١٣) سيدي محمد بن ابراهيم الاخصاصي خديمه
- ١٤) سيدي محمد بن الحسين البعمراني
- ١٥) سيدي علي الامر خميني
- ١٦) سيدي الحسين بن ابي بكر الاغوديدي
- ١٧) الفقيه سيدي الحسن التياستني
- ١٨) سيدي مبارك التاكضيشتي
- ١٩) سيدي الحاج بلقاسم الزاوي
- ٢٠) سيدي محمد بن اليزيد السملاي
- ٢١) سيدي محمد بن الحسن الكسالي
- ٢٢) اخوه الاستاذ سيدي علي بن عبد الله
- ٢٣) سيدي سعيد الاعضيائي
- ٢٤) العم ابراهيم بن احمد
- ٢٥) الاستاذ سعيد بن عبد المؤمن
- ٢٦) سيدي ابوبكر الاكيوازي
- ٢٧) الاستاذ المدني اثماسي
- ٢٨) الاستاذ عبد الله باولا

فهؤلاء من استحضروهم العم ابراهيم ؛ وهناك من ربما نسيناه وغالب هؤلاء اخلوا عنه في منقلباته ؛ ثم انتهوا الى المدرسة الالفية التي تولاهما بعد هذا الاستاذ اخوه علي فلازموه ايضا حتى تخرجوا مع عشرات آخرين تراهم في ترجمة الاستاذ علي بن عبد الله ان شاء الله ؛ ولانستثنى الا اثنين منهم هما اللذان لم يأخذا عنه الا في المدرسة البومروانية سيدي محمد بن اليزيد السملاي وسيدي محمد بن الحسن الكسالي ؛ وهؤلاء كلهم فقهاء وان كانوا متفاوتين في درجات التحصيل وسترى ان شاء الله في ترجمة كل مقدار

غوره ؛ وفي آثاره ان وجدناها كيف نزعها ؛ والله يسر ولا يعسر
ثم اننا لم نسرده هنا الا اكابر اصحابه الذين يستحقون ان ينسبوا له
والنفاية المختارة ؛ الا ما كان من محمد بن ابراهيم الاخصاصي وسيدى عبد الله
باولا ؛ والحاج بلقاسم فانهم ليسوا من النفاية ؛ وانما ذكرناهم لانهم الفيون
واما نخالة المدرسة وذلك الطغام البليد الذي لا تخلو منه اية مدرسة ؛ فلان تعرض
لهم بذكر ؛ ولا نشغل انفسنا حتى بالتفكير فيهم ؛ لان من فتح له باب المسجد
على مصراعيه ؛ ثم لم يلج فيه ؛ او انيحت له اجنحة يحلق بها في مناط النجوم
ثم قصر بنفسه فأحر به ان يتسنى اليوم كما نسي نفسه بالامس (فاليوم ننسأكم
كما نسيتكم لقاء يومكم هذا) وهل التاريخ الا يوم العرض الاول الذي يسبق
يوم العرض الاكبر ؟

اذا ما أهان امرء نفسه فلا اكرم الله من يكرمه

ثم ان الاستاذ صاحب الترجمة اعقب من الذكور ثلاثة احمد وعبد الله
وعبد الرحمن وكلهم ممن حمل تراثه وسترى تراجمهم امامك ان شاء الله .

مرثية

لم اقف له على مرثية من تلاميذه ؛ الا مرثية رفيقه الشيخ الوالد الذي
انقلها من خطه مع ماصدرها به ؛ ونص ذلك باختصار :

وبعد . فهذا رثاء لعلامة زمانه . ورافع راية الدراية في اوانه . الفقيه
النبية . الاغر النزيه الابري عبد الله سيدى محمد بن عبد الله بن صالح
بزواوية (تحت الحصن) بالغ . قد قلته حين اصبنا برزية فقله وذهب برتابعبده

فمن للعلا وللمحاسن والوفى	وللحسن والاحسان والسر والصفى
وللرفد والارشاد والقصد والندى	وللحلم والسخاء والصبر للجفا
وللخوض فى بحر العلوم بفلكها	وتجرى ويجنى من فرائد ما اصطفا
وللسقى فى النادى الندامى بديهة	كؤوس نظام الشعر تنسيك قرفقا
يمل الندامى ما هداه وانه	بكل الذى يهوى نديمه قدوفى (١)
فئفس عصام سودته وعلمت	له الكر والاقدام ليس الذى قفا (٢)
لتيك عيوننا الفقيه محمدا	بالغ بزفرات تذاب بها الصفا
وكيف وقد بدا بمجياه للورى	شريعة احمد ورائة مصطفى
ومن بعده بدت غياهب ظلمة	تراكمت الامواج منها على شفا
فلولا على صنوه وشقيقه	تسلت به الاحلام حين له اقتنى

(١) مأخوذ من قول الشاعر

تمل الندامى ماعدانى فاننى

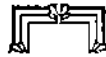
(٢) نفس عصام سودت عصاما

بكل الذى يهوى نديمى مولع
وعلمته الكر والاقدام

ماالت بنا الاحزان من كل وجهة
 وابرزہ للانام شمسا وقدة
 فيشفى صدور المومنين بنوره
 فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر
 ايارب نوره ضياء بلا خفا
 وسرا وترياقا غليلا لهم شفا (١)
 لما فيه من اسرار ربه والشفا
 فذا القول قول الحق حقا من الشفا

قولة المؤرخ سيدي علي بن الحبيب فيه

ومنهم الفقيه العلامة سيدي محمد بن عبد الله الالقي امام عارف معترف
 له بالبلاغة والبراعة مع نفس عصاية وفكرة اياسية • حافظ للترتبة • ادبا
 ومروءة • الى رواية كثيرة • مشارك في فنون • من فقه وعربية وادب • انتفع
 به خلق كثير في وجهته وهو اول من اختط المدرسة العلمية ببلده • فعملها
 بأنواع التدريس الى ان اشتهرت واشتهر تلاميذها • مستفتى في المشكلات
 تصطفيه الرتب العالية ؛ فاعترف بارشاده الخاص والعام • (ومن يساجل
 صوب العارض الهطل) علما وحلما •



(١) الانام كالاسباب لغة في الانام كالسحاب

الشيخ الحاج على الدرقاوي

نحو ١٢٦٨ = ١٢-٢٨-١٣٢٨ هـ

نسبه

على بن احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد .

هذا هو والدى الذى بسببه خرجت من العدم الى الوجود ؛ وله على - كوالده
واجبات تحتم على ان اؤدى حقها ؛ وما هو اوكد الواجبات على الانسان ان لم
يكن حقوق الآباء على الابناء ولكنه يصعب مع ذلك على من اراد ان يتحرى الحق
فى مثل هذا المقام ؛ ان يذكر لابييه كل ما يعرفه كل معاصر له قبل ان يعرف
هو من شموخ مجد ؛ ونباهة ذكر ؛ ان يجد بين يديه - امام من حجب اليهم
انتقاد كل شىء - مسلكا يخرج منه سالما ؛ لانه اما ان يطنب واما ان يوجز
وكلاهما شطط عند بعض الناس ؛ فالظنبيون يتهمون بالتحيز ؛ والاشادة بمعال
يؤول اليهم فخرها ؛ ويصيرون كانما يجرون النار الى قرصهم - كما يقولون -
بل يقال لهم مادح نفسه يقرئك السلام ؛ والموجزون يتهمون عند قوم آخرين
بالعقوق وغمط والديهم واسلافهم ما كانوا هم اعرف الناس به ؛ ولذلك يسلك
من يسلك هذه الطريقة عقبة كآداء صعودا قلما ينفذ فيها نافذ الا ارضى قوما
واسخط آخرين ؛ خصوصا فى هذا العصر الذى اقتضحت فيه طرق التصوف
بكثر الكذابين الافاكين الذين اظالوا الاكمام وأرسلوا العذبات وأدعوا
مالم يكن لا للخليل ولا للكليم .

كيف يمكن اليوم لمثل ان يجلو على أنظار هذا العصر صفحة نقيه من
التصوف الخالى من الرياء والشعوذة والافك والبهتان ؛ كما يعرف به كسل
الناس الشيخ الوالد رحمه الله ؛ ثم يجد من ينصف ويزن بالقسطاس المستقيم
ويتانى حتى يدرك معنى ما ادركته ؛ قبل ان يخزنى بحمة عدله ؛ او يصل الى
والى من ارسل فى ترجمته يراعى بنبله ؛ فان هذا العصر وأهله خلقوا من العجلة
ومن السير السريع ؛ واقتبست عقولهم من سرعة السيارة والطيارة ؛ فصاروا
يحكمون لاول نظرة ؛ ثم لا يتهمون أنفسهم فى أحكامهم ؛ وان اتينهم بعد ذلك
بألف دليل وبرهان

لكنى رغم كل هذا اقدم على ترجمة هذا الصوفى الكبير فانمشى رويدا
رويدا ؛ واستقرى حياته من عهده بالمهد ؛ الى ان وورى فى اللحد وسأؤيد ما

اسوقه باستقصائه واستقصائه من أصفى مواردہ ؛ وساجعل نفسى حرا فيما
اقول ؛ واجهر بالحقيقة التي اعرفها رضى من رضى وسخط من سخط ؛ جهر من
يقول ما عرفه كما عرفه من غير مجمجة ولا تورية .

اننى الآن كهؤرخ يجب على ان اصدع بالذى اعلمه ؛ واشيد به للتاريخ
فاوجز ان اقتضى المقام الايجاز ؛ واطنب ان استدعى الحال الاطناب ؛ واجعل فى
ذلك رائدى ضميرا ايبا حرا لا يغمط الحقائق خوف ان يتهم بالتجيز ؛ ولا يقبل
كل ما يحشره من يهرف بما لا يعرف الا بثبوت وتبصر وتأن ؛ ووزن بميزان
العقل الذى فضل الله به ابن آدم ؛ ثم ما قصر عنه عقلى ؛ واعترفت فيما بينى
وبين نفسى ان يدي تقصر دونه ؛ فانى اسوقه ان ثبت عندى وقوعه فادعه بين
يدى القارىء، فله ان يقبله وله ان يرده ؛ ورضى الناس غاية لا تدرك .

ثم انه يجب على كل مؤرخ ان لا يهتبل بآراء بعض ابناء هذا العصر من
شداذ الافكار الذين يابى لهم حولهم الا ان يجعلوا تخيلا كل ما راوه شيين
اثنين ثم لا يزالون يترددون بينهما حتى تضيع الحقائق ؛ وتنتبه السبل فان
هؤلاء من انصاف العقلاء الذين لا ينبغي اعتبارهم ؛ وان كانوا يتوهمون عند
انفسهم انهم وحدهم عقلاء العالم .

هانذا اقدم اقدام من يقول ما يعلم ؛ ويصيح به على اسلات اليراع التي
هى ابلغ ايصالا من الواحى ؛ لانها توصل ما اودعته فى كل زمان وان تطاول
على حين ان الواحى لا يتجاوز أنه ؛ وأنا معتصم بحول الله وقوته ؛ ومستوكل
عليهما فى توفيقى فيما انا قائله ؛ ومتجرى الحق فيه جهدى ؛ والله هو المطلع
والآلاف من الناس الذين يعرفون ما اعرف بكل ما اقوله شاهدون ؛ ومن قال
ماعلم فما عليه من ملام .

ثم اعلن بكل صراحة اننى ممن يؤمنون بالروحيات وبوجود ما وراء المادة
واومن بتطور الروح حتى لتتجسم ؛ واومن بان الكرامات والكشف المشهورات
أمس عند صوفيتنا اخوات ما يشبه العلم الحديث اليوم من استحضار الارواح
وتشخصها ؛ حتى انها لتوزن وتصور ؛ وتانى باشياء من بعيد فى لمحة الطرف
ومن لا يؤمن بما عند صوفيتنا امس ولا بما اثبتته العلم الحديث اليوم ؛ فليول
عنا وجهه بسلام ؛ فما بعد الحق الا الضلال ؛ فليس فى مسالختنا ولسنا فى
مسالخته فقد ضرب بيننا وبينه حجاب مستور ؛ وانما قلت هذا لاعلن مذهبي
كى استريح من ناس ضيقى الحواصل يريدون ان يجعلوا الاسلام ماديا
متحجرا سامحهم الله .

موضع الولادة

عجبا ان من الناس من تكون الخطوة الاولى من خطواتهم فى هذه الحياة

فلتة من الفلنات ؛ فتبدو كرمز الى ان هذه الخطوة صدرت عن انسان غريب
 وأن حياته ستكون كلها غريبة ؛ فان كانت لاتدرك غرابة تلك الخطوة الاولي
 باديء ذي بدء كشيء يلفت الانظار ؛ ويطيل العجب ؛ فان صاحبها لا يلبس
 يجيش بعد بسيل مانع من العجائب فتتبع العيون كل ما يتصل به قبل ؛ حتى
 تنتهي الى تلك الخطوة وما يحيط بها ؛ فتتجسم تحت نظره البهور ؛ باثار
 صاحبها فينالها حظها من العجب .

كان في الغ في عصر واحد ؛ عظيمان كلاهما اسمه على وكلاهما يقوم بعمل
 عظيم لا يقوم به الاخر ؛ فاحدهما الاستاذ علي بن عبدالله الذي ستقرأ في ترجمته ما
 تقرأ ؛ فتوقن انه من اعظم الرجال ؛ فلما تسمح الجواذى بمثله وثانيهما صاحب
 هذه الترجمة ؛ وسنرى امامك ما ستقف ازاءه مشدوها ؛ وقد ذهب بك الاعجاب
 كل مذهب فكان من اغرب الصدف ان كليهما ولدته امه في مهمه قفر في جنوبي
 الغ ؛ يتخذ منتجعاً للغنم في فصل الربيع ؛ فتتبع نساء الاسر غنمهن يمحضن
 ويقمن بما يحتاج اليه الرعاء ؛ فالاستاذ علي بن عبد الله نفست به والدة في
 محل هناك يسمى تارين ؛ وصاحب الترجمة ادرك امه الطلق في جانب آخر
 يسمى وينكزماضن هكذا تمحضت كل واحدة من (رقية) والسدة الاستاذ ؛
 وتاكدا والدة صاحب الترجمة بما تحسبهما الحواضر ولدين عادين ؛ قد
 يعيشان وقد تميل بهما شعوب وهما بعد في المهاد ؛ ومن ذا يعرف الا الله اذ
 ذاك ان ابن تارين سيكون من اعظم العلماء الادباء الذين سيفجرون من بحور
 العلم والادب ما تخر به الغ وما اليها ؛ وان ابن وينكزماضن سينكشف عن
 عن اعظم رجل مرشد ترفرف على هامته الوية الشهرة الخفاقة ويهتدى به آلاف
 مؤلفة من الناس ؛ ويتدفق به الى الغ من المريرين وطلاب الوصل الى معرفة الله
 طوائف اثر طوائف ؛ تموج بهم الطرقات ؛ ما بين وادي نون الى درعة الى الحمراء
 الى الصويرة فهكذا تسقط حبة من يد انسان ؛ فتدوسها رجله ؛ فيجتمع عليها
 الثرى ثم تمسها بلة من ندى ؛ فترسل من جذورها الرقيقة ما لاتزال تسمو به
 حتى تستحيل سرحة فينانة ملتفة الافنان ؛ متسعة الظلال يتفياها في الهواجر
 اللوافح كل من احرقته (صكة عمى)

في الكتاب

كان والد صاحب الترجمة سيدي احمد بن محمد اميا ؛ ولكن جده محمد
 ابن احمد كان من حفظة كتاب الله ؛ فكان هو القيم على حفيده فكان اذا رجع من
 المسجد وفيه اذ ذاك الاستاذ سيدي بلقاسم افكان الذي تخرج به قبل ذلك
 الاستاذ محمد بن عبد لله في دارهم يكرر له سورة وقلما يذره كما يذكر العم
 ابراهيم يكثر اللعب ؛ فيهدين تخرج في القرآن ؛ وعليهما جوده فمما روى عن
 صاحب الترجمة اذ ذاك ما حكاه احد رجال قريتنا ؛ قال كنا نجلس في الممر

الصغير الذى هو مدخل مسجدنا فيمر بنا التلاميذ ؛ فكنا نتضحك عليهم ونقول لهم أعطونا من خبزكم لندعو لكم بما اردتم ؛ فقال لنا سيدى على بن احمد يوما ادعوا لى انا ان اكون شيخا كبير المقام ؛ قال فتعجبنا مما قال ؛ وما كنا ندرى مدلولها اقترحه لاننا لم نعرف في بلادنا مثل مايقول ثم ما انقضى كسر الفداء وهر العشى ؛ حتى شاهدناه شيخا كبير المقام ؛ فكانت آمال الصبا واحلام الفجر صادقة في دور الرجولة عند متوع النهار .

في مدرستنا تانالت

كان الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم اليزيدى يمت الى آنا برحم ؛ لانهم اخواله ؛ فكان اذ ذاك مشهورا بالتدريس في مختلف المدارس ؛ فحين استتم صاحب الترجمة حفظ القرآن رات اسرته ان تسير بابنها في الطريق التي تسير فيها الاسرة الصالحة بابنها محمد بن عبد الله ؛ فانها ارسلته لتعلم الدين كما يطلقه عوامنا على العلم في المدرسة ؛ فترسل هذه كذلك ابنا الى المدرسة وقد اختارت المدرسة التي فيها ذلك الاستاذ الذى يعلمون منه انه سيقوم بانهم احسن قيام ؛ فكانت لهذه المنافسة المحمودة نتيجة عظيمة ؛ وعقبى يالها من عقبى واذا اراد الله ببلد خيرا تنافس أهله في العمل الصالح ؛ وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون .

في مدرستنا المولود

كانت السنة التي التحق فيها صاحب الترجمة بتلك المدرسة هي ١٢٨٢ هـ وفي السنة التي بعدها انتقل الاستاذ بطلبته الى هذه المدرسة الاخرى ؛ وهو مقبل اقباله المعروف على تلميذه الجديد ؛ يتدرج به في مدارج المبتدئين ؛ وهو اذ ذاك دون بلوغ ؛ ولكنه حببت اليه العبادة منذ ذلك الطور فقد حدث عن نفسه انه كان وهو في تلك المدرسة ؛ ينتقل احيانا الى مشهد سيدى الحاج يعزى الصالح الشهر المتوفى عام ٨٨٨ هـ ويبعد قليلا عن المدرسة ؛ فيتهجد فيه ؛ فقلبت عينه يوما فوقف عليه رجل مهيب مستنير ؛ تشع منه الانوار ؛ فقال له تعرفنى؟ فقال له لا فقال انا محمد بن عبد الله رسول الله ؛ فقال له بماذا اعرفك ياسيدى؟ فقال له تعرفنى بان الظل لا يتراءى لجسدى ؛ قال فكانت هذه اول مرة رايت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

في مدرستنا تازروالت

مكث يوما الاستاذ سيدى محمد بن بلقاسم في المدرسة المولودية ؛ اذا باعوان الرئيس الالبغى سيدى الحسين بن هاشم اوصلوا اليه استدعاه الى المشاركة في مدرسة تازروالت؛ وكان هذا الرئيس اذ ذاك داشوكة وهيبة لايمكن

معهما الخروج عن رايه ؛ فانتقل الاستاذ ومعه تلاميذه كلهم ؛ ومن بينهم تلميذه
 الجديد ؛ ومن بينهم ايضا سيدى عمر الاكضيي ؛ وسيدى ابراهيم بن صالح
 اللذان صارا بعد ذلك من اصحاب صاحب الترجمة حدثنى الاخير
 منهما فاه لاذنى ان من عادة صاحب الترجمة فى المدرسة النازروالتية ؛ ان
 يصاحبه كل عشية بعد العشاء ونوم الناس الى مشهد الشيخ سيدى احمد بن
 موسى ؛ قال فانام أنا وببيت هو فى التهجد ؛ قال وكان اذ ذاك مراهقا وحدث
 سيدى عمر الاكضيي ان سيدى ابراهيم بن صالح كان له تقدم اذ ذاك فى
 المعلومات ؛ لانه كان سبق الى الاخذ بسنوات ؛ وسترى ذلك فى ترجمته
 فى (القسم الرابع) ان شاء الله فكان يعيد الانصبه (اي الدروس) لسيدى على
 ابن احمد ؛ يعنى صاحب الترجمة .

هذا كل مانعرفه عنه هناك فى تازروالت ؛ وكفى بذلك دليلا على مسا
 يبحث عنه فيه وهو بتلك السن ؛ حيث تمضى عنه ائحلقة الاولى فى التعلم .

فى مدرسة تانكرت

لامر ما فارق الاستاذ اليزيدى تلك المدرسة ؛ ورجع الى داره فتفرق تلاميذه
 فالتحق سيدى الحاج احمد اليزيدى ؛ وسيدى ابراهيم بن صالح ؛ وسيدى
 عمر الاكضيي بالمدرسة الادوزية ؛ واما صاحب الترجمة فقد راي أهله ان
 يلتحق بابنى عميه سيدى محمد بن عبد الله وسيدى الحسن النياستيتى فى
 تانكرت ليستعين بعضهم ببعض ؛ فنزل فى تلك المدرسة فى بيت مع شرفاء من
 اولاد سيدى احمد بن موسى ؛ كانوا ثمانية اخوة دفع بهم جميعا والدم الى
 المدرسة ؛ واحدهم هو الاستاذ سيدى عمر الشهر ؛ وسيدى ان شاء الله مععلمه
 اهله فى (القسم الرابع) فتوى هناك صاحب الترجمة من عام ١٢٨٦هـ الى عام
 ١٢٨٩هـ فلاشك انه الان شاد فيما يأخذه ؛ قد تفتحت قريحته فاقبل اقبال
 النهم الجشع على مختلف الفنون يلتمها ؛ ولكن تزواؤه عن الناس وانقباضه
 عن المجتمعات فى زيادة ؛ وميله الى ماتشوق اليه روحه مما خلق له لم يزل
 فى نمو وقد تلقن اذ ذاك الطريقة الناصرية من بعض المقدمين فيها ؛ ولاددى
 من هو وانما ذكر ذلك فى بعض رسائله استطرادا ؛ وكثيرا ما اتوهم انه الشيخ
 سيدى المدنى الناصرى الذى يجاور تلك المدرسة وقد كان المترجم ممن يحضر
 مجالسه فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

فى يوم من الايام اجتمع الطلبة بالمدرسة ؛ فقالوا الامن يقيم لنا حفلة
 فندعو له بما اراد ؛ فاقامها لهم صاحب الترجمة ؛ وابن عمه الاستاذ سيدى
 محمد بن عبد الله والقائد سعيد المجاطى وقد كان هناك اذ ذاك يتلقى القرآن
 فسأل الطلبة كل واحد عن منيته ليدعوا له بها ؛ فاما صاحب الترجمة فذكر
 لهم مايندل على مقام عال فى معرفة الله ؛ وقد انصبت العبارة التى تلفظ بها ؛
 ولكنها تنحو هذا المنحى ؛ واما الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فقد ذكر مقام

الشفوف بالعلم والتفوق على الاقران به ؛ واما سعيد بن امغار محمد المجاطي فقال اننى اتطلب ان اكون قائدا على مجاط ؛ فسبق في القدر ان نفذ السهم فاستجيب الدعوة ؛ فنال كل واحد منهم ما في ضميره ؛ هذه حكاية مشهورة متداولة الى الان .

ملاقاته بالشيخ سيدي سعيد المعدري الدرقاوي

كان منبع الطريقة الدرقاوية من شيخها مولاي العربي الدرقاوي الشهير المتوفى عام ١٢٣٩ هـ ؛ فتخرج به كثيرون ممن لهم شهرة طائفة كالحراق والبوزيدي والمدني والدباغ والبدوي ؛ ومنهم لاشهرة لهم مع انهم من كبار اصحابه ؛ ومن بين هؤلاء الاخيرين الشيخ سيدي احمد بن عبد الله المراكشي صاحب الزاوية الشهيرة بأبرزض بمراكش ؛ وقد توفي في نحو عام ١٢٧٠ هـ فهذا تخرج مشايخ سوسيون ؛ وفي مقدمتهم الشيخ سيدي سعيد بن همو المعدري الامي الذي تفجرت منه اسرار جلبت اليه كثيرا من علماء وقته ؛ كسيدي الحاج الحسن التاموديزتي ؛ وسيدي الحسن التيملي دفين قرية ارازان براس الوادي وسيدي خالد من افلاواكنس ؛ وسيدي الحاج احمد اليزيدي ؛ وسيدي الحاج صالح الاكماري وسيدي الطيب بن خالد الاكماري ومحمد بن احمد بن عبد الله الكرسيفي ومحمد بن احمد بن الحسين الكرسيفي والعلامة ابي فارس الادوزي والحاج محمد البوزاكارني ؛ وسيدي محمد بن المحفوظ الزمامسي وسيدي محمد بن ابراهيم الافراني مدرس مدرسة تانكرت التي فيها الان صاحب الترجمة ؛ وغيرهم ممن سذكركم ان شاء الله في تراجمهم او نستطردهم في تراجم غيرهم ؛ وكان من عاداته ان يتتبع البلاد بالسياحة فيرشد العباد وبنيه الغافلين ؛ وكان من بين البلاد التي يطرقها بلد تانكرت ؛ فقد رايت ان عالمها الافراني من اجل اصحابه المعتنقين لطريقته .

حدث صاحب الترجمة عن نفسه قال مررت انا وصاحب لي بالشيخ سيدي سعيد ونحن فارغوا البال ؛ ولم نخرج اليه ؛ وهو جالس في مكان متبذ عن الطريق فرأيناه يحد اينا بصره ؛ فذهبنا لحال سبيلنا ؛ ثم في العشي ساقنا اليه سائق السعد فاخذنا عنه الطريقة ؛ فقال لي بعد ذلك ان تلك النظرة الاولى هي التي فيها ما فيها ؛ ثم حدث من كان جالسا مع الشيخ سيدي سعيد حسين مر به صاحب الترجمة مع صاحبه اذ ذاك فقال ان الشيخ اتبعهما بصره مليا ثم قال ان هذه الذات نيرة ؛ فما اليقها بسر معرفة الله تعالى ؛ وفي بعض رسائل المترجم مانصه :

(وقد كنت حين لقنتي شيخي مستغرقا فيه - اي الذكر - من ذلك الوقت قبل قيامي من بين يديه وبعده ؛ وليس لي شغل سواه قياما وفعودا وعلى جنبي حتى انسى لاأقدر ان اقطعه حتى في حال الاكل الى ان صار خادما من غير اداتي

فكل نفس يعلو او يهوى يكون معه)

انتهى المقصود

ثم لم يمض عن صاحب الترجمة الا ثلاثة ايام مع شيخه في بعض قرى
تاكريت ؛ حتى اصابه ما يسميه الصوفية في اصطلاحهم بالجذب ؛ قالوا
يعترى من فاجأ روحه ما لم تستأنس به بعد ؛ فتغمره موجة تياره فيغان على عقله
فلازمه ذلك اياما وقد فقد شعوره ؛ وانقطع عن الاكل والشرب ؛ واذا العقه من
معه شيئا من الحليب ؛ لا يلبث ان يجيش فيقذفه ؛ وقد غلبت الحرارة غسل
بدنه حتى انهم يغطسونه في نطفية ماء بارد ؛ ثم لا يزيد ذلك الا التهابا ؛ ثم
بعد لاي افاق من غشيته ؛ واسترد شعوره ؛ فصار الكون كله - كما قال - امام
عينيهِ هباء في هباء وقد ألم بهذا كله في بعض رسائله ؛ كما ألم به ايضا في
رحلته الحجازية اذ قال فيها

على شفا يورثني الشقاوة
يهدى الى معرفة الجليل
في نيل معرفته الكمالا
لدى والنقصان والكمال
بالله والاوصاف والاحوال
والقلب منى واله حيران
هذا وكان المبدى المعبدا
يرقى بنا لحضرة الاله
وردني عن سائر النور
ببذر لكل ما لديه قصدا
عنها فقال ليس غير هدى
ترقى الى حضرة ربنا العلى
قلهجت نفسى بربى ذكرا
فيما يرى برؤية والرؤيا
ماوى ولا عن حسنه ملاهى
لكونها عن مقصدى عوانقى

قد كنت فى غياهب الغباوة
وكنت صديان الى دليل
يجلو لى القلب لكى انالا
فيستوى الجلال والجمال
وتصبح الاقوال والافعال
بيننا فؤادى نحوه صديان
اذ قبض الله لنا سعيدا
فكان آخذا بنا لله
فكان لى القبله فى الامور
بنظرة اولى لديه شهدا
اخبرنى بعيد الاستحواذ
فهكذا نسمع نظرة الولى
تركت ماسوى الاله جهرا
وقبحت عندى ملاح الدنيا
وليس لى فى غير ذات الله
فصلت عنى سائر العلائق

الى ان قال :

الى وصول خالق العباد
ومن غيون النفس والاسقام
من التانس برب الكل
بشبهه ولا يفهم منكنا

ولم يزل بنا على الارشاد
فزال ما بنا من الآلام
ورجعت ارواحنا للاصل
ولدة الحضرة ليست تحكى

الى آخر ما قال

وقال ايضا فى رسالته المسماة «عقد الجمان» فى ذلك مانصه :

لما من الله علينا بملاقة شيخنا الاسعد ؛ وقدوتنا الاوحد ؛ امام العارفين
 وناج الواصلين ؛ سيدى سعيد بن محمد السمالي طينا ؛ والمعدري وطنا بازاء
 مائة قدس الله روحه في اعلى عليين ؛ واخذنا عنه الطريقة الدرقاوية الشاذلية
 فثبت قلوبنا فلم تر مايملا اعيننا في الدنيا الا معناه وذكره ؛ وبعد ما اخذت عنه
 الورد بثلاثة ايام او اربعة ؛ حصل لى مقام الفناء والجذب ؛ وسرى سر الله فى
 ذاتى وروحي قلبا وقالبا ؛ ولما وقع ما وقع مما لم اراه من سر الله ؛ دهشت
 دهشة عظيمة وقلت ماهذا ولكن ادركنى الله بالشيخ كان فى قربنا ؛ فوصلته
 فعرفنى الحال ؛ ولكن لما التقيت معه زاد على ما بي حتى انى لا يطيق ان اسمع الله
 ورسوله صلى الله عليه وسلم الا وذاتى تتمزق ؛ فلم اشعر بشئ يلهينى عن ذكر
 جيسى واجتمع عندى فى ثلاثة ايام والحمد لله ما لا يجتمع بعبادة اعوام عديدة
 ببركة العارف بالله الذى التقينا به ؛ فاننا نعمل اعمالا عديدة ومجاهدة اكثر
 مما عملنا معه ؛ من زيارة الصالحين الاحياء والاموات ؛ ولكن لم يشف ما بنا الا
 بملاقاة فى اقرب مدة واقل عدة ؛ لان العارفين بالله هم الاكسير الحقيقي
 والكيمياء من التقى معهم لم يحتج الى كثرة عمل وتعب ومن لم يلتق معهم فكمن
 يضرب فى الحديد البارد ؛ يعيب ولا يقضى حاجته ؛ ولا يصل اليهم الا من اراد
 الله ان يوصله اليه) انتهى المقصود

فى مصاحبة شيخنا المعدري

ان كل من لم يخالط هؤلاء الصوفية ولم يعرف اذواقهم ؛ يحمل كل ما
 يسمعه عنهم على الافك والبهتان ؛ والمخرقة والتدجيل والشعوذة ؛ ويخلط
 بينهم جميعا فى ذلك ولا يفرق بين الصادق والكاذب ؛ ولكن من خالطهم واستطاع
 ان يميز افعال الصادقين من الكاذبين منهم ؛ فانه يشاهد منهم الوقوف مع السنة
 الاقيما غلبوا فيه على احوالهم او جهلوه ؛ ما يتيقن به انهم هم وحدهم الفائزون
 بالاطلاع على دقائق الدين وحلاوة الايمان ؛ وانه ان لم يكن العارفون منهم من
 رجالات هذه الامة فلرجال لها بعد ؛ وقد كنت انا وصاحبى الاستاذ محمد
 الغازى الكناسى كثيرا ما نتذاكر حول هذا ؛ ثم نجيل اعيننا فى بعض ابناء اليوم
 الذين يخبطون خبط عشواء فى الصوفية من غير ان يعرفوا عنهم ما يقبلون ولا
 ما يردون ؛ حتى ان فيهم من ينكر الاستقلال بلا اله الا الله ؛ والعياذ بالله فكنا
 لا نتجاوز ان نقول فيما بيننا ؛ من جهل شيئا عاده ؛ ثم نرجع فنعذرهم بسبب
 ما نراه عن ايماننا وعن شمائلنا من كثرة الافاكين الذين تصدوا فى منصات
 الزوايا ؛ على حين ان بعضهم يحكى عنه انه لا يغتسل من الجنابة ؛ وانه
 مما هو متواتر عنه

ثم ماهذا الذى اختص به هؤلاء الصادقون من الصوفية ولا يوجد الا فى
 ايديهم ثم لا يكاد منصف من ذوى المناصب يتذوقه من عندهم حتى تراه قد اعرض

عن كل شيء ونفض يده من فخفخة منصبه ؛ ثم لا يطيب له العيش الا بانقطاع اليهم ؟

ما هذا الذي يبهر من يكون اعظم منكر على هؤلاء الفقراء الصادقين نسمة يتهافت عليهم بعد ذلك مستسلما تهافت النحلة على خابية العسل ثم لا تبالى ان كانت فى بطن الخابية من المقرين ؟

ما هذا الذى يشاهده من كان خاض فى فنون العلوم المختلفة خوض الفهمين اللبقيين ثم لا يلبث بعد ان يلتقى مع احد هؤلاء الناس ان يعلن انه ماذا قط حلوة يتلج بها الصدر ؛ ويطمئن لها القلب ؛ مثل مذاقه حين التقاه باحد هؤلاء القوم ؟

ما هذا العلم الذى قال فيه بعض كبار العارفين من لم يتغلغل فى علمنا هذا ثم مات ؛ مات مصرا على الكبائر وهو لا يشعر ؟

من هم هؤلاء المشايخ الذين ينبغون فينة بعد فينة ؛ وربما كانوا اميين ثم لا يكاد يتصل باحدهم من كان يعرف فى نفسه رياء وسمعة ؛ وثقل اعمال الخير ؛ حتى يعود كثوب مر تحت يد القصار ؛ ابيض براقا يتلألأ نورا ويتشمع هداية واخلاصا ويستقيم فى اعماله ومعاملاته حتى كانه معصوم ؟

لا اكذبك ايها القارئ ؛ فانى لم ادرك من كل هذا الا شيئا واحدا ابتنته من نفسى ؛ وهو اننى اذا كنت مع هؤلاء الصوفية ؛ بشرط ان يكون الصوفية الصادقين كمن اعرفهم ؛ اجدنى لىن القلب ؛ ماثلا الى الاخلاص والى التواضع والعبودية خلاف ما اكون عليه حينما اكون بين يدي غيرهم ؛ وهب هذا الغير من الاساتذة المحدثين الذين يملئون المسامع بقال الله وقال الرسول ؛ ويزفرون زفرات الغيرة على هذا اندين ائحنييف مع اننى فى مبدئى اخالنى على قدم هؤلاء الاساتذة الاجلاء ؛ ولكنى مع ذلك لا يجد قلبى عندهم ما يجده عند الاخرين فهذا كل ما أدركه من نفسى ؛ ولا على فى غيرى

ذاق صاحب الترجمة من بين يدي شيخه الجديد ما ذاق ؛ وحصل له فى تلك الايام الثلاثة ما حصل ؛ مما لم ينل ذرة منه - كما قال فى رسالته المتقدمة من مجاهدات كثيرة كان مشغولا بها قبل ذلك ؛ فعلمت اجنحته بصحبة شيخه فلم يطق ان يفارقه ؛ فنىس الجار والمجرور وابواب البيوع ؛ وجداول المناسخات فأتى مانسخ حبه الجديد ما كان يجول حبه فى قلبه قبل اليوم

محا حباها حب الالى كن قبلها وحلت محلالم يكن حل من قبل وصل الخبر الى الالغيين بأن صاحب الترجمة مر به الدرقاويون اولئك الذين لا يلبسون الا المرقععات وينطوفون بسبحات كبيرة غليظة ؛ ثم لا يكون شأنهم الا القلب فى مختلف البلاد

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو ما بالعذيب ويوما بالخليصه

فارتاع اهل الشيخ وخافوا على ولدهم ان يجن وقد صحب اولئك
 الجانين اليه - كما يحسبهم الناس اذ ذلك- ولايد ان خبر ذلك الجذب الذى
 حصل له يصلهم فلا يكتبون ان الجنة مسته وكل من يعرف قلوب الوالدين فى
 مثل هذه الاحوال ؛ لايد ان يقدر ذلك الموقف قدره : (ان المحب بسوء ظن مولع)

ثانى والده حتى عرف ابن مستقر اولئك الذين طاروا بولده ؛ فركب
 بغلته ولحق بالشيخ المعدرى ؛ وهو مع اصحابه بماسة ؛ فطلب منه ان يامر
 ولده بالرجوع معه بعد ان تكلم مع ولده فما احار جوابا ؛ فقال الشيخ للولد
 لا بأس ارجع مع والدك فلا خير الا فى ذلك ثم قال الوالد انى لا اريده الا للعلم
 وان كانت درجة افضل من العلم فليطلبها ؛ ففضى الامر ؛ فرجع الوالد والولد
 مترادفين على البغلة .

محاورة لطيفة

حاول الوالد ان يسمع من ولده كلمة واحدة تخرج من فيه منذ لقيه
 ولكنه لايعنو امامه اطراق الرأس ؛ وضم الشفتين ؛ وذلك مايسمى فى اصطلاح
 الصوفية الصمت وقد كان صاحب الترجمة تلقى من شيخه ذكر الاسم الاعظم (الله)
 من اول يوم مع شروطه التى هى الصمت والعزلة وهجر النوم ؛ والاقبال من
 الطعام فاقبل على كل ذلك ؛ وابتدأ فى ذكر اسم الله وهو لايزال بين يدي شيخه
 فى المجلس الاول - كما ذكره هو عن نفسه فيما سقناه قبل من رسالة له - لهذا
 لم يجدمه والده ماكان يألفه منه من المحادثة ولكنه اكثر عليه وهما مترادفان
 فكانه اضجره فكان ذلك سبب هذه المحاورة اللطيفة ؛ قال الوالد : بالله عليك
 ياولدى ماذرايت فى هذه الطريقة الجديدة التى اعتنقتها وهى طريقة حديثة
 العهد فى بلادنا هذه وما كنا نعهداها فى بلادنا هذه ؛ وماكنا نعهد الا لطريقة
 الناصرية فهى التى نالها وبالفها آباؤنا واجدادنا؛ اولىس بعجيب ان يخرج
 الانسان عن المعتاد مع ان الناس يقولون : العاقل يتبع الناس ؛ والاحمق يتبع
 الناس ؛ فقال له الولد : وما ذا ظهرلك انت ياوالدى فى البيع والشراء فى
 القطران الذى تاتى به من قبيلة ايت رخا وتساقر به الى قبيلة ايت صواب حتى
 تبعه ؛ وهل كان المعتاد فى اهالىنا الاتجار بالقطران؟ وهل كان آباؤنا واجدادنا
 يعرفون ذلك ؟ اولىس ايضا يعيب ان يزاول الانسان ما ليس معتادا عند اهله
 مزاولته ؟ فقال له الوالد : انتى ياولدى اخترت هذه التجارة لقله راس مالها
 وكثرة ربحها ؛ فاننى بذلك القطران املا دارنا لوزا وتينا وزيبامما استبدله
 به فى قبيلة ايت صواب ؛ فهذا ياولدى ما حملنى على اختيار القطران ؛ ومخالفة
 عادة اهلىنا فى ذلك فقال له الولد ان مثل هذه الطريقة الدرقاوية عندى مثل هذا
 القطران عندى ؛ فان العمل فيها ايضا قليل وما يجده القلب من ورائها كثير
 ولا ينبتك مثل خير .

هكذا استدارت المحاوره ؛ وراى الوالد ان لا يخرج ولده ؛ فهو الى اناسه
احوج لئلا يرجع على عقبه فيلتحق ثانيا باولئك المجانين البله كما يزعم فيهم
الناس .

في مدرسة أدوز

رجعت المياه الى مجاريها ؛ فراجع صاحب الترجمة دراسته ؛ واستتسمم
معلوماته وقد التحق بالاستاذ سيدى محمد بن العربى الادوزى ؛ اما فى اواخر
١٢٨٩ هـ واما فى اوائل سنة ١٢٩٠ هـ فاقبل على التحصيل بكل مستطاعه وتحت
يدى كتب كثيرة كتبها اذ ذاك ؛ وهى كلها دراسية لانه الان وقد شدا ؛ وتطاول
الى تسنم القمم العليا فى الفنون اعوزته الكتب فاستعار له اهله من الخزائنة
الخصيكية بعضها ؛ فاقبل هو على استنساخ كتبه الخاصة شأن الطلبة اذ ذاك
والمطبوعات كما ظهرت ولكنها لاتزال قليلة ؛ ومن بين الكتب التى كتبها بيده
الدردير على المختصر ؛ وايسر المسالك على الالفية ؛ وقد ملا طوره بفوائد نفيسة
وبالشواهد وتفسير الكلمات اللغوية فيها فهى نسخة قيمة مصححة وشرح من
شروح السلم ؛ وشرح للخزرجية وشرح المحلى على جمع الجوامع ؛ والرحلة
الادوزية لاستاذ ابن العربى ؛ واطاءة الاموس للهلالى وكراسة فيها ايات
متفرقة فى النحو مما يحفظه عادة من يقرأون الالفية وغير ذلك مما تشتت بين الاوراق
لان هذه المنسوخات كلها لم تجلد فصاعت من بينها ورقات وكراريس ؛ ومن ذلك
تدرك همته ؛ وقد بذل هناك منتهى جهده وقد كان نفعه ما كان حصله فى
السنوات المتقدمة ؛ فلم يزل مثابرا حتى كان رئيس المدرسة فهما واتفانا للفنون
واكبانا على التصلع ؛ وقد اخذ من مختلف الفنون التى يعنى بتدريسها الاستاذ
الادوزى فاتقن عليه النحو واخذ عنه التسهيل ؛ وقد حفظها كلها اوجلها اذ ذاك
- كما ذكره الاستاذ سيدى محمد بن مسعود- ويدل على ذلك انه كان يدرسه به
- كما سترى ذلك- وبلغ ايضا فى الفقه شأوا بعيدا يدل عليه مؤلفه الشلجى الذى
ترجم به مجموع الامير ؛ وقد اخذ هناك ايضا البيان والاصول واللغة ؛ وكان
مستحضرا لضبط الالفاظ ؛ متقنا للتصريف وقد عرف له استاذة هذه المكانة
السامية التى ترقى اليها بما لزمته واجتهاده ؛ فراه وحده اهلا لاستنابته على موالاة
الدروس المطلوبة فى رحلته الى الحمراء مع سيدى الحسن بن احمد التمكنشتى
سنة ١٢٩٣ هـ

حكى لى سيدى ابراهيم بن صالح رحمه الله قال خرجنا لنودع الاستاذ
اذ ذاك ونحن نحو مائة وستين من الطلبة ؛ فحين حق الوداع واصطف الطلبة
اقبل اليهم الاستاذ فقال ان سيدى على اكرام -وبذلك يدعى هناك اذ ذاك-
يتولى التدريس فى مقامى الى ان ارجع ان شاء الله ؛ قال فرجعنا ثم خلص بعض
المتكبرين من الطلبة الذين ينفسون على سيدى على هذا المقام -نجيا بينهم فقالوا

وانه لانقبلن ان يقوم هذا المرابط في مقام الاستاذ ؛ فلئن توجه الى المجلس وأراد ان يتصدر ؛ ليرين منا ما لاينساه ابد الابدين ؛ قال فاسترقت سمع ذلك فتحيت حتى وصل وقت الدرس فولجت عليه بيته ؛ فمنعته من الخروج الى المجلس العام ؛ ثم كان سيدى ابراهيم بن صالح قال لى اننى مع اناس قليلين من الطلبة افتتحنا عليه فى غير المجلس العام دالية اليوسى وذلك غالب ظنى الان .

قلت وفتت على رسالة صغيرة ارسلها الى اهله فى هذا الحين نصها
 (من على بن احمد بن محمد الى والده ؛ السلام والرحمة والبركة .

اما بعد فادعوا لنا بصلاح الحال والمال ؛ ونحن والحمد لله بالسلامة والعاية ؛ ونرجو ان تكونوا كذلك ؛ والفقير ذهب الى مراکش وجعلنى خليفة على الطلبة لنتذاكر معهم لكن لم يتفقوا فنذاكر من اراد حتى يرجع ان شاء الله والحاصل اننا نقرأ لم نمكث ؛ فلاتشوشوا بالكم لان هذا المكان من اراد القراءة يقرأ ابدا ؛ سواء حضر الفقيه ام لا ؛ ونحن والحمد لله لم يخصنا شىء من درهم ولا دقيق ولا ادام ونحضكم على شراء الوصيعة ان امكن ؛ فان للتاخير آفات؛واقرا منى السلام على الاخت وقولوا لها يرحم الله المرحوم الذى قضى نجبه)

هذه رسالة نقلتها من خطه ؛ وقد وقعت عليها صدقة من بين رسوم انسان اجنبى عن أسرنا وهى تحقق لنا ماتقدم من حكاية سيدى ابراهيم بن صالح الذى كان رفيق صاحب الترجمة الخاص فى زمن الدراسة ؛ وقد تقدم ان كان يعيد له الانصبه ماشاء الله ؛ ثم لم يتكبر سيدى ابراهيم اليوم ان يجلس ايضا بين يديه لياخذ عنه متابعة لاذن الاستاذ ؛ وقد كان سيدى ابراهيم هذا مشاركا فى البيت لسيدى عمر الاكضيبى ؛ كما اننى سمعت ان صاحب الترجمة كان فى مشاركة سيدى الحاج احمد اليزيدى وذلك من قلة البيوت وكثرة الطلبة وحدث سيدى عمر المذكور انه كان يمنع رفيقه ان يدخل الى بيتهما صاحب الترجمة عند معاودتهما للانصبه ؛ قال ويجلسان معا فى براح ؛ وربما يكون الجو باردا فينالهما ماينالهما من البرد ؛ وكثيرا ما يتأسف بعد ذلك حين صار ممن تلهذا لصاحب الترجمة ويقول واحياه مما كنت اعامله به اذ ذاك ؛ وحكى ايضا ان صاحب الترجمة كان كلما سمع من نادى باسم الله يسقط مغشيا عليه ؛ ثم لاستيق الا اذا صلى له على النبى صلى الله عليه وسلم مرات فى اذنه ؛ وكان مجان الطلبة يتعمدون ذلك فيتادون باسم الجلالة امام بيته ؛ وقد كان حينها تكثر صمته ؛ وفارق انزواء المعتاد منه ثم قال سيدى عمر فكنت منذ رايت منه هذه الحالة الجديدة آكره مجالسته واحمل ذلك منه محامل اخرى ؛ وفى يوم جاء انسان من دار نائية عن المدرسة ؛ فاستدعى الطلبة فامتنعت انا من الذهاب معهم ؛ وما معنى الاكثرة كلام سيدى على اكرام ولكن حدث الطلبة بعد رجوعهم انه لم ينبس ذلك النهار بينت شفة ؛ وانه راجع ايضا صمته وانزواء ؛ قال ثم من ذلك اليوم انقبض انقباضا دائما حتى غادر المدرسة .

قلت ان الصوفية يقولون ان من الاحوال التي تعترى من يترقى من فسر المقامات انه يحل مقاماً يسمونه (مقام البسط) فيغلب عليه البشر وكثرة الكلام حتى لبعده من لايعرف حاله من اهل الهذيان ؛ ثم ان تجاوز ذلك المقام انطوى عنه ذلك البساط ؛ ثم لايزال تتقلب به الاحوال واختلاف المقامات ؛ حتى يتمكن بعد ذلك بصير حاله حالاً دائماً لايتأثر باى شيء ؛ هذا مايقولونه تحكيه عنهم واهل مكة ادري بشعابها .

وحدثني سيدى ابراهيم بن صالح قال رايت في حين ونحن بالمدرسة الادوية سيدى عليا اكرام كثير البكاء والزفرات ؛ بسبب وبلا سبب وكثيرا ما ألقاه بغتة ؛ فأجده على هذه الحال فتحينته يوما حتى كان في بيته فدخلت عليه وأنا أقول في نفسي انه بلاشك راى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فاستهواه الشوق فدام عليه ؛ وهذا افضل من يواخيه الانسان في الله فسلمت عليه فقلت ان طلبتى عندك ان نعقد الاخوة بيننا لله ؛ والناجى منا يأخذ بيد صاحبه ؛ قال فماكاد يسمع ذلك حتى اجهش بالبكاء ثانيا وغلب على حاله ؛ حتى رحمته ورايته لايجيبني بكلام فخرجت فتركته ؛ وفي يوم من الايام استدعاني ؛ فقال اليوم نعقد ذلك العقد الذى طلبته منى ذلك النهار ؛ فهذا ماعرفناه عنه رحمه الله وهو في ادوز ؛ ولولا سيدى عمر الاكصبي ؛ وسيدى ابراهيم لجهلنا كثيرا من احوانه في تلك المدرسة ؛ كما جهلناها في المدارس الاخرى .

سافر الاستاذ سيدى محمد بن العربي الى الحمراء ؛ وصاحب الترجمة يدرس مع بعض الطلبة ؛ ثم بداله فالتحق باهله ؛ فركب على بغلتهم فالتحق ايضا بمراكش ؛ وقد مكثه والده دارهم يشتري بها مايريد من الكتب ؛ ولكنه لم يشتري الا قاموسا من المطبعة الحجرية القديمة ؛ وقال هذا كل ما احتاج اليه ؛ ثم اشترى لاهله مايعوزهم ببقية الدراهم (وهذه النسخة لاتزال عندنا)

ثم في اواخر سنة ١٢٩٤ هـ ظعن عن ادوز وقد ودعه استاذه واجازه باجازة كانت محفوظة عندي بخط الاستاذ ؛ ثم نقلتها في كناشة ثم عدا الفار على الاولى وتقلبات الاحوال على الثانية ؛ ونحن في غرارة الشيباب سادرون ؛ لم ندرك بعد قيمة المخطوطات ؛ فنحن الآن وقد توقفنا عليها لم نعتض عنها الا الاسترجاع والحوافاة

في فض النوازل وقسم التركات

ها هو ذا صاحب الترجمة قد رجع الان من المدرسة موفور الحظ ؛ مرموق السعد مشهودا له من اساتذته بالتبريز ؛ وبالتفوق فيما اخذ ؛ وقد سارت الاخباذ بذلك وتحدثت به الركبان ؛ فلا بد ان الناس سابرون غوره ؛ ومفتشون عماوربا ؛ اكمته لينظر اصدق من شهدوا له بالتفوق ام كانوا من الكاذبين ؟

صادف أمامه قضية متشعبة بين اولاد عمه ؛ سيدى ابراهيم بن سليمان
وفيهما احباس تشاكس حولها الورثة؛ وقد كان الاسانذة: سيدى الحاج ياسين
وسيدى على المجاطى وسيدى محمد بن عبد الله الالغى وسيدى الحاج محمد
الزبيدي تواردوا عليها ؛ فلم يتفق لاي واحد منهم ان يفض ختمها ولا ان يحل
عقدتها ؛ فحين رجع صاحب الترجمة رفعوها اليه وحكموه ؛ فوافق ذلك ان نزل
عليهم اصحابهم من مجاط ليتعاونوا معه على ذلك ؛ فيرغمون على الحق من اياه
فمالج القضية ؛ وسهل الله امرها بتساهل الورثة فيما بينهم ؛ فتم امرها
وقد رايت ما كتبه لهم اذ ذاك ولكنه غير مؤرخ على عادة فقهاء اهل هذه البلاد الذين
لا يابهنون بالتاريخ ؛ ولكن المهود انهم لا يفرطون فيه في رسم المفاصلة مثل هذا
ولكن هذا لم يقدر تاريخه ؛ فذهب المجاطيون الى دارهم ؛ وهم يقولون عجا من
فقيه جديد من الخ لا يزال صغيرا فض دعوى متشعبة عجز الاسانذة المستون عن
فصلها ؛ بهذا اخبرني من سمع منهم اذ ذاك

وكذلك فصل ايضا نازلة لبعض ايت (امتضى) حكموه فيها ؛ فاراهم فيها
وجه الحق ؛ فرجعوا مستبشرين ؛ هكذا قدر له ان تجول خيله فيما يجول فيه
علماء عصره في هذا الحين وفقهاء قطره الذين يجعلون ذلك هجراهم ويتسابقون
اليه ثم لم نعرف له انه جال في مثل هذه القضايا بعد ؛ لان الوادى اتى فطم على
القرى ؛ كما سترى ذلك ان شاء الله فيما ياتي

في التجارة

اطلت سنة ١٢٩٥ هـ فأتت على الرطب واليابس بمسغبتها ؛ فلامحصول ولا
مذخر ولا رخص ؛ فعركت الناس عركا حتى لم يتخطها من الناس في هذه البلاد
الامن مدله العمر وخرقت له العادة ؛ فقد صارت هذه البلاد كراس الاقرع الاما
كان من ممر وادى (درعة) ازاء تامانارت ؛ فانه اتى بمحصول جيد فانكفا اليه
الناس كلهم ؛ وقد كان الفقيه سيدى محمد بن على الكوسالى ممن عاصر صاحب
الترجمة في المدرسة النانكرية ؛ وكان تاجرا كبيرا ؛ ذا اموال يقارض بها الناس
فانقل به صاحبه هذا ؛ فقارضة ستين ريالا او مائة - الشك من العم المخبر -
فتوجه بها الى تخوم معدر وادى درعة ؛ فاشترى هناك زرعا وشبهه ثم صار
يبيع شيئا فشيئا ويجوز هناك تمرا جديدا ؛ قال العم وكنت ادفع للفقيه
الكوسالى حتى تمت المحاسبة وانتهت المعاملة؛ فكان هذا هو شغل صاحب الترجمة
في غالب سنة ١٢٩٥ هـ والشغل عند اهالينا افضل ما يتحلى به الرجل ؛ وبنه
به شأنه ؛ ولا يستحى رجل ايا كان في النزول الى مزاولته ؛ فبذلك اتيح لفقيه الخ
الجديد ان يكون ممن مارس التجارة ؛ والرجل من يطيق ان يدير كل شيء عن له
ثم يكمل فيه عمله بالنجاح

في مدرسة فو كرض مشارطا ومعلها

كان الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله قد اكب على التدريس منذ رجسه من المدرسة ؛ والتدريس وبث العلم اسرع لرفع الشأن لكل فقيه فقد كان التحق بالمدرسة البومروانية بعد مآدرس فى مسجد قرينته فعلا له بذلك ماتقط بس اسرته ؛ ويتمنى التتمون لو كان لهم مثل ذلك الولد الفقيه فتعطر بذكرهم الاندية وتدوى بصيتهم الاحاديث •

هذا فقيه آنا قد رجح ؛ وهاهو ذافد جرب فى تينك القصيتين ففلج فيهما سهمه ؛ افكانت اسرتنا تقنع منه بان يكون لها تاجرا يزاحم فى الاسواق ويقاير فى البيع والشراء ؛ مع ان ذلك وان كان لاينقص به فى عرف اهلينا شرف الرجل وان كان فقيها ؛ ولكن لكل مقام رجال ؛ فهؤلاء رجال اسرتنا اخوان فقيسها متوافرون فليبيعوا وليشمتروا وليقايسوا وليزاحموا فى الاسواق ؛ ولكن الفقيه الاولى به فى نظر الاسرة ان يسلك طريق ابن عمه سيدى محمد بن عبد الله الذى تصدرفى المدرسة البومروانية ؛ فأحدث بذلك شيئا جديدا من آل عبد الله بن سعيد ؛ فليتحق هو بمدرسة اخرى ؛ حيث يبث العلم ويهذب النفوس ويصقل الافئدة حيث يكون للاسرة من فقيها شأن كشان الاسرة الصالحة من فقيها وليس هذا الذى اقله من بنات يراعى ؛ بل هو من صدى احايث كانت الجدة (تكدا) والدة صاحب الترجمة - تملبها على فى نحو سنة ١٣٣٥ هـ وانسا اسائلها عن ذلك التاريخ ؛ فكنت اراها تكبر زوج بنتها الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله ؛ وتتمنى من فقيها الذى هو ابنها ان يسلك طريقه ؛ ثم قالت ولكن ماكنت اعرف انه خبيء له هذا الخير الكثير ؛ والمجد الباذخ الذى جاء به وذلك من غير طريق سيدى محمد بن عبد الله التى كنت لا اريد ان يتخطاها ؛ تعنى بذلك كونه شيخا مرييا ؛ فساق لها ولاسرتها بذلك من الشرف اضعاف ماسافه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله لاسرته •

التحق فقيه الغ الجديد بمدرسة (فوكرض) فاجتمعت عليه ثلة من الطلبة يدرس معهم المبادئ ؛ ومن بينهم العم ابراهيم والفقيه المدونة الايقشاني ؛ وسيدى مولود الصوابى والحاج محمد البوزاكارنى ؛ وآخرون ؛ واخال ان التحاقه بتلك المدرسة كان فى اواخر سنة ١٢٩٥ هـ لان الاستاذ الطاهر بن على اخبرنى انه رأى رسم حبس كتبه صاحب الترجمة وهو هناك مورخا بسنة ١٢٩٥ هـ وانعم صمم على انه ما التحق بها الا فى مفتاح سنة ١٢٩٦ هـ هو الامر سهل ثم انه مع اشتغاله بتعليم الطلبة ؛ قد جعل لمن كانوا ينتابون المدرسة من العامة مجلسا وعظيا ؛ قال سيدى بلعيد الصوابى - وكان يحضره اذ ذاك ان ذلك الوعظ اشبه بوعظه يوم تصدروا للتربية

انتم سنة في تلك المدرسة ؛ ثم اعاد معهم الثانية فمضت فيها بضعة
شهور ؛ فاذا برسول الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله يطلب منه ما ياتي

في المدرسة البومروانية

رايت في ترجمة سيدى محمد بن عبد الله ما حمله على ان استناب صاحب
الترجمة في البومروانية ليطعم له السنة ؛ فادار الدروس وتابعها ؛ كما كانت
بين يدى الاستاذ وقد جاء اليه تلاميذه الذين انقطعوا اليه في المدرسة المتقدمة
فكان من بين من يآخذ عنه من تلاميذ الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله الاستاذ
على بن عبد الله الذى رجع بسبب وبمعاونته الى الدراسة بعد ان كان سمته همته
الى التجارة . والاستاذ احمد الزمامى وسيدى سعيد بن على الاعضائى وسيدى
الحسين الناطاروسى وسيدى العربى الساموكنى وسيدى الطيب الركيبى
وسيدى الحسن بن عبد الله بن محمد السملالى ؛ فكان يدرس مع هؤلاء
التسادين زيادة على متون المبتدئين الالفية والرسالة والمختصر والتسهيل
والمقامات الحبرية ؛ فكان يجول معهم بهمته المعروفة عنه بعد ذلك فى كل
مايزاوله ؛ سبعة اشهر تامة الى ان تمت الدورة السنوية فالتحق بالغ ؛ والتحق
التلاميذ بالمدرسة الالفية عند استاذهم الذى بنى لهم هذه المدرسة الجديدة
وكانت السنة ١٢٩٧ هـ .

العزم على المشاركة في المدرسة الوقاوية

زمت الركاب من بومروان ؛ فجزى الاستاذ ابن عبد الله صاحبه هذا على
مقام به هناك ؛ ثم صار يفاوض الوقاويين على ان يشارط عندهم فى مدرستهم
ابن عمه هذا المترجم ؛ فتم بينهم الامر ولكن اجل ذلك الى ان يرجع الناس من
موسم (تازروالت) وقد اظل يومه ؛ ولكن حالت امور جديدة بينه وبين هذا العزم
(وتحدث من بعد الامور امور) كما يقول الحكيمى

الطريقة تنقض عليه ثانيا فتطير به

قد يحسب الفارء ان صاحب الترجمة قد نفص يده من الدراوية ؛ وانه
نسى شيخه فاعرض عنه مع انه ماكان يقطع زيارته فى كل حين ؛ اذ هو بالمدرسة
الادوية ؛ وبعد ذلك وانما اراد ان يجبر خاطر والده ؛ فرجع اليه بعد ان اكتفى
من الاخذ بادوؤهم حدته الاقدار حتى شارط كما ترى ؛ وقد كان اخوانه الفقراء
زاروه بطانفتهم حين كان بالمدرسة البومروانية وفيهم الفقيه الكبير الذى
تجرد اذ ذاك وانقطع الى الزاوية المعدنية ؛ سيدى الحاج الحسن التاموديزسى
فحين وكوا ارسل اليه هذا السيد رسالة عاتبه على ما هو فيه ؛ وحشه على ان
ينقطع ؛ وتمثل له فى الرسالة بقول الحراق

والفتى من سلبته جملة لا الذى تسلبه شيئاً فشيء

فربما كان هذا البيت وحده هو الذى استشاره من جديد ؛ حينئذ تسوق موسم (تأزروالت) ثم مضى منه قدما الى الزاوية المعدرية حيث تجرد وانقسط بين يدي شيخه ؛ واعطى للتصوف نفسه فسلبته الطريقة الدرقاوية جملة بعدان كانت تسلبه قبل ذلك شيئا فشيئا .

ومن لم يجد فى حب نعى بنفسه وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل بهذا اختتمت صفحة من نصف عمر صاحب الترجمة ؛ واستقبل سنة ١٢٩٨ هـ بما استقبل به الغزالي يوم طلق الدراسة بالمدرسة النظامية ؛ بادية العرب ؛ حيث لاقاه الاستاذ ابوبكر بن العربي ؛ وكان عهده به وهو بالنظامية وفى مجلسه اربعمائة عمامة من اكابر الناس وافاضلهم ؛ يأخذون عنه فقال له وقدراى عليه مرفعة ؛ وعلى عاتقه ركوة ؛ ويده عكازة يامام اليس تدرى العلم ببغداد خيرا من هذا ؟ قال فنظر الى شزرا وقال : لمطلع بدرالسعادة فى فلسك الارادة ؛ وجنحت شمس الوصول فى مغارب الاصول

تركت هوى ليلي وسعدى بمعزل
ونادت بي الاشواق مهلا فهذه
غزلت لهم غزلا رقيقا فلم اجد
وعدت الى تصحيح اول منزل
منازل من تهوى رويدك فانزل
لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

وقد انشد له ايضا حول هذه المقام فى لقاء آخر

قد تيممت بالصعيد زمانا
من سرى مطبق الجفون واضحى
وانا الآن قد وجدت الماء
فاتحا لا يردهن السحماء

وقتها قصيرا بالقارىء

احب منك ايها القارىء ؛ وقد ماشيتنى منذ اول هذه الترجمة الى ان طوبنا صفحات غيرة لميلة من حياة صاحبها ؛ ان تقف معى هنا قفة قصيرة نفكر فيها قليلا فى الذى يتراءى لنا عنه ؛ افليس انه محفوظ فى كل هذه السنوات التى يتلقى فيها ؛ حتى ختم ذلك بخطوة عظيمة غبطه عليها اصداؤه ونفسها عليه حساده ؛ يوم اناله الاستاذ ابن العربي الادوزى تلك الشهادة العليا بين جماهير من اقرانه ؟ ثم لما توجه الى مجالات فقهاء عصره ؛ وجد ايضا مكانا قسيسا واسرة لها مكانتها بين ذويه ؛ ثم لما جال فى مجالات التدريس فى المدارس كان نزع فيها لا يقصر عن نزع ابن عمه الاستاذ محمد بن عبدالله لانه لا يرضى ان يخلفه فى منصبه ؛ ولا يتنازل ضميره الى ان يذر تلاميذه الذين هم افلاذ كبده الا فى يد من يراه كنفسه فى الالتقاء والفهم والتفهم ؛ ثم ان كل هذا لم يستهوا صاحب الترجمة ؛ ولا استمال نظره ؛ ولا اعاره لمحة من فكره افلا يدرك من كل هذا القارىء الكريم ان تلك الروح الوثابة التى تملأ ما بين جوانحه ؛ غير تلك

الأرواح التي تجول في كثير من فقهاء عصره الذين لا يكاد احدهم يشيم ومضة من حظ ؛ ويجد مضغة هنيئة مريئة من مدرسة واقباله صغيرة من بضعة تلاميذ حتى يقول انى اسعد الناس ؛ واحظى العلماء بالظل الوريث من العلم الشريف؟

حقيقة ان مايفنى فيه الفقهاء اعمارهم من فض التوازل بالشرع الحنيف والانتصاب فى المدارس وهى من المساجد التى لايعمرها الا من آمن بالله واليوم الآخر ؛ ومن تعليم التلاميذ وتهذيبهم وارشادهم ؛ ووصل الامانات الدينية والعلمية والثقافية اليهم كل ذلك فيه اجر عظيم ففى مثله يتنافس المتنافسون وفى التسابق اليه يحمد المتغابون ؛ ولكن أمثال صاحب الترجمة الذى خلق لغير هذه المجالات وراينا همته تحفزها الى مقامات اخرى غير هذه لابدان يكون هناك شىء وقع عليه بين اولئك الفقراء وحظى به بين اركان تلك الزوايا ؛ لم يجد مثله بين الفقهاء واللمحه فى مجالس المدارس

فليت شعرى ما الذى وجده هناك ؛ ولم يجده فى المدرسة ولا فى علومها المختلفة ؛ اخال ان هذا الذى وجده هناك ويجده كثير من الفقهاء الذين افسوا مناصبهم وراءهم؛ فأقبلوا على مصاحبة الفقراء ؛ يتجلى لنا فى هذه الحكاية الاتية:

دخل سيدى سعيد بن وهو الشيخ المعدرى الى داره يوما فقال لمريدته الفقيرة عائشة الهشتوكية ؛ اخرجى واستديرى بالحائط فانك ستجدين عالمين دخلا فى طريقنا حديثا ؛ فذاكريهما فخرجت فوجدت صاحب الترجمة والفقير سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ؛ فجلست اليهما بعد ما سلمت ؛ وهى حيزبون درديس - ففاتحتهما الحديث فانجر بهما الى ان وصل الى معرفة الله تعالى ؛ فحلقت بهما الفقيرة الامية الى سماوات عجزا عن مطايرتها اليها ؛ فسكتا ثم قالت لهما انما اردت بهذا العلو فى المذاكرة ان تعرفوا انتم معاشر العلماء الجامدين الذين لا يحسبون ان لله علما الا ما فى تلك النقطة الضئيلة التى تظنون اعماركم تجولون حولها فى مدارسكم ؛ ان من الناس من تعجزون عن مجاراته مع انه لم يلم بنفطتكم هذه ؛ و اردت ايضا ان تدركونا حق الادراك انكم معروفون عندنا لانخفى عنا منكم خافية ؛ فالمنصفون منكم يدركون انهم خالون من سر انوار القلوب ؛ ومن ذوق حلاوة الايمان ؛ وان هذه العلوم التى يخوضونها ويقصرون عليها اعمارهم ويحسبونها غاية ؛ على حين انها انما هى وسيلة للمقصود من معرفة الله ما انتهم بالمراد من انوار القلوب وحلاوة الايمان ؛ ولكن مع انصافهم هذا ؛ وادراكهم لكل ذلك حق الادراك ؛ يحسبون ان غيرهم لا يدركون منهم ما ادركوه من انفسهم من عدم معرفتهم لله وعدم استنارة القلوب ؛ وانشرح الصدور ؛ فقال لها سيدى الحاج الحسن وكيف معرفة الله اينها الفقيرة ؟ فقالت انكم انتم العلماء ؛ وانكم احق من يسال عن مثل هذا لاننا العامية الامية التى قل حياؤها فثرت بهديانها حتى جاوزت الحد ؛ فقال لها سيدى السحلاج الحسن لا بد ان تتكلمى ؛ فقالت لا ادري ما اقول ؛ الا ان ولدا عندى يوما ايقظته

من نومه فقال لي يا امه : انك ايقظتني من نومة عذبة حلوة لذيدة جدا جدا؛ فقلت له كيف عذوبتها يا بني ؟ فسكت مليا ثم قال نامي يا امي هنا مثل تذوقيه هكذا فقلت انا اقول لكم من اراد ان يذوق معرفة الله فليرحل الى الله بالكلية ؛ فان العجب كل العجب فيمن ادعى انه عالم مع انه اجهل الناس بمعرفة نفسه وبمعرفة ربه وقد يما قيل : من عرف نفسه عرف ربه *

هذه هي الحكاية حكاها من حكمتها له تلك الفقيرة رحمها الله ؛ وربما زادت جملة او نقصت ولكن هذه هي الروح

وبعد ؛ فان من بين الناس من تتعلق روحه بهذه الناحية ؛ ويتكون ذلك منه من صغره كما رايناه من صاحب الترجمة الذي تجلت منه هذه الناحية ؛ وهو بعد في الكتاب ؛ ثم ما كاد يلتقي باصحاب هذه الجهة حتى انزعج فيهم كان له معهم تعارفا قديما ؛ وكان ذلك ميدان الحديث الشريف *

(الارواح جنود مجندة ؛ فما تعارف منها ائتلف ؛ وما تناكر منها اختلف).

في التجريد وخرق العادة

لبعض الصوفية احوال عجيبة لاتزال الى الان محمولة في اعين غالب الناس على الغرابة ؛ وعلى الخروج عن المعتاد ؛ وبها تقوم في كل عصر حرب زبون ومجادبة عنيفة بينهم وبين الفقهاء الذين لا يجدون فيما عندهم من مختلف الفنون ما يبررها خصوصا المحدثين منهم الذين يتراعى من سيرة صاحب الشريعة صل الله عليه وسلم ما لعله لا يوافقها فيما يرون ؛ فهؤلاء الفقهاء والمحدثون يحملون على من يلبس هذه الاحوال الغربية حملات متوالية زاخرة بالحجج والبراهين والادلة ؛ ولكن الاخرين سائرون في طريقهم ؛ معرضون عما حولهم وهم كالمخورد التي تجثم في ضفاف البحار فلا تكاد موجة تصطدم واياها حتى تنكسر على جنباتها ثم يستحيل ماؤها زبدا ورشاشات متظاهرة ؛ قلب معى النظر ايها المؤرخ منذ تأسس التصوف في القرن الثاني واستقل كعلم خاص ؛ له مبادئه واصطلاحاته وتآليفه المدروسة ورجالته الذين يتفانون فيه ؛ ويظلون وبيبتون في تتبع دقائقه ومقدار تأثير كل دقيقة من دقائقه في نفس المعتنق للتصوف المتتبع لمقامات السلوك فيه ؛ تأمل معى منذ ذلك العهد الى الان ؛ تجد هذه المجاذبات العنيفة التي تقع في مختلف هذه القرون وترى ما هناك راي عين ؛ فيتضح لك ان ما يستغرب في ذلك الوقت ؛ يشور به على القوم الفقهاء والمحدثون دائما ولكنهم بعد انجلاء المعركة يخرج اصحابهم وهم كما هم لم يتأثروا بقلمه ظفر من ثورة هؤلاء

ومن بين ما يواخذ به هؤلاء اصحاب التصوف هذا الذي سمي به التجريد بالتجرد عن كل ما في ايديهم وعن كل ما هم فيه؛ حتى يامروهم بترك هيئات حسنة ؛ وشارات عرفوا بها الى هيئات اخرى وشارات زرية تتخطاها الانظار

فتنفض دون ابصارها ؛ والى الوقوف مواقف ذل وانكار للذات ؛ فقد يامر الشيخ وان يجول فى مرقعة غليظة بين القرى وبين عارفيه ؛ حتى يزول منه ما يمنعه من من كان معروفا فى قومه بلباس حسن ومروءة وعز وعلو همة؛ ان يطلق كل ذلك المداومة على مثل ذلك ؛ وربما امره ان يتعرض للناس للتكفف وان يجهر بذلك فى الاوساط التى كان عرف فيها بما عرف ؛ ويسمى ذلك عند مشايخ التربية (خرق العادة)

تعلو صرخات الفقهاء والمحدثين باستنكار ذلك ؛ واستبشاعه بين المسلمين فيقول المحدثون لم نر قط رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ امر احدا ممن يريهم وهو شيخ المرين واستاذهم وقدوتهم ان يفعل مثل ذلك ؛ وهذه احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ظاهرة بين ايدينا لانجمل منها ولوطرفا ؛ افلا يسع من يربى الناس اليوم ماوسع رسول الله صلى الله عليه وسلم امس ؟ والمراد من المسلم ان يحس بالشرف وعلو الهمة وعزوف النفس ؛ لبالضعة والاسفاف والحقارة ؛ وارى مسلم الف الحقارة الا التحفها حتى امام الكفار واعداء الدين .

ويقول الفقهاء ان عرض الانسان ومروؤته وشرفه لهما تجب المحافظة عليه مثل ماتجب المحافظة على دمه ودينه وماله فبأى دليل وبأى نص يستدل من يأمر بهتك المروءة التى هي كما يقول علماء الاخلاق كسجف رقيق متى انتهك فهيها ان يلتئم بعد ؟ فكيف يربى انسان انسانا فى الدين الاسلامى بهتك المروءة والتوقع للناس فى الاسواق بالتكفف وباذلال نفسه ؛ مع اننا ما امرنا الا بعكس ذلك هذا ما يصرخ به المحدثون والفقهاء ويسهبون به فى حججهم ويسوقون ما يسوقون مما يشهد كما ذهبوا اليه .

واما الصوفية فان بعضهم غالبا يجيبون بالافعال ؛ فان من يلمره شيخه ان يفعل ذلك لا يلبث بعد حين ؛ ان ينقلب جوهره ويتبدل حاله ويظهر بمظهر آخر ؛ ثم لا تستدير دورة الزمان حتى يترأى فى عصره كشمس انكشفت عنها السحاب السود فى يوم صحو فتشرق فى عليائها على الكون ؛ حتى تعشى انوارها للامة كل الناس ؛ حتى اولئك المحدثين والفقهاء فانهم لا يكاد معظمهم من المنصفين يتكرما ناله كبار الصوفية بعد هذه التربية

واما صوفية آخرون فانهم يصمدون الى المحدثين والفقهاء ؛ ويقولون لهم لقد بعدتم النجعة واكثرتم حول ما لا تعرفونه صرخاتكم ؛ فاننا اولا نعدركم على نمط ما يقوله الشاعر

لو كنت تعرف ما اقول عذرتنى او كنت اجهل ما تقول عذلتنا
لكن جهلت مقالتي فعذلتنى وعلمت انك جاهل فعذرتنا

ثم اننا لانكثر معكم الجدل ؛ ولانجادبكم ادلة و حججا انتم ادرى الناس

كيف تلقى وانما نسائلكم سؤالين اولهما لوجاء طبيب فقال لكم ان مريضكم هذا لايسلم من مرضه المزمع الذي منعه الحركة الا اذا بترت يده او فقت عينيه فحيثئذ يبرأ ويقوم ؛ ثم انه سبق له ان عامل بمثل هذه المداواة مرضى كثيرين فبرئوا؛ اكنتم تدفعون اليه مريضكم وتجاوزون له ان يداويه بما ذكر وبما تبين انه دواء شاف من مداويات له متقدمة ؟ ام تقولون له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك ويقول له فقهاؤكم ان نصوصنا لم ترد بمثل ذلك ؛ فما كان موقفكم مع ذلك الطبيب الذى ادرتكم صدقه هو موقفكم معنا فاننا انما نقصد بما فعلنا ببعض المريدين لاكلهم تطهير نفسه من الكبر الذى هو اخسو الشرك وان نسلك به مسلكا يتلقى فيه دروسا يخرج منها بالاخلاص التام فى اعماله وذلك هو قصدنا الوحيد؛ ثم لم نبال بالمروءة التى تقولون هتكناها العلمنا بان الغاية تبرر الواسطة كما ان ذلك الطبيب لم يبال بتر اليد ولا بفقء العين فى جانب الشفاء الذى يحصل للذات كلها ؛ على ان المروءة التى يامر الديسر بالمحافظة عليها ليس منا من يقول بهتكها وانما هى بعض عوائد فى اللباس وامثاله تغير لعل ماوراءها يتغير؛ كما شرع تقليب اللباس يوم تصل صلاة الاستسقاء على انه لم يتخذ اشيا خاذلك ضربة لازب لكل مريدمريد ؛ بل انما يامرون به من يعلمون انه لايداويه الا ذلك ؛ وطرق التربية شتى لاتحصر ؛ والاشياخ انفسهم تختلف تربيتهم فى مثل هذا اختلافا كثيرا ؛ كما تختلف طرق التداوى بين هيئات الاطباء فى مستشفيات متعددة وذلك كله بحسب ما جربوه من انفسهم ؛ ونحن نقول ان كل شميخ يربى مريديه على النمط الذى تربى به ؛ ومن اين لنا ان تكون تربيتنا ؛ ونحن نفر بعدم العصمة كتربية النبي صلى الله عليه وسلم الذى وقفه الله ؛ وعصمه فى كل احواله ؛ وتولى تربيته وتاديبه فاحسن تاديبه فان ادرتم ايها المحدثون والفقهاء محور هذا السؤال ؛ وكنه ما نريده وراءه عرفتم متجهنا فاسترحم وارحمنا على اننا نشكركم على اعتنائكم بنا ؛ واخذكم بحجزتنا حتى لانفارق السنة ؛ فجزاكم الله خيرا .

والسؤال الثانى اننا رايناكم تكثررون علينا فى اتخاذنا حياة مخصوصة للمريدين ماداموا يتربون تحت انظار مشائخهم ؛ فتقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يخص اصحابه بهيئة مخصوصة ؛ ولا بشارة يميزون بها عن غيرهم ؛ بل المسلمون كلهم فى هيئاتهم كقداح السهام فى الكنائس ؛ لايفضل بعضهم على بعض الا بالتقوى هكذا تقولون ؛ ولكننا نسائلكم فانصفونا فى الجواب ؛ اوليس ان لكم ايضا ايها الفقهاء حياة اخرى خاصة بين المسلمين؟ فمايكاد احدكم يتأهل للتصدر وينساق الى صفوف العلماء حتى نواه انتحى ناحية فيخرج اليها بالزى الخاص الذى احتكره العلماء لانفسهم ؛ فما كان جوابكم هو جوابنا فقد علمنا ان قدوتكم فى ذلك ابو يوسف ؛ ونعم القدوة ابو يوسف ؛ ولكن

لماذا لا تقبلون منا انقلنا لكم ان قدرتنا الجنيده والغزالي وامثالهما ؛ فنقولون لنا بدوركم نعم القدوتان الجنيده والغزالي ؛ فيا اخواننا العلماء لماذا لانلتقى نحن وانتم في الوسط لتدركوا ماعدنا ؛ مثل ما دركنا ماعدكم ؛ فننتعاون على نفع العباد انتم بتربية ونحن بتربية ؛ انتم بتربية ظواهرهم ونحن بتربية بواطنهم فان ذلك اقرب واسهل لانتمام ما نريده جميعا ؛ وقد امر الله بالنتعاون على البر والتقوى ؛ والتميز لكل طائفة بلباس خاص امر اجمعت عليه الامم ؛ فزى الكشافة وزى الاطباء ومعاونيهم وزى الجندي ؛ وزى البحريين والطياريين ؛ يخالف بعضها بعضا فلماذا يلام هؤلاء القوم وحدهم ؟ فهلا انصفتم ؟ فان الانصاف من نسيم الاشراف .

هكذا يتحاج الفريقان مايتحاجان ؛ ثم يتحاجزان فيقبل كل واحد الى شانه وكل حزب بما لديهم فرحون وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا ؛ وان كان الحق بين الطرفين لا يخفى على ذى عينين

* * *

طرق آذان اسرة صاحب الترجمة اثناء سنة ١٢٩٨ هـ ان ابنها الذى كانت تنظر اليه كما تنظر الاسرة الصالحية الى ابنها الاستاذ محمد بن عبدالله وتتمنى من ورائه ان تدرك مثل ما دركته تلك الاسرة من وراء ابنها الاستاذ من مسجد شامخ ؛ وثروة متزايدة ؛ صار يدور فى الاسواق ويتكفف الناس فيها فيمديديه وهو يقول اطعمونى فانى اموت جوعا ؛ وهو فى اسمال رقاع متلونة كانها قوس قزح ؛ وقد تدلى وراء كتفه جراب منقوب من اصله ؛ يلقي فيه كل ما امتدت به اليه الايدي ولكنه سرعان ما يسقط وراءه ؛ فيتبعه الصبيان زرافات ؛ والهريج الرعاع الذين من دابهم ان يتجمعوا فى امثال تلك المواقف

تواترت هذه الاخبار الى الاسرة حتى صدقت بها ؛ من بعد ان كان ذلك عندها رابع المستحيلات ؛ فثار فائرها ؛ واسودت الجواء فى اعينها فى وسط النهار حتى كانها فى غيابات الجب ؛ وقد علمت ان ما يقال محقق ؛ فلا سبيل الى تكذيبه :

طوى البسيطة حتى جاءنى خبر
فزعت فيه بلامالى الى الكذب
حتى اذا لم يدع لى صدقه املا
شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

واهلنا السعيديون ابعدهم الناس عن مقامات التكفف واعلى الناس عن ذلك همما ؛ واكثر الناس فى البعد عن ذلك استنكافا ؛

واستف ترب الارض كى لا يرى له
على من الطول امرء متطول
ولذلك استبعدوا تصور ان ابنهم الذى يعلمون منه ما يعلمون يسف الى

ذلك او تتدلى به همته اليه ؛ ولكن لما تحققوا ذلك وانتفى الريب ؛ سبق الى اذهانهم ان ابنهم بلاشك ممن اصابتهم العين ؛ او طافت بهم بعض نفاثات السحر او المتبه مسة من جنة ؛ والا فلا يتصور في انفسهم ان يتنازل الى ذلك وكسه مسكة من عقل اولحة من تمييز

أذن الشيخ سيدي سعيد المهدري لتلميذه هذا ان يجول قصى الاسواق وان يخرق فيها العادة ؛ فجال اولا في بعض اسواق (ازغار) ثم في سوق (اساكا) ثم في موسم تازروالت وقد صادفه هناك الاستاذ الحاج داود الكرسيقي وكان ممن له المام ببعض افعاله الصوفية ؛ وما يقصدونه بها فلم ينكر عليه ؛ ثم صمد الى الاسواق التي تجاور الخ حيث اهله ومعاريفه ؛ فجال في سوق الجمعة بسملالة وهي اذ ذاك كما ابتدأت ثم في قبيلة ايت وقفا ؛ وهو في كل ذلك ملازم للمصمت لا يسمع منه الا عبارات التكفف لا غير وقد قصده في ايت وفقا سيدي محمد المدونة الايغثاني تلميذه الذي كان اخذعنه بالمدرستين : الفوكرضية واليومر وانيسة فطلب منه ائذعاء والحق عليه ؛ وقد علم انه لم يفعل ذلك لحق اطلب دنيا ووجه وان ذلك انما فعله لتخلص به نفسه من شوائبها فاجابه هذا حين الح عليه قسى ائذعاء لا اربحك الله ؛ وعيناه شاخصتان ؛ كانه مجنون حقا .

ادعو عليه وقلبي يقول يارب لا لا

نفد صبر اهله ؛ وبلغ الحزام الطيبين (١) فذهب اليه اخوه محمد مع رجل آخر فاسراه وحملاه على البغلة واتيابه مكبولا الى الدار ؛ وهو على حالته ؛ لا يجير الجواب لابيه ولا لاهه ؛ ولا يتكلم بسوى عبارات التكفف والاستغاثة ؛ واصرأخ بان الجوع كاد ياتي عليه .

حكى لي والدته (تاكدا) رحمها الله انها اذ ذاك كادت تتمزق كبدا وينفطر قلبها اذ سمعت به ينادى ان السغب يقطع احشاءه ؛ قالت فلا ادع كل ماتله يدى ؛ وامكن لي من الطيبات الا قدمته اليه ؛ فاملا جانبيه باللحم الحنيد والبيض المسلوق والسمن الممزوج بالعسل واللوز المطحون والتمر الجيد والزبيب والجوز وكل ما عندنا ؛ ثم لا يعير ذلك كله التفاتا ومتى غفلنا عنه ؛ وقد اودعناه في بيت ينفث الى سطح الدار فيصرخ الامن يفتأ جوعتى الملتهبة الهائجة ولو بقطعة من الخبز المكروج (٢) فانتى يا عباد الله اكاد اهلك جوعا ؛ قالت فبادر الى ابوانه الى البيت ايضا ؛ ونحن نتقطع على ولدنا العالم الذي صار مجنونا ينخبط .

ذلك وقد صح عند الاسرة انه امامعين واما مجنون ؛ فبادر والده فذهب

(١) الطبى بضم فسكون الحلمة الزائدة في آخر الضرع وذلك مثل مشهور في اشتداد الشيء

(٢) كرج الخبز اذا يبس وفسد

بديحة الى ضريح ازاء مدرسة فوكرض لما سمعه من ان ما اصابه ربما جاءه من تلك المدرسة ؛ هكذا صار صاحب الترجمة في واد واهله في واد في صبيحة يوم وقد اطل الفجر على الكائنات فاقاض عليها من انواره فاستنار كل ما فيها فأقبلت كل الامهات الى ابناؤها ؛ ليزدندن بهم قرة عين ؛ وبهجة نفس الا لتلك الام المرزوة في عالمها فانها دخلت عليه البيت لتستجد ايضا من نظراتها الى ولدها زفرات اخرى منلظية ؛ قالت لي فمادخلت حتى ناداني سو هو اول كلام سمعته منذ ياماه ما هذا الذي في رجل ؟ فقلت انه كبل ياولدى ؛ فقال او هبلتم فاماذا وضعتم على الكيل ؛ وماذا عراني ؟ فقلت آه ياولدى انك ياولدى جنت فلم نجد بدا من ان تكبلك ؛ فقال عجباً او كنت كذلك ؟ ولكنى الان استرددت شعورى قالت فتأب الى من الفرح والسرور ما الله اعلم به فسرت اسائله حتى تحققت ما قال فاقبلت مسرعة الى مطبخ الداروفيه نساء ونامشتغلات بالغداء فاعلنت بشرى فارتجت الدار كلها فرحاً فأقبلنا جميعاً مستديرين بولدى على وقد حضرين القرية فاماط الكبل فأزال كذلك ولدى ما عليه من اللباس الخلق فانينه بكسوته البيضاء من صندوقى فلبسها وارثى بردائه ووضع العمامة على راسه فأرسلنا الى الاستاذ الفقيه سيدى محمد بن عبد الله ؛ فحضر عندنا فأقيمت حفلة كبيرة حضرها الجيران والاقارب فأقبل المهنون يهنئوننا بشفاء ولدنا ؛ ولكن والده سيدى احمد ؛ لم يزل ملازماً للفراش من مرض كان به ثم ازداد بمواقع ولدنا ؛ ففي صباح يوم لعله اليوم الثانى ذهب ليزور الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله فلم اشعر حتى هزلت الى امرأة من القرية فصارت تنادىنى وصوتها متهدج انى الان رايت ولدك قد استدار بشية (تالان نيت عيس) ويذكر الهيلة جهراً ؛ وقد ذهب عنك ايضا قالت فقامت قيامتى ولم اتحمل الصبر فأهويت ببغلتنا اجوب بها الطريق الى المدر لاسترد فلذة كبدى من ذلك الرجل المدرى الذى افسده على قالت فراح على الليل فى (تيفمى) فبت هناك عند اسرة من معارفنا ؛ ثم تعقبى من اخبرنى بان زوجى والد اولادى قد خرجت روحه اثر خروجى من الدار ؛ فكنت اذ ذاك اشقى نساء العالم وانكاهن مصيبة فهذا ولدى العالم الذى هو كل منيتى وآمالى فى حياتى قد عانه العائنون وتسم فيه مرام الحاسدين الشامتين ؛ حتى اختل عقله فتكذب اهله فصار يجول فى البلدان والها حيران ابله كأنه هداوى من الهداويين ؛ وهذا زوجى وقطب اسرتى ولب مهجتى قد مات عنى فوقفت فى حيرتى لا ادرى التقدم الى الامام لافتش عن ولدى ؛ ام انكص على عقبى لاشهد ماتم زوجى ؟

هذا ما حكته لى رحمة الله عليها فاها لاذنى ؛ وكانت ثرة الحديث ممتعة ان وجدت من يكون عندها من المنصتين ؛ وكنت اذ ذاك قد بدأت افتش عن اخبار والدى هذه ؛ فيسر الله لى من عندها من ذلك نبدا لطيفة ؛ هذه الحكاية منها .

وقد الم صاحب الترجمة بذكر ما وقع اذ ذاك فى رحلته الحجازية عند ذكره لشيخه المدرى ؛ فقال بعد ان ذكر ما حصل عليه بملاقاته معه :

فلهجت نفسي برى ذكرا
 مما يرى برؤية والرؤيا
 ماوى ولا عن حسنه ملاهى
 لكونها عن مقصدى عوائقى
 لطلب الاخلاص فى العبادة
 افضل ما يجنى من الفوائد
 بفعله ان كنت تارك السوى
 ما اقرب الاخلاص ممن نبذا
 جن فاين القيد والحبول ؟
 اين رقى المسحور والبخور ؟
 فلم يكن فعلى لديهم مننقى
 وكل من عرف شيئا ناداه
 لب ن معرفته يقيننا
 يوتيه من اراده اخيره

تركت ماسوى الاله هجرا
 وقبجت عندى ملاح الدنيا
 وليس لى فى غير ذات الله
 فصلت عنى سائر العلائق
 بدلت احوالى بخرق العادة
 وكان فى تخريقى العوائد
 ولست تعرف الذى ثم سوى
 تصير راقضا ومرفوضا اذا
 فاختلف الناس فذا يقول
 والبعض قال انه مسحور
 وعند جل الناس كنت احمقا
 فكل من جهل شيئا عماده
 من بين فرث ودم يسقيننا
 ذاك بفعل الله لا بغيره

قضى صاحب الترجمة مآذبه انيه شيخه ووفاه شروطه المشروطة عند اهل ذلك
 الفن بكل دقة فمثل ثانيا بين يدي شيخه وقد انخرط فى سلك المتجردين بين
 يديه ؛ لا يتنفس الا باذنه ؛ ولا يلتفت يمنا ولا يسرة الا باشارته وهو طوع يديه
 كيفما قلبه انقلب وقد يما قال الشاذلى لاستاذه مولاى عبد السلام : انى اغتسلت
 من علمى وعملى الا ما يتينى على يديك ؛ وقال الجيلانى البغدادى فى عينيته
 المشهورة ؛ يوصى المرید بما يكون عليه عند شيخه :

وكن عنده كاليت عند مفسل يقلبه ما شاء وهو مطاوع

وقال الشريشى فى رأيته المشهورة :

ومن لم يكن سلب الارادة وصفه فلا يطعمن فى شم رائحة الفقر

ومن شروط هؤلاء المريدين ان من قال من المريدين لشيخه منهم له لا يفلح
 ابدا ؛ ومن اجال نظره يعلم ان هذا الشرط يتخذ اساسا فى كثير من الجمعيات
 والتنظيمات كالجنديّة وسببها ؛ فلا يختص به الصوفية المربون لاصحابهم
 فعلى هذه الوتيرة سار صاحب الترجمة مع شيخه ؛ فيخدمه ويقوم بين يديه
 ويكفيه مع اولئك المتجردين كل ضروريات زاويته ؛ وكثيرا ما يقول بعد ذلك
 لتلاميذه حين رجع شيخا مريبا ؛ ليس العجب ان يستسلم الواحد لشيخ
 يحسبه عالما ؛ وانما العجب منا نحن الذين استسلمنا لشيخ امى ثم وفقنا الله
 فراعيناه بكل ادب والحمد لله ؛ وقد اخبرت ان شيخهم وصلهم يوما فى هاجرة
 تذيب دماغ الضب ؛ وتعشى اعين الحرباء ؛ وهم يحصدون زرعاً للزاوية فى
 بسيط المعدر ؛ وقد سالت اصابع من كانوا قبل لا يالفون مزاوله الكهن دمس

مصاحب الترجمة والتاموديزتى وامثالهما ؛ فلم يطق الشيخ امساك عينيه فقال والله لولا ان الذى تطلبونه وهو وحده سبب اتصال ذات ما بيننا ؛ لايحصل لكم الا بهذا ؛ ما كان فى صدرى قلب يستمسك حين يراكم على هذه الحالسة واخبرت ايضا ان الشيخ خرج يوما فى حمارة قيظ ؛ فرأى صاحب الترجمة مضطجعا ازاء حائط وقد ادركته الشمس ؛ فتناول رداءه من فوق ظهره فجعله عليه ظلة تقيه وهج الحرارة من غير ان يوقظه ؛ ومما وقع له فى هذا الصدء انه كان سائحا مع اخوانه المتجردين فوصلوا (ارازان) برأس الوادى ؛ فاقترح عليه أهل القرية ان يطلبوا من الله الاعانة بالامطار ؛ وقد فسدت المزروعات ودب اليأس الى القلوب ؛ فقال الفقراء للمترجم اننا نربطك فى هذه المهمة فتوجه كله الى ربه ليقتضى هذه الحاجة ؛ فسرعان ما انهلت الامطار حتى اكتفى الناس فقال الفقراء هذه كرامة كبيرة ؛ ولا بد ان تكرم الفقراء على العادة شكرا على ذلك ؛ فصار كل واحد يقترح منيته فهذا قميص وهذا نعل الى ان تكون من ذلك كله ما يكون ثمن جميعه ست ريبالات حسنية ؛ وهى اذذاك خصوصا فى هذه البلاد المقللة مال له بال ؛ فخرج المترجم الى سوق هناك ؛ فوقف ينادى

الامن يمد لى لله ست ريبالات ؟ يكرر ذلك جهارا فكان الناس يمدون اليه قروشا فيردها فيقول انما اريد الست ريبالات دفعة واحدة ؛ فسرى التعجب منه فى السوق ؛ حتى اخبر بذلك تاجر من سكان تلك الجهة متمول ولكنه مادر زمانه ؛ فكان من الغرائب ان جمع ذلك فى يده فقام حتى مده للمترجم ؛ فكانت كرامة اكبر من اختها عند كل من يعرف الرجل ؛ فاشترى كل الفقراء منهاهم وكانت تلك عادة الفقراء ؛ ان يكرم الفقير اخوانه متى ظهر عليه شيء يسره من ربه كرويا حسنة ؛ او كرامة اظهرها الله على يده ؛ ولعل ما فعل كعب بن مالك يوم اكرمه الله بالتوبة ما يستانس به لذلك حين خرج عن بعض ماله

واخبرت ايضا انه اجتمع مرة مع اخوانه المتجردين فى بسيط المعدر يحصدون لشيخهم ؛ فجالوا فى المذاكرات حتى طابت القلوب ؛ واحسوا كلهم بسكينة نزلت على قلوبهم ؛ فقال قائل ان هذا الوقت وقت طيب ؛ وربما يكون مظنة استجابة دعاء فليقترح كل واحد ما فى قلبه لندعو الله جميعا بالاستجابة ؛ فقال المترجم مقترحى انا ان لا افقد طوال عمري من يعيننى على ذكر الله وطاعته الى ان اموت .

واخبرت ايضا ان صاحب الترجمة رأى مرة اذ ذاك نفسه كأنه راع برعى سائمة كثيرة فقضى رؤياه على اخوانه الفقراء فقال له بعضهم - وسمعت انه سيدى الحاج الحسن التاموديزتى - ان رؤياكم يابنى عبد الله بن سعيد لاتعدو الرعى والمراعى التى اولعتم بها اشد الولوع اباعن جد ؛ ثم سقطت الرؤيا الى شيخه ؛ فقال ان ذلك رعايته للخلق ؛ وتلك طوائف اثر طوائف تنهال عليه من كل جهة ؛ وكلها تصدر من يديه بالرى الذى لا يغادر عطشا ؛ فكان من المصادفات

ان الفقير سيدى محمد ابكى التانكرتى الافرانى حضر مرة فى موسم من مواسم صاحب الترجمة لاولى بالغ ؛ وقد اقبلت الطوائف يوم الاحد تترى من نواحي الخ ؛ فما يفرغ من واحدة حتى تقبل اخرى ؛ وقد ملات ارجاء الخ باذكارها المرتلة العالية الى عنان السماء ؛ فعد منها اكثر من خمس عشرة طائفة ؛ فى كل طائفة عشرات او مئات من الوافدين ؛ فمال الى الشيخ وقال له الاتذكار الرؤيا التى كنت رايتها فى زمن تجريدك ؛ واولها لك الشيخ بما رايناه اليوم عيانا ؟ فهذه بشرى عظيمة اذكرك اياها ؛ فتهلل وجه صاحب الترجمة فجزى الفقير الافرانى بهدية عظيمة .

في السياحات

ان مما يقول الصوفية انه مما يصقل القلوب ؛ ويجلو مراهاها ويهذب النفوس السياحة ؛ ولذلك يجعلونها فى رأس قائمة شروط الطريقة ويقولون بقدر ما تبعد عن شواعلك بين اهلك ومعاريفك تبعد عما يحول بينك وبين ما يقربك من ربك ؛ ويستدلون لذلك بان الله وضع السياحة ازاء التوبة والعبادة فى قوله تعالى «التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله؛ وبشر المؤمنين» وهذا على قول من يفسر السياحة هنا بالسياحة المعروفة ؛ وقد غاب عن هؤلاء المستدلين بالآية ان المفسرين فسروا السائحين بالصائمين استنادا للحديث وذلك ليقرب من الآفة ؛ قالوا فوصف هذه مرتبته بين اوصاف المؤمنين ينبغى ان لا يفرط فيه المؤمنون ؛ وان يجعل كاساس من اسس الايمان ؛ وكمرارة يترامى منها للربة ما يكثر به اعتباره ولا يقرب الى الله كمثل الاعتبار الكثير والتفكير الحى فى مخلوقاته ؛ وتفكر ساعة خير من عبادة سنة ؛ على ان للسياحة اثرا محسوسا فى تكوين الاخلاق والرجولة ؛ ولذلك ترى الشعوب الحية تاخذ بالتجوال ابناها من شرح الشباب .

بين قرى سوس مع شيخه

مضت بقية عام ١٢٩٨ هـ والنصف الاول من عام ١٢٩٩ هـ وصاحب الترجمة فى طائفة شيخه يتقرون قرى سوس بالارشاد وتعليم التوحيد ؛ فكانت لهم سياحة الى افراى بمجاط حيث وقعت لهم قضية مع الرئيس على ندبوهوش سندكرها فى محل آخر واخرى الى راس الوادى حيث تلقاهم الفقيه سيدى الحسن التملى نزيل (ابرازان) لقاء اداه الى ان يعتنق التصوف على يد سيدى سعيد بن همو وقد ساله سيدى الحسن بمن يقتدى بعده ان فقدمه فدلله على صاحب الترجمة فى حكاية سنترى لها ان ذكرنا هذا الفقيه فيما ياتى ان شاء الله ؛ وقد بقي صاحب الترجمة يتعهده دائما قبل ان يتصدر فى دست التربية وبعده الحى ان

توفي هذا عام ١٣٠٨ هـ وقد اخبر احد الزكريين انه مارى من شغلسته نفسه واعرض عن كل العوالم جمعا ؛ وثار فيه محبة الله فانسته اهله واولاده ونفسه حتى لايبالي بمطعم ولا بمشرب الا رجلا واحدا ؛ قال ؛ طرقتى وقد كنت يوما واقفا على صهريج قريتنا ؛ وقد وصلتني نوبة السقى بين الجماعة ؛ فبثقت منبعه فاذا بى اسمع هيللة يجهر بها ؛ وقد انجدر على من ثنية تصاقب قريتنا لما أن سمعت هيللته حتى ملكت على مشاعرى ؛ فوقفت مشدوها ؛ فنسيت الماء الذى يتدفق من الصهريج فوقفت فى مكانى حتى مربى الرجل وهو فى مرقعته والهيفورة على كتفه والعكازة بيده ؛ وهو لايلتفت وعلى مجياه انوار تتلألا كأنها انوار الشمس فى الجو الصاحى ؛ فتبعته لعلى اسأله من اين هو ؟ وهل يحتاج الى طعام ؟ وما مقصودى وراء ذلك الا ان اشاهد مجياه مرة اخرى ؛ فمال الى ظل سرحة ازاء القرية فاضطجع وغطى وجهه ؛ فوقفت عليه اسأله ؛ وهو لايجيبنى ولو بكلمة واحدة ؛ ثم اجترأت فمددت يدى فزحزحت غطاء وجهه فنهرنى بهذه الجملة « ماكان ينبغى لك ان تسال الاعن امور دينك وما تتوقف عليه ان وقفت بين يدى ربك » هذا كل ما قال ؛ ثم غطى وجهه ثانيا فذهبت الى الدار فاتيست بطعام فاذا بالرجل لاعين ولا اثر فبقيت فى قلبى نكتة منه ثم لم تمضى الا سنوات حتى وصل الينا الشيخ سيدى الحاج على بطائفته ؛ فاذا هو ذلك الرجل بعينه فكنت اول من التحق به فى القرية ؛ واحمد الله على ذلك ؛ اقول انك صاحب معى صاحب الترجمة فى هذا الحال ورأيت كيف كان حاله فى طور التجريد وكيف كان اذا ساح وحده فقد رايناه كأنه احد رجال كتاب (روض الرياحين) أو احد المذكورين فى (الرسالة القشيرية)

في جبالته

كان الشيخ سيدى سعيد المعدرى اتصل بئال زاوية جبالته الدرقاوينين ابنا شيخ شيخه ؛ وقد كان الشيخ مولاى الطيب بن العربى زار سوس عام ١٢٧٣ هـ وحل بمشهد سيدى احمد بن موسى فكان بالمعدر عند سيدى سعيد ولذلك لم ينس الشيخ المعدرى يدآل جبالته فاحب ان يرسل وفدا من تلاميذه ليوصلوا هدية منه الى مولاى عبد الرحمان الذى صار خليفة لوالده ؛ فأرسل سنة فقراء او اسط عام ١٢٩٩ هـ وجعل صاحب الترجمة مقدمهم .

اخبرنى الرجل الصالح سيدى الحسن التامكونسى انهم مروا به فى ادواتانان ذهابا وايابا كما حدثنى سيدى بلعيدالتيزكىنى ان هؤلاء مروا اذذاك بدكاية فباتوا فى مدرسة سيدى منصور كما مروا بهم ايضا فى الاياب ؛ ثم ساروا على طريق الجديدة فالبيضاء فالرباط فزمور فطلعوا الى زاوية جبالته وهم يسرون بارشاد الفقراء ؛ فما يقومون من حلة الا وقد عينوا لهم حلة اخرى ينزلون فيها ؛ اخبرنى الاستاذ البركة سيدى الحاج على من اولاد اولئك الشرفاء

انه كان فى ذلك الحين يأخذ بعض المختصر عن نزل بزوايتهم من العلماء الزائرين ؛ قال فكان من حظى ان اخذت ايضا دروسا عن سيدى الحاج على السوسى ؛ ثم قال رحم الله سيدى الحاج على فقد نفع الله به البلاد والعباد ؛ اخبرنى بذلك فى احدى زياراته للحمراء فى حدود عام ١٣٤٠ هـ وقد لقيته فى زاوية القصور ؛ ثم حدثنى ايضا بمثل ذلك سنة ١٣٦٢ هـ وقد تغدينا فى دار ولده وجلس معنا مليا .

وفى ذلك الحين حفرت البير التى تضاف الى اهل سوس هناك ؛ فقدرى صاحب الترجمة اهل الزاوية يأتون بالماء من بعيد ؛ وتناهم من ذلك مشقة وصعوبة ؛ فقال ليس الماء قريبا هنا فى الارض ؛ فقالوا بل ولكن لم نجد من يحفر عنه ؛ فانتدب لذلك هو ومن معه ؛ فصاروا يجدون فى الحفر ؛ فلما حفروا ماشاء الله طلع صاحب الترجمة فاضطجع ازاء البير وبعد هنيهة انتفض من مكانه ونزل فتناول المعول من يد من معه فمال على حرف البير حفرا فصاروا يقولون له ماتصنع ؛ ان الماء يستنبط من تحت لامن جانب وهو ساكست لايحييهم - وقد دخل ايضا فى الشروط التى من بينها الصمت كما بينها فيما تقدم - وبعد حين تدفق الماء من الجانب تدفقا ؛ وبشق الانفس تناول من فى البير ماكان فيه من الاناث قيل ان يغمر الماء ارضها ؛ وسمعت ان مولاي العربى او مولاي الطيب على اختلاف فى الروايات فى السنة المحدثين وقف عليه فى تلك النعسة ؛ فقال له انكم تتركون الماء فى جانب كذا ؛ فراه الناحية فكان ذلك سبب ما فعله وسمعت ايضا ان مولاي العربى او مولاي الطيب على اختلاف الروايات التى نسمعها ؛ وقف عليه فى الليلة المقبلة ؛ فقال له انك اجريت لقرينتنا الماء الحى الدائم ؛ وسجى فى قلبك كذلك ماء حيا دائما؛ هذه الحكايات كلها سمعتها تتداول بكثرة وكل ذلك ممكن والله اعلم ؛ واما الذى صح عنى من جهة السند فهو ما اخبر به سيدى محمد بن سعيد المعدرى ابن شيخ صاحب الترجمة قال ؛ بينما والدى ووالدتى فى تلك الايام التى كان فيها سيدى الحاج على فى جباله جالسا فى مشرقة دارنا يوما وبين يدى والدى شعر تنقيه للطخن وقد جلس اليها الوالد ؛ وهما فى كلام متنوع اذا باى تبدلت سحنه وقفا شعره واحمرت عيناه واخذته رعدة فريعت منه امى لما تراه منه دائما اذا وقع منه مثل ذلك الحال ؛ وكثيرا مايقع منه ؛ فقالت له ماذاك ؟ وما الذى اصابك من جديد ؟ فقال لها الآن دفع سيدى على اكرام - وبذلك يدعى اذ ذاك صاحب الترجمة بين الفقراء - ابواب حضرة الله فولج ؛ وقد جعل الله مقامه على مقام سيدى على الجمل ؛ هذه الحكاية اروها باسانيد صحيحة متعددة ؛ وقد كان صاحب الترجمة مولعا بمطالعة كتاب فيه اقوال سيدى على الجمل ؛ وكان فى كوة من زاوية شيخه ؛ وكان شيخه كلما راى الكتاب فى يده يقول له «تلاقيتينا ثانيا يا عليان» او كما يقول له

هذا ما كنت اسمعه من الفقراء يدور حول صاحب الترجمة وهو في جباله
واما فقراء جباله انفسهم فيوردون حكاية اخرى يقولون ان اهل سوس هؤلاء
اتوا بسطل كبير من نحاس مما تسخن فيه الاوضئة عادة الى جباله ؛ بل يقول
بعضهم ان سيدي الحاج على حملة فوق راسه من سوس الى جباله ؛ حتى حص
شعر راسه بذلك ؛ فعاد اصلح وهذه الحكاية لم اسمعها الا من جهة اصحاب هؤلاء
الشرقاء ويمكن ان يشتري هؤلاء الفقراء هذا السطل بفاس او من مكان آخر
قريب ؛ فيذهبون به الى الزاوية واما انهم اتوا به من سوس فبعيد واما كون
صاحب الترجمة يحمله فوق راسه فحصى شعره بذلك فعاد اصلح ؛ فخرافة من
النوع الذي يولع به من يصاحبون ابناء الزوايا ؛ ممن يريدون ان يجعلوا لمن
يعين في الخدمة سرا ظاهرا وربحا عاجلا ؛ حين يستشهدون بفلان وفلان انهم
خدموا الزاوية وفعلوا وفعلوا فكانوا سادة قومهم ؛ وصاحب الترجمة لم يحصى
شعر راسه اذ ذاك ولم يكن اصلح ؛ الا اذا حدث فيه قليل مما يعتاد في بعض
الناس زمن شيخوخته (نعم) انه ثبت عندي انهم اتوا حقيقة بذلك السطل الكبير
من سوس الى جباله)

رسالة من صاحب الترجمة إلى شيخه

حكينا لك ماسمعناه مما يحكى عن صاحب الترجمة وهو هناك ؛ ولكننا
اذا اردنا التثبت فلنصخ لما يقوله هو لشيخه في هذه الرسالة فانه يحكى لنا
بنفسه ماشاهده كما قال بعض الالفين

وما مخبر عن الفتى مثل نفسه فحدث بما قد ذقته زمن الوصل
لدى زمن تسقى الرحيق بكاسها فعدت صريع الكاس والاعين التجل

الرسالة

من على بن احمد الملقب بالدرقاوى ومن معه من الفقراء سيدي السحاج
سعيد وسيدي ابراهيم وسيدي محمد بن الحسن وسيدي مبارك وسيدي ابن
محمد الذين ساحوا الى دار الشيخ مولاى العربى ومولاى الطيب واولادهم ؛ السى
شيخنا وقدوتنا واستاذنا وملاذنا وسندنا وعمدتنا وقررة عيننا وانسنا وعزنا
وحياتنا وروحنا وفرحنا ونزهة قلوبنا ومينتنا وغاية مرامنا من لاحت شواهد
شروق شمسنا ؛ وتبلغت من سماء العرفان بدور انسه ؛ وما زال مرتقيا لسماء
المعالى والمعانى فى يومه من بعد امسه ؛ حتى كانت قدمه على قدم من كان يركع
ويسجد فى رسمه وكيف لاوقد ادى الثمن وجاد بنفسه وفلسه ؛ واحسن العمل
فى معناه وحسه ولذلك كان طبيبا للداء العضال الذى يتبعه الوبال وكل مسن
يشنكى عليه بعلته يشكيه بالترياق بعد ماظن انه اشرف على الهلاك والاختفاق
فهذا السيد الجليل هو الذى انقذنا من الظلام الذى اسبل علينا البراقع ودأوى

بشريفه فينا السم النافع ؛ وقلنا اتسع الخرق على الراقع ومدانا في شبكته واقع
وأنا في ذلك الوقت يافع ؛ صارت تتزايد على القواطع فسل سيفه القاطع فقطع
به كل ناطق وصامت وسامع ؛ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا ترى عليها باللامسح
فجازاه الله الجزاء الذي هو لانواع الجزاء جامع وانالنا على يده ما خلقناه من
الاخلاص الساطع ؛ من أشارت اليه الايدي بالبنان بانه حامل راية العرفان من
رؤوس الشهود والعيان سيدنا الشريف مولاي سعيد بن محمد احمد الله
عاقبتنا بكم آمين بسلام مزخرف بروائح المحبة والشوق اللذين هما اعطر من
المسك والريحان تزفه سعائبهما الى حضرتكم المرضية وخلواتكم الربانية
مادام وجود واجب الوجود ؛ الذي هو المعبود (وبعد) فليعلم سيدنا اننا وصلنا
الى دار أولاد الشيخ سلامة وعافية في الطريق والحمد لله ؛ ودخلنا يوم الثلاثاء
الرابع والعشرين من غشت فوجدناهم بسلامة وعافية والحمد لله ؛ واول من
لقيناهم بعد الدخول ؛ الذي تقول لنا هو وارث سمر مولاي الطيب وهو ذو الحاجة
منهم الشريف الاصيل الجليل النبيل ؛ الذكي التقى السخى النقى الوفي الخفي
الذكي الودعي اللبيب الحبيب الاريب الاديب النجيب ؛ سيدي ومولاي عبد
الرحمان ابن مولاي الطيب ؛ فرحب بنا اي ترحيب وسالنا عن احوالكم واستقصي
الاخبار استقصاء الطيب فأخبرناه بسلامتكم وبشوقكم بالبراءة وبما في رؤوسنا
حتى شفى الغليل وبرى العليل ؛ وكل واحد منهم لقينا بما تصدر قلب البلد
سواء الصبيان والعيالات من الاحرار والعييد وحتى فرحت بنا الاشجار
والاحجار وتلاطمت علينا لجة الانوار والاسرار وقد شاهدنا ذلك عيانا على فقد
الاعيان ؛ وزرنا مولاي الطيب في بيته فوالله ياسيدي لقد كان على ما وصفته
به في حياته لما دخلنا بيته كاد لحمي وعظمي يتمزقان ؛ حتى اشرفت على الغيبة
وكيف لا وحال مماته كحال حياته (ولانحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احياء عند ربهم يرزقون) والحاصل انزلونا منزلة الملوك ؛ وكانوا لنا خداما
وان لم تكن اهلا للخدمة تمسكا بالحديث (سيد القوم خادمهم) واعطيناهم
الزيارة التي اتينا بها ؛ وهي ثلاثون ربحا ؛ عشرون بوجهها وعشرة في رياتين
والله لقد راينا ذلك اقل القليل ولكنهم اهل القبول ؛ جزاهم الله خيرا عنا ووقاهم
ضيرا وقد سمعوا بالجلال الذي وقع في بلدنا (١) حتى كان ذلك اكثر بنسبة
بلدنا ؛ ولكن الهدية على قدر المهدي ؛ كما قالت النملة لسيدنا سليمان عسل
نبينا افضل الصلاة والسلام ؛ وعلمنا منهم ان قلوبهم لم تتعلق بالدنيا ولا بهن
اتى بها ؛ بل كان احب منه عندهم الذي اتى بوجه الاخلاص لانا راينا كذا وكذا
من الفقراء جاءوا على وجه الله ما اتوا بشيء بل ربما اتى بعضهم باولاده ليعينوا
عندهم ؛ فرفقوه هو واولاده ؛ وجعلوه في عين التعظيم ؛ والحاصل ان احوالهم

احوال الكمال فمن اتى بشيء فلنفسه وامامهم فمستغنون في القلوب عن ذلك
والحمد لله ببقى الخير في مكانه كما قلت لنا في الوقت الذي مات (١) مولاي
الطيب ؛ رايت الاولياء اجتمعوا واقاموا مولاي عبد الرحمان مقامه ؛ وقد صح
ذلك المقال بقطعة ومناما وسلم منا ياسيدى على جميع اخواننا واخواتنا فان
شوقكم قد قطع اكبادنا ؛ فهانحن ان شاء الله متى خرجنا من الزيارة نتوجه الى
البلد ونسيح على الاخوان ؛ كما قلت لنا ؛ حتى نصل في الزمان الذي اراد الله
ولو في مارس ؛ وادع لنا ياسيدى وجل فينا ؛ فوالله لقد راينا قلوبكم كانت
معنا ابدوايرتمونا في السفر كما رايتمونا في الحضر ؛ جزاك الله بكل امر
ظاهر أو باطن حسي او معنوي ؛ نرى فتياكم فيه متى وقفنا عليه وسلبنا فيه
الارادة لله ؛ هكذا يكون الاشياخ يرعون المريدن في السفر كالحضر والحمد
لله الذي كمل علينا الوصول الى هذه الدار الذي احببته لنا وامرنا به وارسلنا
اليها جعلنا الله ممن يستمع القول فيتبع احسنه والسلام .

هذه هي الرسالة والثقارى لايتم قراءتها حتى يخرج منها بامور كثيرة من
نواح عديدة ؛ فكما يفهم منها ما شاهده كاتبها هناك ؛ ويرى منها نظر هؤلاء
الفقراء الى مولاي عبد الرحمان الذي نعلم عنه في آخر حياته (٢) مانعلم ؛ يفهم
منها الاحترام العظيم الذي يحمله هذا العالم صاحب الترجمة لذلك الامي الذي
استولى بهيمته النافذة على قلوب كثيرين من علماء اهل زمانه ؛ فنعرف لذلك كيف
مكانته ؛ وكما يفهم ايضا منها نظريات أخرى لاتخفى عن يالف ان يستنتج
وان يستكنه البواطن من الظواهر ؛ مما لا فراغ معنا الا نحتي نتعرض له فانه
يكفينا الآن ان نفهم هذه العمرة الروحية التي ماجت على المترجم فانسته كل شيء
كان فيه قبل بين المدارس ؛ حتى كان لسان حاله ينشد امام هؤلاء العلماء
السوسيين الذين غادرهم فيما هم فيه

تركنا البحار الزاخرات وراءنا فمن اين يدري الناس اني توجهنا

في فاس

في الالسة احاديث كثيرة مختلفة ؛ وقعت لصاحب الترجمة مع رفقائه
حين حلوا بفاس مرجعهم من جباله ؛ ويورد بعض ذلك على صورة الكرامات ولكن
لم تكن في ذلك الآن حتى علي ظن؛ الا ما كان من خلوة اختلوا هناك في محل
شعوت لي خلته مدرسة الوادي -ان امكن ان يجد فيها غريب ماوى- فخرج احد
الفقراء فاقصاه صاحب الترجمة ان ينطلب في السوق بالجهر وهو واقف عددا
خاصا من الخبز وان لا يقبل دون ذلك العدد ؛ فصادف بعض التجار الكرام فقال
له لك مثل ذلك كل يوم ؛ مادمت انت ورفقاؤك في فاس ؛ والا ما اخبرني به

(١) توفي مولاي الطيب ١٢٨٨ هـ

(٢) ايام ثورة الربيف

بعضهم واطنه صحيحا ؛ ان بعض الفاسيين دخل الى خلوتهم تلك فسمعهم فسر
مداكرة من مذاكرات ارباب القلوب - كما تسمى في اصطلاح الصوفية هؤلاء -
فأعجب بما يقولون وكلهم يتكلمون باللغة العربية ان كان بعضهم يعرفها وهو
غير بعيد ؛ والا فبماذا يتخاطبون مع من في الطرق من الشياظمة الى ان يرجعوا
اليها ؛ فاقترح عليهم ان يكونوا اضيافه فأضافهم مرات في داره وهذا الفاسي
احد الرؤساء في الطريقة الحراقية بفاس من اصحاب سيدي الخضر السجعي ،
ثم وقفت في نونية التعريف بالشيخ لابن مسعود على مايل

وراهم شيخ بزواية وقد	وجدوه في ركن من الاركان
فراى من أهبة جدهم ماراقه	قاتوه للتسليم واللتقيان
سألوه كيف الحال سيدنا فقا	ل انا اعتزلت هنا لصمت لسان
للذكر ثم رايتكم فذكرت من	احوالكم صحب الرضا الصمداني
اعنى الامام الدرقي العربي كـ	سنت رايتهم بمحجة الرضوان
ناهيك من حال يذكر حال صـ	حسب العارف المذكور قطب الآن

وقفت على ذلك فعلمت انه يشير الى هذه القضية التي وقعت لهم بفاس
واخبرني الشيخ سيدي محمد العطار الحراق حين نزول بفاس مفتتح
عام ١٣٤٣ هـ بما علمت به ان لصاحب الترجمة ورفقته اتصلا بالحراقيين هناك
وذكر ان تحت يده رسالة كتبها اليهم الشيخ من الطريق بعدما ارتحل مع اصحابه
عنهم الى سوس ؛ كان وعدني بها ولكن الصبا وغرارة الشيبية تمناني من ان
اتردد اليه حتى افوز بنسخة منها ؛ وهذا الذي اضافهم من هؤلاء الحراقيين
بلاديب

ثم وقفت بعد كتابة هذا على رسالة للشيخ كتبها الى اصحابه الذين
بزواية مراكش يلم فيها ببعض ذلك وقد صرح فيها بان ذلك الحراقي خليفة
سيدي الخضر ؛ ونصها

اخواننا في الله المتجردين السيد الحاج محمد البوالطبي ومن معه من
حضرة مراكش سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركته وبعد فلا بأس ولله الحمد
عندنا وعند الفقراء جميعا في كل جهة في سوس والمتجردون سائحون الى جهة
فم نالت عند سيدي احمد بن يوسف ؛ ثم الى الوكوم وزكيط ؛ ويرجعون ان
شاء الله في يناير ؛ وسيدي سعيد التناي معهم في السياحة ونحن في البلد
بخير وعلى خير والحمد لله ونرجو من الله ان تكونوا كذلك ؛ وهانا ارسلت
هؤلاء السادة ياتوننا بأخباركم ويأتوكم بأخبارنا لاغير ؛ واما الامور فكل شئ
في رؤوسكم ولا نحتاج ان نذكره لكم ان كنتم بقولكم ؛ لان العاقل يفعل في
الخير مالا توصيه عليه ؛ وغير العاقل لا يفعل شيئا سواء وصيته ام لا ؛ وتعمير
الزواوية بالذكر في كل ليلة مطلوب منكم ؛ وانتم اولي بذلك ؛ فقد وصيكت
سادتنا اهل مراكش في براءتهم على ذلك ؛ فانتم اولي بذلك ؛ وكذلك ان تحرفوا

الناس على ذكر الله والورد وتلقونه لعباد الله ؛ فأنتم اولى ان تفتشوا عن الناس
وتجذبوهم الى الورد بكل ما يمكن فذلك هو المقصود بالزاوية لابناؤها فقط ؛
وسيدى الحسن الركايسى يلزم الرحامنة لايفارقهم وقوموا بالطريقة كما كانت
فقد عرفتم اساسها وبناءها وما يضرها وما ينفعها وما يصلحها وما يهدمها واياكم
والخلل فى الطريقة ؛ فانكم احتجت للمقال وللحال ولا تتركوا واحدا منهما
وكونوا ترابا للفقراء واكثروا من ذكر الله والصمت والعزلة والجوع وانركوا
الهزل مع الفقراء فانكم ان صلحتم يصلحون فى الحين والزموا الصدق فى
القول والفعل ؛ واياكم والكذب وازهدوا فيما فى ايديهم فلا يرون فيكم الطمع
الذى يقسد المحبة ؛ فكل ما كان عنكم من الفلوس فلا بد ان يروا الشيء الذى
صرفتموها فيه لئلا يظنوا انكم تجمعون الدنيا ؛ فان النفس لا بد ان تنظن
الظنون ان لم تشاهد (قال بلى ولكن ليطمئن قلبى) فالفقير اذا ذكر الله تعالى
يعرف كل هذا بقلبه ؛ ولا يحتاج الى تنبيه ؛ واياكم والشهوات فالمدينة موضعها
لا فى اللباس ولا فى الفراش ولا فى الماكول ؛ فالطريقة ابتداءها الجلال وانتهاءها
الجمال وعظموها كل منتسب لله تعالى وجميع عباد الله ؛ واياكم وسوء الخلق
فالطريقة كلها ادب والادب مع الحق ومع الخلق وقد قال مولانا سيدى مولانا
العربى الدرقاوى رضى الله عنه : زينوا وجوهنا يافقراء بترك الطمع ولا تغيروها
هكذا قلنا فالفقير العاقل لا يتقدم الفقراء الا ان اتصف باوصاف الكمال ؛ من
كثر الذكر ؛ وكثرة الصمت وكثرة الجوع فحينئذ يتقدم امامهم ويكون امامهم
بهمة العلية عن الاكوان ؛ فيمد الناس من نور همته فى مقاله وحاله ؛ فكل من
راه او جلس معه يسوقه الى حضرة ربه ؛ رغما عن انفه احب ام كره ؛ فقد كنا
فى حياة شيخنا سيدى سعيد بن محمد المعدرى السملالى حين ارسلنا الى زيارة
مولانا العربى فى جبالة كل من رءانا او سمع بنا و اخرى ان جلس معنا لا يقدر ان
يفارقنا ؛ وكانوا يشناقون الينا من بعيد لافى الذكر ولا فى المذاكرة وقلوبنا
فى الملكوت كما قال سيدى على الجمل ؛ على فى الحانوت وعلى فى الملكوت
وقد قال لنا خليفة سيدى الخضر فى فاس ؛ وقد قبضنا ثلاثة عشر يوما اذ قلنا
له نمشى « والله ما اتى بكم ربه الا لغير وكنا نقيب فى كل ليلة ونهار فى
الذكر والمذاكرة ووقعت لنا فى فاس كرامات كثيرة وخرق العادة لا ينشأ الا عن
خرق العادة ؛ كما قال فى الحكم « كيف تخرق لك العوائد وانت لم تخرق من
نفسك العوائد » والفقير المتجرد تمكن من كل خير ان اراده الله للخيرات ؛ ومن
وجد من يعمر معه وقته لله ؛ فصار ينظر الى غير الله فذلك والله هو الاحمق
فالزاوية للفقير الصادق بمنزلة الكعبة الشريفة للمصلى ؛ فهو قريب من ربه غاية
القرب ولذلك يعمل اهل الله الزوايا للذكر لاستحضار القلب مع الله تعالى فاذا
كان واحد عند الكعبة الشريفة ؛ وجب عليه تعظيمها غاية باقامة ما بنيت له فى
كل وقت وحين ؛ واصل تسميتها بالزاوية ؛ انما هو كونها موضعا لله تعالى
لان الزاوية فى الاصل ركن بيت فقط ؛ وحالة الذكر ان يجلس فى ركن بيت

يذكر الله فيه ؛ فهذا هو الغالب على الذائر ؛ فلما صنع الموضوع كله للذكر رمى بالزاوية ؛ وحينئذ فكل من اقام بالزاوية من الفقراء ولم يشتغل بذكر الله تعالى فيها فهو ظالم (ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) وهانحن وصيناكم هذه الوصية التي صلحت لكل فقير يكون في الزاوية اية كانت ؛ فاتخذوا هذه الوصية ولا تهملوها ؛ فالله يقويكم وايانا جميعا على الخيرات ويقينا واياكم من جميع المضرات آمين في تاريخ ليلة الجمعة ٢٨ ١٠-١٣٢٧ هـ

في محاوراة الشيخ كنون

اشتهرت عند الناس قاطبة تلك الحملات التي كان شيخ الاسلام علامة فاس في النصف الاخير من القرن الماضي الحاج محمد كنون ؛ ويعلم كل من له ادنى اتصال بالاستاذ الصوفي سيدي احمد بن الخياط ما كان لاقاه من استاذة هذا ؛ وما كان يسمعه من التنديد على ما كان يلاسه من احوال الصوفية وجرأة كنون في ذلك الميدان كان لا يدانيه كل من له اتصال بالصوفية ؛ خصوصا من اتصل بالدرقاوية ؛ التي فيها مظاهر تستثير من الاستاذ موجات جارفة هائلة لاتبقى ولا تذر ؛ حتى انه يبادر صاحبها بضربه بلجام بغلته وسط الطريق

استوى الشيخ كنون يوما على كرسیه في القرويين ؛ وقد استدار به مئات فمئات من الطلبة ؛ فصار يخب في درسه ويضع ويفسر ويشرح ويقبل ويرد بفصاحته الشهيرة ؛ وذلاقتة التي تفوق بها على اقرانه ويستميل عينه فينة بعد فينة رجل في عرض المجلس عليه مرقعة بيضاء لاتتمى رقعة منها الى رقعة بسبب وفي عنقه سبحة غليظة الحبات حمراء كانها كريات المرجان الكبيرة وهو يزدلف الى صدر المجلس ازدلاف من يفهم ما يقرر ؛ ويمد بصره الى منبر الاستاذ مد من يعرف هاتيك المسائل التي يقبل فيها الاستاذ ويدبر ويخلق بها في سماوات مجلسه بين سوارى القرويين؛ فكان الاستاذ وقد لاحظ سمة ذلك الرجل ؛ وقد ظهر له منه انه عارف بما يقال عراه عجب ان يرى من كان في ذلك الزى يفهم ما فيه الدراسة ؛ فلما انقضى الدرس وسلم الطلبة على الاستاذ كما هي العادة ؛ اقبل اليه في اخريات الناس صاحب المرقعة فسلم عليه بدوره ؛ فقال له اراك بين الطلبة تتبع ما تقرره ؛ فهل تعرف مانحن فيه ؟ فقال له نعم والحمد لله ؛ فكان الاستاذ القى عليه من مسائل الدرس فاعجب بجوابه ورباطة جاشه ؛ وقوة جنانه فقال له حين انت بهذه المثابة فلماذا اويت الى هذه الحالة المزرية التي لا يتزيا بها الا اهل الرباء والسمة الذين يريدون ان يتظاهروا بانهم على قدم الجنيد ؛ مع ان بينهم وبين ما فيه الجنيد وامثاله من الرعيل الاول ؛ ما بين السماء والارض فقال له صاحب المرقعة اما هذا الزى فهو زى المساكين لا يريدون علوا فسى الارض ولا فسادا ؛ واما حكمك

بانه لا يتزيا به اليوم الا اهل الرياء والسمعة فحكم غير مقبول ؛ الا ممن له الاطلاع التام على كل سرائر اصحاب هذا الزى ؛ ومن الذى يزعم لنفسه انه له هذا الاطلاع التام ؛ واما قول سيدنا انهم يتظاهرون بانهم على قدم الجنيد وانباعه ؛ فقد اتى على القوم من حيث يحسب انه يقدح فيهم ؛ لانه لما شهد لهم بالتشبه بالجنيد وامثاله فقد كفاهم بذلك اهتداء ورباحا ؛ لان التشبه بالكرام رباح ؛ ومن تشبه بقوم فهو منهم ؛ واما قوله ان بينهم وبين مافيه الجنيد بعد ما بين السماء والارض ؛ فان ذلك لا يضرهم لان عليهم ان يسيروا فى الطريق وان يتنحوا ذلك الدرب ؛ وكل من سار على الدرب وصل ؛ وان يذلوا جهودهم واما ان ينالوا كل ما يطلبون فذلك من الاقدار على ان هذا الكلام الذى صدر من سيادتكم يدل على انكم ممن يقولون بان فضل الله قد انقطع ؛ فطويت الصحف وجفت الاقلام ؛ مع ان هذه الدعوى من اخذ بها وتمسك بحبالها فلا شك ان رايه قائل لامحالة ؛ وهو من المدحضين عند المناظرة ؛ وانت ايها الاستاذ ان حكمت بان فضل الله قد انقطع وان امثال الجنيد والتستري ومالك بن دينار وابي على الدقاق وعبد الرحمان السلمى والقشيرى ومولاي عبد السلام بن مشيش والشاذلى قد انقطعوا ؛ وان ما كانوا معروفين به فى ذلك العصر قد انقطع فى هذا العصر ؛ فماذا يكون جوابكم ايها العلماء الجهابذة اذا وجه اليكم آخر مثل هذه الدعوى ؛ وقال لكم هذه العلوم الفقهية والدينية التى تخوضون فيها ان بينكم وبين المكانة التى كان فيها ابن القاسم واشهب وعبد الرحمان بن الحكم وعبد الله بن وهب وابن حبيب بعد ما بين السماء والارض ؛ وقد كان بين ما تقررونه فى دروسكم ؛ ان الاجتهاد قد انقطع اليوم ؛ وانكم انما تمثلون اولئك الجتهدين كما يمثل الماء النجوم ؛ فاذا كان التشبه كله رياء وسمعة فقد وقع العلماء فيما ينسبون اليه صوفية اليوم ؛ فما كان جواب علماء اليوم جواب صوفية اليوم

هكذا افاض الرجل - صاحب الترجمة - فى هذه المحاوره كما حكى ذلك احد رفقاءه المتشبتين وقد كان المترجم ممن اوتى الجواب المسكت وحز الفصل والقول الفصل فى امثال هذه المقامات ؛ وممن رزق الحكمة وفصل الخطاب فى المحاورات ؛ حتى ان اصحابه ليعدون ذلك من كراماته ؛ فلا يقال له كلام الا اتى فيه بجواب مقنع مسكت ؛ وهذه المحاوره صحيحة الا ان اختلاف رواياتنا نجعل السامع المتشبت واقفا ازاءها وقوف الحيرة ولكننا فعلنا بتلك الروايات التى بعضها يزيد على بعض او ينقص ؛ مافعله الزهرى بحديث الافك الذى خرج فيه بين الروايات ؛ وادخل بعضها فى بعض وهى لعمر الحق محاوره عجيبة يكفى من شرف الشيخ كتون ومن انصافه ؛ انه لما رأى من صاحبه كلاما طويلا ابى الا ان يخضع مع صبر الشيخ كتون ازاء كرسيه طويلا - وقد جلسا حين المحاوره - فقال له المرء فقيه نفسه ؛ وعند الله علم السرائر ؛ فقام

وذلك على عكس الحالة المعروفة المشتهرة عن كنون حين يحتدم في امثال هذه
 المواقف فانه ربما يتناول صاحبه بلسانه اوبيده ؛ ولعل الله رآف بذلك
 الغريب فنجاه من ذلك الجيش الجرار المتعرج في القرويين ؛ فلو ان الشيخ
 كنون اشار اليهم لنال الغريب نكال شديد ؛ ولله الحمد على السلامة .
 تلك هي زيارة صاحب الترجمة لفاس اذ ذاك ثم لم يرها بعد الى ان لحق
 بربه ؛ وقد اكرمت فاس مشواه ؛ ومن ذا الذي يصدر عن فاس الا ولسانه يتدفق
 على اهلها شكرا ؟ الا من فيه عرق ينزع الى النفاق ؛ فتراه يتمعر ان ذكر
 المومنون ودار المومنين بخير

في سلا

ان لاهل سلا قديما وحديثا آدابا جمة ولطفا ياسر العواطف واخلاقا تؤهلهم
 الى ان يحافظوا على كل غريب ؛ مادام بين ظهرانهم نازلا ؛ ثم يزودونه عند
 ارتحاله وبعده حسن الاحدوثة وذكر طيبا خالدا .
 مر صاحب الترجمة ورفقته بسلا ؛ فنزلوا في الزاوية هناك مرجعهم
 فبعد ارتحالهم صاروا يقولون لمن ورد عليهم - كما اخبرني به مخبرون - عجبنا من
 فقراء سوسيين مروا بنا ولكم مقدم له مذكرات قوية ؛ فجسمه اضال من الديك
 واقواله كامثال الجمالات الضخام ؛ واخبرني آخر من السوسيين انه بات في
 زاويتهم ؛ فتذاكر كبار الفقراء في احوال صاحب الترجمة هذه ومما راوه منه
 اذ ذاك ؛ فقال لهم فقير من النشء ؛ وهل تعرفونه عيانا ؟ فقال له احدهم لو كانت
 تلك الناحية من القبة تتكلم لانبأتك عن احواله واذكاره ومذكراته في تلك
 الايام التي قضها مع رفقته هنا ؛ فقد كان لايفتر عن ذكر الله سرا او جهرا
 واذا جاء دور المذاكرة استولى على المشاعر واستثار القلوب حتى لا يشعر بانفسنا
 ذلك هو اثره في سلا ؛ وذلك الثناء هو الذي يتبعه السلويون الابراكل
 من ألم بهم وكل اناء بالذي فيه ينضح ؛ ولا ينبتك مثل خير .

بين الفقراء في سوس بعد موت شيخنا

استأثر الله بالشيخ سيدي سعيد ؛ وهذه الرفقة هناك في هذه السفارة
 فتوجه الحاضرون الى سياحة بمجاط تحت رئاسة سيدي الحاج الحسن
 التاموديزتي ؛ فوصلت هذه الرفقة المعذر ؛ ثم توجهوا الى تاموديزت فأرسلوا
 الى اخوانهم ليتلاقوا هناك ؛ فصادف ان جاءوا هم أيضا ذلك النهار الى
 تاموديزت فالتقوا هناك - كما حكى لي كمن اخبره من حضر - بفرح عظيم وبشر
 آخر صوفي لايمت الى بشر الناس العام وما رأى كمن سمع ؛ ثم اجالوا اموره
 بينهم فظهر لهم ان ينقلوا الشيخ سيدي سعيدا من مدفته بتانكرت الى المعذر
 حيث اهله ؛ فذهبوا اليه ليلا فنبشوه فساروا به حتى وضعوه في مقبره اليوم
 وسط ساحة زاويته .

سيدي الحاج الحسن خليفة الشيخ

غادر سيدي سعيد اصحابه من غير ان يعين لهم خليفة ؛ وكانوا الجماء الغفير ؛ وقد ذكر له ذلك في مرضه ؛ فمازاد على ان قال لهم ان الشمس اذا طلعت لا تخفى على احد ؛ ولكن الفقراء المتجردين رأوا ان يعينوا فيما بينهم من يقتدون به ؛ ويجمعون عليه ؛ ويكمل به صغار الفقراء ويتولى رفع راية الارشاد العام كما كان شيخهم يفعله في القرى ؛ اجالوا الفداح في ذلك حين اجتمعوا كلهم في مجلس عام فاشار سيدي الحاج الحسن الى صاحب الترجمة ؛ فقال له هذا لا والله ما نانا لها باهل ؛ فكما انه لا يحق لابن ابي قحافة ان يتقدم بين يدي رسول الله فكذلك لا يحق لي ان اتقدم بين يديك ؛ لسنتك ولعلمك ؛ ثم اقبل على الفقراء ؛ فقال لهم ان سيدي الحاج الحسن هو نائب الشيخ ولا يعدونه هذا الامر ؛ ولا معنى في كثر القول والقليل ؛ فاتبعه كل الفقراء فاصبح التاموديزتي رئيسا وصاحب الترجمة من بين من ياتمرون باوامره فجالوا في سياحات في نواح متعددة احداها الى حاحة ؛ وقد اخبرني من رآه في تلك السياحة والطائفة تسير في طريق ؛ وهم مابين منداكرين او متحادين في العاديات ؛ وهو منتبذ عن الكل يمشي مطرق الرأس متفكرا ؛ وعليه مرقعته وهيضورته ؛ فلم يخرج في هذا الدور ايضا كما كان عليه في زمن شيخه وكذلك ساحوا ايضا سياحات اخرى غيرها .

يزور أهله

انقطع خبره عن اهله منذ ذلك اليوم الذي خرج فيه صباحا الى المدر وخرجت جنازة والده العشيية الى المقبرة ؛ ولم يطرق آذانهم عنه بعد خبر وقد عرفوا انه توجه الى الغرب وذلك ما يطلق على ما وراء مراکش في تلك البلاد فابسوا منه ؛ ففي يوم كان احد اخوته يحرق عند (تيزراايفولوسن) فابصر سوادا مقبلا من القبلة فامعن نظره فاذا بصاحب الترجمة مع فقير او فقيرين جاءوا من جهة تامانارت وقد فارقوا الفقراء الذين ساحوا الى اقا ؛ فاطلق اخوه زوج البحر واقبل ركضا شب وثبات المستعجل النشيط المرح الذي ملك السرور كل مشاعره ؛ فصاح على امه بعد ولوجه باب الدار البشارة بالبشارة اخي على جاء ؛ فطارت امه ؛ فأول ما قالت لابنها اجر الى الغنم اثنتا بكبش تملت الوالدة من ولدها على تقبيلها وعناقا وضمها وطالما امعنت النظر في وجهه ولو كان لا يزال صغيرا لضمته الى حجرها ؛ ولكن شب عمرو عن الطوق فاتته بكسوة جديدة ؛ فاراد ان يجبر خاطر الوالدة فاماط مرقعته ؛ فلبسها فطابت نفسها وعادت اليها الروح .

ثم بعد ايام ودعها ؛ وقد وعداها على التردد اليها احيانا فصار يختلف بين اهله وبين الفقراء عام ١٣٠٠ هـ واللذين بعده الى ان كان ما سذكروه

لطمة ترد إلى أهله بالكليّة

قرأت معي أيها الفارء حالة صاحب الترجمة في هذا الدور الذي بقى فيه بين الفقراء بعموت شيخه ؛ كما رأيت أحواله أيضا قبله وهو تحت يد شيخه ؛ فلا شك أنك تدرك من كل ما رأيت أنه ممن يؤثر الخمول ؛ ويقنع بالعرلة ؛ وممن ينفذ على نفسه قول الصوفية الخمول كله نعمة والظهور كله نقمة ؛ فقد عرض عليه أن يكون نائب الشيخ ؛ وكان غالب الفقراء لا يستقون به بدلا ؛ ولكنه نفى اليد من ذلك وقنع بأن يكون تابعا لامتبعوا ؛ ثم صدق قوله بفعله ؛ فدام نحو ثلاث سنوات على ما عاهد عليه أخوانه ؛ هذا مع أنه يحكي عن نفسه أنه منذ توفي شيخه كانت هواتف وإلهامات تستنهضه لارشاد العباد فما كان يلتفت إلى ذلك خوف أن يكون من الشيطان الذي لا يؤمن مكره وقد حكي عن نفسه أنه سمع عام ١٢٩٩ هـ وهو في قرية اينشادن قائلا يقول له (زد هان اردن ران ادتر ايدان) (أي زد امامك فان الفصح سيزداد) كما وقع له مثل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد رآه كما قال عيانا في مسجد قريته في ثاني الاضحى عام ١٣٠١ هـ ووقع له مثل ذلك كثيرا ؛ ولكنه يتهرب ويأبى الظهور كل الآباء ؛ وقال أن ذلك كان على اذاك كمنقل الجبل ؛ فيقع أن يؤدي تلك الوظيفة من ارشاد عباد الله تحت يدى سيدى الحاج الحسن فكان في تلك السنوات يبذل جهده في الارشاد مع بذل جهده أيضا أن ينسب ذلك إلى هذا السيد لا له ؛ هذا ما كان نوى وعزم عليه ؛ ولكن إذا اراد الله أمرا هيا أسبابه .

في لغتنا الشلحة مثل يضرب (يان واش كاي تيلينغ افولوسن افياسن امان) معناه (أنا يكون في الدجاج منحوس واحد فيهرق ماءهم) يعنى فيبقون عطاشا ؛ والمقصود بذلك أن الجماعة التي تضم فى صفوفها من يفسد عليها رأيها ؛ فانها لا يلبث رأيه أن يفسد الجميع ؛ هذا بعينه ما وقع لهؤلاء الفقراء الذين طلقوا الدنيا وأقبلوا على ربهم بكلياتهم ؛ فان فيهم من ليس مقصوده ذلك كما يكون بين كل جماعة من يشد عنها وعن مبادئها وان تزيا بزبها

جلس اصحاب سيدى الحاج الحسن مرة للمذاكرة ؛ وفي يد المترجم كتاب يذاكر فيه ؛ فجرت عبارة صوفية اختلفت فيها اذواق الحاضرين فتداولوها ؛ وكان الغالب في ناحية المترجم في اخرى فتجاوزوا المسألة بأدب ووقار على عاداتهم دائما وكان فقير طالب يسمى ابراهيم بن الحسن الايعدانى المجاطى حاضرا للمذاكرة ؛ وكان ممن لم يقدر تهذيب المتصوف أن يستل من اعماق صدره ما كان الفه بين رجالات قبيلته من مراغمة من يجاذبونه بعنف وبطش ؛ فلم يلبث في ذلك المجلس أن قام مسرعا من مكانه ؛ فمد يده إلى أحد المترجم فلطمه ونزع من حجره الكتاب ؛ وهو يقول له فى كل مرة يامدعى

تلج في المذاكرة وتابى ان تطاطب الراس لساداتك ؛ ويابى لك ادعاؤك الا ان يجاذبهم الحبال كأنك لاتعرف مقامك ولامنتهى قدرك ؛ فقام المترجم واعلن بالتوبة فمال على راس اللطم فقبله ؛ ورجع الى مكانه مطرقا؛ وماقاله الفقير ابراهيم بن الحسن الاعداني من ان صاحبه لايسلم في المذاكرات اخذه مقلوبامما يراه بينه وبين رئيس الفقراء الشيخ سيدي الحاج الحسن اذا كانا يتذاكران وهما من الاقران وسيدي الحاج الحسن لاينظر الى ذلك نظر الاعداني فكان هذا وامثاله يريدون ان لا يروا احدا يتكلم امام خليفة شيخهم اصلا ؛ كأن ذلك مما يدل على انه لم يدخل بعد في نطاق الاجماع الذي وقع على اتخاذسيدي الحاج الحسن خليفة للشيخ سيدي سعيد المعدي ؛ وحول العقول امثال الاعداني موجودون في كل طائفة

اثر هذه اللطمة تم للمترجم ماتم لما ستراه امامك فقد طارت اللطمة كالديناميت الذي يتفزع بين اركان بناء متماسك ؛ فيهتز بغتة فيسقط مما يسقط وينشق ماينشق ؛ ويبقى مايبقى فقد امتعض الفقراء مما جرى مسن الاعداني الا قليلين ممن هم على رايه فتمشى الشقاق بين القلوب سرا ؛ من غير ان يكون لذلك تاثير جهرا ؛ ورحم الله اباالعباس القباچ اديب الرباط اذ قال

ويح الرجال من الرجال ل اذا تنافرت القلوب

ان كان هذا في مطلق الجماعات التي تملكها قوانينها ومبادئها ؛ فكيف بقلوب الفقراء الصوفية التي لا يضمنها غير العاطفة والشعور

يؤسس مر كز لا ببلد آما

اخبر العم ابراهيم قال بينما نحن في ٢٦ من رمضان ١٣٠٢ هـ اذا بسيدي الحاج الحسن التاموديزتي وطائفة من الفقراء معه كبيرة ؛ منها اخونا على نزلوا بقرية ايت سليمان ؛ فبيتناهم بدارنا فنزل اليهم الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله الالقي ؛ وفي اليوم الثاني اقترح عليهم ان يبيتوا عنده ثم سافروا في ٢٨ غير اخينا على فانه تخلف؛ ففي وقت صار يتحدث الى الوالدة ويخبرها بانه عازم على التزوج في المعدي وعلى الاقامة هناك ؛ وقد خطب الى رجل فاخطبه وانما يريد ان يكون معه احد اخوته الاعزاب ليستعين به على ما لا بد منه من الاشغال فنارت الوالدة في وجهه ؛ وقالت له والله ما انت بمغادرنا ؛ ولا بترك لقرية اهلك وموطن آباتك على كل حال ؛ ثم اتصلت بزواج ابنتها الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله فاستعانت به في محاولة استئصال تلك الجذور من صدر ابنها على بكل ما امكن ؛ وقالت أأكون امه ارى منه قرّة عيني وفلانة كبدى وابنى على مستقبله من الاماني ما الله اعلم به ؛ حتى اذا اجنت منه الثمار ينقلب عني منتبذا الى مبتعد لاراه ولا يراني ؛ لا والله لا يكونن الامر على ذلك ؛ فمال

الاستاذ الى اخينا علي فالح عليه ان لا يفارق الخ ؛ وقال له فيما قال فاذا ذهبت انت عنى فمع من اسكن هنا ؟ أبقى هنا في غربة وحدي ؟ وانت تعلم ان من له نصيب من العلم يكون غريبا ما لم يكن معه من يعرف قدره ؛ وهل يقدر قدر العلماء الا آخرون ؟ فاعتذر اليه اخونا علي باذنه خاوي الوفاض ليس عنده ما يعتمد عليه في هذه البلدة الشديدة الوطأة في الحياة ؛ قال واما في المدر فهناك من سائر زوج من عنده ؛ فاجعله بادىء بدء معتمدى ثم هي بلدة سهلة الاشغال قريبة المنافع لا يحتاج فيها الى ما يحتاج اليه هنا ؛ فقال له الاستاذ انا كفيل لك بكل ما تتوقف عليه ؛ الى ان تستقل بامرئ فان كان هذا هو عذرئك ؛ فهو عذر زائل منذ الآن هكذا اخذ الاستاذ بحجزته من جهة ؛ وتأخذ بها امه من جهة اخرى ؛ ليقتضى الله امرا كان مفعولا .

قال ؛ فلم يكن لآخينا علي بد من ان يسلس لما طلب منه وقد راي الامور تيسر ؛ ومن علامات الاذن التيسير كما يقول الصوفية في بعض الرسائل للمترجم انه راي النبي صلى الله عليه وسلم فالزمه ان يقوم الى ارشاد الناس ولا بد ؛ قال كان ذلك من اصعب الامور على الى تلك الساعة فزال تلك الصعوبة عن قلبي ؛ فتشوفت الى ذلك كل جوارحي وكان ذلك في وقت السحر ؛ ثم عند طلوع النهار اتصل بانسان يسمى سعيدا من ايت سليمان من سكان قرينته فلقته الورد وهو يقول له نفتتح امرنا بك واسمك سعيد فلعل الله ان ييسر جميع الامور فتسعد كما يحكيه الفقير سعيد نفسه وقد تاخرت وفاته بعد شيخه اذ توفي نحو عام ١٣٣٠هـ وكان هذا الاثر في آخر العام ١٣٠١هـ ثم انه رجع الى اخوانه عند التاموديزتى الى ان جاء في رمضان ١٣٠٢هـ كما ترى

قال العلم ثم ان اخانا عليا قال ان كان الامر هكذا وكانت السكنى لا تكون الا في الخ ؛ فلنبدا منذ الآن في تاسيس الزاوية ؛ ففي اول شوال اثر العيد ١٣٠٢هـ صار خدمة ينقلون احجارا الى مكان الزاوية وقد اختار ذلك المحل لبعده عن القرية ؛ وقد قال ان الفقراء لا يلبق بهم الا مكان مبتعد عن الناس وكان مكان الزاوية لامرأة تسمى تابوريشت فاشترت من عندها الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله ثم ابتدا البناء في اواسط شوال ؛ فكانت الزاوية الداخلية القديمة اول ما بنى اذ كان بناء ساذجا على الكيفية التي تمشي عليها المترجم فسي جميع ابنته كلها ؛ لاهتهم الا بالمحتاج اليه فقط ؛ من غير تزويق ولا تقويم ولا تصحيح واذا ذلك قال الاستاذ ابو الحسن الالفي

بيت اتيح الخير من وجهاته	فاتيح ما ينكا الحسود القالي
مشوى السعادة والسيادة والتقى	ومزار كل مهذب مفضل
سلم اله العرش اركاننا لسه	بنيت على تقوى وعن افضال
وادم به ذكر الحبيب وكل ما	يحدو القلوب الى المرام العالى
واجبر به كسرا بدا من ديننا	وانضح به رينا شوب الحال

والمترجم في اول رسالة له المام بما وقع له في هذا الطور ؛ مما اشرنا اليه فالاولى ان نسوق كلامه عينه حول ذلك ؛ نصه

الحمد لله الذى يتكرم على عباده وينتفضل ويوتى من يشاء من عباده بفضلته ولايسال عما يفعل ؛ الذى معرفته هو اقرب لعباده من جبل وريدهم فلذلك تجد من طلبه لمعرفة يجده اول لحظة ؛ كما قال لسيدنا موسى حين قال له ابن اجدك يارب ؟ فقال له من اول قدم رفعته لاني موجود معك وانما المفقود انت وهذا المقام لايفهمه الامن وصله ؛ وقد كنا قبل وصولنا اليه نجاهد ونظن اننا في غير الحضرة ؛ فلما فتح علينا وجدنا انفسنا غرقى في الحضرة الربانية ؛ وانما السحاب على بصائرنا فلما انجلي وجدناه كمالا جله الحق وزهق الباطل فصرنا والحمد لله في الحضرة الربانية والنبوية جامعا لهما في الهمة قويا فيهما القوة الكبيرة ؛ الى ان تجلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة قبل فجر اليوم الثانى لعيد الاضحى عام ١٣٠١ هـ وانا على الوضوء انتظر طلوع الفجر مستغرقا في ذكر الله فقال لي اعطيناك الاذن العام والخاص ؛ فمن ذلك اليوم نهضت همتي لاصلاح العباد ؛ وارشادهم الى العزيز الحميد فلقد كنت الورد في عشية ذلك اليوم لهم بعد ما كان ذلك شاقا على نفسى ؛ ولا اقدر ان انظر الى احد فضلا عن ان اريه ؛ وقد كان شيخنا سيدى سعيد المعدرى ارسلنى الى فقراء السويرة مع فقير ؛ فقال لي اعطيناك الاذن في الطريقة عام ١٢٩٩ هـ فقلت له ياسيدى نفسى لا تريد الا الحق واما الخلق فلا طاقة لي بهم فقال لي هذا الامر وصله الوقت ؛ فلم ارد له جوابا ؛ ولكن وجدت ذلك الامر كالجبل على نفسى ؛ فمشينا من المعدر فرحنا الى (ايشادن) وذلك الامر هولنا ؛ فسمعت هاتفا يقول لي بالعجمية (زدهان اردن ران ادتزايدان) (١) وذلك خطاب الله تعالى لاني مستغرق في حضرته ولكن قلبى لم يلتفت الى ذلك الى ان وقع الاذن الثالث النبوى ؛ فاجتمعت همتى لذلك من غير ارادة منى لان الاذن اذا وقع من الثلاثة من الشيخ ومن الله ومن رسوله صلى الله عليه وسلم لابد ان يتكون الماذون فيه رغما على انف الماذون وعلى غيره ؛ فوقع لنا كما قال مولاي العربى ببركة الاذن جاءنا اهل الخير فربحوا منا وربحنا منهم ؛ وانقطعوا عن الدنيا وتعلقوا بالله وذلك هو الربح الكامل ؛ وهذا المقام هو الذى كان عند السادة الاولين يردون الخلق الى الحق ؛ الى ان يعرفوه حق معرفته ؛ كالامام الغزالي والشاذلى ومولاي عبد القادر الجيلانى انتهى المقصود من الرسالة

هذا ما ذكره المترجم عن نفسه اخترنا ان نسوق فيه كلامه بعينه لان المرء فقيه نفسه ؛ ولا يعبر عن حالة الرجل مثل بنانه ان اعمله

(١) اى زد امامك فان القمح سيزداد

قرأت الاسباب التي دفعت المترجم الى تسنم تلك الذروة ؛ وليس لنا بعد ذلك ما نقول ؛ الا ان الفقهاء يقولون ان من رأى من نفسه اهلية للقضاء او الامامة او العدالة او لمرتبة من مراتب الدين ؛ كالوعظ والارشاد ثم لم ير من تتوفر فيه اهلية لذلك من معاصريه او مساكنيه ؛ فانه يجب عليه وجوبا عينيا ان يقوم لذلك وان يقبل وظيفته ولا بد ان عرضت عليه وان يطلبها ان لم تعرض عليه بل زاد بعضهم انه يجب عليه ان ينال ذلك ولو بدارهم ؛ هذا ما نعرفه عند الفقهاء ثم القينا انظارنا واجلناها فيما بعد هذا الحين من حياة المترجم وشاهدنا تلك الجهود العظيمة التي يبذلها في تعليم التوحيد ؛ ومكارم الاخلاق للناس حين يتبع القرى يستقرها واحدة فواحدة ؛ فيجمع الكبير والصغير والذكر والانثى فيعلم الكل الدين ومبادئه وشروطه ؛ وكيف فضائل الاسلام وتعاليمه القيمة من غير ان يتوصل من وراء ذلك بدرهم يوعيه او يتطلب رئاسة يترقى اليها بذلك ؛ ومن غير ان يقتصر على المنتسبين اليه من مريديه بل كان يجمع اليه جميع المسلمين ويجعلهم سواسية في التعليم الديني العام ؛ ثم انه مضى في ذلك كل عمره الممتد من عام ١٣٠٢ الى ١٣٢٨ هـ وهو لا يعرف مللا ولا سائمة ولا تضجرا من معاناة ذلك التعليم ومما لا بد ان يقاسيه من يشتغل بتعليم طبقات متشاكسة الطباع ؛ متنافرة الاخلاق ؛ ثم هو وراء ذلك كله قد ايد بالتوفيق وعين الاعمى قبل البصير من عمله ذلك نفعا عاما ؛ اجمع الناس على انه لم يقم به من معاصريه احد كقيامه به اذا عرفنا كل ذلك ونحن لا بد عارفوه مما سيأتي من باقى ما تنتبعه من حياته ؛ فاننا سنجد من قاعدة الفقهاء نفسها ملجبر تدبره لذلك الحال ؛ ونراه وجوبا عينيا قام به ؛ على حين ان كثيرا من رجالان عصره وفقهائهم ناسون لذلك او متناسون وبحسبنا ان نجد له مبررا مما عند الفقهاء ثم نذر الصوفية وما يذهبون اليه ؛ فالفقهاء لا يمكن ان يحملوا على اقرانهم هؤلاء ما وجدوا فيما بين ايديهم مبررا يستخرجون منه برهانا وحجة لان الجميع على وفاق ؛ وبراهينهم ومقدماتها متحدة النتائج ومثل هذا القيام للتعليم العام للامة جعله الغزالي فرض عين على كل ذي علم ؛ وذلك نفسه هو غالب ما يشتغل به المترجم

رايت ان اول يوم اتصف فيه بالشميخة هو الحادى عشر من ذى الحجة عام ١٣٠١ هـ وان الفقير سعيدا كما ناول من تلقن منه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الفال الحسن ؛ فكان اسم هذا المريد البكر عند شيخه دليلا ناصعا على ان السعادة ستلحفه باجنحتها الموفورة الخوافى والقوادم ثم تتابع آخرون في السنة نفسها فكان كل من لقنه الورد يثبت على مبدئه ؛ وفي الذين دخلوا اذ ذاك فى باب الصوفى الكبير سيدى الحسين بن مبارك المجاطى من

(تاللات غزيرن) كان عابدا كبيرا المجاهدات لاينام ولايفطر ؛ فلاقى عننا وقد كان اتصل بالسيد المدني الناصرى فلقنه الطريقة الناصرية ؛ قال ابن مبارك فيقبت ماشاء الله ولم اذق السكينة والطمأنينة القلبية ائتى يذكرها الصوفية فى كتبهم فشكوت ذلك لسيدى المدني فقال اننى لست من ارباب هذا الميدان ؛ وانما نلقن للناس ما يابديننا تبركا ؛ ثم قال شلرطت فى مسجد من مساجد دوكلدير فاذا بالشيخ فلقننى ؛ فى الحين وجدتنى منقطعا الى الله ؛ وقلبي قد جلببته انطمانينة فاستجاب الله دعائى فى الحين ؛ هكذا يلتقى الشيخ بعطاش يجدون عنده ماء سلسبيلا يكرعون فيه ؛ فيعلون له من الشان ماصار يتعاطم بتوالى الايام حتى كان ماكان مما نحن ذاكروه .

ذلك ما استفتح به المترجم عام ١٣٠٢ هـ ثم اتىها بتأسيس زاويته ؛ وهو الآن قد رفع عقبرته بالمناداة اليه ؛ وقد بدا منه لاهله حال غريبة كلها نشاط تمزق به ماكانوا الفوه منه من خمول واطراق ؛ ايام كان يمشى ويئيدا فى مرقعته لايشغل بغير خويصة نفسه ؛ فقد كان عهدهم به على هذه الحال ؛ ثم هاهوذا رجع اليهم بوجه آخر واول ما فعله تاسيس زاويته ؛ والتصدر لتلقين الاوراد بهمة طائرة ؛ فهذا كله غريب عجيب عندهم وقد جر الى بلدته مالم تكن تعرفه فان كان صنوه الاستاذ محمد بن عبد الله جرقبله المعارف بارسنها حين اسس المدرسة ؛ فذلك امر سهل وهو معروف عند كل احد ؛ ومن الذى يجهل العلوم ومدارسها من المسلمين ؛ ولكن هذا الرجل الآخر جاء من جديد بنحلة جديدة غير معروفة فى الغ وقد كانت اباؤها احدثت ما احدثت حين اعتنقها وحده منذ سنوات ؛ ثم القى عنه هياته الجميلة . فجال فى مرقعة غليظة وسبحة طويلة وعكازة مملسة مجلوة ؛ فكيف يكون الحال اليوم عند اهل القرية ؛ حين نزل بين ظهرانهم يؤسس زاويته ؛ وما معنى الزاوية ؛ ويعلن انه شيخ يتصدر لقرية المرادين ؛ وما معنى الشيوخة ؛ وما المقصود بالتربية ؛ كل ذلك عجب منه اهل القرية كما يعجب منه ايضا بعض الفقهاء وخصوصا حين يرى الرجل ينتفض من خموله المتراكم فجأة ؛ ومن اطرافه لراسه فيتقدم الى الميدان رافع الرأس وهانحن اولاء نتنازل فنشارك هذا البعض من القراء فى عجبهم ونظير بمظاهر التعجب ونبقى من بعيد ننظر هل هذا الرجل صادق فى دعواه هذه فيما سياتى من سيرته التى سنتبناها ؛ ام هو كمدعين آخرين نعرفهم فى هذا العصر بانفسنا ؛ كما نعرفهم فى بعض العصور المتقدمة بواسطة التاريخ فكثيرا ما نسمع من يلبسون مظاهر مثل هذه الالوان التى رايناها لهذا الرجل فيزعمون جميعا انهم ما قاموا الا عن اذن من الله ورسوله ومن شيوخهم وانهم ما قاموا الا لنفع العباد ؛ وتهذيب النفوس ولكنهم لا يلبثون بعد ان يتجبحوا الشهرة والاقبال ان ينسوا العباد ويقرقروا فى شهواتهم الى الاذان ؛ فلسان كل انسان لاعظم فيه يدبره كيف يشاء ويلفظ به من الدعاوى امثال الجبال العظيم ولكن عند الاعمال

تظهر الرجال ؛ وعند الآثار تظهر الرجل المستوية من الحنفاء ؛ وعند الممات
تظهر التركتات ؛ فما عبر عن الحر كعمله وآثاره لانه لايمكن ان يستقيم الظل
والعود اعوج ؛ ولبعض الالغيين

خيل السباق تتساوى في ابتدا ولا يرى السابق الا فسى المدى
كذلك الرجال كل يزعم لكن لدى الاعمال كل يعلم

يتزوج بزوجه الاولى

في تلك الجلسة التي انعقدت في دار الاسرة من الاستاذ محمد بن عبد
الله ومن ام المترجم في عشية يوم ٢٨ رمضان حين قرر ان يبقى بالبلد ؛ قرر
ايضا ان تنظر له سيدة كريمة يقتنن بها ؛ ومعلوم ان الامهات يعتقدن انه لا يعقل
الابناء بعقل متينة الا الاقتران ؛ فذكرت اول بنت للحاج ابراهيم الايفشاسي
فقبل انها مخطوبة ؛ وقد تم امرها لابن عمها محمد بن الحاج محمد بن احمد
ثم ذكرت بنت (حوكا) اخت الحاج ابراهيم فاستنكفت حوكا ان تزوج ابنتها
ممن عادته ان يتجول في البلدان ؛ وينكف في الاسواق ويمشي في مرقعة
ويجرسبحة غليظة ؛ وهو ابله يترك داره وعمله واهله ويصاحب هنداويسين
يصرخون بالاذكار في كل فج ومن كل ثنية وقد طلق عمله وسمته الذي يعرف
به امثاله من العلماء ؛ وحين كان يالف ان يطلق حتى نفسه وامه واهله ؛ فالاقرب
منه ان يجر ايضا وشيكا ذيل الطلاق حتى على من تزف اليه ؛ هكذا نقول حوكا
وتعتذر لمن ارسل اليها وسيطا في الخطبة ؛ وهو الفقير مسعود بيلبوش
النسيبوتى بلديها وجارها ؛ ولكن عزيمة الفقير لم تغفل بتلك الاعذار ؛ فلم يزل
بالدراة حتى اخطبت فعقد النكاح يوم عيد الاضحى نفسه من هذه السنة فزفت
الى زوجها وكان الاستاذ محمد بن عبد الله والطالب الخير الحاج صالح بن احمد
من اعمام المترجم شاهدي عقد النكاح ؛ والمستلمين للشوار على العادة ؛ كما
في عقد النكاح المكتوب فيه اثمان ماجهزت به السيدة بخط الاستاذ المذكور
ويوجد نص ذلك في الجزء الثالث من كتاب (من افواه الرجال) وكان الزفاف
الى الدار الجامعة للاسرة وسط القرية لان البناء المحدث من شوال ليس فيه الا
بيت واحد فقط ياوى اليه بعض فقراء جدد قد حدثوا في هذه السنة عند المترجم
وكان ياوى معهم الى ذلك البيت يتداكرون فيه ويذكرون ؛ وقد حدثني العم ان
الاستاذ ابن عبد الله جاء في عشية من تلك الثهور يفتش عن المترجم فوجده
مع اصحابه في ذلك البيت في ظلام فناداه حتى خرج اليه ؛ فقال له اوكنتم في
ظلمة ؟ فقال لاباس ؛ والمتيسر هو الذي يقنع به ؛ ولم يتيسر لنا الآن مانسرج
بهمن الزيت لقتديل فارسل في الحين الى الفقراء اناء من زيت يسرجون به

أثر الحياة الجديدة

سائرنا حياة المترجم من عهده في الكتاب فالمدارس فمقطعه الى المدرس فسياحته ؛ فجلنا معه وهو في مرقعته متجردا عن كل شغل ؛ ثم هاهو ذا الآن نراه في هذه السنة قد ظهر بمظهر آخر جديد وقد اسس مركزه وتزوج وتصدر للمشيخة ؛ وطلق ذلك الخمول الذي كان خيم عليه في كل حياته المتقدمة فبرز واعظا مرشدا ؛ وشيخا مريبا انراه لايزال يصاحب مرقعته كما كان قبل ام يلبس ايضا لهذه الحالة الجديدة لبوسها؟ لان من يتصدر لتزهد الناس ووعظهم والاحذ بتواصيهم لا بد له من حالة تعلن بلسان حائها ؛ انه غير محتاج الى ما في ايديهم ؛ ولا متشوف الى ما في جيوبهم والا كان ذلك كحباله من حبال القنص تنفر الناس باذىء بدء اكثر مما تهدئهم وتقود ازمتهم ونحن نعلم من حال النبي صلى الله عليه وسلم انه كان ذا هياة مستحسنة في قومه ؛ لانتفحه معها العيون ؛ ولا تشمئز منها النفوس بل كانت له حلة يتجمل بها للوافدين يوم قدومهم وتلك لاشك حالة لا يد منها لكل من يرشح نفسه لمثل ذلك المقام فلذلك نريد ان نرى كيف يسلك المترجم في حياته الجديدة ؛ واية هياة سيبرز بها ؟ فقد كنا نعرف منه احوالا تستغرب في العادة قبل هذا الطور وما كانت بلاريب ثلاثم هذا الطور الجديد ؛ مثل ما وقع له في حادثة قبل ان يلبس بحاله الجديدة فقد سافر مع الاستاذ محمد بن عبد الله الى (تمكيدست) فكان الاستاذ في شارة حسنة ؛ وبزة تاخذ بالابصار وهو على بغلته كالنجم الثاقب في عليائه قال خادم الاستاذ اذ ذلك السيد الحسين المانوزى والد امغار بلقاسم الازربيسى اليوم كان معنا في تلك السفرة سيدى على بن احمد وهو في مرقعته وسبحته وعكازته يملا الجواء بهيللته لايفتر عنها طوال الطريق ذهابا وايابا فهذه هياة ان كانت ثلاثم ذلك الطور في حالة التجريد فانها لاشك غير ملائمة لهذا الطور الجديد ؛ الذى يقتضى تبشير الناس وتاليفهم بلسان حاله ؛ لانتفيرهم بمجرد الرؤية ولا تستمد قلوب وعقول كثير من الناس الامماتأثر به ابصارهم وقديما قالت العرب : «البس لكل حالة لبوسها» فكما ان لكل مقام مقالا ؛ فكذلك ان لكل مقام لباسا ؛ فالفقر المتجرد الذى يعرض عن كل احد لايقبل الا على خويصة نفسه ؛ فانه لايبالي بغيره اقبل ام اعرض انس ام نفر ؛ ثلاثمه مرقعته التى تخف بها مثونة الاهتمام باللباس فى كل وقت ؛ من تجديد وغسل ومالى ذلك بخلاف من نصب نفسه للناس فانه لا بد ان يكرن مثله مثل الناس فى العادات المألوفة التى لابس بها ؛ ليكون ذلك ادعى الى تاليف القلوب والاتصال بالناس ليتمكن التأثير المطلوب .

حقا لبس المترجم للحياة الجديدة لبوسها فراجع اليهود من لباس قومه الوسط وداخل الناس وجالسهم وواصلهم ؛ فلا يترك مجتمعا فى القرية ولا فى

جيرانها الا الم به مؤانسا اولاً ثم واعظاً مرشداً ثانياً ؛ وكان مع ذلك قلما يفارق الاستاذ محمد بن عبد الله في المذاكرات العلمية مباحثة ومراجعة ؛ فساد الى الميدان العلمي كما كان قبل ان تستهويه الطريقة ؛ كما كان ايضا يلقن ورده لكل من آانس منه قبولاً ؛ وما تلقين الورد الا انخراط المرء في جماعته ليتمكن ان يربيه كيف يشاء وقد صار من انقطعوا اليه من اصحابه يسمونه شيخاً ؛ حتى تسرب ذلك الى انعوام كلهم ؛ فصار الشيخ كانه علم عليه وحده في تلك الناحية متى اطلق فلا يسمى الابيه عند اصحابه وعند غيرهم ؛ هكذا تلبس بحياته الجديدة فتغيرت هيأته التجريدية التي ما كان زوجها فيها الا انصواؤه تحت لواء شيخه المرابي والصوفية لا يشترطون تلك الحالة الا لبعض من لا يزالون تحت نظر الشيخ ؛ ممن يونس منهم الشيوخ رعونة نفس ؛ فيداوونها فيه بما جربوه عندهم فصح دواؤه واما من سلم منها او من تخرج من عند الشيخ فلا باس ان يلبس كل ماتيسر ؛ كما هو معلوم في الرائية الشريشية وامثالها من الكتب التي تحوم حول التربية الاصطلاحية كما يسميها القوم ؛ كذلك تغيرت ايضا حالته الاجتماعية فراجع المؤانسة وملابسة الناس لان مقصوده لا يتحصل الا بذلك ؛ ويد الله مع الجماعة على كل حال ؛ كذلك استجد له اصحابه اسما جديداً وسموه به فلاينادى ولا يذكر الا باسم الشيخ وهو نفسه قد نصب نفسه على تلك المنصة ؛ منصة المشيخة ؛ ولذلك ندخل في غمار الناس فننتعته منذ الآن بالشيخ كما اشتهر به اشتهاراً غريباً في كل الجنوب منذ هذا الحين

الشيخ يسبح إلى آقا

كان الشيخ سيدى سعيد المعدرى قد بذر بذور طريقته في قبائل كثيرة في سوس في انحاء مختلفة ؛ فكانت تانكرت ومجاط الى تامانارت فاذا من مسارحه ومثوى اتباعه ؛ وبعده صار اصحابه الكبار يتعهدون الفقراء هؤلاء ؛ فكان خليفة الشيخ سيدى الحاج الحسن التاموديزتى ومن اليه ؛ وصاحب الترجمة ومن اليه والكل على مبدأ واحد يختلفون الى الفقراء تذكيراً للعهود واستنهاضاً لهم ؛ فلهدا ذهب راجلاً في صفر سنة ١٣٠٣ هـ بعد ان مضى عرسه بقليل يتعهد من بجهة آقا ؛ فبقى هناك الى ان مضى عندهم عيد المولد ؛ وكانى باحد القراء يتعجب ويقول ؛ ان الرجل غريب حيث لم يستهوه ما يستهوى من يكونون حديثى عهد بعرس ؛ ولكن يجب ان يعرف ان الشيخ يظهر انه من رجال لا تظمن نفوسهم كثيراً لما تظمن اليه نفوس كثير من الناس فلمجلس واحد يقضيه فارغ البال مستجمعا لقلبه مع اخوانه في المبدأ اعظم بهجة وسرورا مما يستهوى كثيرين في مثل موقفه ذلك ؛ من المراقبة والمفاصلة فى مخادع الفوائى ؛ ومتى اشتغل انسان بناحية وعمرته بما كان فيها من رواء وبها فهيئات ان تبقى منه لفنة اخرى الى اية ناحية سواها ؛ الا ريشما يودى من الحقوق ماينال به الاخيرة التى اوما اليها سيد المرسلين صل الله عليه وسلم حين قال خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلى ؛ ولا باس ان تلقى فى اذن بعض

الحضريين المترفين ان التعييد هكذا اثر عرس حديث في مننای عن الاهل ليس مما يستكره في عادات اهائنا والبر بالاهل انما يطلب من الرجل بحسب بيئته التي يقطن فيها وماكان مقبولا متسامحا فيه فلا تبتعة على من اعنق فعله ؛ ولذلك يعلم ان تعييد الشيخ اول عيد نائيا عن امراته الجديدة لابس به عندنا في البيئة الالغية التي لم تتعود شهور العسل

يراجع التدريس

كثيرا ما ترى هؤلاء الذين ذاقوا من بين الفقراء المختبين المنيبين ما لم يدوقوه ما بين الطلبة المماريح المفايح المفاكية ؛ ووجدوا ما بين ايديهم واثنا مذاكراتهم وبين طيات احوالهم مالم يكن يخطر لهم على بال حين يجولون في متون العلوم المعهودة فتراهم وقد انشوا بما انتشوا به ؛ مما عر عنه بعضهم اذ قال «لو يعلم الملوك مانحن فيه لجالدونا عليه بالسيف» لا يجدون بعد ذلك من انفسهم ميلا الى خوض هذه العلوم التي يسمونها العلوم الظاهرة والرسمية الا اذا اضطروا لذلك ؛ فتراهم يقتحمونها كما يقتحم المرغم الخائف ارضا سائكة ؛ والحق يقول من يقول «ان التصوف اذا سبق تمكنه في فكر الانسان يجتث من اعماقه جذور محبة العلم المعارف والميل اليه» حتى قال ابن عرفة «كل من رايته ينتاب الصوفية من طلبة العلم فاعلم انه لايجي منه شيء» ويرحم الله ابا اسحاق البليقي ذفين الرحبة القديمة بالحمراء ذكر الله الحمراء بكل خير- اذ قال «من اراد الله به خيرا شغله اولا بالعلوم حتى يتمكن فيها ثم بعد ذلك يديقه من التصوف فيكون سعيدا» او كما قال هذا ما يقال في الصوفية والعلماء ؛ لا يزال كل واحد منهم يسعى الى غاية واحدة يوم كان التصوف لم يشب بعد بكل هذه الشوائب التي اذهبت رواءه وقلبت المقصود منه الى غمده ؛ ويوم كانت ايضا هذه العلوم لما يفسد اربابها هذا الاسفاف المخزي حتى كان العلم جهل ؛ وحتى كان متعلمه يتعلم الجهل والغفلة والعنجهية والاعراض عن اصلاح نفسه ؛ وكان ذلك يوم يتقارب الفريقان ثم اتى الوادي فطم على القرى واختلط انجابل بالنابل واستنت الفصل حتى القرعى (١) فذهب رواء التصوف وانعلم معا ؛ فاختلفت النيات فحرب بين الطائفتين بسور من حديد حتى لا اتصال بينهما ؛ فما ظنك بنظرة الصوفية الى هذه العلوم واهلها؟ اولاتكون الا كمثل نظرة اصحاب هذه العلوم اليهم والى ما هم فيه ؟ فيكفر بعضهم بعض ولكن ان شاع هذا في صوفية المتأخرين وفقهاهم فقد يشد بعض افراد من الفريقين فيعلم كل واحد ما لاخر من مكانة لانكر ؛ والشيخ من هذه ائمة القليلة من الصوفية التي وان تبجحت التصوف وخاضت فيه كل مغاضة لم تنفض يدها كل النفض من العلم واهله فقد رايته تصدر في مدرستسى فوكورض وبومروان بعد ان التحق بالتصوف واتخذ شعاعا وجعل مبدأه دثارا

(١) طم على الشيء غمره والقرى كغنى جدول الماء واستنتت: جرت والفصال جمع فصيل صغار الابل والقرعى التي اصابها القرع والجمل الثلاث امثال عربية

وسترى معنا ايها القارىء اعماله الخالدة حول العلم تنشيطا واعانة فى الباقي من حياته التى امامنا ؛ وها هو ذا اليوم لم يكده يتلقى بعد رجوعه من اقرارسالة كتبها اليه رفيقه الاستاذ محمد بن عبد الله حين توجه الى مراكش تركها عند العم ابراهيم وفيها انه سيخلفه على الدراسة الى مرجعه ؛ حتى طار الى المدرسة فتصدر فى منصة التدريس فى العلوم التى تدرس فيها كلها والاستاذ وان اوصى بالمدرسة لسنوه على الا ان الشاب الفرهد (١) لايقوم مقام القارح الصبور

هكذا عاد الشيخ ايضا مدرسا يستنير بافهامه امثال الاستاذ سيدى العربى الساموكنى وسيدى الطاهر الافرانى الشاعر المفوه والفقير الحسين التاطاروسى والفقير احمد التازيماتى والعلامة احمد بن صالح الافرانى والجهيد الشهرى بلقاص التاجارمونتى والفهامة المكى اليزيدى وخليفة الاستاذ على شئون داره ومدرسته العلامة الكبير على بن عبد الله وكثيرين ممن كانوا اذذاك نجوم المدرسة الالقية والقطاحل المتفوقين فيها ؛ وهم مشحوذون اذهانا متمنونون مباحثات مامنهم الا من يتقى ويعلم انه كبش الكتبية حقا ؛ وقد استفرغ فيهم استاذهم محمد ابن عبد الله كل جهوده حتى خرجهم كاسنان المشط ذكاء ونفوقا وتحققا فيبن يدى هؤلاء تصدر الشيخ يتابع لهم دروسهم فى النحو والفقه واللغة والادب وكل ما يتعاطى هنالك من العلوم ؛ لكنهم فى اثناء اجتهادهم مع الشيخ استاذهم الجديد دهمهم نعى الاستاذ الاكبر سيدى محمد بن عبد الله اوآخر ربيع الثانى فسافر الشيخ مع صنو الاستاذ سيدى على بن عبد الله فاتوا بتجاليد الاستاذ وهو مقترح الشيخ الذى اصبح اليوم كبير الغ بعد ذلك الاستاذ المنعى ؛ فعز عليه ان يبقى مجهول القبر فى ضواحي تامصلوحت فاتوا به فى صندوق ؛ ومما يتعلق بذلك انهم بانوا فى قرية سيدى ميمون فى قبيلة كسيمة فاودعوا فى قبة الضريح الصندوق الذى فيه تجاليد الاستاذ ؛ فباتوا ولم يابه بهم احد من اهل القرية وفى الصباح غدا اليهم رجل من سكانها مبكرا ؛ فقام بافطارهم وقال لهم ان له بنتا تتراى لها اخيلة الارواح ؛ فرات تلك الليلة روح الاستاذ ابن عبد الله فقال لها عجبا لكم نبيت عندكم فتبقوننا بلاضيفة فسالت من هو فافضى اليها بانه صاحب الصندوق الذى فى قبة سيدى ميمون ؛ وكان الرجل غير عارف بان مع الرفقة صندوقا فكان الشيخ بعد ذلك يداعب ويقول اننا معشر المرابطين اعتدنا بين الناس التكفف فان استعف عنه احيائونا قام به امواتنا ثم يحكى الحكاية متبسما

لازم الشيخ المدرسة كل سنة ١٣٠٣ هـ مدرسا ؛ فجال جولات الاقذاذ فرات منه المسوغات للابتداء بالنكرة وصور الطلاق ومقامات الحريرى ومسائل الحجب والفرض والتعصيب ؛ من كانت تعرفه قبل ١٢٩٨ هـ فاذا هو هو لم يزد تصوفه الا مايزيده المسن لظبا الصارم الخدم ؛ وبعد تمام السنة سلم الوديعه الى ربها ولقى المقاليد الى العلامة ابي الحسن ابن عبد الله (ان الله

(١) بضتين القوى

بامرهم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) فودعه الاستاذ شاكرا عمله في تلك السنة ثم نقل كاجرة المشاركة الى الزاوية خمسا وعشرين غرارة من الشعير ؛ فكانت اول مادخل الزاوية من الحبوب منذ اسست ؛ ثم تزايد الخير الى ان كان ماكان ينهض بهمة عليتها إلى ما هو بصدده

ان الثانية من السياحات التي قام بها الشيخ بعد تلك التي ذكرناها الى اقا ؛ هي سياحته الى قبيلة املن ومعه طائفة من مريديه الجدد كسيندى الحسين ابن مبارك المجاطي وسيندى بوهوش الدوكاديرى وامثالهما من قدماء مريديه الذين ارتشفوا منه الرشقة الاولى ؛ كما كان فيها ايضا كثير من اخوانه ممن ينتسبون الى سيدى سعيد المعدى فجال هنالك فى املن بالارشاد الخاص والعام مما كان يفيض حديثه علينا به سيدى بلعيد الصوابى ؛ قال طرقت اذ ذاك تلك القبيلة اثر رجوع الشيخ منها فوجدت احاديث المنتديات كلها تدور حوله ؛ فتسهب فى تتبع ماشاهدة الناس من قلوبهم اولحين تآثرت بكلامه تآثرا عجيبا وفيما ابصروه ثانيا من احوال الشيخ حيث يباين صنيعه فى سياحته ما كان معروفوا عن المرابطين الذين يسيحون بزعم ارشاد الناس ولكنهم لا يرضون عن اهل قرية الا بمقدار امتلاء جيوبهم وانتفاخ وقاضهم فجاء هذا الشيخ الجديد على عكس ذلك ؛ فانه عزوف عن قبول ذلك بعد ما يقدم له فضلا عن ان يعرض به او يصرح به بين الملا كما هي عادة المرابطين السائحين ؛ وكل شغله التاغل فى تعليم الناس التوحيد وارشادهم الى ربهم وكف ايديهم عن مدحا الى اى انسان الا بما يرضاه الله ورسوله ؛ يبت ذلك بلسان موثر ووعظ يفلق الصخور ويفتح الصدور ؛ قال وكان ايضا مما اثار عجب الناس العجاب تلك الهيئة التي يذكر بها الناس الفقراء الدرقاويين ؛ ولم يكن قط اهل هذه البلاد يسمعون بها فضلا عن ان يروها ؛ فكان مجموع ذلك مما اثار زوبعة هائجة من التعجب من الشيخ قال فوجدت اناسا كنت اعرفهم ناصريين قد استحوذ عليهم الشيخ فمدوا اليه ايديهم ؛ فاعتنقوا طريقته فصاروا يحكون لى ما يذوقونه بعد ان التقوا معه من طمانينة وسكينة واخلاص ؛ مما كانوا لا يتذوقونه قبل اليوم مع قيامهم باذكار كثيرة ومجاهدات لاتنقطع ؛ قال فقلت لهم اننى كنت اعرفه قبل اليوم حين كان مشارطا عندنا فى مدرسة فوكرض قال وممن كان اخذ عنه اذ ذاك الفقيه سيدى موسى الاسكاورى الكرسيفى والرجل الصالح سيدى الحاج الحسن من ايت عيسى (١) التافراوتى وغيرهما من كبار القبيلة واعيان املن قال ثم كان ذلك هو السبب الذى حدا بى حتى وفدت عليه بالغ فانقطعت الى خدمته وتقيدت بالاحسان فى حضرته (ومن وجد الاحسان قيذا تقيدا) وقد ذكرت كل ماحدثنى به فى جزء من كتاب (من افواه الرجال)

ثم ان هذه السياحة كانت فى اوائل ١٣٠٤هـ فرجع الشيخ الى الخ ثم

(١) هو والد هذا التاجر الحاج عابد السوسى المشهور فى البيضاء بكل خير

صار لا يبقى في زاويته الا يويمات ؛ ثم يخرج الى القرى المجاورة ينذر عشيرته الاقربين ؛ فيبيت ويظل يعلم الناس التوحيد وما يجب لله وما يجوز وما يستحيل والقواعد الخمس كلها واحكام الصلاة والصيام والزكاة ؛ فكانت عادته التي افتتح بها حركته هذه ؛ ثم دام عليها الى ان كفته كافته ؛ انه يتتبع القرى قرية قرية ؛ ثم ينادى مناديه ان يجتمع الناس في المسجد ذكورا واناثا ؛ ويامس بعدم الاختلاط بين الجنسين وكثيرا ما يكون الرجال داخل المسجد والنساء في فناءه ؛ ثم يطلع اذا كان الوقت ليلا الى مافوق السطح ان وافق الفصل ذلك ؛ فيبقى يعظ الناس وهو يلون مواعظه بين تشير وانذار وبين تعليم ونهى وامر ؛ وهو يتخلل ذلك باذكار اصحابه ؛ او بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكثيرا ما يامر من يحفظ قصائد الوعظ المنظومة ان يقوم فيتلوها على السامعين بغنة خاصة ؛ وهو بين ذلك يسكته احيانا فيتم ما اراد بكلامه فيتكون من مجموع ذلك تاثير غريب في قلوب السامعين ؛ وهم مبهورون حين يسمعون من الشيخ ما كانوا لا يسمعون قط من عالم ؛ ولا يقوم به بين الناس قائم ؛ والعلما في غفلة عن هذا الواجب كانهم لا يحاسبون به امام الله

بهذه الحالة كان في اثناء سنة ١٣٠٤ هـ يتقرى القرى الالغية والسي تجاورها فرأى الالغيون ومن جاورهم من ذلك الرجل الذي كانوا يسمعون به ابله ذامرقة وسبحة غليظة وعكازة طويلة عالما جديدا ومرشدا كبيرا ؛ ومهتلا بالدين اهتبالا غريبا ؛ وقائما بتعليم ما كان كل الناس جاهليه ثم لا يجدون من ينتدب احتسابا الى ان يعلمهم اياه مجانا من غير ان يطمع فيما بأيديهم ثم كان بين ذلك يلقتن وردة لمن اراده وقد اندفع الناس كلهم وراءه فاما العامة فينتفعون بما يعلمهم اياه مجانا ؛ واما الخاصة وطلاب اذواق الطريقة فلهم منه مجالس اخرى ؛ وكان الشيخ لا يحدث الناس الا بما يفهمون عملا بماورد ؛ «حدثوا الناس بما يفهمون اتريلون ان يكذب الله ورسوله»

هكذا انذر الشيخ عشيرته الاقربين واسمعهم مالم يكن قط لهم في حساب لانهم لم يالفوا قط من علمائهم ان يتصدر واحد منهم لذلك ؛ ويجعله كل همه ويجعل على عاتقه القيام به في المنشط والمكروه فادرك ذوو البصائر منهم ؛ ان الرجل رجل آخر وان قبله احسن قيل (ومن احسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) فشكروا له ذلك وعرفوا له قدر هذا الجهد الذي يبذله في نصحتهم ؛ فكان منهم مريدون قد اعتنقوا طريقته وسلوكوا نهجه فسرعان ما تكونت له منهم شيعة تقابل شيعه اخرى تتكون ايضا شيئا فشيئا من الناحية الاخرى ممن يزددون عمله ؛ او لا ينشرون به صدورا ؛ اما حسدا واما جهلا ورجما بالغيب سنة الله في كل من يتصدى لامر كان ما كان ؛ حين لا بد ان ينبعث ازاءه من يخالفونه على خط مستقيم ؛ ولذلك حكم عظمة لا تخفى عن ذوى الالباب وبضدها تتميز الاشياء

قد سحب الناس اذيال الظنون بنا و فرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى في الحب غيركم و صادق ليس يدري انه صدقا

سياحات اخرى كبيرة

في منتصف عام ١٣٠٤ هـ تكون بين يديه اتباع يثفون على الاربعين
مامنهم الا من القى قياده له على شرط اهل التربية الاصطلاحية فيقلبه ماشاء
وهو مطاوع ؛ ولايقول له لمة ؛ فانضم الي هؤلاء الاربعين مثلهم من اخوانه
اصحاب سيدى سعيد ؛ فخرج من الغ في ثمانين عدا ؛ فمر بايت صواب وقد
كان ساح اليها قبل هذه المرة فتكون له فيها بتتبع قراها اتباع ؛ من بينهم الفقيه
المسمى سيدى محمد بن ابراهيم ثم صمد الى جهة قبيلة اداوزكرى ؛ فكان مما
هباه الله له ؛ ان كان رئيس القبيلة راي في منامه رؤيا بان سعيدا سيقصده
فيسعد على يديه ؛ فاذا بالشيخ نزل بمدرستهم فصادف فيها رؤساء القبيلة
فلم يكذب يراه ذلك الرئيس صاحب الرؤيا حتى رسخ في ذهنه ان هذا تعبير
رؤياه ؛ ثم لما جال الشيخ في ميدان ارشاده ونشر بزه ؛ فرأى الرءاؤون انه من
طراز آخر غير ما كانوا يعتقدون ؛ ايقن ذلك الرئيس بصحة رؤياه ففرق في
الحين الى اذنيه في ا كبار الشيخ ؛ فاتبعه كل الناس فصار الشيخ يتقرى قري
القبيلة ؛ وكل رجالها لايفارقونه ؛ فكان الجميع الجماء الغفير ؛ فكانت هذه
الرؤيا اساس محبة تلك القبيلة الزكرية لجناب الشيخ ذكورا واناثا من لدن
ذلك العهد الى الآن ؛ ومما زادهم فيه محبة انهم اقترحوا عليه ان يكونوا
للزاوية خداما ؛ يندرون لها من اموالهم ؛ كما صنعوا لزاوية الشيخ سيدى
محمد بن يعقوب التاتلى ؛ فعزف عن ذلك على عادته في مثل ذلك مما خلبهم
به فسلب الباهم ومن زهدت فيما بين يديه استحوذت على ما بين جنبه .

فلا ترج الود ممن يرى انك محتساج الى فلسه

وكان الزاهد سيدى محمد الزكرى يحدث عن هذه السياحة ؛ لانها هي
التي كانت سبب انقطاعه الى الشيخ وكان واعية ضابطا ؛ قال بينما نحن
جالسون في قريتنا اذ تواترت علينا الاخبار من كل جهة بان رجلا عظيما ظهر
شيخا كبيرا ؛ فقام في الناس بالارشاد والتعليم والنهي والامر ؛ والتبشير والانذار
وانه ظهر بمظهر جليل ؛ يستحوذ على قلب كل من جلس اليه ؛ اوسع من مواعظه
وانه ما دخل قرية الا اجتمع عليه من فيها ؛ فيسال كل واحد على حدة عن ربه
وعن دينه وعن نبيه وعن امور دينه كلها ؛ وهل يعرف من الحلال والحرام ؟
كان ذلك شغله الوحيد ؛ ثم يقول الناس ان العجيب منه انه لا يمل ولا يضجر
والاعجب من وراء ذلك كله انه لا يقبل من احد شيئا ؛ قال هكذا تدفقت احاديث
الركبان ؛ فشغلت بطرافتها وبالتعجب مما تنطوى عليه من لم يصلهم الشيخ

بعد بطائفته ؛ ولم يزحف اليهم بعد بأسئلة ؛ قال وقد كانت الطوائف الناصرية
اذذاك كثيرة ؛ ولكن عرف الناس كلهم ان العطاء لا بد منه ؛ كزيارة تقدمها كل
قرية الى السيد الناصري ؛ عادة ورثها الاحفاد عن الاجداد ؛ فيستقل الناس
ذلك العطاء الا من كان حسن النية ؛ وقليل ما هم ؛ قال ثم لما ولج قبيلتنا
وشرع يتتبع قراها ؛ انقاد اليه كل الرؤساء ؛ فتعود كل قرية نزل بها موسما
حافلا يحضر الرئيس الاكبر الحاج محمد الاومريبي فمن دونه ؛ والناس اتباع
رؤسائهم ثم راح الشيخ الى قريتنا فبمجرد ما القيت عليه بصرى خلبنى نور
وجهه وملكت مشاعري انوار تتالق من اسرته على حسب تعبيره - فنفضت
يدى من تلك الساعة من كل ما عندى فالقيته ظهريا ؛ فطلقت مالى ودارى وكنت
بعد عزبا فانسانى ما رايت كل ما كنت فيه قبل تلك الساعة ؛ فلم ارجع بعد الى
الدار ؛ بل بقيت فى سطح المسجد شاخص البصر الى وجه الشيخ وهو يعظ
ويلقن الاذكار ؛ ثم حكى غريبة وقعت له مع الشيخ اذذاك ملخصها انه كان بعيدا
من مجلس الشيخ ؛ ثم لم يشعر بنفسه حتى وجد انه ازاء ركبته ثم قال انه رد
على بعض الناس مالا قدمه له ؛ فقال له بلطف رده الى جيبك ليكون فيه انشاء
الله بركة ؛ قال ثم خرجنا من قبيلتنا مع الشيخ ؛ وقد اصطحب اناس من تلك
الجهة مع الشيخ كنت انا احدهم ؛ والحاج محمد ازبابو الايلالنى الذى كان له
شأن عظيم بعد هذا الحين فى قبيلة ايلالان ؛ ثم نزلنا مع راس الوادى حتى
حللنا بزواية سيدى الحسن التيملى بايرازان ؛ ثم استدرنا الى هشتوكة فالعذر
قال ومما سمعته من الشيخ فى تلك السياحة انه قال لرجل واحد نلتقى معه من
كانوا يشتاقون الى من يدلهم على الله ثم لم يجدوه افضل عندنا من ملء الارض
ذهبا ؛ ولا قصد عندنا فى كل هذه الجولات الا ان نصادف من ينعالى الى معرفة
ربه ؛ لتهديه الصراط اليها ؛ فهذه هى مهمتنا ومبدؤنا وغايتنا التى لها خلقنا
وفيهما نمضى حياتنا (وقد ذكرت ما حدثنى به هذا الحكامى فى جزء خاص من كتاب
(من افواه الرجال) ثم بعد ان رجع من هذه السياحة الكبيرة ساح ايضا الى
ايفران فاداي فايى او كادير وقد صادف قبولا عظيما فى فايى او كادير كان هو
السبب حتى اسس هناك زاويته وصار اهل القرية كلهم من اتباع طريقته الى
الآن ؛ وقد وقعت له فى هذه السياحة امور مع فقهاء وغيرهم اختصرنا من ذكرها
لأنها مكتوبة بتفاصيلها فى كتاب (من افواه الرجال) كما كلن ساح ايضا فى اول
عام ١٣٠٥ هـ الى هشتوكة فادواتانان وقد مر على مشهدياتى السحاب فاخذ عنه
اذ ذاك سيدى على التتائى المقىء المشهور ثم مر بمدرسة ايسقال حيث اخذ عنه
سيدى سعيد التتائى الذى كان فيما بعد احد عمد طريقته ؛ ثم مضى قدما فى
طائفة كبيرة الى ان وصل السويرة ثم رجع ادراجه ؛ وقد كتبت ايضا تفاصيل
ذلك فى ذلك الكتاب والحمد لله مما رويته عن سيدى محمد الزكرى وغيره من
قدماء اصحابه .

هكذا كان مفتتح اوليات الشيخ ؛ كان كله عجبا فى همته وفى انقياد

الناس له ؛ ولم يمض على قيامه الا قليل حتى انتشر اصحابه في القبائل التي كان زارها ؛ والمتجردون بين يديه يتزايدون حتى ان بعض الالفين من جيرانه يتناجون سرا بانه ساحر ؛ لما يرونه من انقياد الناس له ووطنهم عقبه وهم مشربون ؛ والحقيقة انه ساحر ولكن سحره سحر الصوفية الافذاذ الذين يستحوذون على الافئدة باذواقهم العجيبة ؛ ثم يقودون المسحور ببرته غير ملتفت لما في صرته .

ان الاسود اسود الغاب همتهما يوم الكريهة في السلوب لالسلب

وكان خروجه لهذه السياحة السورية بعد عيد المولد سنة ١٣٠٥ هـ ورجوعه في اوائل رجب او في اواسطه ؛ وقد صادف حين رجوعه عقيقة اول مولودة له ؛ فتنابت الطوائف الى الغ من التملين والصوابيين وغيرهم ؛ وفي كل طائفة عشرات ؛ فكان ذلك اعظم دليل لدى الالفين على ان الرجل غير من يعرفونهم من بين ظهرانهم من فقهاء كتاب الرقي والتمايم؛ وانه من صنف اخر ولكنهم لم يهتدوا الى صنفه ؛ لانهم بعيدون عن احوال الصوفية الذين يمثل الشيخ دورهم احسن تمثيل .

تجاوزت اكناف السماء تساميا فكيف يرى من يبصرون مكانيا ؟

يؤدي فريضة الحج

كان سما للشيخ عزم الى ان يؤدي فريضة الحج وكان ربما ذكر ذلك في سياحته السورية التي رجع منها وشيكا ؛ ويذكر عنه في ذلك مرآة نبوية ولكن كيف يحج ؟ وليس في يده مال ؛ وهل يطير البازي بغير جناح ؟ او تخاض الحرب بغير سلاح

كان لرجل غنى من امانوز يسمى ابراهيم ؛ ولد يسمى محمدا ابرغاش لقب بذلك ؛ فعزم على بعث ولده هذا لاداء فريضة الحج ؛ ولكن لمكانة حسب الابناء من الآباء لم يطلق ان يرسله الا مع ثقة يتق به امانة ودينا وكأنه سمع بان الشيخ يهتم بالحج فجاء اليه وعرض عليه ان يصحب ولده وان لايهتم وراء ذلك بشيء ؛ فقال له الشيخ ان كان هذا منك عزيزة ؛ فلا احب انا الا ان نسلفني ما اتوقف عليه ؛ ثم يرد عليك كما هو ؛ فاتفقا على ذلك فتيسر الصعب امام الشيخ وراى عناية الله به عظيمة فيادر الى التهيء من يومه ؛ وقد نهضت همم اخريين فقاموا لوجهته ؛ وقد اراد الله ان تبقى تلك الرحلة خالدة فوق الشيخ فكتبها نظما من يوم خروجه من الغ الى ان دخله راجعا ؛ فقيت في مبيضتها واخذت منها نسخة وهي على ما هي عليه من عدم التنقيح فخرجتها ونقحتها وتضخرت لبعض معانيها الفاظا ملائمة بحسب الطاقة مع المحافظة التامة على مقاصدها الاصلية وعلى غالب الفاظها الاصلية ؛ وربما زدت بيتا اوبيتين او

اكثر لاتمام معنى ما ذكر؛ او يبحث تعرض له فجاءت بذلك كله رحلة الغيبة حسنة مفيدة؛ وهي تناهز ثمان عشرة مائة بيت او اكثر وقد سلك فيها الشيخ مسلك الاسهاب؛ فيصف كل مارءاه وصفا تاما؛ فلنذكر منها بحسب منازلها ملائيسر ملاحظين للاختصار؛ وقد كنا سميناها «اصفى الموارد فى تهذيب نظم الرحلة الحجازية للشيخ الوالد»

يقول فى اوائلها :

والحمد لله الذى سددنا	والبقاع المصطفى ارشدنا
وءالف القرشيين فى الشتا	والصيف رحلة بها المن اتى
اكرمنا بنعمة الايمان	بخير خلق الله والقرآن
وارسل الرسول بالبشارة	مصرحا بها بلا اشارة

ويقول بعد ابيات كثيرة

فى عام «شسه» (١) ويوم اثنين	يز (٢) بشعبان لقيت يمنى
خرجت من بلدنا وقت الضحى	والبين قد ابدى الاسى واوضحا
وفى القلوب حرقة الفراق	وانما يسلى رجسا التلاقى
ان الفراق قطعة العذاب	بل كله عند ذوى الاحباب
قد جرع الاخوان بالتشيع	كاس المرارة لدى التوديع
فمنهم الحائسر والولهان	ومسبل الجمان والسكران
لكننى ودعتهم لله	فليس عن ودائعى بساهى
ورجعوا والدمع فى المحاجر	كانه منتثر الجواهر
وبعدهم لم يزل الفقيه	اخو العلاء السميع النبىيه

الى آخر الفصل الذى ستجده فى ترجمة الاستاذ سيدى على بن عبدالله الالفى الذى هو المقصود هنا؛ وبعده الابيات المتقدمة فى ترجمة صنوه الاستاذ سيدى محمد بن عبد الله؛ ثم بعد ذلك كله نجد ما ذكر فيه الحاج ابراهيم الايفسانى؛ وستراه بحول الله فى ترجمته ايضا؛ ثم ما ذكر فيه الاستاذ احمد الزيمامى؛ وستراه فى ترجمته ايضا؛ ثم قال وقد نزل فى ذلك اليوم الاول فى تازروالت عند سيدى ابراهيم ابن صالح الشريف

وكل واحد نوى التشيعا	لم تقبل النفس له الرجوعا
ثم حدا الحادى بذاك اليوم	بنا فودعت القرى وقومى
فارتحل الركب بنا سيرا الى	زاوية الشيخ طفاوة العلاء

١٣٠٥ (١)

١٧ (٢)

سيد احمد بن موسى قاصدين
من انبات اخلاقه ووصفه
بانه المحفوف بالنعاية
ذونسك وورع وزهد
نجل لذاك الشيخ نعم الولد
اسمه ابراهيم نجل صالح
وكان هذا اول المراحل
فكل ما اشتته نفس النازل
وفى الصباح كنت فى صباح
فاهتز رب الدار بالحب ومال
وارسلت امه خاتما الى
وبعد ما اوصلته لقبته

اخص احباب كديه نازليين
وعلمه وعقله ولطفه
وانه الموسوم بالولاية
وعفة وسنة ورشد
والشبل فى المخبر ذاك الاسد
ولم يخالط قط غير ناصح
نزله فىل خير نائل
تناله اليد بلا تناول
فى ذكر اهل الخير والصلاح
والحب فى الله دوام الاتصال
لكى يزار قبر سيد قصي
ازرته فيها فجا لربته

ثم قال وقد نزلوا فى اساكما عند الابلاغيين

ثم جللنا اسكا فرحبوا
فشكرت السننا احسانهم
قلنا لهم احسانكم ان تطفئوا
فقبلوا ثم وفوا ففدروا

بنا وفى ثانى المبيت رغبوا
بطلب اصغوا له اذانهم
نيران فتنة بكم تنطفئ
فهبت الريح لهم فنصروا

ثم قال وقد نزل فى المدر مسكن شيخه سيدى سعيد

ثم الى منبع عين سرنا
ومركز السر وخير الامكنة
موطن شيخنا السعيد الاسعد

وجنة تلالوت فى دهرنا
وزهرة الدنيا بهدى الازمنة
شيخ المشايخ الامام الاوحد

ثم اطال النفس فى احوال شيخه ؛ وسترى ما ذكره فيه حين تقرأ ترجمة
شيخه هذا فى (القسم الثالث) ان شاء الله ؛ وقد تقدم فصل عن هذا المكان
عند ذكرنا ما وقع له يوم ملاقة شيخه ثم قال بعد ما اطال

اتنى العنان للذى فيه الكلام
بدار شيخنا نزلت ظهرا

من المراحل الى خير الانام
فانتعش القلب كديه جهرا

الى ان قال عند الرحيل من المدر الى ماسة وكانت ماسة احب بلاد الله اليه
فى سياحاته لما يناله فيها هو واصحابه من النقشف والفاقة ؛ والغافات اعياد
المريدين (كما يقول الصوفية)

حصل بالوداع مثل النفيخ
نزل ركبنا بحصن الواقعة
منبع اهل الله حقا جهرا
ما قاله من كان حلف خبير
سرا من الاسرار منه بعنا
قلبي لها وحبها قد سننا
كلهم ذوو صفا الالباب

وبعد ما زرنا ضريح الشيخ
منه لماسة بحصن الساقية
ماسة موضع الكمال طورا
من كان من اهل القلوب يدرى
رايت مرة بها اذ سحننا
وتلك لي الاولى بذاك حنا
فكم بها من جملة الاحباب

الى ان ذكر ان من هناك كان رجوع من شيعوه من اهله

كذا ابو سالم الحب العلي
ينشر اذ تودع الاخوان
خير نصوح للفتى المسترشد

منها اثنتى الفقيه سيدى على
قد حصل الفراق والجمان
فرجعوا مع الزمامى احمد

ثم ذكر نزوله في المزار بقبيلة كسيمة ازاء اكادير

لدى احبة عزيزى الجارى
اهل المحبة لنا والغير
مقدم لديهم بكل زين
عند نزولنا وما ذا يعمل ؟
فزال ما بنا لديهم من عنا
غاية مايكون من اكرام
بشرى رايت ملك الاسلام
ابا على نجل سيدى على
مرحبا بنا بوسط اهله
وكل ما اشتهيتم اجحت
مفضلا بقلبه وحسه
لحبه سلوك ذا السلوك
الصنو ابراهيم افضل رفيق
ولطريق القوم ذو اقتفاء
فرجع الكل الى البلدان
كانت لنا حاملة الاثقال
حمارة وناقاة حمراء
تبا له من معبر ذى بوس
كيلا تكون راسبا في قلبه
الا المجربون بالطغيان

منها ارتحلنا الى المزار
جيران وادى سوس اهل الخير
ثم حللنا دار سيدى الحسين
وكلهم لم يدر ماذا يفعل ؟
لفرط ما بهم من الحب لنا
واكرموا ثلاثة الايام
وعندهم رايت فى المنام
سلطاننا سيدنا المولى العلى
فى غاية الفرح فى منزلته
فقال مذ خرجتم فرحتم
وقام فى خدمتنا بنفسه
فاولت بملك الملوكة
ومن هنا رجع عنى الشبيق
وهو باهل الله ذو اعتناء
ومعه بعض من الاخوان
فرجعوا بمركب البغال
ثم الى السويرة الكراء
ثم ثلاثا صد وادى سوس
اياك ان يسئل فلا تعبر به
وكم يكن يهلك فى الوديان

البحر والسلطان والزمسان
لولا هم تقطعت اسباب
وكل من معى اليها يعطف
قرس بعضهم فكان -السيبا
قد ازمعوا ان يقصدوا ام القرى
وبعضهم اشفى به للنزع
ان كنت ذا عقل وحلف صحو
الخفض فالنصب برفع رجله
فلا يطالب قطعه بعموم
محاذى الضفاف فى البوادرى
من فجره الى حنادس العشا
وماكل وكل خير يجتبسى
اضفت على السكان حسن الشارة
كل الامانى لديه فى القرى
بسبعة لديهم مدفون (١)
معروفهم هو عظيم النكر
بنقض عهد الله فيما عملوا
اسرع بهلك من اليهم اهوى
بلادهم تعمر بالبنادر
قليلة فكيف بالعيال
وجهلهم يذهب بالاديان
والويل اهون من الويليين
فى حصن منكب وصلنا الظهرا
ابسى القنادل بشوق ازيد

ثلاثة ما منهم امان
ومعنا فى قطعه احباب
انا على البغلة وهى تقطف
والصنو عبد الله كان راكبا
لانه وبضعة من فقرا
فتعب الكل بهذا القطع
وفعل واد ليس فعل النحو
يعمل فى معموله بسيلسه
وكل ذى عقل وخذن حزم
فليقطع البر لراس الوادى
فهو يرى جميع ماكان يشا
من ملابس ومفرش ومشرب
لان ما فى ذاك من عمارة
ومن ردانة لفوق سبرى
الا الامان انه مكفون
ولا يجوز نبشه من قبر
ولم يخلف وارثا فاشتغلوا
هواهم اهوى بهم فى المهوى
والحكم للغالب لا للنادر
اما الصلاة فمن الرجال
وادبهم يذهب بالابدان
فارتكب الاخف من ضريبن
وبعد قطعنا شكرنا شكرا
وكلنا زار ضريح سيدى

ثم ذكر نزولهم ذلك فى اورير ثم فى ايت امر ؛ وائنى عليهم وذكر انهم
خيار الحاجيين ؛ ثم فى تمار حيث دار القائد المحجوب اذذاك ؛ ويقول فى ذلك
ويذكر ما وقع له معه :

حاجة وهو من ذوى الافصال
عل بنقده نلم شملنا
وعندهم قد توجد الاموال
لكن من الدخول قد منعنا

ثم الى المحجوب من عمال
مرامنا البيع لبغلة لنسا
ومثلها يحبها العمال
قبل طلوع الشمس قد طلعتنا

(١) ضمن هناك التعبير العامى الذى يعنى بسبعة اكفان المبالغة فى
مؤارة الميت وتغيبه عن الانظار

وسددوا رحابهم اليئسا
 وءاثروا الاقصاء والتائبسا
 الى الجدار ثمت احتلئسا
 من ربنا الفاعل بانشرح
 عرفنى من بعضهم ذوو النهى
 رجاء شىء من لدنه حيسف
 نبئت حيث لا يئن سقسف
 مع جميع الفقها ؛ وقلئسا
 اذ ان مغرب فقاوا امنسا
 من حيلة يئن بها المؤمنل
 مع جميع الفقها السادان
 يريد ان يءل كئما يعلمسا
 عنا لدى الصلاة قرب المنزل
 والناس منه فى هوى ومرهب
 كانما يخطر منه اسد
 يلزم العوس لئس يئبس
 وكئف ان اشار بالظواهر
 فلبه انئشى بتلك الخمرة
 وفى بواطنهم المناكر
 مسلما فلم يرد ان يئسمه
 سلام من سلم ؛ بل بالصد
 تحت الجدار وبه انئسا
 تحت الجدار ما رائنا الكنا
 وافق حقا اسمه محبوبه
 ترى وسبحان الذى قد قئسا
 لاكان من ياسئدى يئفوكا
 وهم يئولون بكل واد
 فلان من فضله الهئسا
 ووعظه يطير بالمهجات
 ونفخوا وهما بئير ضم
 فاشتاق ان ئنال خير نائل
 ئئستفئد من سنا مطلبه
 له بحالى اولا واللفظ
 بزئنة وفرش مرفوعة
 يشير بالئلوس فى اربكئسه

وشدت حجابه علئنا
 فابوا التقرب والترحئبا
 طال بنا الوقوف ثم ملئسا
 نقبل كل ذاك بالافراح
 وكان عنده الكئير الفقها
 لم يدر ما يفعل وهو ضئف
 نحن ذوو زاد وهذا الصئف
 لموضع فى خارج قد ملئسا
 شئسا من الوعظ لهم فاذنا
 بعد الصلاة نظروا ما يئعمل
 لكئ نبئت احسن البئيات
 فقئل لئ سلم عئيه حئئما
 لانه من خارج بمعزل
 فقام للدخول بعد المغرب
 وئس يئترئ عئيه احد
 حاجئه يئقوم لئس يئلس
 يرعى له بطرفه الخواطر
 وكل من كان بتلك الحضرة
 فئل اءابهم الظواهر
 فقمت امئى فتلاقئت معه
 فءل الءار بئير رد
 فءل الكل ونحن كئنا
 الى ورا العشا وقد نئسنا
 جاء الئنا حاجب محبوبه
 انفق اللفظ مع المعنى كئما
 فقال قم فسئدى يءعوكا
 وذاك انه جئ فى الناءى
 ان قال بعض الفقها ها هنا
 بالعلم والصلاح والخئرات
 فاستئمنوا بظئئهم ذا ورم
 فحسن الوصف باذن العامل
 فقال للحاجب قم فان بئه
 فقمت فى الحئئ بقصد الوعظ
 وجءئهم فى قبة مصنوعة
 واذ رءائى زال عن منئئسه

وقال كل مرحبا اذ قال به مبتدرون ان اشار باليد وكان للنصح له مستقبلا رايت نفسك بنصحنا فمن جازاك عن نصحك لى الهى ومن بناديه من اهل طاعته نهيا اذا نهاكم او امرا ؟ منه الاوامر اذا ما تقبل ؟ اتركون فى الوقوت شغلکم ؟ بالعشر اديت بوقت امرا من الذنوب ما عليك فى الورى اى صلاة فهى فى رقتك عليهم جهلت او علمتا وهى عظيم ذاك فى اسلامكما كما رووا عن النبى الامين تركها بله بنى جواركما تجعل فى الصلاة ذاك العملا ؟ وذاك فى الدين تمام الجهد فانت بالتنكيل فى ذاك حرى فجاءه فى الحين فورا لم ين اعلم به فلن يرى النجاة يردده لها الى ان ينعمنا تجمع فيه مع كل داخل له بدأ العام بلا مسراء وفى الصباح حصل الوداع

مرحبا بقلبه وقال به فهو كالقلب وهم كالجسد فقلت اذ رايته قد اقبلا ليس سبيل للكلام غير ان فقال لى اهلا بنصح الله فقلت للحاضر من رعيته هل انتم تاتمرون طورا فقال كلهم ا نحن نهمل فقلت ان امر بالخمس لكم فابتدورا بقولهم لوامرا فقلت للقائد هل انت ترى فكل من ترك فى حكومتك فى سائر البلدان اذ حكمتنا ضيقت دين الله فى احكامكما ان الفريضة عمود الدين فقد رايت من بحول داركما احسن كونك عاملا ولا بالوعظ والضرب وقتل الحد انت خليفة الامام الاكبر فارس الرسول للمؤذن فقال من لا يرد الصلاة من ضربنا وحسنا وكل ما فقلت تبنى مسجدا فى الداخل فقا قد وعدت بالبناء ففرح المجلس والاسماع

ثم ذكر انهم باتوا عند انسان آخر وقد كان له معرفة بالشيوخ وقد كان الم بداره فى السياحة السورية المتقدمة وهو الذى يقول فيه :

فى صحبة صحت ولن تيننا ومفضلا بنعم وطيب عادة اهل المجد اهل الفضل فالبشر منه الخلق واللطافة لانت به اصوله والفرع لديه بالاخوان حين سحنا

ثم هنا لآخر اخينا مرحبا غاية ما ترحيب وتلك ششنته للكل ابى على قائد النكافة سياسة حنة وطبوع قد كنت قبل ذا بشهر رحنا

فكان ان وصيت عن بناء
فالآن قد وجدته مكملًا
في اليوم الاول لنا برمضان
فكان دائما به يصل
وهكذا فلتنك العمال
مسجده في الدار باعتناء
فكان ان صليت فيه اولا (١)
وهو كما رووه افضل زمان
هو ومن معه وكل الاهل
اولا فهم على الورد وبال

ثم ذكر بعد ذلك سيدي عبد الله النجار من اصحاب الشيخ المصطفى
وما جرى له مع شيخه ؛ ثم الى السورة ويقول في ذلك :

ثم ارتحلنا بعد للسورة
نزولنا فيها لدى اجلة
رباطهم احسن به مكانا
ينسى بحسنه لك الاوطانا
مع الذين فيه من كرام
وكان قطب جمعهم لله
خديم اهل الله حيث كانوا
سواد عين مقلة الاحباب
اخلاقه علت به ذرى العلاء
افضى به عند اللقاء الفرح
يتابع الانعام والمثونة
واهل داره على الدوام
اعنى اخا الكمال سيدي عمر
وهو الموقت على السويصرة
ونحن في الصوم وفي الهجرة
احبة اعزة اهله
تملاه اذكارهم الوانسا
ان كنت ناجيت به الرحمانا
يجنون ما يراد من مرام
من فكره دوما على انباء
محب اهل الخير حيث بانوا
ومنه نور مهج الاسباب
ووليت منه المكارم ولا
حتى ارتمى بالشوق منه الشبح
مدتنا هناك والمعونة
بزادنا اشتغلن مذ ايام
امه ؛ مشهور بذاك كالقمر
الطيب السمعة والسريرة

ثم اطل الكلام حول السويريين ؛ وفي ذلك مناظرة بينه وبين فقيهه هناك
يغمز الصوفية ؛ ثم ذكر كيف اکتروا في الباخرة ومقدار الكراء فقال :

ثم لبثنا خمسة وعشرة
ولم نزل مدتنا المختارة
تاتي لقصد سعة المبرة
لان ما يركبها الحجاج
ثم اتت فصار سيد السى
فقال لى وكيلها النصرانى
غيرك بالخسة من ريبال
لدى السورة بطيب عشرة
منتظرى سفينة التجارة
فى الدين والدنيا بلا معرفة
تضيق حتى يكثر اللجاج
وكيلها مرغبا ان يقبلا
تركبها انت بلا اثمان
لطنجة وذا بلا مقال

(١) كذلك بنى المسجد فى دار القائد المحجوب المتقدم فى الحين
فالمسجدان عامران الى الآن ١٣٨٠ هـ

نقسم ماترك كالأحباب
مع سدس كواحد في العدة
لله بل الهنا قد عمله

فقلت للخمسة من أصحابي
فرجعت بدا الي اربعة
لم يفعل الوكيل ما قد فعله

ثم استترد ان العمل لوجه الله الكريم بالاخلاص لا يصدر الا من موحد
عرف الله ؛ وجمال في ذلك حتى ذكر الديانات ؛ ثم ذكر حالة المسلمين اليوم
من لزوم اداء الصلوات فقال في اهل سوس ومن اليهم

جد علوا في الدين منه غاربه
من ضمهم سهلهم والجبل
طرا؛ واين الرجل من رؤوس؟
والزهدي في الاكثار والتزين
ورثه فروعهم عن الاصول
وهمة كهمة الصوفية
وكثرة الخوف من الديان
(ولتيتة) في كل ال شعبا
في كل ما يلي من القطين
بوصفهم وبهم قد شرفوا
اذ ادركوا من يمنهم ادراكا
والصبوح لا يحتاج ان يبيننا
افضل في الاركان والاسوس
جيرانهم ايضا فحقق ما هناك
فاقوا جميع الغرب بالشهود
فقد غدا الفرق كصبح ظاهرا
كل الذي بدارها لم يتصل
ان كان عن ذي قدوة منصوصا
في الدين بين غيرهم تقدموا
بهم يقال بيس بيس ييسا
من بدوهم للحفظ للقرآن
في كل مجلس تراه يوتر
ثم اختبرت امره ازمانا
في الشرق والمغرب من غير اقتران
في المدن امتي وبعض في القرى ١

وليني سوس من المغاربة
واهل (ولتيت) عليه جبلوا
فاقوا بذلك اهل سوس
فاقوا برغبة لدى التديسن
وبحياء في النساء لايزول
وعفة ورافة ونيئة
وقلة من الحطام الفانى
فهذه الخصال قد فازت بها
ثم بهم يمتد ظل الدين
جميع من بحوزهم قد وصفوا
يقر جيرانهم بذاكا
وذاك ظاهر وقد تبيننا
ذاك ومن كانوا جسوار سوس
فاقوا كذاك غيرهم ثم كذاك
جيران اهل سوس في الحدود
فجل تر الاسواق والمداشرا
من كان في مخدع امه جهل
وذاك جهل منكر خصوصا
ثمت اهل المغرب الاقصى هم
جميع اهل الشرق اما قيسا
فبدونا اعرف بالاديان
وذاك كله شهير يسذكر
وقد رايت ذلكم عيانا
وذاك كله بنسبة القسرى
اما المدائن فقد كفي الورى

(١) ينسب حديثا وليس بحديث

ثم قال حين يودعهم السويريون

ثمت ودعنا هناك الصحبا
وكل من تلقاه فى السبيل
تبركا بالنية المستصحبة
والدين مهما خالط القلوبا
وكل قلب لايلين بالوداع
فليس بالممكن بعد ان يلين
حد التبرك بنا ومثل ما
ومن تشوق ومن عويل
سيف السويرة فمن هناكا
ثم اتى دور المحاسبات
وليس بعد لك من مصحوب
فكل من تلقاه فهو طامع
فانت من يزور بالdraهم

لهم مستصحبين الربسا
يزور منا زائرى الرسول
والكل قد اعل بشوق منجبه
فجر من شعابها السيوبا
حتى يهم فى الضلوع بانصداع
بل هو كماالصفحة فى الطودأرضين
ذكرته من الغليل والظما
عند مرور زائرى الرسول
غادرت ذاك الصيد والشباكا
وقول هاك فى العطا وهات
الا الذى خبات فى الجيوب
منك اذا ساهلت او منازع
لكى ترى خير فتى مساهم

ثم حث على كثرة مد اليد ؛ وعلى كثرة الثقة فى هذا السبيل خصوصا فى سكان الحرم حيث الضعف البادى واكياس الحجاج من منتجات الحاضر فيه والبادى ؛ وذكر ان التكفف من كل من رءاهم فى الطريق وفى الحجاج متصل لم ينقطع ؛ فلا بد من مد اليد بما امكن

وليس فى جميعها انيس
لكنما الانفاق بالاجمال
لانه يجعلهم فى الراحة

الا دراهم حواها الكيس
للسفر من محاسن الاحوال
وهكذا الراحة بنت الراحة

ثم ذكر كيف ركبوا الباخرة ؛ وقد اشتغل كل واحد بنفسه

ثم ركبنا فى ضحاء الجمعة
فقلت باسم ربنا مجراها

سفينة طويلة موسعة
فى بحرها وباسمه مرساها

ثم وصف السفينة وهى اول مرة رءاها فى عمره

وحيث اجريت العيون حولها
وشمت مالها من الكيفية
وجدتها اكبر ما بظنى
ان يد من اوصافها لسانى
فذرعتها كانه فى الطول
وعرضها حقا بخمس عشرة

ولوحها وطولها وطولها
وحركات سيرها الخفية
حيث استبنت سرها بعينى
فليست الاخبار كالعيان
ذرع الثلاثين على المنقول
من اذرع ان لم تفقها كثرة

الفين او ازيد بل لاتباع
 بلا اهتزاز السفن الجوارى
 كأنما نجلس فى السرير
 اكثر ما اكون بين المدن
 وجوها واكلها وماؤها
 بشهوة قد وافقت ما فى الحشا
 والسير فى اليم كمر الطيف
 مع القيام ان تحل الساعة
 من فضل ربنا الذى نفى الاذى
 حفظ الديانات لنيل الظفر
 احب كل سفر متمما

فيها ثلاث طبقات تسع
 سارت بنا فى وسط النهار
 وغير دوخة ولا فتور
 وجدت فيها صحة فى البدن
 لاننى وافقنى هواؤها
 فصرت اكل جميع ما اشأ
 وكان هذا الوقت وقت الصيف
 ونجمع الصلاة فى الجماعة
 مع الوضوء دائما وكل ذا
 لان همى كله فى السفر
 فجاء ذا والحمد لله كما

ثم ذكر مرورهم باسفى ثم حمد السفر فى البحر واثنى على السفن
 التى تريح المسافرين براحتها ثم تبلغهم ما يريدونه بسرعة ثم ذكر مرورهم
 بالجديدة ؛ فذكر طرفا من تاريخها ؛ ثم ذكر ايضا البيضاء فوصفها ايضا
 ثم ذكر مرورهم بالرباط وسلا فقال

كدرتين فى جبين يجتلى
 يسع ما يلج من سفين
 على اشتغال اهلهما علامة
 وبعضها نزه من فى المدن
 تعلقو وتسفل كمن فى السكر
 من موجها ان جاشت المياه

ثم بدا الرباط فى جنب سلا
 بينهما نهر كما التين
 وكثرة الزوارق العوامة
 فبعضها يفرغ ما فى السفن
 لكنها ان ولجت فى البحر
 وذاك من شدة ما تراه

ثم ذكر ان الرباط مبتدا ما يطلق عليه الغرب كما انه حد ما يطلق عليه
 العوز المبتدىء من الحمراء ؛ ثم ذكر اناسا ركبوا من هناك فوصفهم وصفاشيقا
 واثنى على همة بعضهم حين استصحب معه ولديه للحج ؛ كما ذكر منهم آخر
 استصحب حليلته فذكر ان الشوق هكذا يكون وان الصباة الى زيارة المشاعر
 الدينية وقبر النبى صلى الله عليه وسلم هكذا يسطع اخلاصها فتنهض بالمال
 والاهل وتنسى كل شىء دونها

ثم يخوض فى العدا الشفارا
 كيما يواصل الاى هنالك
 جالس من حبه فى القلب اتقد
 ان كان من حب النبى فى ظما

ايلىج المتيم الاخطارا
 ويعرض الحوباء للمهالك
 ويتمتع بلمحة وقد
 ثمت يكسل الذى قد زعما

ثم ذكر ان الحج اليوم من اسهل ما يكون فالبواخر المريجة السريعة الآمنة تدرك بها الاغراض؛ واين هذا مما كان من قديم حين تجاب الفيافي المخوفة ويكون الحاج في برقة على مشقة هائلة ؛ غير ان السلف مع تلك المشقة اكثر من اهل هذا الجيل حجا وماذا الا من كثرة ايمانهم واخلاص طواياهم ؛ ثم ذكر مرسى العرائس ثم طنجة ثم وصف بر الاندلس - اسبانيا - وادسل زفرة على فقدان فردوسه انعجيب ؛ فذكر القرن الذي سد فيه دونه الباب عن الدين الحنيف ثم استطرد الى امتداد الاجانب الى هذا البر ايضا ؛ فاثنى على الذين نافحوا ما نافحوا دونه ؛ كالسعديين والترك ثم ذكر بنى السمين الفرنسيين الذين امتدوا اواسط القرن الماضى الى الجزائر فوصفهم بالقوة والسياسة والسجيلة وتنظيم دولتهم ؛ فعلل ذلك بسرعة تمكنهم في البلاد ثم قال ماهدنا الا من استنامة حكوماتنا الى الراحة وتركها الجهاد ؛ ثم اشار للحديث الذى يلم بان كل امة تركت الجهاد ؛ ولازمت اذنان البقر فانها اهل للصغار والذل ؛ ثم ذكر ان تونس وقع بها ما وقع باختها الجزائر ؛ فلم يسبق الا ان طرابلس الغرب والمغرب الاقصى في هذه الجهات ؛ ثم قال

رجع بنا الى الذى تركنا فللحديث طرق يسلكنا

ثم ذكر ان بعض اهله نزل من هناك ليمتطوا سفينة اخرى وبقي هو لان نيته المرور بتونس ليصل رحم احد قرابته انقطع هناك ؛ ثم ذكر سبنة وذرف عليها دمعة ؛ ثم ذكر وصوله لجبل طارق فاجرى بعض ذكريات عنه ؛ ثم ذكر قدر المال الذى نزلوا به من الباخرة على الزورق ثم قال بعدما ذكر دخولهم للمرسى فى جبل طارق

دير بنا حتى غدونا فى نطاق
وطرف كل شاخص الينا
ومن يشم زيا غريبا يعجب
قبل غروب الشمس بالقليل
ومن نومه ومن نسترشه
كيف يرى الغريب وسط قطر
سكنى ولا مسلم فيه ندرى
من الازقة ؛ لذا لا يوجدون
والله يعلم من اللصوص
اذا بصائح بنا ان اقبلوا
فناول الاوراق كل الواقفين
من لم يحز منها فماله دخول
تمد حتى دخل الرفاق

فاذ نزلنا ودخلنا فى الزقاق
قد حلقوا جميعهم علينا
كاننا قردة فى الملعب
ثم النزول كان فى الاصيل
فحرت فى المنزل كيف يوجد
ومن يذق قبل اغترابا يدرى
وليس فى الجبل غير الكفر
قيل جميع المسلمين يطردون
قد زعموا انهم لصوص
سرنا وكل ما يهم المنزل
فرجع الكل اليه واقفين
فكانت الاوراق اوراق الدخول
ثمت جزنا الباب والاوراق

ياخذ امر الناس خيبر ماخذ
 خليفة السلطان مولانا السعيد
 قبل فاعتق فزحزح الشباك
 فكان من افاضل الاسلام
 بما اردناه من النزل الامين
 يفعله لسيد من خدما
 مع ربه اخلاص ما عمله
 ونبتغي جميعنا مكانا
 نزل به «يه» (٢) من ريال عددا
 هناك في جبلهم واللبثا
 وذا غلاء ما سمعنا مثله
 من ذا الذي كنا ذكرنا قبلا
 نظير من قد سكنوا ذا الجبلا
 وما لهم من جاههم والقوة
 كجنة لو كان فيها الحور
 مثل عروس يوم عرس جلوت
 مما يفر كل من قد غررا
 واتتهم بسرها وجهرها
 والكس من طبعهم المعهود
 للوافدين يوم انس وجبور
 تسل فشانها لديهم قد علا
 بالدين كانوا خير كل ساكن
 لهم بها النعم والمنيات
 ثم حبوا في الحزم ما حبوها
 ولم يروا من وصلها مطالا
 وكان من فراشها له المرور
 لما يصمه من الضوضاء
 ترتج في الانهر والليالي
 من كثرة الهز الذي بجانبك
 تركب فوق عربات تجرى
 ينقله ذو العربات حالا
 فانها تنقله وما معه
 بيده يسرى بها نقلهما

فظلت اسأل عن القنصو الذي
 فهو يسمى عند كل بسعيد
 قد كان رقا للذي كان هناك
 فخلف السيد في المقام
 جئنا اليه غرباء معلمين
 فقام مسرعا يفتش كما
 وذاك ما يدل ان كان له
 كنا «يح» (١) اصاحبا اخوانا
 ولم نرد تفرقا فوجدا
 خمس ليال قد عزمنا المكثا
 ويجب الربح لكل ليلة
 ثم هناك ما يكون اعلى
 وقيل ليس موضع فيه الغلا
 وذاك كله من اجل الثروة
 ديارهم جميعها قصور
 كذلك الاسواق جمعا بنيت
 فيدهش المبصر مما ابصرا
 تقول زهرة الدنيا باسرها
 ازقة قد فرشت بالعود
 كأنها فرشت احسن القصور
 اما نظافة الظواهر فلا
 لو رزقوا نظافة البواطن
 لكنما الدنيا لهم جنات
 ولاغترارهم بها اجنبوها
 فاقبلت عليهم اقبالا
 لكن من دخل هاتيك القصور
 فليس يرتاح الى العشاء
 فعربات الخيل والبغال
 ولست تسمع كلام صاحبك
 وكل بنت من بنات الكفر
 وكل من يريد الانتقالا
 كذلك من يريد نقل الامتعة
 وكل ذبل بالمدينة وما

مد قربت اليهم كل الامل
كان كلا منهم ابن ما السما
لو كانت الدنيا لهم تدوم
قد اهلكوا انفسهم واهلهم
والرشد والخلق معا والصدق
من يهده الله يسدد رايه

فهكذا كفوا مئونة العمل
لدا تراهم والرؤوس في السما
حقا لهم مقامة فخيم
لكنهم وما اشد جهلهم
اذ حرموا اتباع دين الحق
لكنها الاديان بالهداية

ثم ذكر انه ركب سفينة اخرى الى مالطة ليتمكن له المرور بتونس فتبع
ايضا وصف السفينة وكم فيها من اذرع ؛ وقال انها اكبر من اختها وقال انها
مدينة جارية على البحر

ان هذه مدينة في البحر
فيعلم العلام ان ليس الغلو
فلانكذب ما وعت منه الاذن
ولا الذي يجهل مثل من وعى

فجملة القول لمن سيدري
لاتحسبن الوصف ان فيه غلو
فكل ماتسمعه عن السفن
فليس راء مثل من قد سمعا

هكذا يقول لاهل بيئته الذين يعجبون مما يسمعون من امثال تلك الاوصاف
وفي هذا الوصف ذكر ايطالية واسبانية وفرنسة وانكلترة ؛ ووصف كل واحدة
بما وصله علمه ؛ ثم ذكر ان العيد ادركه في نواحي مالطة واليوم يوم الثلاثاء
قال والعجب ان التونسيين عيدوا يوم الاحد ؛ مع اننى راقبت انا بنفسى الهلال
ليلة الاثنين فلم يظهر مع صفاء الجو فكيف يمكن لهم ان يعيدوا برؤية الهلال
ليلة الاحد ؛ والمحل الذى راقبت فيه الهلال يحاذى سواحل تونس ؛ ثم قال
بعد ما ذكر كل هذا :

من قلة اعتنائهم بالسنن
روقب صحوا يوم سبت واحد
ان تبعوا الحساب دوما باستوا
فاستيقنوا الهلال فى السبت بدا

فانظر الى اختلاف اهل الزمن
لم يبق حتى الوهم فى ذاك وقد
وما جرى للتونسيين سوى
صاموا بيوم جمعة فى الابتدا

ثم ذكر مالطة فوصفها على عادته وصفا مسهبا ؛ كأنها القارىء يراها
وقد الم بالغلاء فيها فقال :

وليس فى اسواقهم مرتخص
بعشرة ومن شرى ادعى الضياع
فانها اشربة لانستطاع

دجاجة برربعين ترخص
وعندهم صنف من المعزيباع
عشر ريالات ويدعى الضياع ؟

يتعجب كما يتعجب اهل المغرب كلهم من هذا الغلاء ولكن ابناى اليوم واخذ
١٣٥٨ هـ يشاهدون اعظم من هذا الغلاء فى المغرب نفسه ؛ بل فى قرية صاحب

الرحلة نفسها ؛ فالذخيرة اليوم بريالة ونصف وبريالتين (١) والعز بنحو
خمس وعشرين بريالة فرنسية بله النعاج التي بلغت خمسين في بعض النواحي
نمش رجبا تر عجا

ثم وصف بياتهم فيها فقال

بننا بها باقبح البيات
لأننا لم نرد المغلاء
وذلك القبر على ضيق به
وذاك كل ما يحب المعبي
واننى فى البدو قد الفت
فى قبر عود كذوى الممات
فهل نمد (ربعا) كراء ؛
امتد كلنا به لجنبه
ان الفضول خلق اهل الفسى
صبرا ان اضطجعت او وقفت

ويقول فى وصف ضبط المايطيين :

فلهم الحزم على الدوام
قد نظموا الامور بالتوقيت
فكل من فعل شيئا يسجن
ففيهم المسجون مدة العمر
مع عسكر مشمر مصفف
كأنه فى ليله الدبى (٢) وقد
يقف او يمشى على المزامر
ولهم خان فخيم فاخر
وعرباتهم تقاد بالخيل
فتلك مالطة وذى اخبارها

فى كل ما يفعل للتمام
فانتظمت لهم على الوقوت
بقدر فعله وما ان يفتن
او مات جيفة كجيفة الجمر
ملف مزوق مخفف
يظهر كثيرا وهو قل فى العدد
فصوتها الناهى لهم والامر
حاطنه فيما قدروا مفاخر
وانها فى جريها مثل السيول
قد استنارت فى الدجى انوارها

ثم وصف بعض حدود البحر الابيض الجنوبية والشرقية ؛ ثم قال

ثمت لم نبت بها اكثر من
كانه موج علينا سده
وفى النهار سار فلك قهقرى
ليل طويل ضيق الجحر خشن
ارخى ليمطر علينا ويله
بنا الى تونس انس من يبرى

ثم وصف المركب ومن فيه فيقول فى الراكبين وفى اهل المركب

ترى الجميع فى الصباح قائمين
كان ذلك هو فرض الصبح
وتلك عادة لهم مستحسنة
بالفعل والتجفيف غير نائمين
ادأوه سبب كسل نجح
حسنة بالطبع اى حسنة

(١) ثم فى ١٣٨٠ هـ باكثر من مائة وعشرين ريالا ومثل هذا يقال فى الغنم وفى غيره
(٢) الدبى بفتح الدال ولد الجراد

مجتمعين ثم لاضرارا
عاذل كيف كنت يبدى العذلا
في ملبس ومشرب ومطعم
كانوا على الاطلاق ليس شيئا
حال شريفة وحسن مطلع
اقبح مايكون عند الناس
في كثرة وسرعة مختصرة
بينهم فذاك مما ارتضيا
فالقصد ان يمتلى السماء.

كنا مع اليهود والنصارى
كل له دين وعادة فلا
لكن خبير عادة للمسلم
اقبح بعادة النصارى ايا
ليس لهم فى منظر ومسمع
صورتهم فى حالة اللباس
وحال اكلهم كاكل البقرة
ليس لمن يجهر بالاكل حيا
فعزلة وخلطة سواء

ثم وصف انسانا من هؤلاء رءاه يلتهم ما بين يديه وصفا عجيبا نعجب
نحن حين يصدر مثله من الشيخ الصوفى الوقور قال :

يلتهم الخصى التهام السهب
وهم بلحظهم لديه غائصون
يقرض منهما بموسى قطعاً
مقدار شبر فيه او هو الطويل
يلقم فاه قنفاً ملمماً
يحصل منه قبل زرد ما يراد
فى لحظة ثم انثنى لغيره
او خاف ان تسد للطعم السبل
ان فتح الشدق لاخذ اللقم
متى اجيلت فى وجوه من حضر
من صنعه والوجه منه اعجب
بعد صلاة وقراءة «السم»
يسمعها اذ لم يمتع طرفه
وتسمع المسامع الاخبار

وقد رايت واحدا فى المركب
والجفل كلهم اليه شاخصون
وفى يديه الخصى والخبز معا
وورق الخصى غليظ وطويل
يقطعه والخبز قطعة كما
فقلت ان المضغ واف بالمراد
اذا به يبلعه باسره
وهكذا كانا جن الرجل
وهو بنفخ كاحتدام الضرم
هذا ومقلته ترمى بشرر
كنت امامه فصرت اعجب
فقممت فى الحين فامسكت القلم
اثبت للسامع هذى الطريقة
قربما حرمت الابصار

ثم كتب فى اخلاق القوم من لباسهم وحلق لحاهم واعفاء شواربهم فصلا
وذكر ان هناك من يتشبه بهم من المسلمين ؛ فقال :

من مسلم بالزى قد شابههم (١)
له وفى الصحيح حقا قد كتب
وذا مشاهد فلا نزاعا
اقبح من طبع جهول ما صلح

وربما تجد من جابههم
ومن تشبه بغيره نسب
«ان الطبايع تسرق الطبايعا»
ما الكلب ما القرد وان كل قبح

(١) كلما رايت اولادنا اليوم فى هذه الهيئة المحدثه اقول ياليت جدم
يراهم فلعله يكف عما قاله

ثم اطل على تونس ؛ فلاقى تونس من رحلتنا ما تلاقيه دائما من الرحالين
 بالعبدى وامثاله الذين خلدوها بثناء عطر وجللوا اهلها وشيئا مذهبيا من الذكر الجميل
 قال

عند الضحى بعد البيات ليلا	في البحر بانث تونس كليلا
تلاوات في البر مثل الدرّة	في نحر حسناء كعاب حرة
كل غريب عندها حبيب	وكل من سكنها اذيب
مدينة السر مع الصلاح	والرشد والارشاد والفلاح
مدينة الاخيار والافاضل	سكانها من فاضل لفاضل
والحسن والبهاء والجمال	اوصافها التي لها الكمال
مدينة الفنون والعلوم	والحفظ والتدريس والفهوم

ثم وصف ابن عرفة في ستة عشر بيتا ؛ ثم وصف جامع الزيتون في فصل
 طويل ؛ وذكر سوابقه وان في بعضها ما يظهر كانه حروف لكلمات محمد وابي
 بكر وعمر وعلى ؛ وذكر نظافته وفرشه ومصايحه الكثيرة ؛ فقد كان يتبعها
 حسابا حتى ضاع عليه الحساب ؛ وذكر ان المسجد حافل بالعلم والعلماء الاذكياء
 وان من رآهم فيها بلغوا الذروة في الذكاء ووصفهم بالتواضع وحسن القاء
 الدروس ؛ وان الاستاذ يلين الجناح للتلاميذ وانه ياخذ الكتاب حين التدريس :

وربما يراجع المشكوكا	اولا فيبقى عنده متروكا
فكل من يسأله يجيب	بسرعة كالبرق اذ يجوب
حتى يتم الدرس مثل ما ابتدئ	بالفهم في المدروس كالزهر الندي
هذا ولاترى سوى تواضع	من سائل او باحث او سامع
وذاك طبع اهل تونس على	ما قد رايته لدى كل ملا
تواضع في ضمنه تسامح	تلاين يزينه التصافح

ثم ذكر درسا حضره هناك برخصة اخذها ؛ وما جرى له مع المدرس :

حضرت في صبيحة مدرسا	برخصة قدمها من انسا
فر جامع الزيتون يوم اثنين	فكان لي اسعد يوم زين
والقصد ان احوز فضل العلما	وان انال خير من تعلمنا
والفضل بالاجماع عند العقلاء	لاهل علم الدين لا للجهاالا
فكان يدرس ابا الضياء	درس الجهابذ بلا امتراء
وهو لمن بجامع الزيتون	قدوتهم في الفهم والفنون
وهو كبيرهم على الاطلاق	حسا ومعنى ذاك باتفاق
كان يقرر لدى باب السلم	فكان في تقريره فردا علم
اجدر به لئذا ان يكونا	قطبا لمن سواء مكينا
فكل وصف كان يوصف به	فقد غدا ارفع من منصبه

ذو قلم ان كنت معه تسره
جميع من معه دلقت للسلام
جاءت بنا في الدرس افراس الكلام
تقريرها عكسا كما قد اخذنا
الا الذي اخذت خير ماخذ
قابلنى بطبع كل منصف
اذ ادرك الصورة بالانصاف
ينظر ان يعينه لسنه
وخير عمدة لشيخ ولد
من اسرة حسبها سنى

وكل ما يمكن ان يزيه
وبعد ما اتم درسه وقام
فبعد ان تمت توابع السلام
فقلت قد كان بصورة كذا
فجلت معه وانا لا احتذى
فاذ راي الفجر بدا في السدف
فمال لي مستجمع الاطراف
والناس كلهم مضوا سوى ابنه
وهو كبير السن قد يعتمد
ووسمه محمد النفرى

ثم ذكر ان هذا الاستاذ كان من قبل هذا الوقت مفتيا رسميا ثم اعفى من
تلك الرتبة ؛ ثم ذكر كيف يكون المفتى عندهم ؛ وان محمدا هذا يعتنق الطريقة
التيجانية ؛ وان هذه الطريقة لها انتشار كثير هناك ؛ ولها زوايا كثيرة ثم قال :

وقتح التساؤل الرجيبا
وعن تعلقي وعن مرتبطيني
كيما ارى بالحج ممن فاذا
يصحبه بـبره المشكور
فسترى الرجوع منى انكا
وهل ترى مثل الكتاب مونساً؟
ثم ذهبنا نحو دارهم معا
ارى من النعيم صنفا صنفا
هل مكرم ذا غربة الا اللبيب؟

بى رجب الشيخ السنى ترحيبا
فكان ان اخبرته بمسقطي
وانى ممن نحا الحجازا
فقام مع ولده المذكور
فقال لي ولده مكانكا
ومد لي كتابه كى يونساً
فحين اوصل اباه رجعا
فكنت ليلا ونهارا ضيفا
تطوعا منهم واكرام غريب

ثم ذكر الجامع الزيتونى ؛ وانه من أعظم مساجد الاسلام ؛ وأن فيه من
خزانات الكتب فى نواحيه ثمانيا وعشرين تستعاد منها الكتب ؛ زيادة على
دار كتب كبرى كقصر فخم مفعمة بالكتب ؛ وفيها قاعة للمطالعة ؛ ثم ذكر أن
مثل هذه الخزانات المحبسة موجودة فى كل المدارس هناك ؛ وقد أفاض فى
وصف دار الكتب هذه وصفا حسنا ؛ وقد أعجب بالصمت الذى يسود
المطالعين فيها ؛ ثم رجع لذكر الجامع الزيتونى ؛ فذكر أن من جملة مآثره كون
أبى الحسن الشاذلى درس فيه بمحل معهود ثم استطرد شيئا مما يتعلق
بهذا الشيخ وتنفلاته ؛ ثم ذكر ان للشاذلى مقاما سنيا فى تونس ؛ وان له فى
تلك المدينة مقاما منسوباً له يقصد كثيرا ؛ خصوصا يوم السبت يوم يحضر
الفقراء فيذكرون ويتواجدون ؛ ثم ذكر الوجد واستدل له ؛ ثم ذكر انه زار هذا
المقام فحدث هناك المقدم وائتى عليه ؛ وسلسل له كيفية التواجد الى الشاذلى
فحمل صاحب الرحلة على من ينكر ذلك ؛ وان الواجب هو التسليم للاشياخ

قد ندين ماشاء الله حول هذا الموضوع ؛ ثم ذكر انه لقي هناك اناسا اثني عليهم من بينهم عالم صالح ومن بينهم صوفى كبير القدر اثني عليه كثيرا ؛ قال :

ومركز العلوم واللطائف
في حضرة شريفة صمدية
وقام بالوتر حيال الشفع
رسوخ من كرع في الحقائق
من بحر وادى عشقه وحبه
فازت به تونس خير مصر
ذوالشرف الاثيل والخلق السعيد
وفي المعاني والمذاق اصغرا
على منارة العلا على
يعجب بالحدس او الالهام
فهو به في الكر والاقدام
لترتب العليا وفي ارتياد
مرتديا متشج الجراءة
منتجع الفلاح والنجاح
وكل همة تهم نالت
عنى مع الاب له المكرم
ينتج في الحين بلا شهور
رؤيا فقصها على نبا
ذكر كذا فخذ يدى الى يديك
في عالم الارواح فالقلب وعى
تذوق ما قد ذيق في الارواح
في الحسن والمعنى على التوالى
وفي المعانى خمرة الكرام
في روضة العشق براح الفكر
وزهرها لقاطفيها دان
قد غردت من فوقها الاطيوار
والحب قد حلت له الازرار
في جنة الاذواق والمعانى
من امل محجب ومن منى
كل غريب عند اهلها رسا
فكل من يصفهم سيعبى

كذا لقيت جبل المعارف
شارب كاس الخمرة اللدنية
من عام في مقام جمع الجمع
له من الفهوم والرفائق
ولو رايت صفوه لشربه
لقلت ذا الجنيد في ذا العصر
السيد المبجل الشيخ السعيد
له اخ في السن كان اكبرا
ولاخيه ولد على
له دره لدى الافهام
يجلو بفكره صدى الاوهام
ولم يزل في حالة ازدياد
لكونه ملازم القراءة
متسما بسمة الصلاح
همته نحو الذرى تعالت
فكان اخذا للاسم الاعظم
بوصفه المعلوم والمشهور
سبب ذا ان اباه قد راي
قال رايتنى القن لديك
فقلت يكفيك الذى قد وقعا
فقال لا يبد من الاشباح
فيحصل السر على الكمال
فكنت معهم على المدام
نجنى ثمار الوصل بعد الهجر
قد نضجت اثمارها للجانى
والكون كله لنا اشجار
والدهر كله لنا اسجار
ونحن بين الحور والولدان
فلا تسلم عما جنت اكفنا
فتونس عاداتها ان تونسنا
حياهم الرحمان ثم بيا

ثم ذكر حسن بناء تونس العاصمة اتساعا وارتفاعا وزخرفة ذلك عبيرة على احتلالها فذكر كيف احتلها الاجانب ؛ وكيف احتالوا حتى وقعت الحماية بيد اميرها ؛ ثم لم يجد بعد ذلك دفاع المدافعين ؛ ثم افاض في ذلك سجلا ثم ذكر انسانا جلس اليه في مجلس اخر يوم له بتونس ؛ فكان بينهما مكالمة من تاوهات وزفرات على ما كان مقدرا على الاسلام واهله ؛ وكان امر الله قدرا مقدورا ثم ذكر بعض اشياء من جغرافية تلك التواحي وما يصاحبها ؛ ثم قال

فبعد ان مضت لنا ايام بتونس كأنها احلام
«يه» (١) تكون ثم كنت في الخميس

كريت بـ «الحاء» (٢) بمركب نفيس
لجدة من بعد عصر اليوم مسيرنا نجوب موج اليم
ثم وصف المركب ورئيسه ؛ ثم ذكر طرابلس فقال فيها

احسن بها مدينة للخير ما مسها توسيخ اهل الكفر
وكلها مملوءة بعسكر به يخيف الترك من قد يجترى
خمس وعشرون من الالوف يمشون في مرصوة الصفوف

ثم مر في وصف هذا الجند ؛ وكيف يمثلون قوة واعظم شكيمة الى ان قال :

امتلات بهم جميع الطررق فلا ترى فيها سوى ذى الدرق
كذا المساجد الى الابواب (ما احسن المحراب في المحراب)

الى ان قال بعدما وصف بوارج عثمانية بالمرسى ؛ يذكر ما شاهد في المدينة:

صرت اجول في الازقة وفي وسط المساجد التي للسلف
اشاهد الهمم كيف تفعل والبذل للاموال كيف يعمل

فمر في وصف المدينة الى ان قال :

صليت فيها الظهر والعصر معا وزرت اهل الخير فيها اجمعا
جائست فيها عالما مفضلا يظهر انه من اصل ذى علا
طويل باع العلم والاخلاق مع تواضع لسدى التلاقي
قد كان في زاوية الربانى المدنى العالم الصمدانى

فمر في ذكر الشيخ المدنى ناصر الدرقاوية في المشرق من اصحاب الشيخ مولاي العربي ؛ فذكر ترجمته وتنقلاته ؛ ثم استطرذ ذكر ولده السدى لا يزال

ذاك حيا في الاستانة ثم في عشي اليوم راجع مركبه ؛ ثم ذكر شدة عظيمة
نوها على ظهر البحر بين طرابلس ومصر ؛ يقول :

هذا ولم نقطع عباب البحر حتى راينا كيف وقع الذعر
والقىء والهميد على الركاب تسلطاً بالسقم والاوصاب
سواى مع ناس قليلين حمى ربهم بين الورى وسلما

ثم ارسى بهم المركب في موسى الصعيد ؛ ثم ذكر بعض الجغرافية لتلك
بلاد مع ذكر البحرين الابيض والاحمر وفساة السويس ؛ ثم وصف مصر
خصبها ثم قال يصف قطع المركب للقناة

فبعد مغرب مشى برفق بنا بقنديل بذاك الفتق
لكون ذا المضيق مثل الوادى مسيح الاطراف بالواتاد
لتدفع الرمل فلم يزالوا توسعه ترحزح الرمال

ثم ذكر انه بقى في البحر الاحمر ثلاثا ؛ ثم بدت لهم اعلام الحجاز ثم
زلوا بجدة فوصف القبر المنسوب غلطا الى حواء ثم امتطى المطية الى مكة والشوق يفعل
بهم ما يفعل ثم ذكر نزولهم بجدة موضع الحديدية الذى وقعت فيه بيعة الرضوان
م ذكر اغتسالهم بدى طوى ؛ فدخلوهم الى مكة ؛ فطوافهم بالبيت الشريف وقد
ناض في هذا المقام بما افاض به من تباريح الشوق ؛ ولواعج الوجد

وابرح مايكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

ثم ذكر كيف كان يجتمع مع صوفية في زاوية شاذلية هناك ؛ فيفعلون
كل ماكان يفعله صوفية المغرب من التواجد ؛ وفي اثناء الاجتماع قال له احد
حاضرين ؛ اننى ارى ماارى وانت مقبل علينا ثم اذا وليت ولى عنا ؛ ثم اقترح
ليه ان ياخذ عنه وان يتخذة شيخا

والى هنا كانت عندى النسخة الاولى من الرحلة ؛ ثم لم اقف على نسخة
خرى تمت فيها الرحلة الا بعد ذلك بازمان ؛ ولذلك اقف هنا فيما كنت انقله
ن الرحلة (١) فانقل منذ الآن عما وصل الى مما حدث به الشيخ او من راقوه
اقول

ثم لما وقف الناس في عرفة وفتهم حصل شك في صحتها ؛ فاعادها
لترجم مع ثلة ؛ ثم نار حول ذلك ماثار بعد رجوعه فافتى مفتون بصحة الاعادة
اخرى بعدم الصحة ؛ ثم توجهوا الى المدينة فتوفى اخوه الذى صاحبه الى
حج فيما بين مكة والمدينة ؛ ولما وقف بين يدي القبر الشريف في المسجد

(خرجنا الرحلة تامة بالالة الكاتبة مع رحلتى ابني الشيخ سيدى محمد وسيدى
بلا فالجميع فى مجلد

النبي توجه الى الله ان يؤيده على الاستقامة ؛ قال وكنت ارى ان ذلك خير ما يدعى به في ذلك المقام ؛ فاذا بهاتف من جهة القبر ينادى : «ان افضل ما يطلب في هذا المقام هو رضا الله الاكبر» وكان الشيخ يحكى هذا الذي وقع له هناك مرارا ؛ ثم رجعوا الى المغرب في سفينتهم فوصلوا السويدية في الوقت المحدد وقد لاقاه اصحابه هناك ؛ ثم في دارالقائد عدى بكنفاة فقال لهم اننا لم ننسئ واحد من اخواننا هناك في كل ما لم نسس فيه انفسنا في الحضرة الربانية ؛ فقد وجدنا انفسنا هناك في الحضرة الربانية كما كنا نجدنا في الحضرة الربانية هنا ، فان الله لا تختلف حضراته باختلاف الامكنة ، ثم وصل البلد -الغا- فسالت اليه الطرق للمنهضة بالرجوع

محو حياتهم

ان حياة الشيخ منذ عام ١٣٠٣ هـ الى مختتم ١٣٢٨ هـ كانت كلها على وتيرة واحدة لا تغير فيها ؛ جولان في البلدان لا ينقطع وارشاد مستمر لكل من لاقاهم الخاصة والعامه ؛ فيقتصر للعامه على ما يتوقفون عليه من التوحيد ومن تعليم الصلاة ومن تحرى علم الحلال من الحرام ؛ ومراقبة الله في كل احوالهم واما الخاصة وهم اصحابه الذين اخذوا عنه ؛ واستسلموا بين يديه فانه يواخذهم على قاعدة التربية الاصلاحية بالشروط الصوفية التي توجد في رائية الشريش والمباحث الاصلية ؛ وعوارف المعارف والاحياء والحكم العطائية ورسالة القشيري وكتب الشعراني خصوصا اليهود ؛ زيادة على تعهدهم بتفسير القران وبالحدِيث النبوى ؛ وبنهاهم عن (المنن) للشعراني لئلا يالفوا الاهتيال باعمالهم الحسنة وعن (الذهب الابريز) في اخبار سيدى عبد العزيز الدباغ لئلا يتعلقوا بعالم الكشوفات واقتناص العلوم من الروحيات وعن (المدخل) لابن الحاج لئلا يشغلوا انفسهم بمحاسبة الناس ؛ وهكذا كان قيوما على حفظ اصحابه مما عسى ان يغتروا به فهو يريد منهم العبودية المحضة والمعرفة بالله ؛ فيعطيهم من الاقوال بمقدار الملح ؛ في الوقت الذي يدلهم على التوجه بالقلب وعلى عمل الجوارح فيعطيهم بها بمقدار الطعام ؛ من غير ان يرهقهم باعمال الطاعات والتوافل وانما يحرص على تنويعها لهم بحيث ينظم لهم عمل اليوم والليلة تنظيماسهلا لكنه معمور كله ، وسترى تفصيل ذلك فيما ستقرؤه بعد ، وترجمة الانسان حقيقة فيما عليه اصحابه فبذلك يعلم ان تربية الشيخ تنوع بحسب الناس؛ فتربيته للخاصة من اصحابه ؛ غير تربيته للعامه من غير اصحابه ؛ فيعطى لكل ذى حق حقه فتيسر لكل الجهات التي يطرقها بسوس ؛ ولكل الذين يطرقونه في زابته الالفية ان ينتفعوا به انتفاعا تاما ؛ ادى به الواجب عليه نحو الامه ومن لا يعرف امزجة المرضى فاني يحصل التداوى على يديه ؛ ومن جعل الناس سواه فليس لحمقه من دواء -كما يقولون-

عمله في سياحاته

ان اكثر ايام الشيخ يمضيها في السياحات وكان من عاداته التي اقتبسها من عادة شيخه سيدى سعيد بن همو المعدرى ؛ ان يتتبع القرى مستعجلا فلا يكاد يبيت في قرية ليلتين الا نادرا جدا ؛ ومتى طلب منه اهل قرية ان يبيت عندهم اكثر من ليلة يجيبهم بان الحق الذي عليه لكل الناس يحفزهم الى عدم التريث في مكان خاص ؛ وكان دائما يسيح في طائفة المريدين المتجردين من اصحابه ويصلون غالبا مائة او ازيد ؛ سوى من يلتحق بهم من الفقراء واصحاب القرى فاذا اقبلوا على قرية يدخلونها بذكر خاص يتداولونه فرقتين جهرة ؛ وهو (الله الله لاله الا الله) (١) بغنة مؤثرة تستفز كل اهل القرية فيتلقون الشيخ واصحابه ثم ينزلون في المسجد ولا يدخلون القرى غالبا الا بعد العصر ثم يتوضئون ويصطفون ذاكرين الى ان تصل المغرب ؛ ثم يقرأ الحزب فيسكتون سوية يذكرون فيها اذكارا خاصة فرادى ؛ ثم يفتتح مجلس الذكر قليلا ثم يتوجه الشيخ الى التحديث الذي يراعى فيه العامة ان حضروا والا فحديث الخاصة ؛ ثم اذا صلو العشاء وتناولوا ما اتى به اهل القرية من العشاء توجه الشيخ الى اهل القرية خاصة يعظهم ويذكرهم بلسانه اوبلسان وعاظ يحفظون قصائد الوعظ بالشلحة ؛ وكثيرا ما يامر احد الوعاظ ان يطلع الى سطح المسجد فيعل صوته بالوعظ ؛ فسمعه النساء من سطوح الديار من القرية ؛ ويتحسبن الشيخ ذلك في ايام الصيف وكثيرا ما يمضي غالب الليل هكذا فيما ينفع المجموع نساء ورجالا ؛ حتى اذا راي النساء اللاتي الفن منه سماع الوعظ اقبلن الى المسجد يامرهن فيعتزلن ويبتعدن عن الرجال ؛ فيتوجه اليهن بصوته وبوعاظه واما في الصباح فانه يامر باجتماع كل رجال القرية امامه ؛ فيسأل كل واحد عن التوحيد . وعما يصل به وعن مطعمه من اين يستمده امن الحلال ام من الحرام ويستتيبهم واحدا واحدا ؛ وذلك يقع بعد طلوع الشمس ؛ لان اصحابه يستيقظون دائما في وقت خاص في السحر ولولم يناموا الا قليلا ، فيذكرون جهرا الى ان يصلوا ويقرأوا الحزب ؛ ثم يذكرون جماعة حتى تطل الضحى عادة لا يحرمونها ابدا ، وبعد ان يمتع النهار يميل كل واحد منهم الى ما يقرؤه في لوحة خاصة لان لكل واحد منهم ما يقرؤه ، فكل امي دخل معهم لا بد ان يفتتح الحروف

(١) كان المعتاد في الطوائف الناصرية ان تدخل القرى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان معهودا لطوائف سيدى محمد بن يعقوب ان تقول يا عظيم الجود يا مولانا بلغ المقصود يا مولانا وليعلم ان لمطلق الناس اناشيد دينية عند مزاوله اعمالهم حصادا ودراسا وتدريه للمدرّوس وعند تقديم الذبائح الى مشاهد الصالحين

والهجاء ؛ كما انه لابد ان يقضى ما عليه من الصلاة ؛ امر لازم ولا بد ان يسؤدى التبعات جهده ثم يقبلون الى الزوال فبعد الظهر يسافرون الى قرية اخرى ان كانت قريبة ؛ والا فيخرجون فى النهار قبل الزوال ؛ وكان الشيخ لا يترك اية قرية امامه ؛ وقد كان يلقى فى اول امره العنت من اهل القرى قبل ان يعرفوا مقصوده ؛ فكم ليال قضوها سغياً تعمداً من اهل القرى ؛ مع ان العادة السائدة فى سوس اكرام ضيوف المسجد ولكن الناس سرعان ما عرفوا مقضى الشيخ فيتلقى من بعيد ؛ وتتسابق الى ضيافته القرى ؛ وخصوصاً حيث يكثر مسن ينتسبون اليه كمريردين ؛ وهى قبائل كثيرة فى نواحي سوس انبثت فيها زوايا اصحابه التى وصل عددها عندى ٨٩ عدداً

بهذه السياحات ملا الشيخ حياته وفيها ادى واجبه كداع الى الله باخلاص وذلك فى الوقت الذى كان اخرون يدورون مثله فى القرى ؛ ولكن غالبهم يدورون لجمع حطام الدنيا الذى يظهر هو دائماً الشمم والزهد التام اذاءه ؛ حتى عرف بذلك عند كل الناس ؛ وقد كان يجتهد فى ان يهتدى الناس الى الصراط السوى ؛ فلا يوفر احداً ايا كان ؛ وقد اشتهرت له مواقف غريبة فى ذلك ولولا حفظ الله اياه لكان فى بعضها من الهالكين .

عمله فى زاويته

كان يخرج من داره متوضئاً قبل الفجر بساعتين ؛ ولا يهيل المؤذن فى السحر حتى يخرج فاذا ذلك يتوجه الى ركن فى مصلى الزاوية ينتفل ويذكر ما يذكر فى السحر ؛ على حين ان اصحابه يستيقظون اذ ذلك فقط فيتوضئون ثم يذكرون جهراً الى الفجر ثم يقرأ الحزب ثم يذكرون جماعة ؛ والشيخ فى محله ولا يمكن ان يفارقه الا فى الفصحى ثم يصل الضحى ؛ ثم ان كان عنده اضياف قام اليهم ؛ والا انزل فى مكان ؛ الا فى اوقات الحرث والحصاد فانه يكون احد الفقراء فيكون معهم فى محل العمل ؛ ثم يبكر بصلاة الظهر فى اول الوقت بلا عجلة ؛ ثم يجتمع باصحابه فى المذاكرة الى العصر ان لم يكونوا فى شغل من اشغال الزاوية ثم يعتزل فى مكان خاص ؛ اما لملاقاة اضياف واما للمطالعة واذا قربت المغرب وقد توضع اصحابه صلى بهم وقرأ الحزب ؛ ثم يذكرون اورادهم ثم يجلس ايضا الى درس قرآن او حديث او سيرة نبوية ، وبعد صلاة العشاء يذكر اصحابه ايضا جماعة ؛ فان لم يكن عنده ضيوف يذهب الى دار الفقيه سيدى على بن عبد الله حيث يبقى الى ان يبهار الليل ؛ ولا يشتغل هناك معهم الا فى المسائل العلمية مذاكرة او مراجعة ؛ حتى ان علامة الخ اليوم سيدى عبد الله ابن محمد يقول انى ما استفدت الا فى المجالس التى كان خالى الشيخ يحضرها بعد العشاء فى دار الفقيه ؛ لانه يملأها علماً ومذاكرة ومراجعة ؛ واكون انا هو آخر من يقوم ممن كانوا جالسين ثم اذا نزل الشيخ من دار الفقيه دخل داه واصل ورده القرائى ؛ وهو على ما اشتهر عند اهله وعند اصحابه خمسة من

الاحزاب ؛ ما كان يترك هذه الخمسة حضرا ولا سفرا ؛ ثم يغمض اغماضة ثم يتوضأ في السحر ثم يخرج الى اصحابه هذا هو عمله في زاويته غالبا .
تف من اخلاقه

وقع الاجماع التام على ان الشيخ عمرى زمانه ؛ بذلك كان يعرف منذ ان تدرج بين اقرانه في عهد شيخه ؛ ثم زاد فيه هذا الجد الغريب حين توجه بكليته الى ارشاد العباد الى الله واستنابتهم وزجهم في العبودية الخالصة وقد دأعت اخباره بذلك في الحواضر ؛ حتى ان بعض كبار علماء فاس كابن الخياط ونظرائه ممن ذاقوا من مذاقاته الصوفية يحكمون بانه اخر رجال الجد فى الطريقة ؛ فقد بلغهم مافيه من العزم والعزم والاكباب الذى لا يمل فيما هو بصدده ؛ فرزقه الله اصحابا كانوا خلقوا لهمة العليا ؛ وصفهم الفقيه سيدى محمد بن على التادلى دفين الجديدة بانهم عفاريت سليمان ؛ لا يضحرون ولا يكلون ولا يسأمون ومن رآهم بين يديه رآى شبابا فولاذيا مخلصا نسي نفسه واهله وكونه فى الوجود ؛ والشيخ يقلبهم بهمة كيف يشاء وهم مطاوعون طاعة عمياء مع عدم ادعاء اية مرتبة باذكارهم وتضحياتهم وتعمقهم فى الانابة الى الله اى انابة ؛ فهو لاء يخوض الشيخ قبائل سوس كلها فى شهور كثيرة فى السنة ؛ وكثيرا ما تكون لهم سياحتان فى الشتاء والصيف ؛ وان لم يكن معهم الشيخ يقومون هم وحدهم بدوره الذى يقوم به فى الارشاد والدلالة على الله ؛ وقد كان سيدى سعيد انتنانى وسيدى الحسين بن مبارك المجاطى وامثالهما من كبار اصحابه يحسنون تمثيل دور الشيخ فى الهمة واستشارة القلوب الى الكله فيتركون القرى التى يخرجون منها كما كان الشيخ تيركها هياما بالله وجوارا بذكر الله وقد كان الفقهاء والمتفقهون ومقدموا الطرق الاخرى يرون هذه الهمة فيفترقون ازاءها فرقتين فمن مسلم بان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ومن قائل ما قال التعليب:

رام عنقودا فلما ان رآى العنقود طاله

قال هذا حامض لمسا ا رآى ان لا يناله

ومن اخلاق الشيخ عزوفه ان يتبع بالهدايا ان خرج من عند رئيس ؛ فقد خرج يوما فى السويرة من عند الباشا عياد المناهبي فاتبعه بخنشة قريال مخزنية ويكون على العادة فيها مائتان ؛ فامر اصحابه بردها له ؛ فتحليل بعضهم ليدسهل فى متاع الشيخ ووقع له مثل هذا مع القائد الطيب الكنتا فى حين خرج من داره مع اصحابه يوما . ولكن الشيخ العمري حتى فى النباهة حين لا يندخدع ؛ امر بردها امرا جازما ؛ قائلا بلسان حاله اننا نريد اصحاب الهدايا لتهديهم الى الله ؛ لاهدائهم والشيخ الذى يثق ماعنده على الناس ليردهم الى الله ؛ كيف يقبل منهم مالا او يتطلبه منهم

لم ينفق الذهب المرعى بكشوته على الحىا وبه فقر الى الازهب

ومن اخلاقه التى يواخذ بها اصحابه ولايسامحهم فيها المحافظة على عمارة اوقانهم لاسيما فى الفرائض الموقوتة ؛ فىؤنب بل يضرب بل قد يفرم مالا ممن تاخر عن الصف ؛ وقد ضرب مرة فى تاكوتة من الاطلس كل الفقراء من طائفته الا ثلاثة لتخلفهم عن الصف ؛ وقد نزلوا تحت اشجار للقلولة فى احدى سياحاته فى جبل درن (١) ومتى صلى فى زاويته يدخل الى الدار فىسال عمّن فاتتها من زوجاته وبناته الركعة الاولى فى مصلاهن الخاص بهن ؛ فىقرصها لايمل من هذا التعهد ؛ وقد بات ليلة مع اصحابه فى دار القائد عبد السلام الجرارى وهؤلاء الجراريون يحبونه ويعرفون قدره ؛ وينتسبون للطريقة ؛ فتاخر القائد عن صلاة الصبح فانبه فى الجماعة على ذلك تانبيا ؛ ثم امره ان ياتى بعشرربالات فلما اتى بها امره ان يشتري بها حمارا ياتى بالحطب الى المسجد وعلفه على القائد ؛ وجعل الحمار امانة تحت يد مؤذن المسجد ؛ وبقي الحمار سنين وبات ليلة عند القائد المحجوب الكلولى بحاجة ؛ فلم يفارقه حتى امر ببناء المسجد فى داره ليصل فيه مع اصحابه ؛ وكذلك فعل فى دار القائد الحسن النكافى وقد مر هذان الخبران فى طريقه الى الحج ؛ وبهذا الخلق من الشيخ احيا الله فى جميع التواحي التى يطررها الدين حتى رفرفت اعلامه ؛ ثم يربى اصحابه تربيته هذه ؛ فكانوا اعاجيب فى ملازمة الصف ؛ وفى المحافظة على اول الوقت حتى اشتهروا بذلك عند غيرهم

ومن اخلاقه عدم اهتباله بالتعصب لطريقته ؛ فىخالط كل اصحاب الطرق الاخرى كالناصرين والتجانيين ؛ ولم يسمع منه قط لمز لاية طريقة ؛ فقد قيل له يوما اى هذه الطرق الصوفية افضل ؛ فقال : المزية فى الرجال الذين يلتقى بهم الانسان ويتربى بهم ؛ واما الاذكار فكلها اذكار ؛ وقد كان جاره الفقيه سيدى على بن عبد الله الالفى عميد المدرسة وقرين الشيخ يذكره دائما بذلك ويقول اثناء عدمناقبه ؛ لم ار مثل الشيخ فانه قال لىلماذهبنا لمراكش علم ١٣٠٣ اذهب بنا الى فلان بزاوية مراكش التيجانية ؛ لتاخذ من عنده ورد اخيك وايبك التيجانى ؛ ولم يعرض على قط ورده الدرقاوى ومن اخلاقه الزهد التام فى لذائذ الحياة كيفما كانت ؛ فلايطبخ فى زاويته الاطعام واحد وهو الكسكسو الساذج الغليظ الذى يكلل فى القصاع بالخضر الحاضرة من لفت وجزر وقرع وبصل او العصيدة التى تجعل الحريرة فى وسطها يؤتمم بها ؛ ومن ذلك يتناول هو بنفسه ؛ وقد حاولت امراة من اهله ان تخصص له فى بعض الايام طعاما لينا فنهراها على ذلك ؛ هذا مع كثرة الخيرات فى الزاوية ؛ وعلى هذا ايضا يربى

(١) ومثل هذا التشديد فى حضور الصلاة معروف عن عبد الله بن ياسين وعن الموحدين الذين يقتلون عن ترك الصلاة كما فى كتاب (التشوف)

اولاده وكان قليل الاكل قليل النوم فمتى اراد طعاما يتناول مما تيسر او نوما
 اضطجع في اى مكان وعلى اى فراش ؛ وكان اية الايات في فطام نفسه عن
 الشهوات التى تعرض عليه ان نزل عند اصحابه ؛ حتى ان بعض خدمه من
 الفقراء كان دائما يرصد له بعض الاطعمة الساذجة كالعصيدة ؛ بعد ان يراه لا
 يتناول مما يمر به من الطواجن وامثالها ؛ ولكنه على كل حال لا يلزم حالة واحدة
 دائما لانه قد يواكل مجالسبه كأنه أحدهم ايناسا لهم كما هي السنة
 وقد يريد ادخال السرور على بعض المريدات من صواحبه الأخذات عنه فيتناول
 من طعامهن ؛ وهذا الخلق كما اخذ به نفسه اخذ به كذلك اصحابه المتجردين
 فتراهم فترة بعد فترة يعلنون بينهم فى بعض السياحات تقليل الطعام الا
 لقيمات معدودات ؛ تعد على كل واحد منهم بحيث تقيم صلبه لا غير ؛ ثم تحمل
 انقصاص وهي لاتزال طافحة بالطعمة ؛ وقد ياتى من لا يتحرون الحلال بالطعام
 الى الشيخ فيقول لاصحابه كلوا وتبركوا فمتى سمعوا منه ذلك عرفوا انه امر
 بعدم الامعان او بعدم الاكل اصلا ؛ هذا ديدن الشيخ فى نفسه وديدنه مع
 اصحابه ؛ فقد ملكوا ازمة نفوسهم فيزهدون فيما يريدون ويتناولون مما يريدون
 بلاشره ويحسنون الصبر الجميل ان فقدوا ممضوغا ؛ وما اكثر ماتتوالى عليهم
 ليال بين قرى لاترفع لهم راسا ؛ فيمضونها سعبا ثم لا يتأثرون بذلك وكثيرا ما
 يقول لهم الشيخ لا يعل للفقير ان ياكل من طعام من لا يتحرون الا اذا حلت له
 الميتة ؛ يعنى حتى يجوع جوعا كثيرا يخشى عليه به العنت ؛ وهذا الزهد انذى
 ذكرناه من شمائل الشيخ يحيط به من كل جانب حتى فى مسكنه ؛ فان بناءات
 زاويته ساذجة ؛ بناها الفقراء بناءات متعرجة لاتزال تتداعى بادنى سبب ؛ لانه
 شى احتاج الى زيادة بناء يامر كل الفقراء ان يبنيوا سواء من عرف كيف يبني
 ومن لم يعرف ويقول : « يتعلم من ليس بمعلم » وقد مر به الرجل الصالح سيدى
 العجاج عبد الله بن صالح وهو مع اصحابه فى مثل هذا البناء ؛ فقال للشيخ
 ما هكذا يكون البناء الذى يراد تاييده ؛ فاجابه : « اننا سننقى فيه اعمارنا على
 ما هو عليه ومن سيأتى بعدنا ان لم يعجبه فليبنه وفق ما يريد فقد كفيناه مؤونة
 جمع التراب والاحجار » ثم اتبع ذلك قوله : « افنحن تاركون ما نيط بنا من ارشاد
 العباد حتى نمضى اعمارنا ونفائس اوقاتنا فى جدران تقوم وسقوف تصحح » ؟
 ان اعمارنا اقصر من ذلك وبمثل هذا الجواب فاه الشيخ ايضا وقد أمر الفقراء
 ان يحثروا ما سيحترث فى مبدأ ابان الحرث او قبله قائلا : « ان حثرتنا نحن فى
 ارشاد العباد لافى شق التراب » وهكذا كل احوال الشيخ لايبالى الا بما نصب
 له نفسه وجعله محور حياته ومما يعتنى به الشيخ عناية زائدة نشر التعليم ولذلك
 ياخذ كل اصحابه الذين يلازمونه بالتعليم الابتدائى المجدى المفيد ؛ من التوحيد
 وصحة العقيدة وما تصح به الديانة ؛ وما هو حلال وما هو حرام كما انه يرسل
 من فيه أهلية لتتبع الدراسة فى الفنون الى المدارس ؛ فيعينهم ويمدهم بالكتب
 هؤلاء الاساتذة : سيدى احمد بن محمد البيزى والعلامة سيدى الحاج مسعود

الوفقاوى وسيدى محمد بن عبد الله الزيكى والقاضى سيدى مسعود الشياظمى وسيدى الحسين التيمولائى الافرانى وسيدى بريك بن عمر المجاطى وعشرات امثالهم هو الذى دفع بهم الى المدارس ؛ زيادة على زمرة من اهله كسيدى عبد الله ابن ابراهيم ؛ وسيدى موسى بن الطيب واخيه البشير وسيدى عبد الله بن محمد ويفعل مثل هذا فى العلماء والقراء الذين ينفعون فى المدارس ؛ فيحثهم على عمارتها ويردهم عن صحبة الفقراء فى السياحات ؛ كالعلامة سيدى محمد بن مسعود ؛ واخيه سيدى احمد وسيدى عبد الله ابن القاضى وسيدى عبد الله خرباش وسيدى مبارك الميلى وسيدى عبد الله الرركراكى وسيدى محمد بن العربى القارىء الاوصالى وسيدى على التنانى وسيدى الطاهر السماهرى وسيدى عبد القادر السباعى ؛ وامثالهم من العلماء الذين استهوتهم نفحات ما يرونه بين اصحابه فيحبون ان يتجردوا وان يلقوا وراءهم ظهريا ما هم فيه من التعليم فيكبح عزائمهم ويريه ان ما هم فيه هو عين ما يطلبه التصوف منهم حتى ان سيدى عبد الله بن محمد يقول : اننى ما استفدت الا فى المجالس التى كان خالى الشيخ يحضرها القواد والرؤساء الذين انقادوا له ؛ كثيرا ما يهيمون ان يطلقوا ما هم فيه فيلمرهم ان يبقوا قائمين فيه بالقسطاس ؛ فاذا هم فى اعلى مجالات التصوف الحقيقى وقد اتى يوما الاستاذ سيدى محمد بن مسعود على الشيخ بهذا واطال

هكذا الشيخ يربى كل واحد فى بيئته ويرقيه فى محيطه ؛ ويراعى كل لون من ألوان الحياة ؛ فيخالط اهله فيستمدون منه ما كتب لكل واحد ؛ وقديما يقول الصوفية « ان الشيخ الكامل هو الذى ليس لتربيته لون واحد » كما قال بعضهم فى حال العارف : « لون الماء لون انائه » وفى (الاخلاق النبوية) للشعرانى ما معناه : ومن اخلاقهم - يعنى الصوفية - انهم يبقون من اتباعهم من كانوا ينفعون العباد من علماء الدين على ما هم عليه من الافتاء والتعليم ؛ ولا يرفعونهم من ذلك المقام ؛ لانه مقام محمود مطلوب ان يقوم به امثالهم ؛ وانما الواجب ان يقوموا فيه بنية حسنة او كما قال : الى آخر ما فى كلامه .

هذه قصة صغيرة من اخلاق الشيخ فى تربيته وفى احواله وفى اجتماعاته ويكفى من القلادة ما احاط بالعنق ؛ وقد بسطت اخباره هذه فى كتاب (الترىاق المداوى)

الشيخ فى انظار معاصريه السوسيين وغيرهم

كان المعروف من الطرق الصوفية فى سوس الطريقة الناصرية وحدها ولا ريب ان هذه الطريقة قد اسست على السنة فى كل مظاهرها ؛ لامت فيها ولا عوج ؛ ولا يجد فيها اى قائل ما يقول ؛ وماذا يقال فى طريقة هادئة ناصحة مرشدة معلمة ؟ لا يعرف منها الا اذكار افراد يذكرها من تلقاها ، ثم لا اغراق فيها فى اجلال المشايخ الا لماما ؛ وقد يجتمع اصحابها على الصلاة على النبى

صلى الله عليه وسلم ؛ ثم ما عرفت سوس هذه الطريقة الا بواسطة العلماء الذين تخرجوا من تامكروت فرجعوا يؤسسون المدارس اذا كانوا علماء او بواسطة فقهاء أميين ءابوا فيعلمون الدين الصحيح في الاسواق وفي المواسم وفي المجتمعات وهم كلهم معروفون بالاهتداء ونصح العباد والاخلاص فيما هم فيه ؛ ولهذا صارت سوس كلها قاطبة بلا استثناء ناصرية ؛ ياتى اولاد الشيخ الناصرى فيلقونهم قبيلة قبيلة باجلال عظيم واهتبال كبير ؛ فينفعون في اصلاح ذات البين وفي فتح العيون العمى والأذان الصم والقلوب انغلف ، حتى ألف الناس هذه الطريقة ونسأ فيها جيل بعد جيل من اوائل القرن الثاني عشر الى ان كاد يختتم القرن الثالث عشر

ثم فيما بعد عام ١٢٦٠ هـ اتصل بعض فقهاء سوسيين بالشيخ الاديب الكبير اكنسوس فنلتوا منه الطريقة التيجانية كسيدى الحسن بن الطيفور الساموكنى نزيل تزيت المتوفى نحو عام ١٢٧٤ هـ وسيدى عبد الله بن محمد بن احمد الادوزى نزيل العويضة المتوفى نحو عام ١٢٨٢ هـ وسيدى سعيد الدراركى نزيل كسيمة المتوفى نحو عام ١٢٨٦ هـ وسيدى احمد بن محمد من ءال حساين الططائسى المتوفى في نيف وتسعين من القرن الثالث عشر وسيدى الحاج الحسين الافرانى نزيل تزيت المتوفى عام ١٣٢٨ هـ وسيدى الزبير البعمرانى المتوفى نحو عام ١٣٥٠ هـ الاخذ عن السائح الرباطى وبهؤلاء الاساطين الكبار ابتدأت الطريقة التيجانية بسوس ولكنها في مبتدأ امرها لم تنتشر الا عند افراد قليلين جدا ، وقد كان اهلها الاولون يعتزون بها ولا يعرضونها عرضا ، كما كان الدرقاويون يفعلون

وفي الوقت الذى دبت فيه التيجانية الى سوس دبت ايضا الطريقة الدرقاوية فكما كان لاكنسوس المراكشى يد في نشر الاولى ؛ كان لشيخ ءاخر مراكشى يد في نشر الاخرى وهو الشيخ سيدى احمد بن عبد الله من اصحاب الشيخ مولاي العربى ، ورد عليه من سوس اول الحاج مبارك الهوارى الكلوئى ؛ وبوتكلاى الذى اسمه الحقيقى هو الحاج محمد البلفاعى ؛ ثم اصطحب بعد حين سيدى سعيد بن هو المعدرى الثانى منهما الى ان كان السوسيون الذين يترددون الى الشيخ بمراكش سبعة ؛ لم يظهر منهم الا الشيخان سيدى الحاج مبارك العالم انجيل الذى له مؤلفات راينا بعضها وقد خلفه بعد موته سيدى عبد القادر البعازيرى ؛ وقد كان للزاوية المباركية اتباع لم يكتروا ولكن الشيخ سيدى سعيد بن هو المعدرى الامى طفحت ساحته بكثيرين ؛ فيهم علماء خنازيد كالعلامة سيدى محمد بن ابراهيم التامانزتى والد شيخ العصر سيدى الطاهر بن محمد الشهير ؛ كالعلامة الاديب سيدى العجيب ابو سليمانى الجزائرى ؛ وچنيد زمنه سيدى الحاج الحسن التامودبزتى والعلامة المدرس سيدى محمد بن المحفوظ الادوزى وكثيرين يصلون نحو اربعين عالما كلهم تعلموا لهذا الشيخ الامى وبالشيخ الامى سيدى سعيد بن هو هذا ظهرت الطريقة الدرقاوية باحوالها الخاصة التى لم تولف فى الناصرية ؛ كما لازمة المرقعة عند

المتجردين فقط وخرق العادة في الاسواق ؛ متى اريد ازالة الكبر ممن فيه الكبر
وبالمجاهدات الدائمة ؛ وبحلق الاذكار بالداولة بين الاشعار وبين الهيللة على
نعمة خاصة ؛ وبما يقومون فيه حلقة واحدة مستديرة وهو المسمى عندهم ذكر
العمارة وبالجهر بالاذكار في الطرقات وفي الاسواق *

بهذه الاخلاق ظهرت هذه الطريقة فقامت الناصرية واهلها ضدها تلعن
ان ذلك بدعة ؛ ولكن نشاط اهل الطريقة الجديدة وحسن نية معتقها ؛ وما
كان عليه شيخها من روحانية قوية عجيبة ؛ وما تؤثره في كل من اليها كل ذلك
فتح الطريق امام شيوخها ؛ فكان الشيخ يسيح باصحابه ؛ ويدل الناس على الله
في ضمن طريقته وقد استطاع بعض من اعتنق هذه الطريقة ؛ وقد حجج ومهر
بمصر ؛ ان ياتي من هناك من عند كبار العلماء بان هذه الطريقة التي تحمل مثل
هذه الاحوال تعرف كذلك في الشرق من قديم ؛ وقد قرأت انا بنفسى هذه
الفتاوى التي اتى بها سيدى محمد بن ابراهيم التامانارنى لما حج علم ١٢٩٣هـ
هكذا ابتدأت المعركة بين الطريقتين الناصرية والدرقاوية الاولى تدل بمظاهرها
السليمة ؛ والثانية تدل باسرار روحانيتها ؛ ولانفس ماكان قلله سيدى علي
الجميل لمولاي العربي لماخذ عنه وعلمه القدر المعلوم من لاله الا الله والاستغفار
والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، قاله «ان هذه الاذكار اخذناها عن
اهل الظاهر اهل تامكروت ؛ واما ذكر السر وهو الله فقد اخذناه عن اهل
المخفية» يعنى سيدى العربي بن احمد بن عبد الله الذى اخذ شيخه عن الابى
المحاسن جدود الاسرة الفاسية المجيدة المنجبة اليوم للمفكرين والزعماء والوزراء
والخطباء وبذلك يعلم القارىء ان الدرقاويين يقولون انهم لايعتنون بالمظاهر في
الطريقة ؛ على اية حالة كانت ؛ فالسر فيما في القلوب لاما في القوالب ويقولون
ان هذه المظاهر لاتقدم ولاتؤخر الفقير الا قليلا ، ولكن المدار على مافى النيات
والقلوب ؛ ويقولون ماقاله المتنبي في الفرس

وما الخيل الا كالصديق قليلة وان كثرت في عين من لايجرب
اذا لم تشاهد غير حسن شياتها واعضاؤها فالحسن عنك مفيب

وقد كان الشيخ سيدى سعيد لأميته لايدافع الا بالسنة العلماء الذين
لايفارقونه ؛ فمتى جالس من يجاوله في تلك الاحوال التي ينكرها الفقهاء
السوسيون ؛ اجلس في جنبه من يحضر من اصحابه العلماء ؛ وقد استطاع سيدى
سعيد ان يتغلب بقوة حاله على كثيرين حتى ان سيدى الحسن بن احمد
التمكدشتى انقاد له يوم صالح بينه وبين قرينه سيدى الحسن التملى الايرازانى
وبتأثره بحال سيدى سعيد اخذ عن مولاي المهدي الدرقاوى بمراكنش من
اصحاب سيدى محمد العربي المصغرى او اخذ عنه قبل ذلك ؛ وسترى ذلك في
ترجمته ان شاء الله ؛ وهكذا يقبل ويدبر ابطال الدين في ذلك العصر تحت

رايات الطرق ؛ كما يقبل ويدبر اليوم ابطال آخرون تحت رايات الاحزاب وكل يغمر بيئته ؛ فان كانت الطرق اليوم لايراهها الناس بمثل النظرة التي يراها بها من كانوا امس ؛ فكذلك سيقع لهذه الاحزاب نفسها غدا ؛ والعامل من المؤرخين هو الذي يزن كل واحد بميزان بيئته وحده ثم لما تصدر الشيخ الالفي المترجم بعد شيخه ، وقد اوتى قوة روحانية وعلما واسعا وسعة اخلاق ومخالفة لكل الناس وحضور الاجوبة ؛ دفع بالطريقة الى الامام حتى صارت اعلامها تخفق في كل نواحي سوس ؛ لكونه يتتبع القرى ويجعل السياحات ديدنه وقد توجه الى منفعة العامة ؛ والى منفعة الخاصة والى مخالطة العلماء ؛ والى طروق الرؤساء ولكون كلامه المؤثر الذي يكتسى لونا خاصا مع كل هذه الفرق التي يتكون منها الشعب ؛ فتح له ميادين متعددة في نفع العباد فمتى جلس السى مطلق العامة فانه لايجدتهم الا في التوحيد والحلال والحرام والتوبة واصلاح ذات البين ؛ واقامة شعائر الدين ولايتجاوز ذلك في مجامعهم الى ذكر التصوف ومتى جلس الفقهاء والطلبة يتلون بلون آخر يستمد منه العلم مع دعوته الى الله والى التوبة والى عدم الغرور بالهذر العلمى ؛ مع كثرة تعظيمه للعلم واهله واجلال مقامهم مادام في حدود النزاهة ، ومتى جلس الى الرؤساء يعظهم وعظا يكسر شرة ما هم فيه من العنجهية والطفيان والادلال بالسلطة ونفوذ الكلمة ؛ وكل ذلك بتأن ونؤدة ؛ مع تسهيل طرق الانابة وفتح باب القرب الى الله امامهم حتى يدركوا ان ما هم فيه ان احسنوا معاملة رعاياهم ميدان من ميادين العمل الصالح واما اذا كان مع اصحابه وهم الخاصة عنده فانه يخوض معهم في كل ما يرقهم في مقامات الصوفية الكبار ؛ ويهذب اخلاقهم ويفنيهم في ربهم ؛ كما هو المعهود بين الاشياخ ومريديهم ؛ هذا حال الشيخ ؛ فاتسع نطاق شهرته وذاع له صيت يدوى في كل الجنوب وازاء هذه الشهرة انفرذ في عصره بما لم يتيسر لغيره فنشأ ازاء اتباعه الذين تزخر بهم الطرق الى زاويته الالغية وازاء الذين يكبرون شأنه من غير اتباعه الاخصاء ؛ مالا بد ان ينشأ من اقوال تصدر حيناً من بعض رؤساء الطرق غير الطريقة الدراقوية حوله ؛ وذلك طبعى ما دام البشر لا يخلو من ان ينفس بعضه على بعض ، ومن حسدة يتقولون ويصطادون ما يدعمون به كل ما يقولون ؛ وغالبهم من الطلبة اصحاب الاهواء الغافلين السادرين قسى غلوائهم ؛ ولاسيما ان تلقفوا اذكارا يثابرون عليها تلاوة فقط ؛ فحسبوا انفسهم بذلك من الصوفية الذين يحق لهم ان يزنوا بموازينهم كل ما يعن لهم فتراهم يقولون ما يقولون ؛ لاعن تثبت ولاعن علم ؛ بل ولاعن عقيدة صحيحة عند بعضهم ثم يخالط اقوال هؤلاء الطرقيين والطلبة الاثمار اقوال فقهاء يتكلمون عن عقيدة وحسن نية ؛ وما مقصدهم الا ان يعلنوا للناس ما يعرفون انه السنة او انه البدعة فمن المجموع تكون ماعسى ان يجده المطالع في كتب تاريخية معاصرة سوسية حين تترجم للشيخ الالفي الذي كان يسمع كل ذلك وتصله جلبته وضواؤه من بعيد ؛ ولكن لم يكن يبالي ؛ ولاعرف منه انه دافع قط ولااجاب

ولاناظر ولااستثار من ينافح عنه بل ذهب قدما الى ماكرس له حياته ولسان
حاله ينشد ما قاله بعضهم

لنا عند رب العارمية مقصد اليها قصدنا لا لدعد ولايلي

فلم يزل شاناه يعلو وصيته ينتشر ؛ وصوت اضداده القنداء كالعلامة
سيدي محمد بن العربي الادوزي يخفف شيئا فشيئا حتى كان مالا بد ان يكون
من شغوف العاملين

هذا فان كان لهذه الطائفة الحسنة النية ماتواخذ به الشيخ من بعض
مظاهر في طريقته ؛ فليس لهم مايقولون في ارشاده العام وفي تعليمه لدهم
الامة وذوده عنها بغيرة وطنية كان فيها فريدا في عصره ، فان هذه المواقف جعلت
له مقاما خاصا لاينكره عليه احد وهو لب حياته ؛ فهانحن اولاء الان وقد ذهب
ذلك الجيل وانطوى سجله وصوت الشيخ لايزال يدوى ؛ وماكان يقوم به هو
الباقى الوحيد ؛ واما مايقوله فيه المتقولون ويظنه فيه الخراصون ويرميه به
الجاهلون لحقيقة ماهو عليه او المتجاهلون فكل ذلك طار اليوم ادراج الرياح
(فأما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث في الارض)

بعض اقوال المثنين عليه

قيل يوما في حضرة الشيخ سيدي الحاج الحسين الافراني رحمه الله في
الشيخ الالفي شيء من بعض مايقول من لايتقون الله فيما يقولون ؛ فثار لي
وجهه سيدي الحاج الحسين قائلا «ان لم يكن الشيخ سيدي الحاج علي رجلا
اليوم في ميدان الدعوة الى الله فارني رجلا آخر غيره»

وقال سيدي الحاج احمد الجشتيمي وقد جرى ذكر الشيخ «ان الشيخ
سيدي الحاج علي في مقام آخر غير مانحن فيه ؛ فقد فتحت له ابواب شتى في
نفع العباد ؛ وكلم يفتح لنا نحن الا واحد او اثنان»

وقال الشيخ سيدي المدني الناصري «ماكنت اري من سيدي علي بن
احمد الا انه سيكون ذا شأن فيها هو ذا ابتداء فيما كنا نظنه فيه ؛ قال ذلك سنة
١٣٠٦ هـ والشيخ سيدي الحاج علي اذ ذاك كما ظهر امره ؛ وطلع فجره وقد كان
يلزم مجلس سيدي المدني في تانكرت حين كان وهو ياخذ عن سيدي محمد بن
ابراهيم اعوام ١٢٨٦ = ١٢٨٩ هـ لايتخلف عن مجلس الصلاة على النبي صل
الله عليه وسلم ؛ ثم ساح الى تانكرت في طائفة كبرى اهتز بها ذلك الوادي
حوالي عام ١٣٠٦ هـ فليل لسيدي المدني في الشيخ فاجاب بذلك، وقال الشيخ
ماء العينين : «لوكشف الحجاب عن همة الشيخ سيدي الحاج علي ماتبعنا احد»
قال ذلك اثر مازاره الشيخ في تزيت بعد نزوله فيها ذهب اليه بطائفة كبرى
فاستقبله الشيخ ماء العينين في بساط كبير انتظم فيه مئات من اصحابه ؛ فلما

خرج من عنده افضى بتلك القولة الى بعض اخصائه ؛ فاخبرني هذا بها

وقال الفقيه الصالح سيدى الحسين بن بيهى التملى المتوكى «اشهدوا باهن حضر هذا المجمع اشهد ايها القائد ، وانتم يا خلفاء وجميعكم يارؤساء قبيلة متوكة انه ما دى الحق الواجب على العلماء فى عباد الله الا الشيخ سيدى الحاج على وحده» قال ذلك فى مشور دار القائد عبد الملك فى بووابوض ، وقد بات هناك الشيخ ثم خرج ؛ وخرج كل الذين فى دار القائد وخرج القائد وخلفاؤه فاصطف الجميع صفوفا صفوفا ؛ واقفين مطرقين ؛ فيصلون فيهم الشيخ بمواعظه الموثرة حتى تأثر كل من حضر ؛ وعلا نحبهم ؛ وقد كان الفقيه ممن حضر فلم يملك نفسه ان قال ما تقدم

وسمعت سيدى الحاج على بن الطيب ابن مولاي العربى الدرقاوى يداره بفاس يقول : «رحم الله الشيخ سيدى الحاج على السوسى فقد احيا الله به البلاد والعباد وقد كان يعرفه قديما يوم زار دارهم سنة ١٢٩٩ هـ فاخذ عنه نبذة من مختصر خليل ثم صار يتتبع اخباره ؛ فيعجب بتربيته التى تبلغه اخبارها»

وقال سيدى احمد بن الخياط شيخ الجماعة بفاس : «ان التربية الاصلاحية التى كان عليها مولاي العربى الدرقاوى قد انقطعت بعده حتى احياها الشيخ سيدى الحاج على السوسى فى سوس ؛ وهو اخر الشيوخ الكمل فى هذا الشأن قال ذلك مع انه لم يلاقه ؛ وانما سارت اليه باخباره احاديث الركبان

وقال سيدى الحسين الزرهونى دفين احواز الجديدة «رايت من رايت من مشايخ العصر ؛ ولكن لم ترعيني مثل الشيخ سيدى الحاج على السوسى فانه يربى اصحابه حتى ليحسبهم من يراهم ملائكة ؛ وقد رايتهم شابا ولكنهم فى وقار الشيوخ ؛ وقد اقتطفوا ثمر التصوف ؛ واجتنتى غيرهم وراقه» قال ذلك بعد رجوعه من زيارته عام ١٣١٦ هـ

وقال ابو الاسعاد الفاسى فى الشيخ : «انه اخر اصحاب الجد فى هذا العصر» .

وقال الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح «ما وضعت يدي فى يد الشيخ سيدى الحاج على حتى تيقنت ان مقامه اعلى من مقام جدى سيدى احمد بن موسى»

وحدث الفقير احمد بن الطيب الزكرى ؛ انه سمع من سيدى الهاشمى التيمكيدشتى انه قال له وهم يذكرون المشايخ : «اتريد ان اقول لك ماتعول عليه وتدع عنك الشرهات ان الشيخ الدرقاوى بالغ قد وضع اليوم رجله على كل رقبة كما علت طريقته وحاله على كل الطرق والاحوال»

وقال الشيخ سيدى محمد العربى المطرفى لبعض من ذكر له احوال الشيخ الالقى عام ١٣٠٨ هـ : «ان هذه الاحوال التى ذكرتها لا يتصف بها الا العارفون

الافلاذ ؛ ولئن طال العمر بهذا الشيخ الجديد لتكسفن شمسه كل نجوم تلك
الجهة»

وقال الشيخ سيدي محمد النظيفي «هكذا يكون الفحول لا يخافون من
احد ؛ فاني اتجنب دائما مخالطة اصحاب الاحوال لئلا تفيض عيني ببجلهم
واما العفريت سيدي الحاج علي فانه لا يهاب احدا ؛ فقد جاء الى ليلقاني فهربت
منه خوفا ان يشربني لقوة روحانيته ولغلبة حاله ومن هو مثيله في هذا العصر»

تلك اثاره مما امكن لي جمعه من اقوال بعض معاصريه من غير اصحابه
واما اصحابه فانهم يرون له مقاما اعلى من كل المقامات ؛ والعجيب انني كلما
جلست الى واحد من اصحابه لا كتب عنه مراه من الشيخ اسمع منه عجائب
وغرائب عنه ، فما شئت من توجيهه الى الله وحده بحيث لا يلتفت الى غيره الا
بمقدار الامور به من الاسباب المشروعة ؛ ومن مكاشفات وكرامات وخوارق
وروحانيات ؛ وهذا شيء طال منه عجبى انا قبل ان يطول به عجب من سيقرا
هذا بعد الفد ؛ وقد رايت كثيرا من اتباع المشايخ ؛ فمارايت مثل اصحابه في
اسقاط الدعوى وتعظيمهم له تعظيما لا يصل الى حد الغلو الا في قليلين جدا
ولاجلالهم لقامه ؛ ولتمرنهم على سقوط الدعوى قل فيهم البارزون بعده السى
المشيخة حتى ان من برز منهم لا يرى لنفسه مقاما ؛ وهذا شيء رايت وخبرته
وكنت به من المومنين وما راء كمن سمع ؛ اكتب هذا لاعن تحيز لعلمي ان الله
يراقبني ويكتب عنى ما اقول

قول المؤرخ سيدي علي بن الحبيب فيه

هناك اثنان ممن ارخ لمعاصرى الشيخ من السوسيين احدهما سيدي
علي بن الحبيب النيجاني الطريقة ؛ وقد حاول ان ينصف الشيخ ؛ ولذلك ذكر
كثيرا من احواله العجيبة والم بنواح كثيرة من حياته وثانيهما الفقيه سيدي محمد
ابن احمد الاكرارى وهو ناصرى الطريقة ، وحين كان القارىء ملما فيهما تقدم
بما بين الطرق في ذلك الوقت من تنازع السيادة ؛ وحين كانت الناصرية
هى الطريقة القديمة التى شاخ عليها الكبار ؛ وشب فيها الصغار ؛ كان تعصب
اهلها اعظم واكبر من غيرها ؛ ولذلك ترى مما قاله الفقيه الاكرارى تحاملا
ظاهرا في جناب الشيخ وقد ورث ذلك عن استاذه سيدي محمد بن العربي
الادوزى الذى كان ينادى فى موسم سيدي احمد بن موسى علي رؤس الاشهاد بان
الدرقاويين مبتدعون ؛ ولكنه اخيرا غلب على حاله لما راي غالب من اخذوا عنه
خرجوا عن طريقته الناصرية الى الدرقاوية ثم سقط فى يده يوم يرى نفسه
مصاهرا للشيخ الاكبر فى الطريقة الدرقاوية على بنته - وانا ابن بنت سيدي
محمد بن العربي اكتب هذا - ولذلك ارسل تلك الصيحة التى ضمنها تسلك
القصيدا التى تافف فيها من مصاهرة الدرقاويين ؛ وسترى بعض هذه القصيدة

في محل آخر

وهاك ماقاله الاديب علي بن الحبيب السكراتي

ومنهم الفقيه العالم الرباني الشيخ الصمداني المرسي الصوفي
السالك ؛ سيدي الحاج علي بن احمد الدرقاوي من (تحت الحصن) السملالي
الشيخ المشهور ؛ كان هذا السيد رحمه الله حاملا لواء الطريقة الدرقاوية في هذا
القطر السوسي ؛ وله فيه تلاميذ لا يحصون عددا ؛ وزوايا كثيرة معمرة وكان
في اول بدايته تعتريه احوال جذبية؛ يمسى في حال ويصبح في حال آخر ؛
وكان يلبس المرقعة ويحمل العصا ويذكر في الاسواق بالجهر في الطرقات
ويأخذ الفتوحات ولايبالي ؛ وكان له كيس مثقوب كلما طرح فيه شيء سقط
إلى الارض ؛ ويسأل الناس ويقول على عادة الفقراء «متاع الله» وهو في هذه
الحال في بعض الاسواق اذوقف على الشيخ سيدي الحسن بن مبارك التاموديزتي
مع الفقيه سيدي محمد بن العربي الادوزي يتحدثان في ظل جدار ؛ فقال لهما :
«متاع الله ؛ متاع الله» فضحك الشيخان ثم قبضا على جلابيه وقالاه : «ياشيخ
هذا الذي انت فيه من دسائس النفس ؛ ما زلت لم تخرج عن هواها لانها لاتحب
الا الاخذ ؛ ولكن ربها وعلمها هاك متاع الله هاك متاع الله؛ فهل كانت تقبل
منك ام لا) فاعرض عنهما ولم يبال بكلامهما وذهب ، (اقول ان الشيخ التاموديزتي
سبق المترجم الى هذه الطريقة ولا بد ان هناك غلطا فيمن كان اذ ذاك واقفا مع
سيدي محمد بن العربي الادوزي) وعلى كل حال فهو شيخ الطريقة وعالم الشريعة
والحقيقة ؛ ومثله لاتقرع له العصا ؛ وكان في غاية من الكشف تظهر على يده
الخوارق لقيته مرة بالركادة ؛ وانا حينئذ متقيد بالطريقة الدرقاوية اعلى الله
منارها ؛ وحانت صلاة العصر ؛ فقمنا للصلاة معه وهو امام وفي القوم الفقيه
سيدي محمد بن مسعود المعدري وسيدي سعيد التناي ؛ فلما فرغنا من الصلاة
توجه الينا بوجه المنور ؛ فقال لي يافلان ؛ قلت لبيك ياسيدي قال لي اعنسدك
كتاب الذهب الابريز قلت له نعم قال لي هل رايت فيه حكاية الشيخ عبد
العزیز الدباغ مع تلميذه سيدي احمد بن مبارك المراكشي (هكذا مع انه
سجل ماسي لامراكشي) حيث قال له الشيخ اتريد ان نزور سيدي موسى براس
الدرب ؛ فقال له نعم ؛ وما نكره في زيارة سيدي موسى الخ القصة وقد كان
في اول امره ترد عليه كثرة الفقراء ببلده وضاق به الحال ؛ قال ثم نويت ان
ارحل منها الى المعدر ؛ فاستخرت الله في ذلك قال رحمه الله فلما عزمتم على
الرحيل وقف على النبي صلى الله عليه وسلم وانا ببجيرة قرب داري ؛ فقال لي
اتريد ان ترحل الى المعدر خوفا من الجوع ؟ قلت له نعم ؛ قال لي : «لاترحل من
بلدك وقال لي كل شيء يصلك الى هنا» وضرب بقدمه الشريعة الارض ؛ قال رحمه
الله قطابت نفسي من يومئذ بالسكنى في بلدي فصارت الدنيا من يومئذ تزيد
وتجىء من كل جهة الى ان بلغ بنا الامر الى ماترون والحمد لله (قلت) قد اقبلت

الديبا على الشيخ ببركته صلى الله عليه وسلم من كل جهة ؛ وكان لا يستقر بداره غالبا ؛ افنى جل عمره في الاسفار والسياحات مع طوائف الفقراء وكثرة سياحاته الى جهة الشرق درعة وحوز مراكش وحاحة وادواتانان ؛ حدثتني بعض فقرائه ان زواياه نافت على مائتين وكان معظمها عند الامراء والسلاطين والقبائل ؛ لا يكادون يصون له امرا ؛ وفد مرة على فقراء مراكش وبها يومئذ السلطان مولاي عبد العزيز بن الحسن ؛ فلقبه واحتفل به احتفالا كبيرا الا ان الناس قد اكثروا فيه القيل والقال ؛ ومعلوم في الفاضل قول الحسدة ؛ وهو في الحقيقة كمال للمحسود

وإذا اتتكم مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل
فقد كتب له العلامة سيدي محمد بن العربي الادوزي بعد مصاهرته له في
شأنها قوله :

بعثت اليك بعض كلي فان راعيتك كنت كلي راعيا ياخي حكما الخ
(ثم ذكر القصيدة وجوابها الذي مطلعها (جزاك اله العرش خير جزائه)
(ثم ذكر ان صاحب الترجمة رحمه الله لما لم يف بعهد الشيخ قال فيه ثانيا :
(لاتصاهر في سوس درقاويا الخ) (ثم ذكر القطعة الاخرى التي قالها ابن العربي
لما ودع بنته ومطلعها (فراق بنتي صعب الخ)

(ثم قال) اخذ صاحب الترجمة علمه عن شيخه هذا سيدي محمد بن العربي
الادوزي واخذ الطريقة الدرقاوية على شيخه سيدي سعيد المعدرى وبيتهم بيت
علم وصلاح ؛ كان جدهم سيدي عبد الله بن صالح - بل هو عبد الله بن سعيد
في غاية من التقوى والولاية ؛ ثم حكى المؤلف حكاية استطرادية ثم انشد بعدها:

وما مات من ابقى ثناء مخلدا وما عاش من قد عاش عيشا مذمما

وله اشعار ونظم ؛ وقد نظم حكم ابن عطاء الله ؛ حكى ابن الجوزي في
بعض مجالسه قال «والله ما اجتمع لاحد امله الاوسعي في تفريقه اجله» (ثم
ذكر وفاة المترجم وغلط فيه اولا ؛ ثم اصلح الغلط في طرة الكتاب) ثم قال :
وعهد الى ولده الكبير سيدي محمد بالخلافة بعده واوصاه ؛ (ثم ذكر وصية الشيخ
المشهوره وهي شائعة ذائعة عند اصحابه) ثم قال : وترك اولادا اصلحهم الله
اكبرهم سنا سيدي محمد وباقي الاولاد كلهم نجباء مقبلون على شئونهم وفيما
يرضى الله ؛ نشأوا في حجر العلم والادب والتربية على شاكلة ايهم من التيقظ
والتشهير عن ساق الجد في الدين وتحصيل العلوم الشريفة ثم ذكر كلاما عن
الغزالي في الذين يخالفون اباؤهم الامجاد انكالا على شرفهم»

انتهى ما كتبه المؤرخ الذي حاول ان يخالف القول الاتي للمؤرخ الاكرادي
في بعض ما قاله عن الشيخ ؛ فرحم الله الجميع وباقي الايات المتقدمة توجه
في ترجمة الوالدة (رقية) في القسم الثاني ان شاء الله

قولة المؤرخ الاكثراي فيه :

ومنهم شيخ المريين ومحراب المنجردين وسلوة المتقشفين ووزر المطرودين
 مربى الانام ؛ ومدير كاس الهيام ومذلل الانوف ومعدل الصفوف قانع الشهوات
 والمجلى عن القلوب الظلمات ؛ قاهر النفس ودافع اللبس ابو الحسن سيدى
 الحاج على الدرقاوى طريقة العبالوى نسية ؛ التحت الجبلى دارا ومنشأ - يعنى
 التحت الحصنى - قرأ العلم على العلامة الادوزى واخذ الطريقة على الفقير سيدى
 سعيد المعدرى وعلى منواله حاك وبمسواكه اسناك افنى عمره فى الجهد والاجتهاد
 وجال بطوائفه فى البلاد ؛ يقيم اودهم بالدره ويفطم بعضهم بالدره ؛ يسوس
 كلا بالاثق به ويكون لدهاء قلبه متنبه - كذا - فكثر لذلك متبعوه وازدحم على ورده
 مشيعوه ؛ اخذ فى نفسه اولاً بالتقشف وازدان وقته بالعنف ؛ فلما امتلأت
 احواضه بالاناس واطهانت محافله بالاناس قلب لهم ظهر المجن ومد شباك
 الزوايا لما اتى وعن ؛ وقرأ (الفها ياموسى فالفها فاذا هى حية تسعى قال
 خذها ولا تخف) فانته الدنيا ونال منها المتى ؛ فجمع وعدد وبنى وشيد وتكح
 وشاد واكثر السواد ؛ فخطب ابنة شيخه الادوزى ؛ فجاه ولم يقل مكنوزى
 وحين كمل النكاح وابرز الزفاف من غير كفاح كتب له الشيخ مانصه وذكر
 الايات التى اولها «بعثت اليك بعض كل الخ» فاجابه الصهر سيدى الحاج على
 فقال ناسجا على ذلك المنوال ، الا انه ليس التكلج كالكحال - هكذا الكلمة
 بخطه قائلا ان الالف للسجع - (ثم ذكر الايات التى اولها : «جزاء اله الخلق
 خير جزائه الخ») (ثم ذكر ما انتقده فى الايات) ثم قال «هذا شعر الفقراء
 فليته قال فى الجواب ؛ ليأتى بالصواب ويترك لفظه الظهر الذى فيه ارتياب
 (ثم ذكر ابياتا له هو مطلعها فسمعا ابا الدلفاء الخ) ثم قال الشيخ - يعنى
 ابن العربى - متشكيا وللقضاء مسلما وراضيا - (ثم ذكر ابياتا اولها: فراق
 بنتى صعب الخ) ثم ان الصهر لم يف بالعهود ولادى الموعود بل اهان المهرة وعصى
 للشيخ امره فجعلها من جملة العيال ؛ تطحن ودمعها سيال ؛ ومنعها من الزيارة
 وزاد فى الفجة بالنفس الامارة ؛ فتململ الشيخ لذا وتمنى ان يفديها لو امكن
 الفدا ؛ فلما اعوزه الحال ولم تراع الحرمة الرجال ؛ قال رحمه الله (ثم ذكر
 ابياتا فيها النهى عن مصاهرة الدرقاويين بسوس ؛ مطلعها لاتصاهر بسوس
 درقاويا الخ) ولنصرف عن الكر العنان طالبا من الله المنان ان يمدنا برضا
 الاشياخ والغفران ويقل عثرات اللسان ؛ وما زبره فى ذلك البنان وحواء
 الجنان ؛ وبرزقنا معهم المجاورة فى الجنان بجاه سيد ولد عدنان وعليه فى كل
 حين التكلان ؛ مادام الملوان ودام النيران ؛ فصاحب الترجمة حج وصام وجال
 وهام وعزر واقام وخاصم فى الله وخام وصارم من استحق الصرام الى ان ادركه
 الحمام فادى الامانة ورضى باختتام وذلك فى ٤-١٠- طلوع الشمس يوم

السبت عام ١٣٢٨ هـ فقال سيدى الحاج ابراهيم ايريفى «ايطاس (اى نام) الشيخ رحمه الله ورضى عنه ءامين»

ذلك مقالته المؤرخ وقد وجب التنبيه اولا الى ان الفلظ وقع له فى وقت وفاة الشيخ ؛ فانه توفى عصر السبت ٢٨ ذى الحجة عام ١٣٢٨ هـ ومن هذا الفلظ الذى لم يسلم منه مؤرخنا لعدم تثبته تدرك ان الفلظ يكون اليه اسهل فسر مجربات الظنون ؛ فقد افتتح الترجمة بذكر ماهو الواقع فى احوال الشيخ ثم لما رأى اتساع نطاق دائرة الشيخ ظنه استسلم للشهوات ولو اراد المؤرخ ان يعرف الحقيقة لادركها فان المئات الذين يزورون الشيخ يرون كيف حالة زاويته فى النقشف الى ان مات ؛ وانا اعلم وواقن بالمشاهدة ان اكل اللحوم وشرب الاتى اللذين هما اذذاك من مظاهر الرفاهية لانراهما فى دار الشيخ الا كماما وفينة بعد فينة؛ ولكن الذى حفز المؤرخ الى مقال كونه سلف الشيخ فانه تزوج اخت زوجته ؛ فاصاخ الى تناجى النساء فى مضاجعهن وقد بينا كل ما بين الشيخ واستاذه العلامة ابن العربي فى ترجمة والدتى فى هذا القسم كما بينا ايضا بعض ما يتعلق بتزوجها من الوالد فى كتابى «الترياق الداوى» و«طاقة ربحان» واما الابيات التى اخضرتها فانها توجد فى ترجمة الوالدة فى القسم الثانى على اننى اعذر المؤرخ فما كتب الا ما اعتقد، فرحم الله الجميع وجعل الجميع فى جنه الفردوس على سرر متقابلين ؛ فانما العبرة بالنيات وهى من البواطن

بعض الامداح فى الشيخ

يقول العلامة الكبير سيدى محمد بن مسعود من اكابر اصحاب الشيخ ومن استقوا منه عللا بعد نهل ؛ فى اثناء قصيدته المسماة «اتحاف اهل الاعتقاد والوداد بما للطريقة الالغية من اسنى الاسناد» يقول فيها بعد مدح نبوى كريم يخاطب الجناب النبوى

مالى سواك وسيلة لله ثـ	م سليل روحك غوثنا الصمدانى
شيخ الحقيقة والطريقة من غدا	نور العيون وعين نور الأذن
صبح الظلام وحل نجر عاطل	ملك المعارف فارس الميدان
شيخ الجلالة شاذل زمانه	فرد الاوان وسيد الاقران
شيخى ابو الحسن ابن احمد من بدا	فى العصر شمس الائمة الاعيان
اعلى من الدين المنار واحييت	آثاره بعهاده الهتان
ذوهمة فعالة وعزيمة	صوالة كالسيف يوم طعان
وله الكرامات البواهر والتقى	والعلم ليس الخير مثل عيان
اما الفراسة والكلام على خوا	طر حاضريه فئاية الرحمان
وله من التصريف امر واضح	لداخليه بدا على الاعلان
هذا على ادب يحيل به الامو	ر على مشيئته ربه المنان

رتب سميت قدرا على كيوان
 سقساء ياغوث الكسير العاني
 كعب وما هرم وما البحران ؟
 بدر النضيد قذا نفيس فان
 به الجود للاشباح بالالوان
 صمدية من سرك الصمداني
 علقا نفيسا غالي الايمان
 اذرت بما اروت بخمر جنان
 يرتاب في شمس سوي العميان ؟
 مداد في الاسرار والاعلان
 وخبو نور الحق بالطغيان
 خفضوه بالدعوى مدى ازمان
 سوسى من قاصيهم والداني
 صرفا على رغم الحسود الشاني
 منها عقود الدر والعقيان
 بجلالة التخصيص للاعيان
 زيد من الفخر الكبار انسان
 اهل الولاية واضح البرهان
 خص الاله به ذوى العرفان
 العارف الاسنى ابنى عثمان
 م زمانه الجمل الرضى العمراني
 ثر غيره فيما لكم من شان
 واحفظ رحالك في هنا وامان
 من حل فيه ثوى اعز مكان
 هذا على بابها الرحمانى
 سعادى واشمتك انقلاب زمان
 د وملكته سائر الاكوان
 ن وذا حمى المستضعف الولهان
 الا وباء يحفه اليسران
 من لنور طلعتة كما السلطان
 او فاض بالاحوال فالجيلاني
 من هم فيه غدا مقود عنان
 محبوب مغنى الروح والريحان
 شمس المعارف والهدى الرباني
 (الخ) لقد اربت على البلدان

يانجل احمد يا على علت بكم
 انت الهمام الشهم ياذا الهممة الـ
 انت الجواد متى يعد الجود ما
 ان كان يخرج منهما المرجان والـ
 فلکم ندى الارواح بالعرفان بلـ
 اوما جلوت صدا القلوب بحكمة
 وغسلت من ادراها وجبوتها
 فسقيتها من خمرة نبوية
 من ذا يبارى البدر في مجلاه او
 بعد الكرائم وانتفاع الناس بالا
 احببت رسم الدين بعد دروسه
 ونصبت مرفوع الدعائم من هدى
 وبسرك انصلحت عصائب صقعنا
 وبك المعارف والحقائق تجتلى
 قلدت اعناق الرجال اولى النهى
 ماذا وراء النفع يطلب شاهدا
 هذا الامام العارف الفاسى ابو
 قد قال ان شهود نفع الناس من
 بصميم ما منحوا من السر الذى
 ولقد سمعت بشارة من شيخكم
 قد قال انك في مقام الشيخ غو
 هذا الى ما جاء عن اهل البصا
 يامن عليه الباب مسدود انخ
 خيم بباب الفضل والكرم الذى
 فى حضرة قدسية نبوية
 فاذا الخطوب عدت عليك وارجف الـ
 فاعطف لمن اقلت مقاليد الوجو
 هذا العماد وذا السناد وذا الغيا
 هذا الذى ما امه ذوعسرة
 هذا الذى تعنو وجوه العارفيـ
 فاذا افاد العلم فهو الشاذلي
 اخاذ افئدة الرجال بهمة
 يصطاد ارباب القلوب لحضرة الـ
 شرفا وفخرا باذخا للغرب من
 برغت به فى «الخ» ما ادراك ما

عطرت بطيبك بعد عترتك الالى ورتوا اثر المجد عن اعيان
سلف لهم نالوا العلا بولادة الـ طيار جعفر اكرم الفتيان (١)
ربي بحرمة انلسى المبتغى من فيض جود الواهب المنان

وبمناسبة مذكره العلامة ابن مسعود في هذه القصيدة ، وبمناسبة ما
تقدم عن المورخين المذكورين ؛ اثبت هنا بعض ماقيده ابن مسعود مما يتعلق
بروحانية الشيخ ؛ ومن هناك يعرف القارىء كيف الشيخ عند اصحابه ؛ وقد
ظفرت بهذه المقيدة وشيكا حين وصلت هذا الموضوع من الترجمة ؛ انقلها من
خط ابن مسعود نفسه ومن هذا يعرف القارىء المكانة التي للشيخ عند علامة
سوس ابن مسعود ؛ بله غيره ؛ قال مانصه

«اخبرني بعض الفقراء الاخوان انه كان في مرض شديد من علة القرحة
المعروفة بقرحة النار ؛ فلزم الفراش وعالج القرحة بالنار الا انه مازال ملازما
للفراش بعد المعالجة فرأى شيخنا رضى الله عنه جاءه وهو يقظان غير نائم
فكشفت الثوب عن وجه المريض بيده ونقل على يده ومسح بها موضع القرحة
فعل ذلك مرتين وخرج عنه ولم يكلمه ؛ فنادى المريض امراته وقال لها ان
الشيخ رضى الله عنه خرج من عندي فانظروا اين هو وانزلوه في محل الضيوف
فقالت له ما رايناه ولاراه احد فخرجت وفتشست فلم تجد احدا ولا رءاه احد من
الجيران فظهر الشفاء عليه من ذلك الوقت ؛ ولله الحمد مع ان بلدة الشيخ بعيدة
من بلدة الاخ المذكور ؛ بينهما مسافة قريبة من يومين

متى كان حكم الروح للجسم لم يكن ليثقل من كثافة البشرية
اذا ازدوجا وزالت الحجب التي تعوق من تنافر الثانوية
افاضت عليه الروح ما كان مودعا بها فارتدى بالخلعة الملكية
بامدادها يسير فى الجو ماشيا على الماء والدنيا لديه كخطوة

وسمعت الاخ المذكور وغيره يقول : سمعت الشيخ رضى الله عنه يقول ؛
مامن فقير ينتسب الينا (الاهمتنا) معه فى اى موضع كان فى جميع حركاته
(او كما قال)

ووقفت على رسالة ارسلها الشيخ رضى الله عنه الى بعض الفقراء فيها
من جملة كلام له مانصه وقد اشتقنا للملاقة اكثر من اشتياق الوالدة لولدها
المرضع ولكن الحمد لله قد بلغنا مرتبه فى ملاقة الارواح ، تغنى عن ملاقة
الاشباح ؛ ولذلك يسرى المدد من الاشياخ الى المردين ؛ ولولا ذلك لم يمتن
احد ان يربى احدا ولم يعرف ذلك الا من ذاقه . وكيف يكون ذلك عند من يجد

(١) انظر فى ترجمة سيدى عبد الله بن سعيد مايتعلق بهذه النسبة الجعفرية

ذاته تتمثل بذات مرديه ؛ او بذات شيخه ؛ وانما ذلك من غلبة الروح على الشيخ وبذلك تقع المشاهدة النبوية عند جولان فكر اهل ذلك المقام يقظة ؛ وذكر الشئ بترك سواء هو الذى يفنى» انتهى الغرض منها

واخبرنى بعض الاخوان انه وقف على رسالة للشيخ رضى الله عنه بخط يده الكريمة ؛ فيها من جملة كلام له مانصه ولا تهملوا ارشاد عباد الله الى الله ؛ فذلك الذى وصيناك عليه (لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس من حمر النعم) فلاخير اكثر من ذلك ؛ (ومن احسن قولا ممن دعا الى الله)؟ الى ان قال: وسلم منا على جميع الاحباب اينما كانوا (فهاهمتنا) معهم اينما كانوا والاحوال كلها بخير

واخبرتنى بعض افاضل الاخوان ؛ من المتجردين ان بعض من ينتسب لطريقة الشيخ رضى الله عنه ممن تلقن منه ؛لقى فى بعض الامصار بعض الامراء ممن كان بينه وبينه صداقة ومع الامير المذكور بعض من جاء من قبل السلطان رسولا اليه يدعوه الى حضرته ؛ فذهب الفقير المذكور معهم صحبة الامير المذكور ؛ فلما دخلوا اغلقت عليهم الابواب ؛ وظهر للفقير انهم اريد بهم الحبس والنكال فاستغاث بشيخنا رضى الله عنه ؛ قال فجاءنى الشيخ بنفسه رضى الله عنه واخذ بعضدى وقال مالكم وللدخول فيما لايناسبكم او مايقرب من هذا ، ودفعه الى خارج الابواب ؛ والحرس على الابواب كالعادة فى مثل ذلك ونجاه الله تعالى قال المخبر بهذه الحكاية؛ قد حضرت الشيخ رضى الله عنه يوما وقد فرق المتجردين رضى الله عنهم لجمع الناس الى موسمهم على العادة ؛ وكان فى الوقت خوف وفتنه ؛ فقال لهم ما حاصله لا يخطر ببال فقيرنا خوف اللصوص ولا السباع ولا الحيات ولا العقارب يشير الى انه لاينبغى ان يظن توحده عن شيخه لانه معه سره وهمته دائما نحو ما تقدم عنه رضى الله عنه

واخبرنى الفقير المذكور ان رجلا كان من رؤساء قبيلته قال له انه ورد علينا الشيخ مع الفقراء ؛ ولم يكن فى الموضع من يهتبل بهم فطلبوا علف دابته فلم يجدوه فاتيتهم بمخللة مملوءة شعيرا ففرح الشيخ رضى الله عنه بذلك، قال ومضت مدة عن ذلك ؛ ثم لحقنى مرض لزمته منه الفراش ولحقتنى منه شدة فظهرلى الشيخ وقد خرج الى من جدار البيت الذى انا فيه ويده المخللة التى ملاتها له بالعلف ؛ قال فرفعتى من ضجعتى ؛ واسندنى الى الحائط وجعل بينى وبين الجدار تلك المخللة وهى مملوءة شعيرا ؛ ثم دخل فى الجدار فى الموضع الذى منه خرج ؛ وجاءنى بحمد الله الشفاء فى الحال

واخبرنى بعض الاخوان من الفقراء ان بعض رؤساء قبيلته لقنه الشيخ رضى الله عنه الذكر ؛ فنهاه عن مخالطة رؤساء القبيلة وامره بالاجتناب والانكفاف عما هو شأنه قبل الانتساب الى الشيخ وبعدما فارقه جاءه فى بعض

الايام رسول الرؤساء المذكورين يستدعونه الى مجتمعهم كالعادة فجاؤ اليهم ؛ فلما كان في الطريق احس ببطنه تحرك عليه كأنه يريد الاستفراغ ؛ فذهب الى محل قضاء الحاجة فلم يمكن له الاستفراغ فذهب اليهم فلما جلس اليهم لحقه مرض البطن ؛ فقام عنهم الى داره وبقي كذلك الى مضي سبعة ايام وهو بحال المرض المذكور محصور عن قضاء حاجة الانسان وفي اليوم السابع بقرب الزوال اخذته غفوة من المنام ؛ فرأى الشيخ رضى الله عنه قد خرج من بعض بيوت دارالرجل المذكور ؛ وجاء اليه ومسح بيده الكريمة على بدنه فانتهبه ؛ ونظر في جوانب البيت الذي هو فيه كأنه بحال فرغ فسألته زوجته ما بالك فحصل له الشفاء في الحين ؛ وقام من فوره وذهب الى الكنيف لقضاء الحاجة انتهى ما نقلته (مع بعض اختصار) من خط الاستاذ، سقته كتتمه لما هو في القصيدة النونية؛ ولعرفة ناحية اخرى عن الشيخ مما يتداوله عنه اصحابه وتتكلم نحن الاكثار منه . لان ذلك ينافي بعضه سنن الكون التي لا يومن الا بها عند غالب اهل هذا العصر وان كان المومن يوقن بان الله قادر على كل شيء مما يخرق عادة تلك السنن

ومن امداح ابن مسعود في الشيخ قوله :

باكر بها لمرابح الزهراء	تلق المنى بالقاعة الوعاء
واجل بمسرحها الفسيح الطرفاوا	رح ناعما بتواصل السراء
اتخالني كلفا بغزلان النقي	او وصل كل خريدة غيدا
حسبي هوى فئة تظن وجوههم	زهر النجوم تضيء في الظلماء
نور السرائر في الاسرة لائح	متبلجا فيهم لفرط صفاء
جلي مرايا القوم صيقل حكمة	وهداية من عارف الغبراء
الشيخ قطب العصر سيدنا ابي ال	حسن بن احمد فارس الهيجا
ياكعبة ياوى لساحة برها	اهل القلوب وجلة العظماء
ياروضة من جنة بل حضرة	تنسى نعيم الخلد بالالاء
يانجة المرتاد بانور السبلا	د وملجأ الملهوف في الجواب
طال التقاعد والتكامل بالفتى	فسعى لبابك سيد الكرماء
قصدى من الكرم العريض اغائة	بتخلص من كربة اللاوا
برحيل هذا القلب عن كدر العوا	تد والحظوظ وغفلة القرنا
وتعلق بالله في الاحوال والـ	جمع المزبل لمعضل الادوا
انت الملاذ ومن يلوذ بك احتفى	في دهره من فادح الاسوا
انت المعز لمن هواه هوى به	لهزيمة الارجاس والارجاء
انت الطبيب لكل من جنحت به	نفس تبوء به الى الرمضاء
انت الممد بنظرة يرقى بها	قلب الحضيض لهمة قضا
انت النفس كربة المكروب يـ	هب قلبه بشماتة الاعدا
انت المسود والمتوج تاج اهـ	سل الله باب مصادر الاشياء

تهواه ينفذ دون ما ابطاء
 بالسقى حفظ صنيعه وذماء
 يزرى بفيض البحر والانواء
 مضطر من منن لكم بيضاء
 والعبد عبدك رافع الحوجاء
 عود تموه فواضل الآلاء
 ما الحق العرجاء بالوجناء
 ستسخ الظلام بغرة وضياء
 ففدا بتاجرها رباح زكاء
 احسان والعرفان ربح كباء
 سأمي يصحبكم كما التحكاء
 ل الخمر ملتبسا بحسن بهاء
 عى الحب للتقرير والانشاء
 حلل الحياء تميم كالحسنا
 مقروحة تغى جزيل حياء
 سب سنائها بصفاتك العليا
 عجا ولا تكلف بعد فناء
 سعافين بالالطاف والنعماء

انت الخليفة عن رسول الله ما
 انا غرس نعمة سادتي فليدركوا
 حاشاكم ياسادتي ونداكم
 حاشاكم حاشاكم ان يحرم الـ
 والجاه اعظم والعوارف جمـة
 لولاكم ما كان يطمع فى النداء
 او لم تفيضوا من جدا نفحاتكم
 حيتت بنورك شرعة التوحيد وانـ
 واقمت سوق العشق بعد كسادها
 وعمرتها حللا يفوح بها من الـ
 ويح الجهول اما كفاه تبخر الـ
 وتهذب الجلف الغليظ كما استحا
 هادى عجالة راكض ناداه دا
 واليكها شيخ المشايخ ترتدى
 بنت السبيل على كلال قريحة
 فان ازدهت مماحوت من نشر طيب
 فمن اطباء جمال بركم فلا
 لازال جودك وابلا ينهل للـ

وحين اطلع على القصيدة شيخنا الاديب سيدى محمد بن الطاهر
 الافرانى قال فى تقريرها

شمس الذكاء باشعة وسناء
 والزهر يمحق نورها بذكاء
 نفع الزهور مطيرة وكباء
 ازرى بما يهمى من الانداء
 لـ تبليج الانوار فى الظلماء
 اعطافها بالعجب والخيلاء
 حاكت مديح معطر الانباء
 حسن ابن احمد قدوة العلماء
 اغنى عن الانشاد والانشاء
 صيت سرى بشواسع الاجراء
 شمس المكارم دون طول عناء
 على عن التسرين والجوزاء
 من معدر قد حل بدر سماء
 غرر الدهور وكاشفوا الحوباء
 فيض ومن سر ومن نعماء

لاحت فاعشت اعين البصراء
 اخفت نجوم قرائح لما بدت
 وسرت روائحها معطرة فما
 وهمت بودق بلاغة وفصاحة
 وتبلجت بلوائح الاسرار مثـ
 وزهت بطلعتها على خود ثنت
 سرت قلوب العارفين لانها
 مدح الكريم الشيخ سيدنا ابي الـ
 شيخ الهدى بحر الجدا من فضله
 العارف الجهم المحاسن من له
 وابانها الشيخ الذى دانت له
 الثاقب الذهن الرفيع المجد والـ
 ذاك ابن مسعود الامام محمد
 وردت المكارم عن جود كلهم
 بشراك انك نلت ماتبعيه من

وحبيت بالانوار والاسرار والسـ
ايه ابا عبد الاله فقد منحـ
لما نزلت بها ازدهت وترجيت
فاهنا بما اوليت من مولاك من

وله فيه ايضا :

اجلال والاعظام والالاء
ست عوارفا من حضرة غراء
بك ياحليف سيادة وعلاء
فضل عظيم جل عن احصاء

قفا بالمطى في اراكة نعمان
وأما بها صوب الحبيب مرابعا
بها نشر النسيم من كل نفحة
منازل من اهوى منازل للصفاء
اذا ماصبا نجد سرت نسوماتها
وان غرد القمري في غصن ايكه
اكانم شان الوجد ثم يبثه
وتروى احاديث الهوى ورعيه
وانى لاستحلى اذكارهم وما
ولو ان ما الاضلاع منى تكنه
وما شاقنى وصل القوانى ولاهمت
تجمعت الاهواء في حب من غدت
وذاك امام الدين من شهدت له
ابو الحسن ابن احمد الغوث من بد
ابان دقائق الحقائق فاهتدت
وجلى بما حلى به كل مسمع
افاد وهذب القلوب فاصبحت
مجالسه رياض جنة ازلقت
وينقع من انهارها كل غلة
وفيهما شفاء كل قلب مكدر
نتيجة خلوة مع الله جلوت
فما شئت من معنى لطيف وحكمة
ومن مدد يسرى بنور محبة
ويرقى به من سفلى فرق مشتت
ومن كلمات يفلق الصم وعظها
فيصبح من بعد الغواية واضح الـ
على قدم التجريد للحق سالكا
وعلم واينار بمال ومهجة
على سنن العلم القويم لحجة

وعوجا بها وهنا لمكنس غزلان
سقتها غواذى الزمن من سح هتان
ينغار لها نصير زهر وربحان
نسيت بها فردوس حور وولدان
تملى بها لبي وروحي وجثمانى
اثار بلابلى بتغريد الحان
من اللمع غرب ذوسكوب وتهتان
فتحتاج لوعتى بجران غسان
ازيد به الاصابة هيمان
برضوى لذاب من حرارة اشجان
دموع محاجرى لفرقة خلان
محاسنه فى العصر زينة اكوان
معلى الهوى ان ماله فيه من فان
تفضائله كالشمس فى سطر برهان
اليها النهى من حسن لفظ وتبيان
من الدر ما انسى جواهر تيجان
كزهر النجوم زانها حسن ايفان
تدار بها مدام حب وعرفان
بها سلسبيل لاحميم ولاءان
ضليل عن الخيرات فى الارض حيران
طرائفها لكل غرثان صديان
منضدة تزهو على عقد مرجان
كما سرت الصهباء فى عقل نشوان
لاوج فناء الجمع منزل احسان
ينيب بها لله كم من فتى جان
زهادة موسوما ببهجة ايمان
بعزم وصدق فى تبلى رهبان
وحزم وجد عن بصيرة يقظان
بها سلك الهداة من كل ربانى

فرهم تر التوحيد في شخص انسان
 اما في انبلاج الصبح احسن عنوان؟
 هم السادة الابرار من غير اعيان
 عطرن بذكر الله من بعد انتان
 فيوضهم يحظى بما فوق حسابان
 وللشبل شبه من غضنفر خفان
 — اماجد يافرد الندى طود اقران
 كما خلف الصديق مفخر عدنان
 وشيبتها صرحا باوثق اركان
 غدت كعبة للفضل من بين اوطان
 وهل شرف الاوطان الا بقطان؟
 بها فلها فخار فضل ورجحان
 وهل برمال عاليج طوق حسابان
 على نفس النسيم امداح حسان
 عن القصد والمجدود من ليس بالوانى
 وقدحيل بين العير والغرض الدانى»
 بنور من السر المويد صمدانى
 عليك به ينهل وابل رضوان

اناس من التوحيد صيغت نفوسهم
 هم الانجم الزهر السواطع للعلا
 هم القادة الاخيار شم ججاج
 لهم في السهول والتجود مواطن
 هم القوم لايشقى جليسهم ومن
 هناك الهلال موذن بنمامه
 اشمس الهدى بدر الفتوة مقتدى ال
 خلفت الامام الشاذلى بهديه
 واحييت من رسم الطريقة ما عفا
 وشرفت من تلك البقاع معاقلا
 طلعت بها سعد السعود وزهره
 ليهنا بلاد الغرب انك ناشى،
 تظفلت بالفريض ابغى امتداحكم
 ولو مدلى في الباع سيرت نحوكم
 ولكنها الاقدار تعادل بالفتى
 «اهم باهر الحزم لو استطيعه
 بقيت لاهل الدين روحا تمدهم
 وازكى سلام طيب النشر فانسح

وله فيه ايضا

بسمت مطلعته من الافراح
 بجبينها الاعلام كالاصباح
 ويروح تحمله صبا الارواح
 صرفا بلا مزح رحيق الراح
 ومواهبها من ربك الفتحاح
 مجد خصصت به من المداح
 — نجوم قلائدا لنفائس الامداح
 سقر التي استفتنت عن الايضاح
 فيما يروم بضاعة الافصاح
 ست الكتب من عجل عن استفتاح
 تحيى به الارواح كالاشباح

ياسيدا من نوره الوضاح
 زانت بك الايام غرة اهتدت
 الف التحايا من الهك يفتدى
 تسقى نديم الروح في نادى الندى
 تزداد منه معارفا ولطائفنا
 ماذا يعد الشعر من شرف ومن
 هبنى بسطت القول اوصغت الندى
 من لى بعشر العشر من اوصافك ال
 فاعذر ضعيفا مفجما قصرت به
 ضاقت به سبل الكلام وضاق وقد
 لازلت شمس الدين صيب رحمة

وله ايضا يخاطب اصحاب الشيخ:

ابى الحسن الالقى ياسلوة القلب
 بهم دارهم فالجمع فى وحدة الحب

اسادتنا صحب الامام الرضا القطب
 سلام عليكم من محبين ان نات

المكم كما الظمان للبارد العذب
تزيد بها صباة الهائم الصب
تراح غشاوة الخطوب عن اللب

وينهون انهم لفرط تشوق
فمنوا تفضلا عليهم بزورة
بقيتم نجوما للهدى بسنائكم

وله فيه ايضا

فخرتم بها من بين غرب الى شرق
تفتق زهر الفضل من بعد مارتق
اله حباكم فى العلا قصب السبق

ليهنكم يا ال الخ مفاخر
سموتم بدورا بل شموسابنوركهم
قابقاكم للعلم والفضل والهدى

وله فيه ايضا

تهندى دائما لمفخر الخ
سعصر قماع كل غى وزينغ
ت ومحى الهدى وطارد نزع

نسمات الرضا وروح سلام
شيخنا الاوحد الهمام امام الس
شاذل الزمان روح الكمالا

وله فيه ايضا :

غزير الوبل من هطال مزن
وركن فى النوائب اى ركن
بذكرهم فيسجل الكرب عنى
وجنة بهجتى وجلاء حزنى
بساحتها ثمار الوصل نجنى

سقى الله الحمى من تحت حصن
هناك من الاماجد كل ندب
هناك احبة يسلو فؤادى
وهم روحي وريحانى وانسى
فلا برحت مراتبهم رياضا

وله فيه ايضا

ام سبى اللب سمع قول الفتى «هو»
بحديث من طاح عنه سواء
صار عينى اذا انا اياه
لعييد يهدى اليكم ثناه
منكم واليكم منتهاه
فهو ضيف لكم وفكوا عنه
طاب سوس وذكره وسناه
وبانواره استنار دجاه
ساء المعارف من مفاض نداء
طب فرعا وطاب اصل جناه
نخبة الشاذل طاب ثراه
لات حين استقصائنا ادناه
يعبق الكون دائما من شذاه

تلك شمس القلوب بانث فتاهو
عللانى فالاسم عين المسمى
وتلاشى بنوره كل شىء
ياعربيا هم الكرام اصيخوا
بلسان عن حضرة القدس ينشى
ارحموا العبد منة واقبلوه
ياعلى بن احمد من به قد
وتعطر غربنا بشذاه
يااماما قوت القلوب واحي
له در السعيد شيخكم قد
عارف اثر عارف وشموس
ان فى القول لانساعا ولكن
فعلبيكم تحية وسلام

وله فيه ايضا

من الروح والعرفان ويحك في الخ
بانواره غين الضلالة في دمع
لتحفظ من كيما الشياطين والنزغ
تروق كما النصار بالسبك والصوغ
فؤادك مصبوغ من الحب بالصبغ

اقول لمن قد شفه الوجد مانغى
انخها بنال احمد فعليهم
فلذ بحماه واحتفظ بجنابه
محل مهذب الخلائق بالتقى
وتصبح في روض المعارف نائرا

فاجابه الشيخ بقوله

فغين السوى عن عين قلبكم السغ
تقر به العينان من كل ما تبغى
يلوح على الاشياء طرا بلا زيغ

ايا طالبا سر المعارف في الخ
وداوم على ذكر الاله تر الذى
وجاهد وراقب ثم شاهد جماله

وله فيه ايضا

فاهتز من طرب بل ازدهى تيهها
تحى به نفس هم كاد يفنيها
كيما ينال لدى مولاة تنويها

ياسيدا اطلعت بالسوس طلعته
حيثك عنى صبا نسيمها ارج
يستوهب العبد ان يرعاه خاطرهم

وله ايضا يخاطب اصحاب الشيخ من المتجردين

السالكين محجة العرفان
حسن ابن احمد نجة الاعيان
ارواح نفع تحية الرضوان
متطرح فى عتبة الحنان
ز من المهالك وامنتا الاحسان
عار عليكم ضيعة الجيران

ياسادتي الغر العظام الشان
اصحاب عارف عصرنا الالفى ابى الـ
هبت على اشباحكم وقلوبكم
منوا بدعوة صادق متوجه
للعبد بالتوب الصحيح مع المفا
فالسعيد محسوب على ابوابكم

وله فيه ايضا

منجدا زائرا لا وثق حصن
بالمطايا واعمد الى خير ركن
قاده لهواهم كل حسن
نازح فى استلامك المازمين
وعسى ان يعود وصل لبين

حى ربع الرباب من تحت حصن
وبوادي العقيق فيه فرج
واقرا عنى تحية من مشوق
وتمل من الجمال ونسب عن
عاقه ان يزورهم سوء حظ

وله فيه ايضا

بدا خليفته الالفى ابى الحسن
لذروة العز نائيا من المحن

ان فاتك القطب ذاك الشاذل فلذ
لفز من الله بالرضوان واقتعدن

وله فيه ايضا :

وترى الهوى وسط المنى متلافا
روح الهداية للذى قد سافا ؟
يحيا فؤادك تنتمش وتلافي
في الخ تكشف في القلوب سجايا
يزلن طول حياته مهيافا
بين الآوان قراحها وسلافا
كف تعير لغيرهم اطرافا
عندى وما اعتده اطرافا
من لايراهم غير ما قد عافا
نال العلوم وعاشر الاشرافا
الصاد ثم الدال ثم القافا
سدنا ابي الحسن الذى قد صافى
سها منية القلب الذى قد زافا
القى القبول لديه والالطافا
لايغندى قولى لديه غرافا
متطلب من فضله اتحافا
ل الله من قد مولوا من سافا
رفع اللواء وارشد الاطرافا
فاشى اذا ما حكته افوافا
القى كلامى فى المديح جزافا
م ومن هم قد البسوا الانصافا
الخ الهدى وعلى سناء اشافا
امواجها ان تغمر الاسيافا
بالغيث حتى افعم الاكتافا
بضياتها من كونها الاعطافا
س سوى القصور لمن غداوصافا؟
سوهاج من انوارها اوصافا ؟
فيمن شأى الاخلاف والاسلافا
فتح القلوب وزحزح الاصدافا
متللا ببريقه خطافا
عرضا ولو فى ساعة أسدافا
نحى الغلام عن النهى فتجافى
فيه قصير مجحف اجحافا
ض شمائلا ومناظرا ولطافا

ذق من كؤوس ودادهم فتصافى
كيف الحياة بلا شعور القلب من
فاجعلك من اتباعهم ان شئت ان
ان الطريقة قد تبلج بدرها
من لم يرد من عند متبعها فلا
مذ ذقت من رشقاتهم انسييت من
قد تيمونى من جمالهم فلا
فهم فؤادى واللسان وكل ما
فهم جمال الكون اجمع لايرى
ليس النجاة بكف غيرهم وان
فهم الدواء لغيرهم حتى غدوا
لاسيما مثل الامام القطب سيب
فاليه كل محامدى جمعاء فيـ
وببابه القى الرحال لعلى
وانا على لسن القريض اريخ ان
فانا له حسان مدح دائم
فليعلم الثقلان انى عبد اهـ
اصحاب قطب الكون من فى الخ قد
فيه القريض اذا اقول يلد لى
لايحسب الشعراء انى مثلهم
فالله يعلم والملائكة الكرا
وجميع من قد ابصروا ماكان فى
انى كمن يثنى على الدماء فى
وكمن يطيل المدح فى غيم همى
وكمن يشيد بنور شمس الحفت
هل فى البحار وفى الفيون وفى الشمو
انى يحيط بمائها الشجاج والـ
فاذا يكون المدح حقا صادقا
مثل الامام امام هذا الجيل من
وابان هذا الدين صحوا مشرقا
وازاح عن الباب من يلقي ولو
وارى العيون من الخ نورا ساطعا
فالمدح فيمن كان هذا بعض ما
وان استعمار المادحون من الريا

يعلو الوغى ويعانق الاسياف
 ك سوى مخايل تكتسى الياف
 صوتا لما يجتابها مخطافا
 بفؤاد من ورد الحمى مستافا
 لم يغد عند بنى اللوا عرافا
 له لمن يشاء فيكتسى الالطافا
 ب يفتح الاسماع والانافا
 ملها لكل اللغو ممن عافا
 ان تبغ من خلاقك الاتحافا

* * *

من بعد ان ذاق الجسو وعافا
 نحيث عن قلب العبيد غلافا
 زمنا طويلا سمت فيه تلافيا
 واريتنى كيف الهدى اشرافا
 جرف القواية والضلال تلافيا
 وان ارتقى العلماء والاشرافا
 وان ادعوا وتكبوا الانصافا
 ما لم يلاقوا واعظا لطافا
 كانت لكل مضرة اهدافا
 وعظ الورى فيعلق الاشنافا
 ل هواجر فى عمره الافا
 من وهزه بعظاته الاكتافا
 جعل الهوى فى جانبيه سلافا
 ضخم الكرادس لايميد ؛ معافيا
 شيخ المشايخ حاملا الطافا
 والطب يغدو تارة عنافا
 يبصر طبيب عيائه كتافا
 ما قط عاشر همدا اجلافا
 من هؤلاء تحولوا اشرافا
 من بعد ان كانوا هم الاظلافا
 الاقوام تهدي منهم اصنافا
 ول من ثمار نظيره اقطافا
 ك يرى له من دونه الاعرافا
 ما ان ترى فى الممرعات عجافا
 ن لسر شيخهم الهنى الاخلافا

او من عزيمة باسل متدرع
 ماذا اجمع ما يؤدى ما هنا
 تحكى كما يحكى الصدا من شعبة
 لكن ما قد كان حقا يجتلى
 مازال مكتنما وليس يراه من
 سر من الاسرار يلقيه الالـ
 واذا يمس كلام صاحبه القلوب
 فينيرها نور الهدى فيكون حا
 لاسعد الا ان تكون نظيرهم

يامن به عاد الفؤاد لا منه
 لك مايقوق حقوق من نجلا وقد
 انقذت من سنة تمدى سجعها
 واملت من رسنى الى جهة الهدى
 فباى شكر يلتقى من كان من
 من لم يقق لم يدر ما غفلاته
 ما اغفل المستمتمين هواهم
 لكنه هيهات ان يستيقظوا
 يضع الهناء مواضع النقب التى
 مثل الامام اما منا من دابه
 خواض كل تنوفة ركاب كـ
 ماقصده الا انتشال الغافلـ
 كم من جهول غافل فى اهله
 لم يدر كيف الرشدا وكيف الهدى
 سبقت سعادته قعيد لداره
 فيسيمه رغما دواء شافيا
 من ياب تطيب العيا بجنبه
 فاذا بذاك الغفل عاد كانه
 ادر العيون تر الاكوف وكلهم
 عادوا رؤوس الدين بين هدائه
 هدى يد الغيبة تسدى الى
 كل ينزل فى منازل ينسا
 هذا يرى الفردوس منزله وذا
 والكل راض والمقاصد واحـ
 فتراهم زمرا اذا ما يرضعو

يتواردون عليه هياما ثم يصعد
الله اكبر هكذا كنا سمعنا
كالشاذلي ونجمله المرسي ان
لكن يفوقهم الامام الشيخ قطب
بعزيمة فعالة قوالة
يلج البيوت على بنى الفلوات رغب
فيريهم نهجا الى خلاقهم
هذي المفآخر لا مفآخر قصعة
قد كللت بسديفها اطرافا

* * *

يا ايها الشيخ الذي فخرت به
دم للطريقة قائدا في رتبة
وعليك منى يمام تحية
وارع العبيد القدم من بعد لكي
سفن السعادة لاتي اجدا
عليا تربى الفرش والصفصافا
ممن حباك الفضل والانحافا
يسقى بكأس محبة فيصافي

لابن مسعود في هذه القصيدة نفس يريد ان يحلق به ؛ لو انه نقح القصيدة
وراجع بعض الفاظها ؛ لكن الخطب في ذلك سهل من امثاله الذين يلقون ما يلقون
على عواهنه وهي من قصائده التي خاطب بها الشيخ بعد رجوعه من السياحة
الاخيرة ؛ اعطاها له في المدر ثم بقيت في مبيضتها الى ان ظفرنا بها ؛ وكذلك هذه
التي يليها فقد ارسلها الى الشيخ في مرضته التي توفي فيها ؛ وقد سمع بانه ابل
من مرضته ؛ وهي

لبهنا الوري طرا باباللك السعد
ولاح لها من نور وجهك نورها
لقد ضجت الآفاق وانهد من قوى
بشكواك يافرد الوجود وزعزعت
مرضت فامرضت القلوب وحل في
وخلنا قوام الدين قد حان حينه
فحمدنا لمن بالبرء رد حياته
وفاض الى افراحه كل مشهد
غدوت معافي يا امام فعوفيت
وعاد ابسام مستنطاب مؤشر
ففي اليوم عاد الجو ابيض مشرقا
وعاد الفرار بعد طول تسهد
فهدي عيون الناس يغمرها الكرى
واصبح في تلك المعالم نافع
فماشئت من قوت القلوب تجيش من
فقد عاد منه للعلا البخت والجد
وزال بها من برتك البؤس والجهد
مكارمها ما لا يظن له هد
حلوم قروم دونها الشامخ الطود
سويدائها ما تشق من حمله الصلد
غداة راينا قطبه هزة المييد
فنتبلج البشري وينكشف النكد
من الخير واحلولى لراشفه الشهد
مكارم قد اشفت وساومها الفقد
الى فئة الايمان فالشكر والحمد
وزال ظلام النحس وانبلج السعد
الى نظرات طالما مضها السهد
وقد امننت وارتاح بالراقد المههد
من الانس طال عن نوافحه العهد
ينابيعه الامداد ما ان لها حد

نها الحب والتوفيق والشكر والزهد
 وشرعته حبا يذوق به الند
 د صب به اشقى على لحدته الوجد
 ملابس بهجات تفار لها هند
 مجال الكمال الحق ما دونه بعد
 بطيب شذاهم التهاثم والنجد
 قبورك عزا دونه الابلق الفرد
 د لا يستبيح جاره الدهر من يعدو
 ضعيف على الخذلان اعوزه الايد
 بهم تبلغ المني؛ بهم يقتفى الرشد
 الى العرش تحت بطشها الملك واجند
 اصول على دهر به تهضم الاسد
 وفخرى اذا الناس المفاخر قدعدوا
 غنيت؛ وكنز النطف يفنى له العد
 بسر جمال من اشعتهم يبدو
 يهيجك نور الحق ما دونه صد
 زمان قفوت العمر ليس له رد
 هنيئا فان السم يودعه الشهد
 من جدعان بل اودى بجفنته الاد
 ره الرأى لم تلبس له الادرع السرد
 سه زهرة فان وجد رقرافه فقد
 ستفظ بالتقى؛ والعلم ما فوقه مجد
 وفي غفلة عما يراد له العبد
 بتنفيره يوم الرهان التظى الوقد
 مصارع بقى هزلها فى الورى جد
 هلاك امرى ينماع من بطشه الفهد
 ض بالفتك دون ان يتم له الوعد
 على الشيخ والقيصوم فاغتاله الكيد
 عليه؛ ومن يحقر فلا بد ان يعدو
 عليه وقد يستهون الفاتك الجلد
 مزلة اقوال يضيق بها القصد
 فهم بهرج يبدو اذا سبر النقد
 عن الفى لاحتفل وان عدلت دعد
 سداء ولم يخب لرائده قصد
 يدود من الاكدار ما ان له حد

بها انتعشت من بعد ادوائها وزا
 وما شئت من حب النبى وصحبه
 وما شئت من روح يروح عن قوا
 وما شئت من ريحان نور يرف فى
 وما شئت من معنى شهود يريك فى
 كذا فلتظب اعمار زهر تارجت
 بهم يحتمى من سامه الدهر خسفه
 حوى الله لاجوار جار ابى دوا
 بهم فى دجنات النوائب يلتجى
 بهم تنجلى الحوباء والخزى والردى
 لهم همم تفرى الطبايق وترتقى
 هم اسرتى ونصرتى وبغزهم
 وهم مقتبى وفيلقى ومقاولى
 وهم كرشى وعيبتى وبجهم
 فياعاذلى كن عاذرى فى تولهى
 اخالك مختل المزاج وكيف لا
 فرد سلسبيلا واغتنم فرصة من ال
 ولا تغترر بالدهر يوسعك الجدى
 فما قر قارون على كنزه ولا ابى
 وغال نديم الفرقدى من اغترا
 فقبحا وشقحا للمفتن تطيبي
 وراقب على مدى الزمان الاله واح
 تهاونت بالانفاس وهى نفيسة
 فلا تحقرن فى الشر نورا فداحس
 وحاذر وان اركبت عزا ممنعا
 فكم كان من جرا تهور ناطق
 فذا عروة الرحال عارضه البرا
 اراد اجازة اللطيمة ذمة
 وماخاله بالخفر يجسر ضلة
 الم باقذاع فاوغر صدره
 ومن يعتصم بلبه لا يخاف من
 وكن نابذا من لم يعنك على الهدى
 وسر فى محجات الصواب منكبا
 فهذا امام لا تكدر بحره ال
 يوجد على الالباب من نوره كما

يحل باذن الله ما ابرم الشد
 نعم قطرة من سيبه دونها الجود
 والاحنف حيث الغيظ في جمره وقد
 بها سالك اليبداء جد به الجسد
 من الرق التنقيص؛ يا حبذا الورود
 سمروع كم يستمه ناب ولاحد
 الي غيضا الهطال ينتجع الوفد
 ولكنها كالدر ضمنه العقد
 بتعدادها من طيب انفاسه الهد
 بتوصيفه والعقل يحجزه الحد

* * *

تراجعت الآمال وانتعش المسجد
 فمك له الحيا يراوح او يغدو
 نهني به الاسلام حق له الحمد
 بها بهجة العرفان تم لها العود
 لكم عمرا ينمو به للورى الرود
 وغرب بها الوراد يغمهم ورد
 عبارات من امداحه حولكم تشدو
 يسبح له من فوق ممدوحه مد
 بليغ فما من جزر تقصيره بد
 صريح الغواني واللهي رشحها الحمد
 ابو الطيب الجعفي يقتاده الجد
 مرصع تاج ليس يصدأ والعقد
 تطيب به في روضة اللسن الملد
 لها الماس والياقوت والسلك والنصد
 يحوك ابن اوس حين فصحه الرفد
 ففي مدحك الطول الذي ما له حد
 كما هي عند من هو الصمد الفرد
 منمنمة ارقامها العزم والجد
 مدارك ذوق خالص ما له ند
 تفجره فيها مواعظك الهد
 بنور الهدى والشح يكنسه الزهد
 يديك ، وتوفيق الاله لها يحدو
 يربون يعلوهم من العصمة البند
 علي النفس الغالي فيكنفه السعد

متى حلت الاحزان واشتد عقدها
 ينسى ابن سعد جوده وابن مامة
 يشابهه في الحلم قيس بن عاصم
 هي الشمس ما من دونها السحب يهتدى
 هو المورد العذب الذي لا يشوبه
 هو الجنة التي متى ما اوى لها الـ
 هو الكعبة التي على كل ضامر
 يفوت القريض حصر عليا صفاته
 تطيب به اوقانتنا ويمدنا
 ومن نعته من نعت مولاه كيف لي

فياها الشيخ الذي بشفائه
 كانك روح الكون بل انت روحه
 فما نحن هنا امام وانما
 على ان بقيت في حبور بمتعة
 فمد الاله عن افاضة نعمة
 وتبع منه كل عين بمشرق
 فما انت الا الفرد تقصر دونه
 لئن سوغوا في المدح قول مبالغ
 فانت سموت المدح من كل قائل
 لعمرى لئن اطرى يزيد بن مزيد
 واغرب بل اربى على كل شاعر
 فجا بنى حمدان من نثاته
 واسدى لكافور ثناء مخلقا
 فانت احق بالقصائد ينتقى
 احق لعمرى بالمدايح فوق ما
 لئن كسبوا في مدحهم كل طائل
 فما انت الا الروح والروح علمها
 كسوت جميع العصر حلة همة
 فكل الاي قد ابصروك تنيلهم
 فكم قرية ماتت فاحييتها بما
 تزكزل فيها الجهل بالعلم والدجا
 فننقاد نحو السعد يقتاد هاجدى
 كذاك يكون الفخر بالرشد عندهم
 وما عصمة الصوفى الا احتفاظه

ففى كل قطر كان مشرق سعده (والغ) لنا فى عصرنا اشرق السعد

*

بقيت لهذا الدين تحمى ذماره بسطوة شهيم دونه الاسد الورد
وازكى سلام يعبق الكون عاطرا به دائما يغار من نشره الورد
على الحضرة الغراء لازال مجدها تظل الندى والعز افئانه الملد

ثم كتب ابن مسعود تحتها

تم تبويضها فى آخر يوم من ذى الحجة الحرام عام ١٣٢٨ هـ عرفنا الله خير
الدهور؛ ووقانا جميع الآفات والشروخ على يد الضعيف محمد بن مسعود الطالبي
تأان الله له وليا أمين

اقول ان القصيدة اذن بييضها قائلها فى اليوم النالى ليوم وفاة الشيخ
التي كانت فى ٢٨ من ذى الحجة المذكور وفى آخر اليوم نفسه وصله خبر وفاة
الشيخ

وقال فيه ايضا :

سلام كما ازدانت بصوب مرابع بها همعت للعاشقين مدامع
يؤم الامام الاوحد المرتضى الذى به رونق الهدى لمحياء راجع
ابالحسن ابن احمد الاحمدى الرضا ومن نوره فى الكون روح وساطع
فله قطر زانه منك طلعة نضىء بها الدجا كما البدر طالع
ولم لا وسر الله فيك وراثة عن الزهر من اهل الفضائل ناصع
يخاطبكم عبد ذليل تقاعست به النفس عن مطلوبه فهو شاسع
يرجى حياة القلب من فيض مالكم من السر والعرفان فالفضل واسع
فمنوا بنفحة تهب ولمحة تسر وتقنى من له العمر ضائع
وعذرا من الحفوق فالعبد عاجز وما لقضاء الله رد ودافع
بقيتم لاهل الدين روحا وملجا وكهفا به نجاة من هو قازع
وازكى سلام طيب وتحية عليكم كما العبيق فى الجو ضائع

وله فيه ايضا :

وافت لوصل الهائم الحيران من سفح مربعا الشذى النوراني
فزهدت بمسراها البسيطة وازدهت وترنحت طربا من الاظعان
وتعطرت ارجاؤها بعبير ما نشر النسيم بها كنفج البان
وانارت الاحلاك اذ بزغت بها شمسا يغار لنورها القمران
فكانها وبها حياة الكون مو لانا الامام العارف الصمدانى

الى آخرها وقد ادمجها الشاعر فى النونية الاولى المتقدم ذكرها .

وللفقيه الاجل سيدى محمد بن على السويرى المنشأ ؛ الاكادبرى الاصل
من اصحاب الشيخ قوائد فيه نرجئها الى ترجمته؛ ففى مطلع قصيدة (فيها ٣٣ بيتا)

قصدت حمى ذى الجباء المديد كرىم تسامى بغير نديد
ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

لحمى ذوى الفضل الكرام العنصر ياوى الذى يخشى خطوب الاعصر
ومطلع اخرى (فيها ٢٥ بيتا)

امولاي يا على ناداك ضارع بيا بك قد ضاقت عليه المذاهب
ومطلع اخرى نونية قالها فى مجلس حضر فيه الشيخ بالسورة (فيها ٢٢ بيتا)

احبة خير الخلق امته التى توالى لها البشرى وقرت به عينا
ومطلع اخرى

انفسى الجئى بالواحد الاحد الصمد فليس سواه فى المهمات يعتمد
ومطلع اخرى

ايا شيخنا الاعلى ايا ملجأ الورى ويا غوث اهل الجود والمجد والفخر
والاديب سيدى الحسن بن محمد الركنى من اصحاب الشيخ حين وفد
عليه اول يوم

ابو حسن نجم به السارى يهتدى ولكنه فلك النجاة لمقتدى
حوى البر والتوفيق والعلم صدره وقلبه بالانوار والسر مرتد
حماء من الدنيا الدنية زهده ومن كان ذا تقى عن الفانى يزهد
رمتنى اليه غربتى فقصدته قيانعم مقصودى ويا حسن مقصدى
وكتب اليه ايضا

الا بلغ الشيخ المربى بورده حديثى بانى مستديم لهده
واوصه بالصفح الجميل عن الخطا وذكرى عند ذكره اهل وده
وللعامة سيدى الحاج عبد الحميد الايلانى نزيل مدرسة سيدى يعقوب
وهو من الآخذين عن الشيخ

الا بلغ الشيخ الامام ابا الحسن بالغ تحايا من هده الى السنن
تحايا شكور شكر ترب اذا همى عليها الجيا فافتر زهر على الفنن

نصحت امام الدين نصحا جزاك من يخص ذوى النصيح المعهم بالمن
فانى منظوم بعقد صحابكم لعل تحت الظل اظفر بالجنن

وللفقيه سيدى محمد بن المحفوظ السملالى نزيل افران ممن ينتسبون
الشيخ سيدى سعيد المعدرى ؛ فهو صنو المترجم فى الانتماء الى هذا الشيخ
ه القطعة فى المترجم ؛ مع هذه الرسالة

« الاخ فى الله الذى اقامه الله فى هذا العهد شيخ الطريقة والينبوع الجامع
ربعة والحقيقة والباذل نفسه ونفيسه فى عداية العباد ؛ وفى رفع راية النصح
ارشاد ؛ سيدى النجاح على الدرقاوى ؛ فالسلام على الاخ فى الله ممن يعرفون
ما انتصبت له احتسابا ومقدار ما تلاقونه من الغوغاء كلما طرفتم بلدا بلدا
ببركم وحسن نيتكم وجميل قصدكم نصركم الله فى هذا الصقع نصرا موزرا
الجهلة المبطلين كما هي عادة الله فى نصر المحقين ؛ فعاينكم الله ووفقكم
ما انتم فيه ؛ فاننا نقر بالعجز فى هذا الميدان ونرفع عقيرتنا بأن ليس لنا
الجرى فيه والعمل فيه صباح مساء مثلكم يدان ؛ وهاك ياسيدى ابياتنا
مرت فى جنبكم اقدمها على حياء الى اعتباركم وان لم اكن اهلا لهذا الشأن
تريض لى فى ميدانه لسان :

انت خير الشيوخ فى الاقران وفريد للنصح فى الازمان
كل يوم نظل فيه فتغدو ثم تمسى تقناد من عميان
فجميع القرى درت منك جدا واجتهادا تهدى بنى البلدان
كم جهول علمته الدين فالنا ح اماما والغير كالبعران
صدقت فيك قولة الشيخ اذ قسا ل مقالا قد مر فى الاذان
سوف يغدو للناس فى ضوئه جه سرا كما ضاء فيهم القمران
رضى الله عنك ياسيدى فالـ شاعر ما ان يصوغ منه لسانى
وسلاما من ابن محفوظ يغشا ك من الله سابغ الرضوان

والمقصود بالشيخ فى البيت الخامس هو سيدى سعيد المعدرى رضى الله عنه
اقول اننى هنا لا اتحيز فاننا نكتب للتاريخ لا للادباء اصحاب الاذواق وخدم
سما مجونى فى سوقنا لامثال هذه الابيات ؛ وما اكثر امثالها فى الكتاب
وللشريف الركائبى الفقيه العدل محمد الوالى بن البهالى نزيل مراکش ممن
نوا عن الشيخ قصيدة فيه مطلعها

ابدر بكل الافق لاحت شمائله وعم سناه العالمين ونائله

وجد ماوقفنا عليه منها فى ترجمة المذكور فيما سيأتى ان شاء الله فى القسم
ابع

وللعامة سيدى محمد بن عبد الله الالفى مؤسس المدرسة يخاطب المترجم
لورد الى الخ من بعض سياحاته قطعة مطلعها :

سلام كما المسك والعنبر على من من ادران وصف برى
وتوجد كلها في غير هذا المكان

وله اليه ايضا يستدعيه

ابا حسن مني سلام عليكم على رحمة تترى لدار سلام
وبعد ففي دار العبيد جماعة من اخوان صدق طاهرين كرام
وانك سر الجمع فاحضر اذا تشا فاتيانكم والله قصد نظامسى
وان نالك الاعياء او عن عارض فانت برىء من عتاب ملاهى
وثم عليك حيثما كنت دائما سلام بسء امركم وختام

وكتب اليه العلامة سيدى على بن عبد الله صنو المتقدم يستدعيه ايضا:

ابا حسن انهى لحضرتك التى زهت بشذى العرفان ازهى سلام
تشيعه منى الصباة فانتحا فيزرى بزهر الروض فوق كمام
وبعد فاعلام المحب بحبه اتى مسندا الى شفيع انام
وعندى لكم فى الحب اوفر منصب ينادى الا زوروا وذاك مرامى
ولما عرتنى وحشة من فراقكم بعثت نيابة كتاب نظامى
اجب دعوة المشتاق لازلت داعيا الى كل ما يفضى لدار سلام

وفى يوم من الايام كان الشيخ استدعى العلامة المذكور بقوله

ابا حسن زرنا على عجل ومن نجب من الاخوان طرا بلا فرق
اجب دعوة المحب من كان قلبه لاجر شوقكم مدى الدهر فى غرق

فاجابه بقوله

اجيب بجنمانى وقلبي لديكم رهين فما احل اجتماعا على فرق
فالزلت بحر الجمع والفرق من يخضه سه يحظ بنيل الدر منه بلاغرق
وانهى الى علياء قدرك انسى اظير اذا ما كنت فى الغرب من شرق
ومن لى بان ابقى اذا ما دعوتنى وقلبي الى لقياك فى شدة الحرق

وكتب هذا العلامة الى الشيخ ايضا يستدعيه يوم عيد

ابا حسن تمم مسرة عيدنا باقدامكم فالعيد وجه وديدنا
فعيد ولم تحضره مازال ناقصا فحق علينا جبر نقص لعيدنا

سلام على النسيب الحبيب والداعى المجيب والواعظ النجيب والنطاسى
الطبيب الصهر الكريم والاخ النبيع الحرير سيدى على بن احمد وبعد فسل
خاطرك عن مراد هذا القرطاس وامثله قبل تكدر الخاطر بالاياس ازاح الله
عنا كل باس

فاجابه الشيخ بقوله

وفيت بما نهوى جزيت جزاء من يرى في الوصال للاحبة قرته
وليس يجازى مثل هذا اذا توى لدى ربه الا بمشواه جنته
واستدعى الشيخ ايضا المذكور مع وفد من العلماء الافرانيين بهذا
البيت :

ابا حنن هذا غداء جميعكم لدينا فجيئونا لدى ساعة الضحى
فاجابه

عليك سلام يا كريم معبر يتوج منك الذكر ما دمت تذكر
فلييك من اخوان صدق تراهم كستان زهر الورد حيث ينور
الا فانتظرنا حينما يمتع الضحى لان بهذا الجمع من لا يبكر
وذيل عليها بعض العلماء ولعله شيخنا سيدى الطاهر وان لم يكن من نفسه
واحسب انه لم يحضر فى هذا الوفد والالكان هو المجيب

على اننا لا نبتغى غير نظرة تكون بها الاذبال منا تجرر
فلولاكم حددتم الوقت لانتحى لحضرتكم يا شيخنا من يبكر
وللعلامة على بن عبد الله المذكور قطعة فى زاوية الشيخ الالغية يوم اسست
فى شوال عام ١٣٠٢ هـ مطلعها

بيت اتيح الخير من وجهاته فاتيح ما ينكا الحسود القالى
وقد تقدمت حين ذكر تاسيس الزاوية فى اواسط هذه الترجمة
ولشيخنا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى يخاطب الشيخ مهنتا بولده سيدى
محمد ما مطلعاه

اتى نيا دال به دولة الانس واضحت به العلياء طيبة النفس
وتوجد كلها فى ترجمة سيدى محمد المذكور فى (الفصل الثانى) من هذا
القسم نفسه
وله ايضا ترجيبا بالشيخ ورفيقه سيدى على بن عبد الله ؛ وسيدى بلقاسم
التاجارموتنى وقد وفدوا عليه الى افران

هنيئا لقلبي والهنا على مثل يحق وقد جادت موالى بالوصل
راى الدهر ذلى واشتعال صبايتى فرق واوى الفضل منه على بغل
فانشدت قول ابن الحسين واننى لاوى به والشكل يذكر بالشكل
(وليس الذى يطلب الوبل رائدا كمن جاءه فى داره رائد الوبل)

ووفد مرة الوفد الافرانى الى الخ . وفيه العلامة سيدى الطاهر بن محمد والاديب
سيدى البشير الناصرى ، فصادقا الفقيه سيدى محمد بن الطيب الانراضى فرحب
بهم الالقيون على عادتهم بالقصائد ، يقول كل اديب من الالغيين فيجيبه احد
الافرانيين ، والغائب ان يكون سيدى الطاهر
فقال الشيخ المترجم فى الترحيب بالوفد مسائرا وان لم يكن فى مسالخ الادباء

بشير و طاهر ونجل لطيب ثلاثة اقمار بيض طواسع
فضاءت ونارت ارضنا بطلوعهم فابدت نهارها البدور السواطع
وان شيمت قلت فارة المسك فتقت فطابت وفاحت النواحي الشواسع

فاجابه سيدى الطاهر بن محمد :

انفح نسيم الروض والروض ناصع ام انشق معروف من الفجر ساطع
ام ابتسمت هدى الثلاث كانها (ثلاثة اقمار بسبيض طواسع)
بل انها من بحر شيخ تلاطمت معارفه او علمه المستتابع
امام اضاءت من سنا نور سره قلوب غدت من قبل وهى بلاع
وعطرت الارحاء من نفح طيبه فطابت وفاحت النواحي الشواسع
هو البدر اشراقا هو البحر نائلا هو السيف تائرا؛ فهل من ينازع؟
امام الهدى الشيخ ابن احمد من علا على البدر مقدارا فاقصر طامع
فلا زالت العليا تزهر بنوره ويجرى كما يبغى القضا ويطاوع

كان الشيخ المترجم بنى ثوبا (١) زاهى السقف . تلونت فيه الالوان . مما
يعد كالبديع بين القصور اذا قويس بيوت الاضياف التى يعتنى بتبييضها
وتلوين خشب سقوفها عند اثرياء الخ . فقد وقف سيدى سعيد التنانى على
ساج السقوف فى السورة حتى تم تلوينه وتزويقه على يد امهر النجارين المزوقين
ثم حمل مفرقا الواحا الواحا على البهائم الى الخ حيث وضعه صانع ماهر فى
سماء الثوى بعد ماسقف مافوقه بجوائز عادية ؛ وقد ذيل مستدار مافى السقف
الى ما تحته من الجدار بذلك الساج على الجهات الاربع ؛ ليستتم البصر بهجته
ثم فرش الثوى وهو فسبح بفرش حضرية من الزرابى المزركشة والمساند
وبعض الحشميات وراءها حائطى رفيع . وفى ربع من ارباع المكان صف مسن
الساعات الكبرى ذوات القامات نحو ثمانية تدق كلها على راس كل ساعة وهذا
كله غير معروف فى الخ فكان اضياف الشيخ يستأثرون بالجلوس هناك وحدهم
فوجد بعض المستأثرين من شباب الخ مسرحا جديدا لقرائهم ؛ فقد رايت من ذلك
قطعا لا يستحق ان يعتنى بها ؛ فاخترت ماياتى وقد كان الالقيون يسمون ذلك
الثوى (الكايضة) وغيرهم القبة . قال العلامة سيدى الطاهر بن محمد الافرانى

(١) الثوى كغنى البيت المعد للاضياف

ويا واحد العلياء من دون مائان
 بما ضمنت من كل حسن واحسان
 وقد سفرت تزهو بحلية اتقان
 على روضة اكمام ورد وريحان
 كما لاح نجم الافق في الشفق القاني
 تبدت به شهب المطالع للرائي
 ترن بما يزرى برنات الحان
 بتنبيه ساه او بايقاظ وسان
 فأربت معاليه على كل بنيان
 من المفخم الباقي الى الزخرف الغاني
 سد رب الوري فيها لابرار عبدان

اياتاج هام الفضل ياملجاً العاني
 بنيت لاهل الله دارا ترفعت
 تجلت عروسا للعيون فاصبحت
 سماء كما حل النسيم اذا سرى
 فمن ناصح في ناصر حول احمر
 محاسن تعشو العين منها كانما
 لقد علقت فيها (مواكين) لم تزل
 تذكر وقت الدين في كل ساعة
 مكان رسا بالدين والعلم والتقى
 لك الله من بيت رفيع بما حوى
 يذكرنا جنات عدن وما اعد

ومن ذلك ماقاله ايضا بعضهم واخاله ابن مسعود او لاحد الازغاريين

بزراب منوعات انيقة
 كزهور تنوعت في حديقة
 وتعاريج ضخمة ورقيقة
 راي عين كدرة في عقيقة
 جب لها زهرة الرياض انفتيقه
 ت بعينيك باهرا عن حقيقة
 معجبات قاماتها مشوقة
 ست برناتها لكل دقيقة
 تة نفسا بربها صديقة
 ستاج نحو الفردوس اي مشوقة
 من بناها لعلية دون سوقة
 سخ نهج الهدى وانفق سوقه
 لكسول محاول ان يفوقه
 من سناه صبوحه وغبوقه
 مصدر عن شريعة وحقيقة
 يدرك الزائرون الخ شروقه
 دانيات الجنى بخير طريقة

هذه (كيزة) الضيوف الرشيقة
 فوقت بالالوان حتى تراها
 تتراى الوانها في خطوط
 تلك بيضاء حشو حمراء تبدو
 افقها زهرة وفي ارضها فاعـ
 واذا ما نظرت جنبيك ابصر
 (ماكنات) بطولها قائمات
 تذكر الله في كل وقت اذا دقـ
 بهجة فذة تشوق الى الجنـ
 كل من زارها يرى نفسه نهـ
 رضى الله عن امام البرايا
 من ابان الدين الحنيف به في الـ
 خير شيخ قد فاق بالجد فاعجب
 كان لله مخلصا فحباه
 جهل ايها الظماء لشيوخ
 فهو غوث في العصر هذا وبدر
 فاته يامريد تجن قطوفا

ومن ذلك قطعة للفقيه سيدى موسى بن الطيب يقول فيها

الا نزه العينين في خير ماقية
 ففى سقفاها او ارضها وجه روضة
 تشوق من يعنو امام الهه
 لخير امام حائز خير ما رتبة
 ازاهرها شتى واكوابها عذبة
 لجتته ترضى عبادته ربه

لخير امام حائز خير ما رتبة
 ازاهرها شتى واكوابها عذبة
 لجتته ترضى عبادته ربه

فمن مثل هذا الشيخ جمع حوله من الدين للدنيا قضى بهما نجسه
ومن ذلك قطعة للامام سيدى محمد بن مسعود ، وهى اكثر من هذا ، ولكن
لم استحضر الا ما ياتى :

لله سيدنا الشيخ الامام وما ابداه فى الحسن مما يخلب البصرا
بنى بناء لمن لا يبصرون سوى ما يبصرون كأن لم يرزقوا الفكر
للعارفين شهود فى مقاصدهم ويستوى عندهم ما سر اوجهرها
للجهر والسر اسرار وعندهم فى السر معنى جلى عند من بصرا

ومن ذلك قطعة للاديب الشاب المعتبط سيدى الطاهر بن المدنى الناصرى
وهو اذذاك فى المدرسة الالغية

الى بيت اهل الجود والفضل والرشد
فبيت الضيوف عندهم خير مبتنى
ترى العين فيه مثل روض تفتحت
قله مثوى الشيخ سيدنا اذا
عليك سلام ما تقوم على الهدى
أميلوا عنان المدح والشكر والحمد
يعيد به الصباغ سقفا كما يبدى
به الزهر او كالدُر فى وسط العقد
يفوح بعرف العود فى الجو والند
فتهدى بما اوتيته من سنا الرشد

واخرى له ايضا

قله بيت شيد للدين والتقى
يذكرنا جنات عدن وما احتوت
فلازال محفوا بالطاف ربنا
وذكر لاهل الله فى كل ما شان
عليه ، وما ابداه ملك سليمان
فيطرد عن اطرافه كل شيطان

وبعد ما بنى هذا التوى بسنين بنى العلامة على بن عبد الله ايضا مثله ،
فهناك زحرت قصائد الادباء فى وصفه وصفا شعريا حقيقيا ، لامثل هذا الذى
لا يرى فيه القارىء الا محاولات ضعيفة لاتسمن ولا تغنى من جوع ، ثم ان هذا التوى
تهدم سريعا بعد الشيخ حوالى عام ١٣٤٠ هـ خر على من فيه ليلة فكاودا ويهلكون
وبعد فقد خوطب الشيخ من اخرين بقواف يجدها القارىء فى تراجمهم
مثل الذى جرى بينه وبين صهره العلامة سيدى محمد بن العربى الادوزى ،
فانه يوجد فى ترجمة والدتى رقية فى (القسم الثانى) من هذا الكتاب ، كما ان
هناك ايضا قصيدة «هز الراية الجعفرية» لابن مسعود فاننا نختصر فى حذفها هنا
لانها ذكرت فى مؤلف مستقل (الترياق الداوى) ومطلعها

ياصاح اصغ لسيرة الصمدانى قطب الورى الالغى قطب الآن

كما ان هناك ايضا قصيدة اخرى له نونية مطلعها

صدحت مطوقة بائل البان ام نفعة وردت بريح البان

فهي التي تسمى «تحاف اهل الاعتقاد والوداد» ، بما للطريقة الالغية من اسنى الاسناد» فانها مؤلف على حدة ، شرح كثيرا منها مؤلفها في مجلد ضخم وهي التي ذكرنا بعضها قريبا في اول هذه القوافي

وحين رجس الشيخ من حجته كتب اليه العلامة سيدي الطاهر بن محمد من تارودانت بهئته

تأرفت لما شمت برقا حجازيا
وذكرنى اعلام طيبة فائتى
وغادر جسما لوبغى الفوز لامتنى
وساد مع الركب الكرام يقوده
فيقضى لباتات الهوى كيف يشتهى
فيافوز من امسى بطيبة نازلا
يروح ويقعدو فى مسارح جنة
يقلد جيدا عاطلا عقد مفخر
ويغسل قلبا سودته ذنوبه
قيا ليتنى قد نلت لثم تراها
وياليتنى اذ فاتنى نلت نظرة
محيا الكريم الفاضل الندب من غدا
ابى حسن بدر الهداية من دعى
ولكنه لى النداء مسارعا
ووالى السرى حتى اذا ما بدت لسه
وعفر فى مئوى النبى جبينه
هنيئا له نال المنى واحق من
فيا سيدي ابشر بذخر شفاعة
قدمت فضاء الغرب واهتز عرشه
يباهى بك الغرب البلاد ومن تكن
وانى ممن كان ودك عقده
وكنت ارجى لثم كفك شاكرا
فارسلتها تمشى اليك وتستضى
واغض وان قصرت فى الحق فالتوى
وجد بدعاء يعق النفس من ردى
عليك سلام كالنسيم اذا سرى
وقال ايضا يخاطبه وقد ذهب
اتيتك حبوا للزيارة عندما
ولم الف احمى منك فانصر فانه

بدا اذ غدا للجو ثوب الدجازيا
بقلب لنا والوجد مازال صالحيا
مطى الهوى اوصار بالجفن ساريا
زامم الهوى حتى ينال الامانيا (١)
ويحظى بوصل لم يخف منه واشيا
بخير رسول كان للضيف حافيا
ويجنى بها تمر المكارم دانيا
ويلبس ثوب العز اسبغ ضافيا
ويشرب ماء المجد اغزر صافيا
واحدثت لى فيه بعيدا لظماريا
بوجه سعيد زار تلك المساعيا
على هامة التسرين بالجد ساميا
الى الفوز فى جمع قلم يك وانيا
وصار على متن الصباة ساعيا
أباطح سلع جدد العزم راميا
فاصبح فى ليل القواية هاديا
يهنا من زار الطبيب المداويسا
واجر كبير لم يزل متواليا
سرورا وما ان زال مدغبت داجيا
اماما له لا ريب فى ان يباهيا
فباح به دمعى ولفظ لسانيا
قد ومك لكن حيل دون رجائيا
بنورك ان ضللت تبث التهانيا
زمانى بهم وقعه غال باليا
تملكها مازال يملأها عيسا
يحدث عن اعلام طيبة راويا
لزيارته يستغيت به فى امر عناه
غزاصر هذا الدهر فكرى فاحجما
تجمع واستعدى الحياء والعجما

(١) الباء فى الزى وفى الرى مشددة فى الاصل وكذلك الامانى المذكورات فى القصيدة

فادرك فان المرء ينصر جاده فكان الشيخ بعثت الى سيدى الطاهر هذا اللغز في اسمه

فما اسم رباعى الحروف ترى الذى هو الثانى اولا ونسبة اول وثان وثالث بجمع من ، آخر وثانيه خمس ثالث تسع اول الا فبالغير سر وفتش على الذى ترد اليه المعضلات بمجمل ولاسيما ان طاهرا او عربيا تلقيته فانزل وبت خير منزل

جواب سيدى الطاهر

اتنتى فحلت من عقال الردى عقلى ووافت فؤادا قارب الحتف بعدما فضلت على فرط الصباية والجوى فهشت بها ارض القريحة مثل ما فحق لها اوفى النصيب بقوله خلقت بمن اعطى الخلاق خلقها وخصك منهم بالعارف والحجا لقد كدت اذنا جيتها فرحا بها ولكنها من بعد ان سر وصلها فقلت لها ناديت والله ميتا ولما اُبت الا الكوفاء وليس لى اجبت ولكن الفهاة اخرست اشرت الى اسم لاسمى وراءه فاولسه تسع وثنائيه واحد فمجموعها عشر وخمس وعزوها فهاكه نظاما وفق ما كنت تبتغى فمعذرة متى الى عفو سيدى وما كنت لولا ما كلفت بحبه ودم سيدى للمشكلات نحلها وجد الضعاف العزم يرجون دعوة عليك سلام ما تلذذ عارف

والغز له الشيخ ايضا فى اللوز بقوله

وما اسم ثلاثى الى العز ينسب وثنائيه خمس اول وهو يضرب بخمسة اسداس له اول جلا

(١) تلميح الى قوله تعالى ومن احيانا فكأنما احيانا الناس جميعا

(٢) المسقب كفلس ولد الناقة والبازل الكبير من الابل

الجواب

تأملت لغزا اتعب القلب حله وعاناه حتى بان لي انه اللوز
ثم الغز سيدى الطاهر للشيخ فى القلم بقوله :

وما اسم تراه كلما سار يركب ويمشى يجد سيره وهو يلعب
ومفهومه مهما قلبت حروفه يدل على شوق يهر ويعذب
ومهما طرحت ثالثا جاء لفظه بامر كلام نلت ما كنت تطلب
ومهما ضممت ثالثا للذى تلا فقلب فعنه الميل ما كان يذهب

الجواب من الاستاذ سيدى على بن عبد الله عن الشيخ

قلم البليغ يبين لغزا منبأ عن غور فهمكم السليم الاتق
يمشى ويركب وهو امر مشكل والعطف مفهوم لفظه المستعذب
قل يبق بعد ذهاب حرف ثالث والميل مفهوم غيره المستقلب

والغز ايضا سيدى الطاهر للشيخ فى النخل

خليلى دلانى على شاحذ الذهن يبين لفظا فكرتى منه فى رهن
هو اسم اذا نسبت اول لفظه لثائبه كان نصف سدس بلامين
ثلاثة اعشار لسدس يجىء ان نسبت لثان ثالثا دمت فى امن
ومقلوبه ان كنت صحفت لفظه يدل بحكم النحو فاعلم على شين
وتصحيفه من غير محن يفيد ما صنعته فى غاية الصون والحسن
الا فابحثا واستنقذا الفكر دمتما ولا زلتما مستسهلى كل ما فن

الجواب

تأملت هذا اللغز يا ايها الغل فبان كشمس فى الضحى انه النخل

بعض منظومات نفثها الشيخ

لم يكن الشيخ ممن تربوا تربية ادبية حين كان يدرس فى مدارس تازروالت
وتانكرت وادوز ، لانك رايت من حاله اذذاك ، انه لايعنى الا بالعلوم الرئيسية
فى بيئته وما يبقى له من الوقت لايمضيه فى مطالعة كتب الادب التى تكون
الذوق الادبى ، وانما يمضيه فى مطالعة كتب القوم ، او فى مناجاة ربه ، اناء
الليل واطراف النهار ولكنه مع ذلك ربما ينث بعض ابيات لاينكرها ارباب
الذوق غالبا ، وفى مجموعة صغيرة عندنا كل ما صدر عنه وذلك قليل ، وهاك
الآن بعض ما اخترته من ذلك مما لايفمض فيه اديب

سعد الفقير وساعدت اوقانه ما دام من أذكاره أقوانه
بالله يفرح كل قلب ما له غير الاله اذا سمت نظراته
ان المرید مراده فى ربه فبه تتم لقلبه شهوانه
من لايرى فى الكون اجمع ربه بوجوده فهل انجلت مرآته ؟

ومن ذلك في موضوع مخالفة النفس وهواها

بحد سيوف الذكر فاقطع رقابها ولازم بخلف ما اشتتهه عقابها
فان عقاب النفس مهر عرائس السمعارف ان انجزت تجل نقابها
فتجنى ثمار الحسن من نوروجهها وتجنى على الوصل الشهى رضابها
عليك بشرب الكاس من راحة لها فلم يحيى الا من يذوق شرابها

ومن ذلك ايضا يخاطب من اسمه موسى وربما كان الفقيه سيدى موسى الكريشى:

اموسى اجمعن فى الله همتك العليا واعرض عن الدنيا ومن كان فى الدنيا
تفرغ بقلب لكن يزال مولها بذكر كثير كى تكون به حيا
وان حياة القلب بالذكر وحده وهل بسوى ماء نبات الثرى يحيى؟

ومن ذلك ما قاله يخاطب به من اسمه مبارك ، ولعله سيدى مبارك الميلى الشير:

ادخل مبارك حضرة الرحمان بعزيمة المستوفى الربانى
وانس السوى حتى يكون مشعشعا منك الغواد بساطع نورانى
فالسر كل السر فى ان تفتدى فى حضرة قد كنت فيها فانى
ان العبودية التى يابى الهوى فى النفس منها اس من هو بان
فعبيد ربك كن ولازم منها قد مهدته شريعة الرحمان

ومن ذلك ما ناسبه اليه العلامة سيدى محمد بن مسعود المعدرى

ولى مذهب فى العشق منفردا به فلست ملونا بوجد ولافقد
قد امتزجت روحى بروح احبى فلا وصل فى قرب ولا فصل فى بعد
فمن شاء فليصل ومن شاء فليصل فحالى لم تحل عن الود والعهد

ومن ذلك ما اجاب به ابيانا ارسلها اليه شيخه سيدى محمد بن العربى الادوزى
حين زف اليه بنته التى هى والدتى ، رحم الله الجميع :

جزاك اله العرش خير جزائه ايا شيخنا اوليت فوق المنى جزما
زفقت لنا البنيتين بنتا لفكركم وبتنا لصلبكم فدى نعمة عظمي
جمعت لنا اختين والعقد واحد وما كان ذاك فى قضيتنا اثما

كان الشيخ قال فى الشطر الاول من البيت الاخير هكذا زفقت لنا البنيتين
فى عقد واحد ، باضافة عقد الى واحد من اضافة الموصوف الى الصفة ، كما ورد فى
الحديث : الكعبة اليمانية باضافة الكعبة الى اليمانية ، على ما فى بعض الروايات
ثم ان الاستاذ سيدى محمدا الرفاكي اصلح الشطر بما رايته

ومن ذلك يخاطب جماعة من ارباب القلوب :

لله دركم يامن لهم دول
 انتم فؤادى وما مولى وملتجئى
 وبابكم هو باب الله من غلقت
 ومعشرى كل اهل الله قاطبة
 فنظم جوهركم يسرى به المثل
 ومن بهم نحو ربي الدهر مرتحل
 ابوابكم دونه ما ان له حيل
 والله قصدى ومالى فى السوى امل
 ويكفى هذا القدر

غيرته الدينية أمام الاحتلال

لا يزال الى الآن يطن فى اذان من كانوا يعيشون فى سوس سنوات ١٣٢٥ هـ
 ١٣٢٨ هـ ، من تلك الصرخات الصاخة ، التى كان الشيخ يرسلها فى المجمع
 وفى الاسواق وفى المواسم ، وفى كل مجلس ، حين يستنهض الناس لمقاومة
 المحتلين الذين نزلوا اذذاك فى الدار البيضاء ، فكادوا يغمرون بدسائسهم وبحيلهم
 وبمكائدهم على ايدى العيون السريين كل نواحي المغرب من ادناه الى اقصاه وهذه القيرة
 الهائجة الثائرة كانت معروفة عن الشيخ ياترها عنه اصحابه قبل هذا الحين
 وكثيرا ما كان يغارها من سنة ١٣١١ هـ عام موت الملك مولاي الحسن ، فى
 مجالسه الخاصة اذذاك ، بل كانت له فى رحلته الحجازية جذوة متأججة فى هذا
 الموضوع فاسمع لما يقوله فى هذه الرحلة يوم يفارق تونس وذلك سنة ١٣٠٥ هـ
 اثر ما قص كيف احتلت تونس بعد الجزائر :

وقد جرى فى اءخر الايام
 ان كنت من بعد صلاة العصر
 اعنى به ذاك الذى سطرته
 مستندا الى عمود الشاذلى
 ذاكرنى فى العقد للمحبة
 فقال بلفن الى الرسول
 فقال قولاً الهب القلوبا
 وحرك الاشباح والارواحا
 قال اذا وصلت قبره الشريف
 وفازت النفس هناك بالمنى
 فقل له يا ايها الرسول
 وانها لامة مستضعفة
 حتى غدت كاللحم فوق وضم
 رموا وراء كل ما خلفنا
 ونبدوا الدين سوى اطلال
 واقبلوا كلهم للشهوات
 هناك مع فد من الاعلام
 فى جامع الزيتون عند الحبر
 وبرقيق القلب قد ذكرته
 وهو مكانه لدى الاصائل
 لله كالعادة فى الاحبة
 متى حظيت منه بالمول
 حتى تكاد منه ان تذوبا
 وحرك الجبال والبطاحا
 وكنت اثناء مقامه المنيّف
 واكتحلت عينك منه بالسنا
 غر بنى ملتك الدهول
 احتوشتها أمم مستضعفة
 من يفتح الشدق اليها يلهم
 وضيعوا فى الدين ما اسلفنا
 تبدو لما اسست كالظلال
 كأنهم قد خلقوا من شهوات

فباسهم بينهم شديد
بيناهم في غفلة ووسن
اذ دهمت بين الديار الجلي
قد زعزعت بلادهم كفسار
فاستحوذوا على بلاد امتك
حتى غدا كل بنى الايمان
ودينهم مهتهن عيانا
قد مزقوا وشتتوا واحتقروا
فهاهم في صقعهم لاحولا
وما لهم وجه به يستشفعون
سواك يا خير البرايا عنده
فليس للمستضعفين غير
فانت باب للدعا فيستجاب
بلغ الى نبينا هذا الكلام
يقول ذاك والدموع في العيون
والصوت بالنحيب عال وانا
حتى عراني الجذب في الحين كما
ثم جرى ما بيننا صموت
فلم يكن مني ولا منه كلام
اذ قرب المغرب فاشرقنا
من ليس ذا حزن لضعف الدين
وكيف يرضى مومن ان يحكما

وقد كان الشيخ لما التقت حلقتنا البطان على المغرب ، لا يدع مجتمعا الا نادى
فيه بالبراح (١) ان الزمان قد استدار . وان الكفر قد وغل عليكم وسيحتل عقر
الدار ، وهو في اثناء ذلك يشتري السلاح ، فقد عدما تركه بعد موته بست عشر
بندقية رومية زيادة على البنادق الاهلية ، وهذا القدر من اسرة واحدة كثير فوق
جهد الطاقة ، وقد كان معلوما ان مثله كان يعاب عليه ان يلنفت الى السلاح لانه
صاحب زاوية وقدرات من اهله المرابطين مارايت من انهم لا يكادون يتسلحون
وان تسلحوا يكاد السلاح لا يجدى في ايديهم بين جيرانهم المغاوير كالمجايطين
والحرييليين ، ولسان حالهم ينشد :

على م تقول الرمح يتقل عاتقى اذا انا لم اطعن اذا الخيل كرت
هذا في ذلك المقام بين الاهالي ، واما في الاستعداد للدفاع عن الوطن فان
ذلك مقام اخر ، ويرحم الله من اظهر من ضعفه قوة وانما الاعمال بالنيات *
ثم ان الشيخ كان يحمل معه في السياحات بندقية بين يديه وهو راكب

(١) البراح كشداد : المنادى في الاسواق عادة

فهكذا ورد الى موسم تازاروالت حيث أمر بالثناء فوق المراكع (١) : ان يتهيا الناس وأن يستعدوا للجهاد ، فان الكفار قد دهموا البلاد ، وكذلك كان يوما ، اخر في سوق الخميس بايت بعمران وقد اجتمع كل رؤساء القبيلة فاستحثهم على ترك المخاصمات بينهم ، وان الوقت قدحان ليتكفل الناس كلهم امام العدو ويجب على جميع الرؤساء ان يامروا المرابطين والعلماء والطلبة ان يتكفوا في السلاح . فهم اولى من يفود الناس الى الشهادة في سبيل الله فيبينما يقول ذلك ، اذا الاشكر - الرئيس هناك - يتخذ كلامه سخرية اذ قال له «لن نقوم بهذا الذي تقول حتى يموت جميع اصحابك هؤلاء امامنا ويستشهدوا واذا ذاك نقوم بعدكم بدورنا» فالتفت اليه الشيخ محمر العينين وقال : «اوقد استتكت ان تسمع الحق وابيت ان تنقاد للنصيحة ، فها انتذا تاتي ان تدافع الكفار بعيدا ويوشك ان يدهموا عليك دارك حتى يخربوها» ثم اعرض عنه الشيخ كعادته متى خاطبه الجهال ، فسبق القضاء ان خربت داره بعد نحو ست سنين بيد الجيش الفرنسي الذي هاجم تلك الجهة سنة ١٣٣٥ هـ فكان عبرة لمن اعتبر ، ولا يزال الحاضرون الذين هم احياء الآن يروونها من فراسات الشيخ

وكذلك ذهب الشيخ عام ١٣٢٨ هـ الى جيوش تجمعت في هشتوكه للقتال بينها ، فنادى في رؤسائها يكفيكم من هذه الفتن يكفيكم ، فقد توجه اليكم من الاعداء - ان لم تدافعوهم - من لا يكتفى منكم بمال ولا بارض ولا بدين حتى يستعبدكم انتم وانباءكم ، في كلام طويل مثل هذا يتداوله الناس متى تذكروا بعد الاحتلال النذراتي يسمعونها من الشيخ ثم لا يابوهون بها فلم يعرفوا حتى خرجت البصرة

وكذلك وقع للشيخ ايضا مع رؤساء اهل المعذر فبعد صلاة الجمعة في مسجد القرية ، خرج الناس الى خارج المسجد ، فوقف الشيخ يحثهم على جمع الكلمة وعلى تعيين حراسة على فرضة اكلوا ، فقال له قائل ان العدو لا يزال بعيدا عنا فهو في الدار البيضاء ، ولا يصلنا الا بعد عشرين سنة ان لم يحل بيننا وبينه الدكاليون والحوزيون والحاحيون ، فحرك الشيخ راسه فقال يا عجب ان المسلمين كالجد الواحد وهذا الامر يجب ان يكون فيه الناس كلهم بدا واحدة فمتى تركنا الدكاليين والحوزيين والحاحيين فلا بد ان يغلبوا ان لم يعنهم السوسيون وامثال السوسيين ، على انك يا هذا - يخاطب ذلك القائل - تستبعد ان يصل العدو هنا ان لم يقاوم بالجد ثم تنفس الشيخ الصعداء واغرورقت عيناه بالدموع فقال وااسفا ايها الناس فوالله ان لم يقم الناس في هذا الامر قومة واحدة لترون الكفار هنا ، هنا ، هنا واثار الى ذلك المكان ثم غلب الحلال على الشيخ

(١) محل يجتمع فيه الناس كلهم بعد الموسم للدعاء جوار مشهد الشيخ سيدى احمد بن موسى

فغلبه الاستعبار فانفتل عن القوم ، قال الحكاكي ثم لم يمض الا سنوات قليلة
فاذا بي شاهدت المراقب الفرنسي في تزيت واقفا في ذلك المكان بعينه فظهر
مصدق قول الشيخ ، ولكن بعد ان ازهقت ارواح

وكذلك كان الشيخ يلم باكادير ، ويوصي تلميذه الحاج الحسن
الكلولي رئيس اكادير ان يتعهد المدافع الموجهة الى البحر فعل ذلك مرارا

هذا وقد اشترى الشيخ فرسا اذذاك قصاريركب عليها ، وييده البندقية
وذلك كله لاستنهاض الهمم ، ولكن اين الهمم ؟ واين العزائم ؟ واين من يعرف
ماهو الاستعمار اذا ألقى على امة كلاكه ؟ وقد قال الشيخ مرة لبعض مجالسيه:
ان قلبي ليشتمزق على هذا القطر ، فانسى اخاف ان يلتحق بالجزائر وتونس ، فقد
اجلت بصيرتي في هؤلاء الناس ، فلم ار من يمكن ان يقاوم لامن الحكومة ولا من
الناس فلأمال ولارجال ولايمان وانما انا وحدي الذي افاض الله على هذا
الجيشان ولكن ، ولكن ، ولكن وانشار الى قرب انتقاله عن هذا العالم - كما
قال الحكاكي -

حضرت يوما في نزهة من اخلاط الناس في عرصة البياز في باب دكالة
وكانت محلا للنزّه ومجتمع الاصدقاء فيظلون هناك تحت الاشجار المختلفة وبين
الحقول المخضرة وبين الجداول المتدفقة الى العشي ، فجرى ذكريام الاحتمال
الاولى وصار الحاضرون يخوضون في عدم الدفاع ، فقال قائل : ان الناس كانوا
معدورين ، لان غالبهم ماكان يدري ماهو الاحتمال ، ولاكيف يعرك عركانه متى
امتد الى شعب من الشعوب على ان علماءنا ورؤساءنا وحكومتنا هم المسؤولون
حقا ، لانهم لم يستنهضوا الامة ، ولاادوا الحق الواجب عليهم في هذا الموضوع
فالتفت اليه انسان من غمار الناس ساقته الاقدار الى مراكش فصاحبه بعضاهل
الحومة الى النزهة ، فقال : اننا في تلك الجهة من حاجة الى سوس لم نؤخذ على
غرة ، فقد كان الشيخ سيدى الحاج على الالقي ينادى فينا صباح مساء انذارا
واستنهاضا للدفاع عن البلاد ، فانه ماكان يترك من الجهات التي يسبح اليها
مجتمعا ولاسوقا ولا موسما الا نادى فيه بالتهيب التام من جميع الناس للجهاد
فلايعذر فقيها ولامرابطا ولا اى انسان قادرا ، ثم قال وقدشهدت الشيخ يوما
عند قائدها في تامانار وقد اجتمع كل كبار التحاحيين وعلماؤهم في حضرة القائد
فقام في الناس موقفا لاينساه له الناس ، فلم يزل يلهب القلوب بمواعظه
ويستنهض الناس بانذاراته ، ويبين للحاضرين ماينتظرهم من العدو متى
استولى على البلاد من حيف وجور ومكر وانتهاك الحرم ، واذلال الاعزة وبس
الاخلاق الفاسدة ، ثم التفت الى القائد فقال له ان جل هذا الواجب يقع على
عنقك انت وعلى اعناق أمثالك ، فقال له القائد اننا يا سيدنا - معشر القواد-
نتبع ما ترسمه لنا الحكومة وملكنا المعظم ، فلايمكن لنا ان نخرج عن خطتها

وملكتنا اليوم يميل الى مسألة العدو ، حتى انه ليرسل الينا ان نحافظ على النصرارى اكثر مما نحافظ على المسلمين، وان نراعى خواطر الذين احتموا بالدول اكثر مما نراعى من يتسلطون عليهم بدعاو زائفة ، فما عسى ان نعمله نحن ؟ والافهالك ياشيخنا يدى على ان اكون اول من يموت فى سبيل الله متى كان الجهاد قائما قال الحاكى فاعرض الشيخ عملا جذبه فيه القلائد ، فقال « اما انا وكل من يتبعنى من الفقراء فقد هيأنا انفسنا للموت فى سبيل الله ، لوفتح لنا الميدان ، وساعف السلطان فان امثالنا ليس لهم فى مخالفة السلطان ايضا مصلحة» ثم بعد ان اتهم الحاكى حكايته ، قال انتى اوقن ان الشيخ لوتيسر له ان يحضر فى ميدان الجهاد لمات هو وكل الالاف الذين معه شهداء فقال قائل للحاكى اتعرف احدا من ابناء شيخك هذا ؟ فقال لا ، فقال هذا احدهم وقدمنى اليه فلم اكن اعرفه قبل ، ولا عرفنى فاحفى فى السلام ، وترجم كثيرا على الشيخ وكانت هذه الجلسة حوالى ١٣٤٠ هـ حين كنت لازال تلميذا مقمورا فى الجامع الیوسفى

ارایت كيف يتحدث الحاحيون عن الشيخ حول هذا الموضوع ؟ فكيف اذن يتحدث عنه السوسيون فيه ، وهم الذين كان يماسيهم بذلك ويصاحبهم نحو ثلاث سنين ؟ فقد كان مايقوله اذذاك حديث المجالس حتى ان الذين لايتقون الا ولا ذمة فى اهل الخير اتخذوا ما يقوله الشيخ سخريه وهزئا ، فمنهم من يقول انما يريد بذلك الذى يعلنه ان يقتدى به كل الناس ، فيجدد له مكانة اخرى اعظم من مكانته التى كانت له ، حتى ان الشيخ اقبل يوما فى الطريق عند قرية عين ابراهيم بن صالح من ارباض تزنت ، فلاحظته جماعة كثيرة وهم منتدون على شىء ، فقال منهم قائل هذا الشيخ قد اقبل وهو الذى ينادى بالجهاد فهل تقدر ان لاتقوموا له اذ امر بكم ، لتروه باعراضكم انكم لاتبالون به ولا بما يقوله فتعاهدوا كلهم على ذلك ، ولكن ماكاد الشيخ يقبل عليهم حتى بادروا جميعهم الى مقابلته والسلام عليه بكل اجمال واحترام ، قال من حكى ذلك وهو من تلك الجماعة لما رایت ذلك تبث الى الله ، فعرفت ان الشيخ مؤيد من عند الله .

كان الشيخ عام ١٣٢٧ هـ فى السويرة وقد احدثت فيها اذذاك محطة البرق باذن من السلطان مولاي حفيظ ، فذهب الى المحطة فاكثر السؤال والبحث حتى ادرك الذى يؤديه التلفراف ، فلما رجع صار يحكى لمثل الفقيه سيدى على بن عبد الله ماراى وقد قال لغيره ان المسلمين اخاف ان لايجدوا شيئا فى المقاومة لان عند العدو من السلاح ومن الات الهجوم والدفاع والمخادئات ما ليس عند المسلمين ، ولكننا مع كل هذا لانياس ، «كم فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين»

وكانت عادة الشيخ انه كلما جال فى مجالته الخاصة والعلمة حول هذه المقاومة لايملك عينيه ، على خلاف مايعهده منه اصحابه من التجلد ومغالبة حاله

عند ما يخوض في كل شيء مؤثر ، ولكنه في هذا الموضوع يقلب على حاله ، لعمق الفكرة في نفسه بغمرة الايمان ، فلا يجس ان تجيش دموعه رغما عن تجلده المعروف .

حكى لي من لانتهم ان الشيخ زار مرة مشهد الشيخ سيدى عبد الرحمان من مقبرة تزيت مع اصحابه ، ثم تخلف عنهم ، قال الحاكى فوقفت ازاء باب الضريح فاذا بى اسمع نسيح بكاء الشيخ ، فتحتته حتى خرج بعد حين ، فسلمت عليه ، ثانياً وكان ممن لا يستحي كثير من الشيخ - قال فسألته عن سبب بكائه الكثير فقال هجم على ان رايت تزيت هذه مفعومة بالنصارى يقبلون ويدبرون كما شاءوا فامتعضت لهذا الهوان ، فلم املك نفسى حتى كان ما كان ثم تنهد تنهدا طويلا ، فقال : «وا اسفاه على هذه الامة التى استولى عليها ما استولى ، حتى لا مطمع فيها لطامع متى جد الجدد ، وحن الجهاد» فقلت له «ان الله سيدفع بكم عنها» فقال اجل بصرى ، وامعن بعقلك فهل تحسن من يشعر بواجبه في هذا الوقت ؟ قال: ثم والى الشيخ تنهدات وآهات ثم قطع كلامه وكان لسان حاله ينشد:

ان دام هذا ولم تحدث له غير لم ييك ميت ولم يفرح بمولود

قال قائل يوما للشيخ لماذا لا تقوم فتقود انت بنفسك الناس الى الجهاد فاننا لانرى الا ان الناس كلهم يتبعونك ؟ فقال له ان تصدر امثالى في ذلك انما يجر الى ميادين اخرى غير محمودة ، فان الجهاد خطة عظمى لا يتصدرها الا الامام الاعظم ، وامامنا اليوم هو مولاي حفيظ ، فانه لم يعد بعد قيامه على اخيه مولاي عبد العزيز بالجهاد ، ان دخل فاسا فسكن هناك ، فوقع فيما وقع فيه اخوه بل صار يامر الناس بالهدوء ، فهذا الشيخ ماء العينين قدامه ان يترك هو واصحابه الجهاد فى الصحراء ، وكذلك يقع لكل من يتصدر لذلك ومتى خرق سياج ما امر به السلطان تاتى وراء ذلك فتن اعظم واعظم ونحن الآن ان اردنا ان نذهب الى الشاوية لتكون هناك مع المجاهدين فاننا لا بد ان نذهب نحن والفقراء وهم الاف ، فاين الزاد واين النظام المطلوب ، وهذا الامر لا يستقيم الا بالسلطان وكل من تصدر له دونه - خصوصا ان كان ذا شهرة - فانه لا بد ان يظن منه انه يخالف السلطان ، ومخالفة السلطان لا تؤدى الى خير كيفما كانت

هكذا يرى الفارنى الشيخ جاشا متلظيا متشوقا الى ان يكون فى صفوف المقاومة الا انه تتراعى له من بعيد موانع عظيمة ، هذا مع ما يقلب عليه احيانا فقلت من - على جهة الالعية والفراسة - من ان الاحتلال واقع ولا بد لعدم المقاومة المجدية ولقوة العدو وضعف المغاربة ولكون الناس لم يدركوا بعد كيفية الاحتلال ولا مسلته فى الناس ، وقد جمعت من اقوال الشيخ فى هذه الناحية كثيرا واودعتها فى جزء من اجزاء «من افواه الرجال»

كان اصحاب الشيخ المنخرطون فى طريقته ممتدين الى درعة قنابلت

فما وراء تافيلالت الى قبائل ذوى منيع ، فكان بعض ذوى منيع يكتابون الشيخ ويسالونه في المقاومة في الحدود التي كانت بينهم وبين الجزائر ، ووقبائل ذوى منيع اذذاك لاتزال مغربية لم تلتهمها الجزائر بعد فكان الشيخ يجيبهم بالتحريض على الجهاد ، وهاك رسالة من الرسائل التي يكتبها اليهم

«وبعد فقد وصلت الرسائل واطلعنا على جميع ما فيها من المسائل وهانحن نجيبها بكل صامت وناطق سائل ، وقد اخبرتم واشتكيتم بجرء عدو الله ورسوله على بلادكم وحریمكم واموالكم وایمانكم ، ونعمة الايمان والاسلام اكبر النعم فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، فلتعلموا ان باب الجنة قدفتح لكم في بلادكم وهو الجهاد والهجرة الى الله ورسوله ، فادخلوا في باب الجنة بان تسلموا اموالكم وانفسكم لله في سبيله ، فقد قال الله تبارك وتعالى : (ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة) وقال صلى الله عليه وسلم : «الجنة تحت ظلال السيوف» وقال كلکم تدخلون الجنة الا من ابى انصروا دين الله تعالى» (ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم) وقد استندتم الى اخوانكم المسلمين في هذه الجهة تتحاذون اليهم ، وتشنون الغارات والاغزية على عدو الله ورسوله الى ان يطلب منكم الهناء وقد اخبرنا بان ذوى منيع يغيرون بالاغزية على وادى نون مسيرة شهر في اخوانهم المسلمين ويتركون النصارى وراءهم في بلادهم ، فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، ولا تقولوا تقوى علينا بجيوشه (فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وقولوا «ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين» هل تحسبون وتظنون في الله غير نصركم ؟ (وما النصر الا من عند الله) (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) والدنيا منفعتها الايمان والاسلام ، من لم يقض في سوقها تجارة الايمان والاسلام لم تنفعه حياته ، فالاولى له ان لا يكون ، واى حياة واى ايمان واى اسلام كان عند من اذل نفسه لعدو الله ورسوله لتلايخرج من داره واهله فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وقد قال الله عزوجل : (قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترهبوا حتى ياتى الله بامرء ، والله لا يهدى القوم الفاسقين ، لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) ، (ولقد نصركم الله بيدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) وهذا الزمان بمثابة زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجوب الجهاد بل اكثر واكثر واكثر ، لان جهاد زماننا هذا لدفع الكفر وحفظ الايمان الذى هو موجود من غير زيادة ، واما جهاد السلف فلزيادة الايمان وحفظ الشىء الذى هو موجود من الايمان اوجب من طلب زيادته ، تفكروا وتذكروا واعتبروا وانظروا بعقولكم ، اى صلاة واى صيام واى حج واى زكاة لمن راي عدو الله ورسوله اجترأ على الاسلام ثم لا يجاهد فيه بامواله ونفسه ، وقد قال تعالى

(وجاهدوا باموالكم وانفسكم فى سبيل الله) ولم يكن شئ يؤكد الله عزوجل اكثر من الجهاد ، لان السيف هو الذى قام به الدين ، وقد كان المسلمون يشتهون الجهاد فى قديم الزمان ، فهاهو اليوم فى بلادهم وناموا ، ويطلبون المهادنة معه فى بلادهم فلاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ، جاء الى بلادهم فصاروا يخافون منه ولو قتمت بالحق الذى وجب عليكم فى الشرع من الغارات عليه والاغزبية وتنحازون الى اخوانكم المسلمين لرددتموه وتجدون من المسلمين الذين استول عليهم بالظلم والعدوان المعاونة والنصرة ، فيغدرونه وتتبعونه شيئا فشيئا، وما هو الا ابن ادم مثلكم ، يضره ما يضركم كما قال الله عز وجل (ولا تهنوا فسى ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما) وان قريتم من مكانه فابعدوا منه بقدر منع انفسكم منه (ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة) (وقضل الله المجاهدين على القاعدىن اجرا عظيما) ولا تقولوا ان تركنا تركه ، فلا يعجز لكم ذلك فى الشرع لانه ان وصلكم فلاعذر لكم فانه جلس عليكم وعلى بلدكم ، ان لم تدفعوه فلا بد ان يدخلكم بالهيلة او بالقهر ولا تقولوا هانحن معه فى الهدنة فلو انكم قتمت فى هذه السنين التى كان ثم لكسرتموه بحول الله وقوته ولا تقولوا نحن قليلون، بل انتم كثيرون عنده فقد خاف منكم غاية ، ولكن اظهرتم له الذل لما كنتم تعاملونه فى الاسباب ، وتطلبون هدنته وها بلاد المسلمين تكفيكم فى الاسباب والسكنى ، وهو لم يحط بكم انما هو لكم فى جهة واحدة وجهة المسلمين تخرجون اليها بالاسباب وبالهجرة . ولا تجوز لكم المهادنة معه ، بل وجب عليكم ان تسمروا عن ساق الجدة . واجمعوا رايكم فى اهل الخير . وتجاهدون فى سبيل الله ، فهنيا لكم فقد قزتم بخير الدنيا والاخرة ، واشركونا فى اجركم والله لقد اشتهينا الحضور معكم ولاحرنا الله من ذلك الاجر بجاه النبى والله والبخارى ورجاله ، وهذه الساعة الخير كله فى الجهاد لاغير ، وان احتجتم الينا فى شئ فاكتبوا مع الحامل ، ويرحم الله الذى صار الى رحمته سيدى الحاج الحسن الذى عرفتموه وحامل الكتاب الذى هو خليفتى فى كل شئ ، استمعوا منه واتبعوه والسلام»

ثم ان الشيخ الذى خامرته هذه الفكرة فاستولت عليه يقظة وناما، بينما هو فى قرية (اورير) ازاء اكادير بزاوية اصحابه هناك ، فى عام ١٣٢٧ هـ اذ رأى ناما حكاة لى الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح ، فاهالى اذنى ، فقد قال «ان الشيخ اخبرنى مشافهة انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم ليلة فى اورير فقال له اننى اراك كثير الاهتمام بأمر النصارى ، فاجبتة نعم ياسيدى ، فقال «ان هذا الذى وقعت فيه من الهم والغم والقلق وقعت فى مثله يوم الخندق ، فرجعت الى الله بالكلية فصرت اقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، فتوكلت عليه وفوضت أمرى اليه ، فاذا بنصر الله جاء بفضل الله ففك الله عنا الاحزاب ، فانهمزوا بالاحرب

ومر كذلك انت اصحابك الآن بان يزيدوا في وردهم مائة من حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانهم سيجدون بركة ذلك في حفظ قلوبهم ، كما سيجد المغرب كله بركة ذلك فيجعل الله في امر النصارى فرجا ومخرجا بخرق العادة»

بسبب هذه الرؤيا صار اصحاب الشيخ يذكرون ذلك في وردهم ، وهاك

من رسالة للشيخ في ذلك ، ونص المقصود منها
 «نوصيكم بالتواضع والصبر وترك التدبير والاختيار لله تعالى فهو المدبر في ملكه وفي ملكوته في المسلمين وفي اليهود وفي النصارى ، فالامر لله الواحد القهار ، واخدموا (حسبنا الله ونعم الوكيل) مائة في الصباح ومائة في العشي فقد امرنا به لجميع الاحباب ان يخدموه على تعدى النصارى وظلمهم (فسيكفيكمهم الله وهو السميع العليم) ولا يمكن ان يخدم على امر فيبقى على حاله ، بل لابد ان يكشفه الله حتى امر النصارى ان خدمتموه فلا بد ان يزولوا ان شاء الله ، حتى ان قدرتم ان تبرحوا به في اسواقكم ان يخدمه الناس جميعا كبيرا وصغيرا ذكورا واناثا في الجوامع وغيرها ادبار الصلاة وغيرها ، فذلك افضل واكمل وليس الدواء الا في الاضطرار اليه لان قوة الله هي الغالبة لقوتهم بلاشك ولا خلاف فمتى رجع الناس اليه حقا فلا بد ان يرد كيدهم في نحورهم (وهو القاهر فوق عباده) ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن»

ومن رسالة أخرى

«..... متى اراد الله ان يرد النصارى عن المسلمين فلا يصعب عليه ، اما بسر ظاهر على يدوى (١) من اوليائه واما بسر باطن من غير واسطة اصلا ، وهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده ، ولا ملجأ ولا مهرب من الله الا اليه فقد ظهرت تعدى النصارى ولم يبق الا قوله تعالى «حسبنا الله ونعم الوكيل» فهو السيف القاطع ، فاخدموه ابنا كنتم على نية رد الله كيدهم في نحورهم، تصديقا لقول الله «ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا» (وما ذلك على الله بعزيز) وقد امرنا في العام الاول في ثالث عاشوراء بخدمته في الصباح والمساء مائة لكل وقت لجميع الفقراء يزيدونه في الورد، على نية هزيمة النصارى من بلاد المسلمين ان شاء الله» الخ

اقول : ان الشيخ مع اخذه بالاسباب التي رأيتها من الاستنهاض وحثبيه الناس لما يهددهم ، صار يبت في اصحابه - كما رايت - ما يستنهض ايضا القوة المعنوية في كل ابناعه الذين تشبعوا بروحه فان الجهاد المنظم المجدى لا يفيد مادام ملك العصر فاترا ازاءه فصار يقوم بما في طوقه فيملأ به مجالسه وقد تواتر عنه انه يقول اخيرا بعدما رأى أن المقاومة المجدية اعرض الناس عنها «ان

(١) الله اكبر اننا من رعايا ملكنا الهمام محمد بن يوسف هذا نولى الذى على يده خرج النصارى فاستقلت البلاد

النصارى سيدخلون بخرق العادة وسيخرجون بخرق العادة» فاما دخولهم بخرق العادة حين لم يقاومهم الناس مقاومة فعالة ، فقد رايناها وليت شعري متى تكون الثانية (١) فرحمه الله فقد قام بما في طاقته .

بعض دعواتها وأذكارها الخاصة

هذا باب من أبواب تحنث الشيخ ، وغائب ذلك يدور متى اختل بنفسه على التجهد ليلا بالقرآن ، وهذا مما واطب عليه طوال حياته ، لا يتركه وان احتوشته الاشغال وكثرة الاضياف ، وكان ورده من ذلك - كما قال ملازموه كسيدي سعيد انتتاني وسيدي احمد الفقيه الركني وسيدي مولود وءآخرون - خمسة من القرءان بلاء النوافل المعتادة كالضحى وما قبل الظهر والعصر وما بعد الظهر والمغرب ومائة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلاة عصر الجمعة ، وجل اصحابه اقتدوا به في كل ذلك واما الصيام فانه اقتدى فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم فيما روته عائشة ، فانه يصوم حتى يقال لا يفطر ويفطر حتى يقال لا يصوم الا انه في السياحات لا يصوم النوافل غالبا الا في الامكنة التي لا يحتاج فيها الى مخالطة الناس وتبليغهم ما اوجب على نفسه ان يبلغه لهم

هذه نبذة يسيرة مما يتعلق بهذه الناحية لخصناها تلخيصا لان هذا الكتاب لم يجعل مثل ذلك ، فهناك كتب خاصة الفت في الشيخ المت بكثير من هذه النواحي ، وان لم تستوف ذلك ، وقديم بنافى هذه الترجمة وفي تراجم اصحابه اشياء اخرى لم نذكرها هنا

واما الدعوات التي يدعو بها كثيرا فقد حدثني بها كثير من اصحابه، كهذا الدعاء «اللهم اجمعنا على محبتك ، اللهم اغنا على طاعتك وخدمتك ، اللهم طهرنا تطهيرا نصلح به لحضرتك ، ولقينا بك ، اللهم زدنا فيك تحيرا وبك افتنانا وغيبنا بك عن كل شيء سواك حتى لا نكون الا بك ولك ، اللهم احفظنا فيك سائر عمرنا حتى نتوفانا وانت عنا راض ، ونحن بك غير مفتونين ، بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم»

وقلما يقوم من مجلس عام الادعا بهذا الدعاء اثناء الادعية المألوفة التقليدية ويقول ايضا كثيرا :

«اعطانا الله سرا من اسراره ، واعطانا نورا من انواره ، وجعل ربحنا فوق الرياح وجعلنا من خدامه ، وجعلنا من خدام بيته ، وجعلنا من خدام سنة سيدنا

(١) كنت افكر يوم محاولة الاستقلال وسهولة امره فادركت ان ذلك هو خرق العادة التي كان الشيخ يذكره دائما

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلنا من اهل الخير وجعل حياتنا مع اهل الخير في هذه الدار ، وتلك الدار وجعلنا من المقبولين ومن المغفورلهم ، ومن المرحومين» الى غير هذه ، ولم نسقها الا لتري كيف نفسية الشيخ من هذه الناحية ايضا فان المعروف منه انه فان في عبودية الله ، ولا يلتفت الى غير الله في الازمان فما يستغيث بالاشياخ ولا هو يقبل من اصحابه ان يستغثوا به في الازمان ، وله في ذلك حكايات .

مؤلفاته

للشيخ ولوع بكل ما يمت الى الافادة والاستفادة ، وحين كان يخانط الفقهاء ، وانفقراء . كان يعمل في كلا الميدانين باقواله وبقائه ، فاما افعاله فقد رايت منها ما رايت في الذي تقدم من هذه الترجمة ، واما اقواله فاما كان منها رسلا كالتى يطلقها في مجالس تذكيره او مواقف حثه على الاجتهاد الى الله فقد جمعت منها عن اصحابه كثيرا وان لم يكن ما جمعت الا كنقطة من بحر وهو في باب من ابواب كتابي الذي جمعته في الشيخ خاصة وسميته «الترياق المداوي» ومما يتعلق باقواله ما يكتبه الى اصحابه في رسائله ، فانها مجموعة على ثلاث نسخ واحدة جمعها تلميذه الكبير سيدى سعيد التنانى وقد نسخت منها نسخ متعددة ، والثانية جمعها تلميذه سيدى محمد الشيخ الدرعى ، وقد رايت منها كذلك نسخا على قلتها ، والثالثة جمعها تلميذه الشيخ سيدى ابراهيم بن صالح النازروالتى ، وتوجد ايضا ولكنها اقل من القليل ، ورسائل الشيخ عليها مسحة من حاله العام ، فلا كلفة ولا تزويق كلام ، ومن اقواله ماضنه مؤلفات في موضوعات شتى وهذه قائمة مؤلفاته :

١ - مترجم الربع الاول من مجموع الشيخ الامير المصرى ، فقد اودعه كل ما يتعلق بربيع العبادات ، ولم يكديترك مسألة من الزرقانى والرهونى يمكن ان يتوقف عليها الاحترها هناك ، فجاء مجلدا ضخما بلسان الشلحة ونسخه كثيرة عند اصحابه ، وبه يتفقون

٢ - (عقد الجمان) رسالة كبيرة بالنسبة لرسائله وضح بها لاصحابه اداب الطريق في فجر تصدره للتربية ، ومنها نسخ كثيرة جدا ، وهى جزء صغير .
٣ - (ترجمة الحكم العطائية) نظما مشلحا ، يقرؤه اصحابه كل صباح بعد مجلس الذكر ، ولكنه لم يستوف كل الحكم .

٤ - (المبدئى المعيد في اخبار الشيخ سيدى سعيد) وهو شيخه المعدرى لم ارمه الا خطبته ، وقد ادخلتها في ترجمته الآتية على ما كتبه فى الشيخ المعدرى العلامة سيدى محمد بن مسعود .

٥ - (كتاب فى الطب) ذكر لى ولم اراه .

٦ - (رحلته الى الحج) عام ١٣٠٥ هـ وجدتها في مبيعتها فخرجتها وحررت قوافيها فجاءت في نحو الفى بيت من الرجز ، وقد ذكرت بعضها فيما تقدم .

هذه هي آثار الشيخ في التأليف ، فرطت منه وان لم يكن متصدرا مثل ذلك .

وفاة الشيخ

مضت حياة الشيخ كلها - كما رأيت فيما تقدم - في الجولان بين قسرى سوس الى الحوز الى اسفى ، فالسوية لارشاد الناس وتعليمهم امور دينهم ولتنبيههم على ترميم مساجدهم واصلاح ذات بينهم ، واستنابتهم مما يقترفونه فهدى الله به من سبقت له الهداية ، وعمى عن محاولاته من قضا عليه اغواية وكان من اواخر سياحاته سياحة الى مراكش ، فقد وصل الى قبيلة اولاد ابي انبباع حيث احتفلت به المدارس السباعية وعلماؤها سيدي الحسن بن احمد الرسموكى في بوعنفر ، والفقيه سيدي العربي في الساعدات وسيدي الحنفي في مزوفة وقد كان كل واحد يخرج بطلبة مدرسته فيلاقون الشيخ من بعد الطلبة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والفقراء بذكرهم المعتاد فيختلط الجمعان حتى يدخلوا الى المدرسة ، كما مر بتزكين من قبيلة كدميوه حيث زاوته ثم بات في قرية القائد عمر السكتاني ثم في مسفيوة ، فمر الى الرحامنة حيث اقبل عليه كل الرحمانيين عامة وخاصة ، فرأى على عادته كلما دخل قبيلة - وكانت له في ذلك نية حسنة - القواد الرحمانيين اذذاك كالقائد عبد السلام والقائد العيادى ، وغيرهما ، وقد كانت الطريقة الالغية انتشرت في هذه القبيلة على يد سيدي ابراهيم البصير الركائبى فلم يكد الشيخ يظهر حتى تطارح عليه الناس وهو يرشد ويهدب ، ومعلوم ما للعرب من النية الحسنة ، ثم لم يدخل الشيخ الى مراكش حتى بنيت زاويته في الرميطة ، وقد كان ينتظر ان تتم على يداصحابه الذين منهم سيدي الحاج محمد البوطيبي الهشتوكى ، وحين حل بمراكش اهتزت المدينة وطفحت الرميطة باصحاب الشيخ الذين يعدون بالمئات فاجتمع اهل الحومة على ضيافتهم فضيفوهم في مسجد باب دكالة الذى يتسع لاولئك الجماء الغفير ، وقد اخبرنى مقدم الحومة بعد ذلك ان الموائد التى اتى بها اهل الحومة بلغت خمسمائة ، وقد التف كل الدرقاويين المراكشيين على الشيخ في هذه الضيافة ، ثم داروا معه على السبعة الرجال صبيحة يوم ، وهم يعلنون بلسان واحد (حسبنا الله ونعم الوكيل) فكان يوما مشهودا بمراكش ، وقد قيل للشيخ اما تخاف ان يقع لك ما وقع للشيخ ماء العينين وقد كان اذذاك ذهب الى فاس فرد في الطريق وراء تادلة بقوة الاحتلال الذى تم اذذاك في البيضاء واحوازها فقال: اننا لم ندخل مراكش الا باذن خاص ، ولن نهتبل الا بالله ، فذكر له

ما يخافه الناس من النصارى المحتلين فظاهر لهم قوة من نفسه ، ثم وقعت منه كلمات يدل بعضها على ان الواجب هو مدافعة الاجانب لو كان في الناس ايمان قوى ، وامر منتظم وشمل مجتمع ، وبعضها على ان المحتلين لا بد ان يخرجوا اخيرا من هذه البلاد الا ان الذين سيخرجونهم لا يزالون الى الآن صغارا او لا يزالون في اصلااب اباؤهم ، وهناك كلمات اخرى تفرط من الشيخ من غير ان يحتفل بها تدل كلها على غيرته وعلى اهتمامه العجيب بالوطن العزيز ، وقد مر بك فيما تقدم بعض ما يتعلق بهذا الموضوع .

ثم خرج من مراكش ، فرجع الى سوس على طريق حاحة ، فبات في اذاكلول فأورير حيث زاوية اصحابه ، ثم الى كسيمة حيث الاهالي كلهم يكادون يكونون من اصحابه لان رؤساء القبيلة من قرية الدشيرة منهم ، وهناك في قرية انركان فرق الشيخ المنجدين ثلة ثلة ، وهو يوصيهم كتوصية مودع ثم الى هشتوكة فمر بنا ونحن نقرأ انقران في قرية ايفريان ، فبتنا معه في حمي الصوابي بماسة ، ولازال استحضر ان الحزب في العشية يقرأ بغير الوقف ثم الى المدر حيث اجتمع فقراء كل ازاعاد وفي رئاستهم سيدي محمد بن مسعود وذلك في مفتتح رمضان ، فخرج صبيحة اليوم الثاني فاصطف الحاضرون امام زاوية سيدي سعيد ، فكان مما قال (هنا ابتدائها ، وهنا اختتمها) كلمة سمعها الجميع ، ولكن لم يفهموا من الكلمة الا هذه السياحة الخاصة ، ثم ظهر مقصوده بعد ذلك ، ثم طلعا الى الخ ، فدخلنا في اصيل اليوم فمر العيد فسافر الشيخ الى تامانارت فرجع موعوكا ، وقد كانت السنة شهلاء فتوارد جيران الزاوية على الشيخ ، ليمدهم بما عنده ، ففتح المخازن فامر ان يباع الشعير والتمر بثمن السوق مع زيادة حفنة حفنة فوق كل صاع ، فثارت نائرة بعض الاثرياء هناك ، لانهم يبيعون الى اجل باضعاف اضعاف ذلك ، فكان الشيخ يقبل املاك الناس رهنا لا يبعها قاطعا تسهيلا عليهم ، وهو يقول لهم «دعوا رجاء اولادكم ليتمد الى فك المرهونات» فجعل الله البركة في مخازن الزاوية حتى تعجب الناس ، هذا والشيخ يزداد مرضه ، وقد كان كتب وصيته في اول مرضه فأرسلها الى سيدي محمد بن مسعود حيث سترت الى مابعد وفاته ، وفي صبيحة السبت ٢٨ من ذي الحجة عام ١٣٢٨ هـ ازداد المرض وعند صلاة العصر فاظت روحه فالتحق بالرفيق الاعلى ، وفي الليل تولى غسله الفقيه سيدي علي بن عبد الله ومؤذن الزاوية سيدي محمد بن بلعيد التتاني ، وقد كان الناس علموا بوفاته العشية بطلقتين من البنادق على العادة اذذاك ، وفي الصباح اجتمع كل الجيران فصل الفقيه على الشيخ ثم دفن وراء الدار في مشهده الآن

هكذا طويت تلك الصحيفة وتلك الهمة ، وتلك العزيمة وتلك الغيرة الدينية الغربية العجيبة ، ولكل مبتدأ منتهى (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاکرام)

مراثي الشيخ والتعزيات فيه

قلت لآخي أحمد يوما لماذا لا أرى مراثي كثيرة في الشيخ الوالد بعد وفاته ؟
ولماذا لم ترعف أقلام الأدباء بما يستحقه من عويل طويل بين قواف متخيرة
ورسائل محيرة ؟ فقال لا أخال إلا أن السبب في ذلك هو كونه لم يذر وراءه عقبا
يراعى ويفهم عن الأدباء ما يقولون ، فيتقرب اليهم المتقربون ، ويجد في متداهم
من هم لأدبهم يرجون ، فيدركون مغزى توجع الشعراء حين يتوجعون ومقدار
مالبينات قوافيهم التي يصوغون ، لأن كثيرا من المراثي إنما هي تحية لأوجه
الاحياء لا آثار لما يخلفه الموتى والغائب غائب دائما . وقلما يراعى من هم غائبون
عن المجلس ، فضلا عن الغرباء عن الحياة ، ذلك معنى مقاله وهي قوله لها حظ
من النظر والا فإين ما يستحقه الشيخ الجليل الطائر الصيت وما تستحقه أعماله
الكثيرة التي شرقت أحاديث الركبان بها وغربت وأشامت الاسمار عنها واعرقت
من زفرات ادبية على قدرها ، وهل يطيل الثياب الأطول لأبسيها « أن الرداعل
العماق عملاق » هذا مع اننا نجد من بنات السن الأدباء السوسيين عشرات فسي
موافق هي من موقف الشيخ بمزلة الأرض من السماء ، اوبمزلة الشمع من
الأكليل

وبعد فقد اطلت البحث عما يتعلق بهذا الموضوع ، فلم أقع الاعلى بعض
قصائد والاعلى رسائل مختلفة النسخ في التعزية ، وغالبها لا يستحق جرة قلم ،
وها انذا ساجتهد لالتقط من تلك الرسائل ما ينبغي ان يعنى به ، فاما ان اسوق
الرسالة كلها اوبعضها وعلى الله الاتكال ، وبه المعونة

من ذلك رسالة الفقيه سيدى محمد بن عبد السلام الورزازى المراكشى

اخواننا في الله الفقراء المتجردين والمتسبيين في زاوية الشيخ الهمام
صاحب الفيوضات الربانية ، والنظرات الصمدانية ، السلام عليكم ورحمة الله
عموما وخصوصا الفقيه ذا الهمة العلية سيدى سعيدا التتاني وسيدى احمد الركنى
وسيدى محمد بن مسعود وغيرهم ممن نسمع بهم .

أما بعد فقد وصل نعي الشيخ رضى الله عنه فبلغ فينا الحزن مبلغا عظيما
نحن وكل اهاليها ، فرحم الله تلك الهمة العالية والعزيمة الطائرة فلم نسيك
لموت الشيخ فان الموت مكتوب على كل انسان ، ولكن نبيكي على مثل تلك الهمة
التي يربى بها الشيخ المرديد وما اقلها حتى في كثير من العارفين ، فقد راينا
كثيرين من مشايخ هذه الطريقة الدرقاوية ، وشاهدنا لكثيرين منهم اسرايا
واستنهازا الى الله ، ولكن لم يكن منهم مثل هذا الشيخ الذي رزئت به الطريقة
فلاحول ولا قوة الا بالله وانا لله وانا اليه راجعون ، فانه يزيد مقامه على مقام
في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، والسلام من اخيكم في الله الضعيف محمد بن
عبد السلام الورزازى لطف الله به كتبه في ربيع الثاني عام ١٣٢٩ هـ

ومن ذلك ما كتبه الفقيه سيدى محمد النادلى ثم الرباطى ثم الجديدى وهو من اصحاب الشيخ: «حيات الله تلك الوجوه النيرة منكم يا اخواننا اصحاب شيخنا سيدى الحاج على بن احمد الالفى السوسى ، وانبث الله نباتا حسنا من خلفه من الاولاد الذين نتمنى ان يسلكوا طريقة الشيخ التى يعز نظيرها اليوم ، فاعلم يا سيدى سعيد التانى اننا سمعنا بالخبر الصحيح فى وفاة الشيخ رضى الله عنه ، فثارت مشاعرنا لله والى الله وفى الله لاننا نوقن ان ارواح العارفين لا يلحقها الموت كارواح الشهداء ، وانما تنتقل الى عالم اوسع وافصح ، حيث تستمتع بالقرب من الله اكثر مما لها فى هذه الدار ، فاحوال العارفين خاصة سواء محياهم ومماتهم ومشهدهم ومغيبهم ، لالذة لهم الا فى المشاهدة ، وهم يرون من الاكوان عين المكون بلا حلول ، وهذا مقام لا يتكلم فيه مثل الامعك يا سيدى سعيد لان صدور الاحرار قبور الاسرار ، والفقير يجب عليه ان يملك الاحوال لا ان تملكه

يقولون خبرنا فانت امينها وما انا ان خبرتهم بامين

هذا وقد كنت ذكرت من احوال سيدنا الشيخ للعلامة الجليل سيدى احمد بن الخياط وللمدرس النفاة ، سيدى احمد بن الجيلانى ، فناسفا اليوم حين لم يلاقياه ، ونحن يا اخواننا على العهد والسلام على سيدنا محمد الذى جعله الشيخ خليفته فيجب عليك يا سيدى سعيد ان تهذب به وان تسلك به الطريقة فى مسالكها المعلومة ، حتى يستحق ان يكون خليفة الشيخ عن حق والسلام من مجلسكم الفقير محمد بن على النادلى عفا الله عنه .

ومن ذلك ما كتبه الفقيه سيدى الزبير البعمرانى من رسالة :

• ونعزيكم فى الفقيه شيخكم ، فان على امثاله تسيل الجفون دما وما كان الا فريدا فى حرصه على نفع العباد ، واحياء القلوب ، والاخذ بايدى العامة فى اصلاح ذات بينها ، والخاصة فى تربيتها على الطريقة التى تسلكها فرحم الله الشيخ وقوى الله الفقراء وكل ابناؤه على الصبر ، وانما الصبر عند الصدمة الاولى ...

ومن ذلك ما كتب به الرجل الصالح سيدى الحسين صاحب الزاوية ازااء الجديدة ، وقد كان زار سوس فنزل على الشيخ عام ١٣١٦ هـ :

«الاخوان الذين لاجتمع قلوبهم الا على محبة الله ومحبة نبيه ، اصحاب الشيخ سيدى الحاج على بن احمد السوسى ، رضى الله عنكم جميعا ، وافاض علينا وعليكم من سحائب رضوانه ، وكذلك اولاد الشيخ الصغار واخوانه وكل اهل داره ، فالسلام والرحمة والبركة على الجميع

اما بعد فانه الله الله فى الاجتماع على الله ، والعرض بالنواجذ على هذه الطريقة التى من بذوق من اسرارها لا يجد لها شبيها ، فنحن نعزيكم ونعزي

انفسنا ونعزى كل اهل الله في قطب الطريقة ، وامام الشريعة والحقيقة ، هذا الشيخ الذى بلغنا انه انتقل من عالم عين اليقين الى عالم حق اليقين ، فهو والله فريد بين كل من زرتهم من المشايخ وهم كثيرون لا يكادون يحصون عددا ، فقد كنت عندهم جميعا وجالستهم ، وفي الكل خير ، الا انسى لما زرت زاوية هذا الشيخ رايت كل ما كان يذكر لنا عن اصحاب الشيخ مولاي العربي من تجريد ومحافضة على الاوقات ، والحرص على الانفاس ان لا يضيع واحد منها فسى غير مشاهدة مكون الاكوان ، فقد تعجبت حين رايت استطلاع ان يجد له اصحابا يقومون مثل قيامه في همة الصوفي الذى يعرف ما طلب ، فقد مضت لنا معه مذاكرات استفدنا منها الشيء الكثير ، ولو لم ارتبط بشيخ اخر حى لسلمت له زمامي ، وجعلته في الطريقة امامي ولكن الزوجة لا يكون لها الا زوج واحد على ان الاشياخ كلهم على طريقة واحدة ، كما قال الله : (تسقى بماء واحد ونفعل بعضها على بعض في الاكل) والآن يا اخواننا نحن وانتم ذات واحدة ، فلانسوننا كما لانسناكم وان لم يمكن الاتصال كثير البعد المقربين ونوصيكم على الطريقة فالمحافضة على شروطها من اوكد الواجبات على الفقير والسلام عليكم جميعا من عبد ضعيف خديم لاهل الله الحسين لطف الله به»

ظفرت بهذه الرسالة ممن حافظ عليها ويظهر انها تصل الى الخ ، والا لسمعت بها من عند امثال سيدي سعيد التتاني

ومن ذلك رسالة كتب بها الفقيه العلامة سيدي علي بن عبد الله الى ابي فارس الادوزي

«الفقيه الدراكة الذى ما بيننا وبينه الا الاتصال التام ، والذى كل ما يهيمه في جهتنا فهو عندنا من المهام ، سيدي عبد العزيز الادوزي ، وعليكم السلام ورحمة الله ، وبعد فقد وصلت رسالتك ، فقضيت في الحين حاجتك على ان رسولكم وجدنا في حزن عظيم ، واسى لا يكيّف مقعد مقيم ، حتى اننى اتكلف الصبر فلا اجد اليه سبيلا ، بعد ما فقدت ازائي من لا اجد له في النصيحة والاخوة والمعونة مثيلا ، فقد صرت غربيا في بلدتنا هذه بعدما صار سيدي الحاج علي الى الما ليد ان نصير اليه جميعا ، فقد غادرني مفردا لا انيس ولا مشتكى اليه متى كنت وجيعا ، على انه صار الى جوار ، وانا بقيت في جوار كما يقول التهامي في رثاء ولده

جاورت اعدائي وجاور ربه شتان بين جواره وجواري

فما امر الحياة التي لا اخوان فيها ولا معينين ، ولا جيران فيها مخلصين محتسبين فانه يرحم ، ويجعل لنا في امثالكم البركة في السكون والحركة ، والسلام وكتب الفقيه ايضا الى بعضهم اثر وفاة الشيخ متمثلا اثناء رسالته «لعمرك ما المصيبة فقد مال ولاشاة تمسوت ولا بعر

يموت لموته خلق كثير»

ولكن المصيبة موت حر

وأما المراني فقد قال العلامة عميد المدرسة الالغية سيدي علي بن عبد الله

رفيق الشيخ الدائم :

هنا ملكنا المال عفوا ما الذي
او قد جمعت جهوع كسرى ما الذي
او قد حيت حياة نوح في غنى
او سالتك صروف دهرك حغبة
تبا لدهر لايراعى برهة
وتراه يسفل بالكرام ويعتلى
ويهم بالتنقيص والتشتيت في
لايخذ عنك اذا استلان فانه
ما راعنى والدهر حبلى مقرب
والشمل مجتمع بمن احبته
الا النعى يموت شيخ ان تقل
شيخ الشيوخ سليل احمد من بدا
ماشتت من علم ومن عمل ومن
وديانة تنسى اذا عاينتها
ونصيحة قد زانها اخلاصها
لمناقب يعى المفوه عدها
اه على تلك المحاسن انها

وقال الشاعر المفوه شيخ الاسلام شيخنا سيدي الطاهر بن محمد

الافراني

امن حادث بكر الم فاجزعا
لفقد امام الدين شيخ الرسوخ من
مربي مريدي الرشيد بالسيرة التي
محط رحال القصد مطمح همة ال
زال صفا ذوقا وبدر تضاء لست
ابى الحسن البرابن احمد من غذا
وجد الى ان بد كل منازع
فقال منالا دونه النسر وانتهى
اقام يشيد الدين دهره مجددا
طمت ليج العرفان من بحر صدره
الى ان انارت من سناه جوانب ال

جزعت وحق ان تنوح وتجزعا
غدا للعلا والدين عينا ومسمعا
حوت كل اءاداب السياسة اجمعا
مريدين مرعى للفضائل امرعا
له الزهر لما ان تبدى واطلعا
ه ثدى العلا والعلم طفلا وارضا
بهمة طماح العزازم اروعا
الى رتبة تنأى منالا ومطمعا
لركن الهدى لما وهي وتضعفعا
وفنت مسك العلم ثم تقسوعا
بلاد وزال الجهل عنها واقلعا

فلما استوى بدرا وازهر ناضرا
فهيض جناح المجد وانقض نجمه
وغاض معين الفضل وانجاب ماطر
وحار ذوو الحاجات لم يهتدوا الى
ومن ذا يرجى سائح متجرد
واى طبيب للقلوب يلدها
مضى يجتنى ثمر الرضا متبوءا
وخلف وجدا لايريم ووحشة
فقل للذى يبغي العلا منتظبا
امن بعد ما اعتدت الجواد تيريدان
«فليست عشيات الحمى برواجع
على قبره سحب التحية والرضا
ولكن ما ابقى لنا الله شيخنا الـ
ففى مجده - والحمد لله - غنية
نلوذ من الدهر المخيف بظله
فلازالت العلياء تخدم بابيه

وقال ابنه الاديب الكبير سيدى محمد بن الظاهر

قالوا قضى العلم الامام السيد
ذاك الامام المرتضى المولى ابو الـ
فعمت ربوع الكرمات وقد زهت
وتعطلت درج المنابر واكتست
قالوا ارثه بالذ علمت وانه
فاجبتهم كيف الرثاء لمن غدا
ماذا يفيد لمجده قول وقد
واذا اختفت عنك الفضائل فاسالني
واسال مساجده اتى قد طالما
فلقد غدت مثل النجوم لكل ما
لايجعد الفضل المبين سوى الذى
واحسرة الدين الخفيف لفقده
رحم المهيمن روحه وانا له
بالصطفى صل عليه الله ما

وقال الاستاذ الكبير شيخنا سيدى عبد الله بن محمد ابن اخت الشيخ:
قد انقضى الخير وحاد الكمال واستحكم الجهل وعم الضلال

كان متينا عرضة للزوال
 اصابه من ضر داء عضال
 يشكيك من داء الضى واعتلال
 سمد امام الوقت اكرم خال
 فؤاد من رأى كمال الجمال
 اودى به غير عيون الكمال
 ماغز من نفس وولد ومال
 وانها (ليت) دليل الخيال
 كالحكم العدل الرفيع المنال
 ميعاده يقضى بدون مطال
 نفائس الدر ورطب اللئال
 ياخذ منها من خيار الرجال
 تشمتت اخوان الصفا واغتيال
 معاقل شيدت ولا ذخر مال
 ولا اخو الحضرة نجا باحتفال
 ريب المنون بعد طول احتلال
 معه بحسن عشرة واحتتيال
 يناله عن ارث اصل وءال
 لا بد من سراره وانتقال
 يرفع من فوق رقاب الرجال
 حتى تقطعت شسوع النعال
 اما الشهيق فهو باد وعال
 فانه يوم تسيير الجبال
 حوى من الكرب وعظم النكال
 تدفنه لم تدفن حسان الخلال
 سيارة تتلى بكل مجال
 وهو المهذب الغياث الشمال
 معالم الذكر الوريث الظلال
 يبدأ عفاة بابه بالنوال
 يكاد تمفوه عوادى اختلال
 وهو الذى حاز سنى الخصال
 يقذف بالدر لاهل السؤال
 بقراط فى غابر عصر وخال
 عزم من الرسل بفرط المثال
 رصانة العقل وصدق المقال

وصار رسم المجد من بعد ما
 واعلن الدين الشتات بما
 قلت احتسب يادين لا احد
 لما قضى الشيخ على بن احد
 اودى فئاد بعده صبره
 قالوا وما اودى به قلت ما
 ياليته يبقى ونعطى به
 وقل لو امكن فى حقه
 لانه الموت فلا يرتضى
 ما الموت الا الدين مهما اتى
 اولا فمثل تاجر يشتري
 لذا يحوم عن بحور التقى
 الدهر قدما هكذا دأبه
 لم يغن عن كسرى ولا قيصر
 ولا الخورنق لنعمانه
 ولا حمى الابيض اربابه
 ولا نجا منادما ابرش
 سعى ائى ان نال فى المجد ما
 والبدر ان تمت منازلته
 قلت وقد عاينته علما
 وازدحم الناس على نعمته
 العين لا يرقا لها دمعها
 لاتعنقوا السير فقالوا اتد
 فيا له مشهود يوم بما
 يا هائل الترب عليه وان
 اقام فى القبر وءثاره
 وكيف لا وهو امام الورى
 مقصد اهل الله يهديهم
 واكرم الناس ولكنه
 مجدد دين الهدى بعد ما
 قد اوتى المشور وهو التقى
 وعلمه بجر زلال غدا
 وحكمه ينسبك هرمس مع
 اما اصطباره فنحو اولى الـ
 ما شئت من حزم وعزم ومن

وهمة النفس فما واجهت
وفى فراسة يظن كسان
ومن رئاسة حباه بها
وفى سياسة يقال لمن
ومن شمائل حكى لطفها
ان قام فى الناس بوعظ ترى
او باغت المجلس اطرق من
لغير هذا من صفات لوى
من ذا يحل بعده مشكلا
او يورد البحث على وجهه
مضى ولا يمضى بنا ذكره
صب عليه الله فى قبره
صبرا جميلا يابنى احمد
فرزؤكم عم جميع الورى
وفى ابنه محمد غنية
هما لافلاك العلا توأم
يسعى لادراك العلا سعيه
وبارك اللهم فيه وفى
واغفر لعبد الله من بعده
أرخ وفاته بدى حجة

وقال الفقيه سيدى موسى بن الطيب السليمانى صهر الشيخ وابن اخته
واحد مريديه

مضى الاخيار وانقضت الدهور
مضى الصهر الوفى اخو المعالي
فوا أسفا على قطب المزايا
ووا أسفا على وجه تقضى
ووا أسفا على وعظ اذا ما
ووا أسفا لكل الناس طرا
ووا أسفا لهذا القطر غابت
مصاب عم مفضعه وهادا
مضى من كان فينا خير وال
وخير وسيلة فى كل خير
مضى من هو فى الاحداث طود
فان شئت العلوم تراه يبدى

وتم الخير واتصل الشرور
وخالى شيخنا الليث الهصور
رحى الخيرات حوليه تدور
يسر به غنى والفقير
يسجره تذوب به الصخود
سواء منجد وفتى مفسير
به شمس على الجوزا تير
وسهلا والجبال كذا البحور
اذا ما جانا امر عسير
اتيناه يحق لنا البرود
رسوخ فى الشدائد وانصبود
مسائل قد تضيق بها السطود

او الجود العميم تراه يعطى
او العزم اعترف بوضوح عجز
وليس بمنكر ذا الفضل الا ذليل او جهول او حقير

* * *

ايا من جد فى نيل المعالى
رئيتك عن مجامر فى فؤادى
فيا بدر التمام ويا مناطا
انت سكرات موتك لاتفدى
يحق لجفنا ابدا دموع
فيا تربا حوى اشلاء شيخ
رايناه عيانا ذا وضوح
وبعض من مريديه رءاه
فصبرا يابنى شيخي جميلا
فبارك فيكم ربى كثيرا
فيا شيخي نزلت جنان عدن
فلا يحصى رءاءك دو قريض
سقى الرحمان قبرك مزن رحى
ولاقتك الالائك باحتفال
عليك سلام ربك كل حين

وقال الاديب الكبير سيدى احمد بن محمد اليزيدى :

الدين يجزع والصدور توجع
وتلهب النيران بين جوانحي
الدمع قد خد الخدود وقتها
اين الذين مضوا عنوا لملمة
واذا رمت اصمت سواء عندها الـ
لم انس حين وقفت فى ربع فما
حظ الذى ملك الدنيا كلها
ان المصائب جممة لكنه
اودى فاودى العلم وانجاب الندى
لم تشنها عنه المعارف والعوا
انت الكريم ابن الكريم ابن الكر
صاقت بموتتك الفجاج عن الورى
ماكنت انسى يوم موتك اذ غدا
نفديك هل نفس تفدى مثلها

والعين تدمع والقلوب تصدع
ابدا يزيد ، هلكت لولا الادمع
مثل الاصابع فت فيها اليرمع
نزلت فصاروا كل حى بلقع ؟
سبازى الاشهب والغراب الابقع
اجدى الوقوف ولا اجاب الربع
حظ الخيال مضى وذلك اسرع
ما مثل رزه على بن احمد مفعج
ان السهام لدى المنية شرع
رف والحجافل والبناء الارفع
يسم ابن الكريم الالعمى الاطوع
كل بكاك ولا بكاؤك ينفع
جسم غفير خلف نعشك شيعوا
ان المنية بالفدا لاتنفع

من للشهامة والصرامة بعدكم
 الشمس والبدر المتير ودوحة الـ
 للشمس غور والمنير افولسه
 ما فيهما للغير بعدك مطمع
 —مجد الاصيل ثلاثة لاتربح
 وبقيت فردا في دهورك تلمع

*

ماالبحر عندك في النداء مالليث به
 غاضت بحور العلم بعد ترحل الـ
 نرضى الرضى بالشيب فرقة سيد
 ان الذى ملا القلوب جلاله
 عجا لبدر كان منزله الثرى
 قسما بحب الاريجى محمد
 وله بشم قد مضوا كالجشتمى
 فسقت سحائب رحمة ديماس من
 صلى الاله على النبي محمد
 وعليهم ابداء لى محبة
 —كفى الشجاعة ماالشجاع الاقرع؟
 سبحر المحيط وما تفيض الادمع
 ولكل شخص بعد شخص مصرع
 وهدى الانام له مقام ارفع
 ولبحر اعظم فى الركبة يجمع
 لله على قلب الاحبة موقع
 واليفرنى اسوة تستتبع
 يهدى ويهدى بالمواعظ يفرع
 ما الورق فى اغضان ايك تسجع
 ما الدين يجزع والصدور توجع

يعنى الشاعر بمحمد الاريجى كبير اولاد الشيخ اذذاك ، وبالجشتمى ابا
 العباس احمد بن عبد الرحمان وباليفرنى الحاج الحسين اليفرنى دفين تزيت
 مات الجشتمى عام ١٣٢٧ هـ ومات اليفرنى عام ١٣٢٨ هـ
 وقال ايضا

قد استوى الله على عرشه
 والملك والبقاء والجبروت
 يا ايها الباكي على فقد من
 ايه فقد اودى المنون بمن
 ابك او اعول ذاكرا وعظه
 وقل لى وعظ وذى ادب
 والوعظ والمجد الاصيل كذا
 هدى الجهول واستقاد العمى
 (ليس على الله بمستنكر
 الدهر قد نذر ان يفدر الـ
 فالرزء كل الرزء موت ابى
 لكنه هون ذاك بقا
 مجدد الملة شيخ الشيو
 محيى الهدى مهدى الندى والجدى
 لازال ملحوظا بعين الرضا
 والموت فرض يحتى كاسه
 والله غالب على امره
 ت والعللا لله لا غيره
 علا على الشموس فى قدره
 كان امام الناس فى عصره
 وجدد الحزن لى ذكره
 الوعظ والآداب فى قبره
 الذكر الجميل غرن فى غوره
 من بعد ما غرق فى بحره
 ان يجمع الاسرار فى سره)
 كرام بر الدهر فى زدره
 حسن السامى على غيره
 الشيخ مجد الدين فى مصره
 خ من غذا كالبدر فى دهره
 مردى العدا الشهر فى قطره
 ممتعا بالسؤل فى عمره
 نظير ذاك الشيخ فى قصره

فالشيوخ هون بترحاله مصائب الدهر الى نشره

وكتب العلامة سيدى عبد العزيز الادوزى فى التعزية بالشيوخ

اخواننا فى الله وللآخرة فى الله اعظم رحم يجب وصلها ، وللطريقة اءاداب
وكل من يقوم بها فانه اهلهها ، ياسادتنا اصحاب العرف بلله الشيخ الاكبر
سيدى الحاج على الالفى المرحوم ، ليس هذا الخطب العظيم خطبكم وحدكم ، ولا
الرزء به هو الناثر الذى عندكم ، بل ان موت الشيخ موت ركن عظيم من اركان
الاسلام ، فمن لنصيحة العباد بعد هذا الشيخ الامام فشهادتنا انه قام بما يجب
ان يقوم به كل العلماء ، فى نصيحة الدهماء بله تربية الخاصة من الفقراء من
جلاء مقله عمياء اودواء اذن صماء

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهلما

فقد كان المرحوم يقيم القلوب ويقعدها ، ويقوم العزائم نحو الوجة الربانية
ويسددها فكم معوج قوم ، ومتأخر قدم ، وغافل يقظ من وسن وسادر غص مماله
من رسن فعزأنا فيه واحد ، والله على مانقول شاهد والسلام

وقال الاديب الصوفى سيدى الحبيب البوسليماني بعد نثر ونص الجميع:
اولاد الشيخ الامام كبير العارفين ، وقدوة المتطلعين الى وصول رب العالمين
المرحوم الذى رزىء به الاسلام ، علم الاعلام الشيخ سيدى الحاج على بن احمد
الالفى مربي المريدين ، ومرشد الصالحين من كان عمرى الهمة والبدر المشرق
فى الليلة المدهمة فكم كشف عن قلب غمة ، ولم انفاس المريدين الى الله لمة
فعليكم يا اولاده وجميع الفقراء المتنسبين الى الطريقة الالفية ، من المريدين ازكى
سلام واذكى تحية ، ما ابدر قمر وازهر شجر وحلا ثمر

اما بعد فقد وقعت السماء على الارض ، ومنيت البحار المحيطة بالفيض
وكسفت الشمس والقمر وغطى على السمع والبصر ، حين نعى الينا شيخ الاسلام
وامام الائمة الاعلام قطب الطريقة ، والجامع بين الشريعة والحقيقة ، فياله من
مصائب ذك العزائم وتنف الخوافى والقوادم ، وكاد لولا الرجاء فى الله ان يؤيس
فى الخلف ، لخير من سلف وما هى الا مصيبة جلي هاضت الاعضاد ، وانست
الاجداد والاحفاد فمن مثل الشيخ رضى الله عنه فى همته العميرية وعزيمته
الخالدية ، فكيف الصبر بعده ام كيف يرجى ان يجد المريد نده ، ولكن على قدر
المصيبة ينغى ان يكون الصبر ، فصبر جميل وان اتقد فى كل القلوب الجمر
فاحسن الله عزاءنا وعزاءكم يا اولاده وفقراءه وهاكم ايانا تكلفتها فى رثائه
وان كنت لادرك كما اهوى رثاءه

قضى امام الدين من لا يرى له نظير فى جميع الورى
ما كان فى افاقنا هذه الا كمثل البدر ان ابدر

كم مقلدة اسالها ادمعا بوعظه المشهور ان ذكرنا
وكم سفية رده سيدي فذا متى هذبه اكسبرا
يارب الحف بالرضا قبره ومن يزور ذلك المقبرا

أولاده

ترك الشيخ من الذكور ومن الاناث خمسة عشر ، محمد وعبد الحميد
وحبيبة ومريم اشقاء من السيدة فاطمة الالقية ، واحمد وعبدالله وعبدالرحمان
وعائشة وصفية وائمة اشقاء من السيدة خديجة التلمية، ومحمد المختاروالحبيب
وابالقاسم وابراهيم وفاطمة من السيدة رقية الادوزية ، وقد بينا بعض احوال
اولاده في كتاب (الترياق الداوي) وسترى امامك تراجم من يستحقون الترجمة
من اولاد الشيخ واحفاده

الكتب المؤلفة في الشيخ

- ١ - «الممول المبغى في مناقب الشيخ سيدي الحاج علي السوسي الالغى»
للفقيه سيدي محمد النادلي
- ٢ - «الفتح الموهوب في مناقب الشيخ المحبوب» للفقيه سيدي الطاهر السماهرى
- ٣ - «هز الراية الجعفرية» للعلامة محمد بن مسعود
- ٤ - «السر العجلى في مناقب الشيخ سيدي الحاج علي» لسيدى بريك بن
عمر المجاطى
- ٥ - «حياة الشيخ سيدي الحاج علي» كتبتها لبعض الاجانب بطلب منه
- ٦ - «من افواه الرجال» جمعت فيه بلا ترتيب ماكنت ءاخذه عن اصحاب
الشيخ في كل مايتعلق به . كمااضفت الى ذلك اخبار كثيرة من غير اخبار
الشيخ فيه عشرة اجزاء واتمنى لوامكن لى أن اميز من الكتاب اخبار الشيخ من
غيرها على ناحية
- ٧ - «الترياق الداوي في احوال الشيخ سيدي الحاج علي الدرقاوى» لبيت
فيه رغبة من طلبه منى ، وهو فى جزء وسط

العلامة علي بن عبد الله الالغي

= ١٢٧٥ هـ = ١٣٤٧-٤-٦ هـ =

نسبه :

علي بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد
ابن عبدالله بن سعيد .

ليس كل من وصفه المترجمون الذين يخبط بعضهم خبط عشواء بكونه
علامة ، كان علامة حقا ، ولاكل من قيل فيه انه استاذ هو استاذ بلفظه ومعناه
كما تقصده به العرب العرباء فقد صارت الاوصاف تنشر يمنة ويسرة ، حتى صار
من يريد ان يضع الاشياء في مواضعها ، والاوصاف ازاء مستحقيها يستحسى
ان يصف باحدى تلك الاوصاف من قامت به حق القيام ، خوف ان يظن انه القى
ايضا ذلك الوصف بغير تبصر وانه ممن يخبط خبط عشواء ككثيرين غيره ولكن بالآثار
تظهر الرجال ، وبالاصحاب والاعمال يعرف العاملون الذين بذلوا جهود حياتهم
في التثقيف وانهذيب ، فمن اعوزك ان تعرفه ، وان تبصر هل ما وصف به
يستحقه حقيقة فانظر الى اصحابه واعماله واثاره ، قبل ان تستهويك بنيات
الاستة ، فهناك تلمس حياة الرجل ويكتنه قدره كيف هو

العلامة علي بن عبد الله ، هو ذلك الرجل العظيم الذي خلف صنوه الاستاذ
المتقدم محمد بن عبدالله في تسيير دفة الدراسة في المدرسة الالغية ، فكان خير
خليفة تم على يده ما افتتحه الاول ، واستتم في درسه من كان شدا في درس
اخيه وسار على خطته في رفع شأن العلم واهله ، وفي تمكين اسسه في الخ ،
وفي ترشيح اهله الى ان يكونوا به قادة معاصريهم ، وفي تلقي كل من وفد للورود
في مناهل المدرسة ، بكلتا اليدين ، فكانت المعارف الالغية تزخر بالوارديين
والصادرين وقد التحم مابعد عام ١٣٠٣ هـ الى ما قبله ، فكان الخ لم تزرأ بذلك
الاستاذ ، حين صار هذا الاستاذ الجديد على خطته :

اذا مات منا سيد قام سيد قنول لما قال الكرام فعول

الاستاذ علي بن عبد الله ، هو ذلك الاديب الحي الاريحي الذي وصل بالادب
الالغي الى هذه الغاية التي يشاهدها المغرب اليوم ، كما سيشاهدها العالم غدا
في التاريخ ، فقد قام على اللغة العربية ، والعلوم التي تدرس بها خير قيام

من حين ان تولى المدرسة ، الى ان التحق بربه عام ١٣٤٧ هـ فقد كانت الخمس والاربعون كلها اادابا وابحاثا ، ودراسات ومحاورات ومكاتبات ، وقتلوى رائعات وقصائد ومقطعات ورسائل محبرات تتسم بسجع يخف على السمع فقامت به في الغ سوق حافلة رائجة طارت بذكرها الركبان ، وتعطرت باحاديثها الاندية

فشرق حتى لم يجد ذكر مشرق وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب

خطوته الاولى

كان والده رحمه الله قد اعتمى بأخيه الاستاذ محمد بن عبد الله كما ذكرنا ثم التحق بعد اخذه للقرءان بالمدرسة الثانكرتية ، وحين بلغ الاستاذ على صنوه هذا مبلغ التعلم ، صاحبه معه الى تانكرت وقد كان تخطى الحروف انهجائية وبعض احزاب عند اساتذة القرية ولم نهتد الى معرفة من هو - فالحقه صنوه باستاذ مسجد تابا حنيف - من قرى تانكرت ، وهو سيدى محمد بن علي التاعونتي ، وبه وحده تخرج في القرءان حتى اتقن حفظه ، ثم التحق بمدرسة سيدى همو بن الحسن عند الاستاذ الكبير سيدى محمد بن الحسن الثمسي القارىء الشهير لتعلم القراءات المختلفة ، فبقى هناك الى عام ١٣٩١ هـ

في دراسة المعلم

تهياً للاستاذ صنوه ان يؤسس في اول يوم ، في مسجد قرية الزاوية مدرسة صغرى ، انضاف اليه فيها بضعة تلاميذ اولاً ، فذهب هو وصاحبه سيدى سعيد بن علي الاعضيبي الى صاحب الترجمة بالاخصاص ، فالحقاه بأولئك التلاميذ ، فصار يتدرج ثم لما انتقل صنوه الى المدرسة البومروانية وقد بلغ حصلت منه فترة ، فسمت به همته الى التكسب ، فجال في المقايضة وكادت تكون قاضية عليه لولا ان لاحظته عين السعادة ، فانصل به الشيخ الوالد كما يقول العم اذ خلفه الاستاذ محمد بن عبد الله بتلك المدرسة ، فعرف كيف يحول فكرة الاستاذ على الى الدراسة ، وكان رحمه الله من البق الناس في مثل ذلك واسعدهم حظا فيه ، فما شاء في المطالعة والمراجعة والتلاوة ، فما مضت سبعة اشهر حتى تفتحت قريحته وشدا وصار في العلم من التهمين

اذقه واطلقه فمن ذاق شربة من الكاس هدى كيف بعد يفيق؟

ثم لم يزل في التحصيل سهرا واكبابا باذلا كل جهده في ذلك ، حتى انه في بعض العواشر ارتحل الى الاستاذ سيدى علي بوضاض الاخصاصى ، فاخذ عنه الفرائض والحساب ثم لم يفته درس من دروس صنوه ، ولا من دروس الاستاذ

الحاج محمد اليزيدي ، حين كان في المدرسة الالغية عام ١٣٠١ هـ ولم يزل على هذه الحالة ، الى ان توفي صنوه باحواز مراكشي ، ونقله مع الشيخ الوالد الى الغ ثم استتم الوالد تلك السنة ، على ما خلفه عليه الاستاذ المرحوم في المدرسة الالغية ، فغادره الى ما خلق لاجله ، كما رايت ذلك في ترجمته .

في الاستعداد لقيادة المدرسة

في المدرسة الالغية حين توفي مؤسسها ، نبغ اصحابه المتفوقون غاية التفوق وهم بالاشك تدرّبوا على مجاذبة الابحاث مع من يتصدر امامهم ، فحين حق لصاحب الترجمة ان يقود القافلة ، وان يتصدر في مركز الادارة ، ووزن نفسه بميزانه الدقيق الذي نعرفه عنه في طول حياته ، فلاشك انه رأى في بعض نواح من معارفه نقصا ، فأراد ان يستدرّكه قبل ان يبرز في الميدان ، وينقض عليه بواثق المدرسة بابحاثهم من كل جانب ، فاستدعى الاستاذ اليزيدي فشاركه في المدرسة من جديد ، فأكب بمعاونته في مخض الطلاب ، وسن الطبا وكان يتعاون هو واليزيدي والوالد الذي كان يغيب في كل مساء الى منتصف الليل ، في استفتاح المغلقات واستبصاح المشاكل ، فما توسط عام ١٣٠٤ هـ حتى احس من قواده وخوافيه بقوة يقتدر بها على مطايرة اقرانه في المدرسة بل يبدهم بذنا ، حتى يصلح ان يكون استاذهم بالاستحقاق وان يسموا تلاميذه بكل جدارة .

وقد حكى لي انه كان في هذا الطور قد طلق كل اشغاله الخاصة وتركها في ايدي العبيد ، مع انه يدرك ان السرقة من ابناء حام عادة مستمرة ان راعينهم فكيف ان جعلتهم بأنفسهم رعاة ، يعرف ذلك حق المعرفة ، ولكنه يقدم الاهم فالاهم وهو الفقيه الذي يعرف قاعدة اذا اجتمع ضرران ارتكب اخفهما هذا مع انه تزوج اذذاك ، وقد خلف صنوه على السيدة مريم بنت احمد اذت والدنا ، بعد ان تقضت عدتها

استاذ المدرسة

صدق الذين قالوا ما افسد الطب الا انصاف الاطباء ، ولا افسد العلوم الا انصاف المعلمين ، صدقوا والله ، لان من تصدر لتعليم علم قبل ان يتمكن فيه وقبل ان تحصل له فيه ملكة ، وقبل ان يكون على ذكر من جل مسائله على الاقل فانما هو كمثل الاعرج الذي يريد ان يعلم غيره المسابقة بالارجل ، وكيف الوثبات التي يمكن للمسابق ان يبذلها صاحبه عند الحضر في المضمار .

رأينا الاستاذ علي بن عبد الله ، وما اثره تعليمه بعد ان تمكن كل التمكن في المعلومات التي يدرسها ، وفي العلوم المختلفة التي يلقيها في المدرسة منذ

تصدر ، فراينا ماخبلنا وما بهر عقولنا ، وتركنا نوقن ان ذلك من انبر تمكنه ومعرفته ما يعلمه حق المعرفة .

كثيرا ما يوازن طلبة المدرسة الالغية فى اسماهم بين ما ينقلونه عن الاستاذ ومقدار رسوخه فى قلوبهم ، كانه نقش على حجر وبين ما ينقلونه عن غيره ممن يستنبيهم الاستاذ فى المدرسة ، فيتعجبون من ان درس غيره يطير عن ذاكرتهم قبل ان يفتل المدرس عن مجلسه ، بخلاف ما ينقلونه عن الاستاذ ، ولكنه قلما ينفذون الى هذا السبب الذى ذكرناه .

قال بعض الفتية الالغيين لدرس واحد اخذه عن الاستاذ اكثر فائدة من عشرة اخدها عن فلان ، سمعت ذلك بأذنى ، وهذا الفتى من البق النشء الالغيين .

وقال اخر ممن كان رضى بين يدى الاستاذ ماشاء الله ، ثم التحق باستاذ اخر ، فى مدرسة اخرى وهو من مشاهير المدرسين فى اول نصف هذا القرن اننى اقوم عن ذلك الاستاذ وكأنى بليد موصل القلب ، متحجر الذاكرة على حين اعهد من نفسى اننى استحضر كل ما اخذته عن الاستاذ على بن عبد الله بعد سنة وكأنى اخذته عنه الساعة او كما قال ، وما السبب فى ذلك الا ما ذكرناه .

ثم ان تحقيقه رحمه الله ومباحثته فى الدروس وارخاءه العنان للمباحثين سوان عرف بادىء بدء ان سهام المباحث طائفة حتى يفهم مباحثه غلظه بالتي هى احسن ، امر مشهور عنه ، يعلمه عن كل من حضر عنده ولو درسا واحدا او جلسه فى محفل واحد لان محافله العامة ان كان فيها الطلبة تمضى كدرس من مجالس المدرسة ، فلا تخلو من مباحثات ومراجعات وانتقادات وتحرير مسائل من مختلف الفنون فالاستاذ يدرس دائما متى التقى مع الطلبة سواء فى الطريق على البغال او حول الصينية والكئوس تدار ، اوفى اى مكان اخر صادفهم فيه ، فهذا هو الاستاذ الذى بنفسه تولى الدراسة فى المدرسة الالغية من اواسط عام ١٣٠٤ هـ الى نحو ١٣١٣ هـ حين سلم المدرسة لناييه وتلميذه الاستاذ ابي القاسم التاجارمونتى ثم صار يلقي بعض الدروس فيئة بعد فيئة ، متى وجد فراغا مما طوق به من منصب القضاء الذى تولاه رسميا كما سيأتى

قوله الشيخ الوالد فيه

اسمع ما قال الوالد فى هذا الاستاذ فى شعبان عام ١٣٠٥ هـ فى رحلته الحجازية ، حين صاحبه للتوديع فى لمة من المشيعين ، بعد ان رجع من رجع: وبعدهم لم يزل الفقيه اخو العلا السמידع النبسيه يعطوى الطريق معنا فى السير ومن يشيع حاز كل خير

الاخ والصهر من انتمت له محاسن الخلق فداع فضله
 علامة الدهر ونخبة الزمان وفخر ذا العصر على كل اوان
 وراية العلم عليه خافقة وشمسه وسط سماء شارقة
 اليه مرجع الصلاح والادب وفكره قطب القريض والادب
 مدرس العلم على الدوام بالبحث مثل مخدم صمصام
 لم تله الدنيا عن التدريس ولا عن الذكر لدى التدريس
 وكلنا من نسب متصل وهو ابو الحسن سيدي على

بولي القضاء من حضرة السلطان

في عام ١٣٠٣ ء عاد السلطان مولاي الحسن الى سوس ، فعاد العلماء
 ووجهاء جزولة وما اليها الى اداء حق التحية الواجبة ، فكان من بينهم صاحب
 الترجمة اقتداء باخيه الذي له اختلافات متعددة الى حضرته حتى عرف فيها وكان
 نزول السلطان اولا بتيزنيت خارجها ، فهناك التحق به الاستاذ ثم صاحب ركابه
 باذنه الى وادي نول ثم الى تيزنيت ثانيا ، وقد كان القائد احمد الابلاغسي
 الاساكي العقيلي من المقربين حين ذاك الى السلطان لايفارق تلك الايام مجلسه
 والناس كلهم ينتظرون نكايه بالشريف الحسين الايليقي الذي يتخلف عن
 حضرة السلطان ، وكان الابلاغسي من اعدائه الالاء فيتقرب بذلك فقال للسلطان
 حين قدم اليه الاستاذ ان الحاج عبد الله والد هذا شيخنا وصالحنا والمتبرك
 به عندنا ، فزاد ذلك الاستاذ تقريبا ثم ان السلطان وصله وولاه قضاء مجاط
 وما اليها وهذا نص الظهير بذلك :

«يعلم من هذا الرقيم الكريم المتلقى امره بالاجلال والتعظيم انا بعناية
 الله ومنته ، وحوله وقوته ، ولينا حامله الفقيه السيد علي بن عبد الله الالفي
 السوسي ، خطة القضاء على خدامنا قبيلة مجاطة وما والاها ، واسندنا اليه النظر
 في الفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعذار وتصفح الرسوم على ان يحكم
 بمشهور مذهب الامام مالك ، وما جرى به عمل من سلك بعده اوضح المسالك
 وان يسوى بين الخصمين ويسمع منهما سماعا مستوى الطرفين وان يردد
 الفصل بين ذوي الارحام ويشاور اهل العلم فيما اشكل عليه من الاحكام او
 يدعوا الى الصلح كما نص عليه الائمة الاعلام ، وان لايقبل من الشهود الا من
 تحققت عدالته واشتهرت خيارته وديانته وان لايتعرض لاحكام من تقدمه من
 القضاة فيما يخالفه النفوذ والامضاء ونعهد اليه بالتقوى ومراقبة المولى سبحانه
 في السر والنجوى الهمة الله رشده واعانه وسدده ، والسلام ، في ٢٢ شعبان
 الابرك عام ١٣٠٣هـ»

وفوقه الطابع الكبير في وسطه ، الحسن بن محمد بن عبد الرحمان الله
 عليه ، وفي دائرته : ومن تكن برسول الله الخ ، البيت المشهور
 ثم جدد هذا الظهير بظهير اخر عزيزي ، علي يد القائد سعيد الكيلسولي

انحاحي والقائد سعيد المجاطي ، ونص الظهير الثاني
«يعلم من هذا الخطاب المحكم العري السامي الذرى ، اننا بحول الله وقوته
وشامل يمنه ومنته ، اقررنا الفقيه السيد علي بن عبد الله السوسي على تولية
خطة القضاء بقبيلة مجاطة وما والاها من القبائل واسندنا اليه النظر في ذلك
فنامره بالفصل بين الخصوم ، بعد التلوم والاعدار وتصفح الرسوم ، وليكن
في ذلك متقيدا بمذهب امام دار الهجرة الذي ضرب اليه اكباد الابل من شد
لالتقاط درره ازره ، وبأن لا يخرج في الحكم عما جرى به العمل ، والراجع
والمشهور ، ان لم يكن ثم عمل ، وبأن يسوى بين الخصمين وان يسمع من كليهما
سماعا مستوى الطرفين وبأن يردد الفصل بين ذوى الارحام ، وان يدعو الي
الصلح اذا اشكل الامر ، كما تقرر في كتب الاحكام ، ونعهد اليه ان لا تاخذه
في الله لومة لائم وان يشيد للعدل المنار ، ويحكم الدعائم وان لا يفتح على المنصب
ابواب الرشا ، ويتجافى عن تلويت الخطة بما يقدم في الظاهر والحشا ، فان
للخطة ربا يحميها وللخليفة مولى يفار عليها فينجيها ، والله تعالى يعصمه من
انزله ، ويوفقه لصالح القول والعمل والسلام ، ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦ هـ
وفوقه الطابع الكبير في وسطه عبد العزيز بن الحسن بن محمد الله وليه
وفى دائرته ومن تكن الخ البيت

ثم ورد مع هذا الظهير من الحمراء ، جواب القائدين وهو هذا
«خدمينا الارضيين ، القائد سعيد الكيلولى والقائد سعيد المجاطي ،
وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله ، وبعد وصل كتابكم طالبين مساعدة قاضي
مجاتة على تجديد الظهيرين الذين وجهتم طي كتابكم ، وصار بالبال ، فقد وصلا
وها تجديدهما مع اصلهما يصلكم والسلام في ٢٢ ربيع الثاني عام ١٣١٦ هـ
وفوقه طابع صغير فيه عبد العزيز بن الحسن الله وليه ومولاه»
والظهير الثاني الذى ذكرهنا تجديده هو الظهير الحسنى فى تحرير
المرابطين ، وقد ذكرناه مع غيره فى ترجمة الجد

في رةاسة إخوان المرابطين

رأيت ان شغل الاستاذ الشاغل هو التدريس ، وادارة شئون المدرسة
مع قيامه بمنصب القضاء ، زيادة على ما لابد له منه من مشاركة امور اسرته فى
الوقوف على حرثه وعلى حصاده ، وعلى كل شادة وفاذة ، لانه بعد ان استولى على
الدراسة وملك زمام نفسه ، ونال ثقافة تامة لأكبوة معها ، اذا جالت المباحث
فى ميادين الدروس ، واختلفت الانظار فيما بين الطروس ، يميل احدى عينيه
احيانا ليراقب اسرته التى يفرط ماشاء الله فى شئونها ، فقد يقادرها بين يدي
بنى حام ، الذين كانوا فى زمن قليل يخبون ويوضعون بغير مراقب ، قرأى ان
يرتكب الحزم الذى هو شئسنة راسخة فى اهالينا فى كسل ما يزاولون - كما

قاله الوالد فى احدى مقالاته يوماً- وان يكون من اخوان محمد بن ادريس القائل:

ماحك جلدك مثل ظفرك فتول انت جميع امرك

بهذه الامور كلها ملا الاستاذ مابين عام ١٣٠٥ هـ الى عام ١٣١٥ هـ ثم فاجأ فى تلك السنة امر هائل ، وموجة مخزنية من الحاحيين ، تركت كل من فسي جنوب سوس فى مقيم مقعد ، فاذا ذلك اضطر الاستاذ ان يستنيب الاستاذ ابا انقاسم التاجارمونتى ، لئلا يقف دولاى المدرسة ، ولئلا يتسرب الفنون الى من فيها .

كان للوالد معرفة سابقة بهؤلاء الحاحيين كما تقدم ذلك فى ترجمته ، فندب الاستاذ الى ان يقوم برياسة المرابطين ، الذين اعلن القائد سعيد الكيلولى تحريرهم ايضا ، اتباعا لما فى الظواهر الملوكية ، ولكن القائد سعيدا المجاطى والقائد مبارك البشيرانى اللذين يحاوران هؤلاء المرابطين يحرقان عليهم الارم ويتناولان الى الاتصال بهم ، فيفعلان بهم مايفعلان بالمجاطيين الذين القياعليهم تلاكهما فيطحنانهم بالمقارم المتتابعة

تلقى القائد سعيد الكيلولى الاستاذ مع الوالد فى تزيت ، فعين الاستاذ رئيسا للمرابطين المحررين وقد مضى تحرير هذا القائد بين ما الحقناه بترجمة الجد عبد الله بن سعيد ونفذ له اعشارهم وزكواتهم ليستعين بها فى القيام بالمدرسة ، وليعين بها غرباءها .

وهذا مرسوم القائد بذلك التنفيذ للاعشار

«فحامله الفقيه الاديب العلامة النجيب والمدرس الاريب ، سيدى على بن عبد الله بن صالح الالفى ، اذنا له فى قبض اعشار من اشتمل عليهم الظهير المكتوب له على ايدينا ، وصرفها على طلبة العلم المستفيدين بمدرسته المحروسة بالله عمرها الله بدوام ذكره، وصرفها فى مصالح زاويته، اعانة على البر والتقوى وعليه ان لا ينسانا فى صالح دعواته فى خلواته وجلواته وانصدر منا الاذن بذلك لعشر بقين من ذى الحجة عام ١٣١٥ هـ» وتحت طابع القائد سعيد الكيلولى

هكذا امكن للمرابطين ان ينجوا من ضغوطات قائدى مجاط ، القائد سعيد والقائد مبارك البشيرانى ، ولكنهما لايزالان يحومان حولهم ، ويمدان ايديهما الى من توصلا اليه من المرابطين ، فكتب القائد سعيد الكيلولى هذه الرسائل المتوالية اليهما ، ومن معهما من الخلفاء الحاحيين :

منها

مجنا الطالب السيد الحسن بورواين الغماوى وخادم مولانا القائد مبارك البشيرانى ، سلام عليكما ورحمة الله وبركته ، وبعد فنامر كما بحول الله

وقوته ووجود سيدنا المنصور بالله ان تجابنا كل ماهى امور المرابطين اولاد
سيدى عبد الله بن سعيد حيثما كانوا فيه لا تقربوا من بيادرهم واعشارهم وبهذا
اكدنا كما ، وكونوا منه على بلل ، فانكم لم تكلفوا بهم اصلا فضلا عن الاعشار
والسلام فى صفر عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلوى

واحمد بن محمد هذا هو خليفة القائد وعضده الايمن ، وهو القليل فى
بعيلة ،

ومنها

السلام والرحمة والبركة على القائد مبارك بن الحسن المجاطى ، وبعد فلا
تعرضوا للمرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد ، بما يؤذيهم فى كل شىء
شىء واعشارهم اعنا بها طلبة العلم بمدرسة الفقيه سيدى على بن عبد الله بن
صالح ، اعانة على البر والتقوى والسلام ، ٦ من جمادى الاولى عام ١٣١٦ هـ وتحت
طابع القائد سعيد الكيلوى

ومنها :

«خديم الحضرة العلية بالله القائد مبارك بن الحسن البينراني ، السلام
والرحمة والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبعد فلا باس وقد نبهناك
عن التعرض للمرابطين اولاد سيدى عبد الله بن سعيد بما يؤذيهم وامرناك
بالتخلي عن اعشارهم ، فلم تمتثل ولم تبال على عادتك ، وعليه فان عدت لمثل
ذلك فلاتومن الانفسك ، والسلام كتبه اليك لست مضت من جمادى الثانية
عام ١٣١٦ هـ احمد بن محمد الكيلوى»

ومنها :

خديم الحضرة العلية بالله القائد سعيد بن محمد المجاطى والسلام والرحمة
والبركة عليكم بوجود مولانا نصره الله ، وبعد فقد نهيتك عن التعرض
للمرابطين اخوان حامله الفقيه السيد على بن عبد الله ، وخادم زاويته بما
يؤذيهم ، فلم تمتثل عباذا بالله وقد اخبرت انك تنزل عليهم المخازنية وذلك
عندى عظيم عجب ، وعليه فلاتعد لمثل ذلك ابدا وخصوصا اهل (تحت الحصن)
فانهم من خدام الزاوية، ولايلغنا عنك مايسوينا ولا تكلفهم بشىء قل او جل والسلام:
كتبه اليك ب ٢٢ ذى القعدة ١٣١٦ هـ وتحت طابع القائد سعيد

ومنها :

اخانا الخليفة الشيخ احمد بورغا وخادم مولانا القائد سعيد المجاطى سلام
عليكما ورحمة الله وبركاته وبعد فما برمناه للفقيه الشريف السيد على بن عبد

الله الالهي من تنفيذ عشر اخوانه ، ومن ينتمي لخدمة زاويته في الماضي من غيرهم ، لتصرف على زاويته وفيما هو بصدد من نشر العلم ، لاسبيل لاجد الى نقضه وكما تعلمان اننا قد عينا العلامة المذكور لمباشرة ماعسى ان يعرض لخوانه ومن ذكر معهم من الخدمة من المطالب المخزنية بحيث ان لامدخل لاجد غيره في مباشرة ما ذكر ، وغيره من العمال والاعيان بمعزل عن ذلك ، فنامركما ان تشدا عضده وتعيناه على العمل بمقتضاه على انه لاكلفة عليهم اذهم بضعة نيوية والقصد في الشرفاء المذكورين ان يبني امرهم على التخفيف ، فمثلكما لانقرع له العصا ، ولاينبه بطرق الحصا ، وفقنا الله واياكم والسلام في اوائل ربيع الثاني عام ١٣١٧ هـ وتحت طابع القائد سعيد :

وهذه الرسالة بخط الفقيه سيدي محمد بن عبد الرحمن الدرقاوي الحاحي وهو اذذاك كاتب القائد سعيد ، وما ادعاه من ان المرابطين شرفاء من البضعة النبوية قد تكلمنا حوله في ترجمة سيدي عبد الله بن سعيد ، كما نعرفه، ولسنا من المتكلفين اللابسي ثوبي زور ، الذين يتعالون الى ما لايشبث عندهم

من هناك يدرك القارىء مايلقيه الاستاذ في الذود عن المرابطين ، من مدافعة القائد سعيد والقائد مبارك البشيراني الضاربيين اللذين لاير اقبان ممن توصلوا به الا ولاذمة ، فقد كان رحمه الله يفرع الى القائد سعيدكلما نلوش هذان المرابطين ، فيلاقيه القائد بكل تجلة ، فيرسل الى هذين القائدين باللوم وربما يأمره ان يكتب هو بيده رسالة لاحدهما ، ثم يوقعها القائد بطابعه كماحدثني به العم ابراهيم حين رأينا بعض هذه الرسائل بخطه فسألته عن سبب ذلك

كتب الله النجاة للمرابطين من الطغاة اهل المخزنية الحاحية العاركة اشد العرك على يد الاستاذ الذي يسانده الوالد ، في ايام القائد سعيد الحاحي ثم لما جاء القائد أنفلوس انقلبت الحالة وكان ماسنذكره

في كلاءة الله بين الزعازع

كثرت الشكوى بالقائد سعيد الكيلولى ، من بعض السوسيين وقد تولى كبر ذلك القائد دحمان الوادونوني الشهر ، فصادف ذلك انقلاب الوزارة في البلاط العزيز بموت احمد بن موسى ، اخر رجال المغرب الافذاذ ، وتولى الحاج المهدي المنابهي في الصدارة حقيقة ، وان كان لم يعد رسميا الوزارة الحربية ، ودفع بغريط الى الصدارة ، وقد كان للمنابهي مع القائد محمد بن ابراهيم أنفلوس وهما في مطبق فاس صحبة ، تعاهدا بها على ان يتعاونوا ويشد احدهما أزر صاحبه ، ان تبسم له السعد ، فكان هذا هوالحامل للمنابهي = كما حكى من له خبرة = على ان يوجهه الى سوس ، ويعتاض به الكيلولى لما بين النفلوسيين والكيلوليين من منافرة الجيران المعتادة

سبق القائد سعيد المجاطي الى القائد النفوسى ، بعد ما انفلت من الحصار الذى طوقه به المجاطيون منذ انجلاء الكيلوليين فى شهر ربيع الاول سنة ١٣١٨ الى اواخر السنة ، وقد اطلت جيوش انفلوس ، فتقرب اليه فطلب منه اول ما لاقاه بسط يده على المرابطين السعديين ، فمكنه من ذلك فسقط فى يد الاستاذ وخاف من بطش المجاطي ، ولكن الله كلاه من ذلك بعنايته ، ومن كلماته عناية الله فليمنم فى آجام الاسود ، ملء عينيه فالخواف كلهن امان

وسوس القائد سعيد المجاطي كثيرا ، والقى فى روع القائد محمدا نفلوس ما القى فحين توجه اليه الوالد مع الاستاذ خاطبه الوالد فى ترك ما كان على ما كان ، وان لا ينتهك من الحرمات التى كان يحترمها ابن عمه الكيلولى ، فبسر واستكبر ونفخ وحمق ، فالقى اليه الوالد كلمة قاسية فى وجهه برباطة الجاش المعلومة عنه ، فالتفت القائد الى من معه ، فقال لهم ان هذا يستحق التأديب حتى يعرف كيف يراعى الادب مع اصحاب الكلمة العليا ، فقال له الوالد ، ان استحققت من الله تأديبا لشيء اجرمته ، فهو الذى يتولانى بنفسه ، ولا تتولانى انت بنفسك وانما كنا نريد ان نذر عنك المرابطين يديرون شؤون انفسهم بانفسهم ، واذ ابيت الان تولى عليهم القائد سعيدا فانت وذاك ، ثم انفتل من موضعه رافع الرأس كانه لم يكن امام ذلك الرجل الذى لا يبالي بما يفعل ، ثم لم يرجع اليه بعد ، ولا رأى وجهه الى ان مات شرميتة ، مع انه كثيرا ما ينتظر رجوعه حين لامه الذين يعرفون من الشيخ ما لا يعرف ، ولكن لسان حال الشيخ ينشد

اذا انصرفت نفسى عن الشيء لم تكد اليه بوجه اخر الدهر تقبل

وينشد ما قاله بعض الالغيين

اذا انسدت باب من امير فان لى من ابواب ربي الف باب مفتح
فانى متى اخلص لربى وجهتى انل كل ما ابغى واظفر وانجح
أعرف باب الله ثم يخيب لى رجاء وراجى الله اكبر مفلح ؟

تولى القائد سعيد المجاطي امر المرابطين ، فكان اول ما فعله ان اجال يده فى بهائمهم بغالا وجمالا ، فاحتوشها وقدمها الى انفلوس ، ثم والى عليهم المغارم الباهظة حبوبا وسمنًا ودجاجا وكباشا ، بله الدراهم التى لا ينقطع طلبها فتال المساكين ما نالهم مما لم يعرفوه لاهم ولا اباؤهم من قبل

ثم ان القائد سعيدا المجاطي كان يراعى مع ذلك الوالد اتم مراعاة ، لما كان بين اسرتيهما من قديم المؤاخاة ، فلذلك لا يحوم حوله ، ثم لا يحوم ايضا حول الاستاذ صاحب الترجمة واشقائه بالمغارم ، لما يعلم من ان الوالد لا يذره وذلك بما أمكن فربض القائد ينتظر الفرص بالاستاذ ويهدده اشد تهديد من بعيد ويقول للناس لا بد ان يؤدى كل تلك الاعشار التى ادخلها فى ايام الكيلولى

ولكن يده لم تزل بعناية الله منقبضة عنه ، وكان يقول لاختصاصه لاخاف والله
الاسيدى الحاج على ، فانه كثيرا ما اهم ان انفذ ارادتي فى الفقيه ، وان لا يرجع
الى داره ان جاء الى هذه الدار ، حتى اذا اراه مصاحبا للشيخ ينخس عزمى واقتصر
فيما انويه ، وقال مرة اخرى : عجبا من الشيخ فاني لا اكاد على رغم انفى اتخطى
مقاصده ، ولولاه لما رأى الفقيه الشمس بعد .

ثم انه عزم مرة عزمًا اكيدا على ان ينفذ ارادته فى الاستاذ ، قال القائد
الهربى الضرورى الراسلوا دى الاولوزى ، فركبنا معه فى مائة فارس ، وهو
فى حنق عظيم جاعلا بين عينيه ان لا يرجع الا بصاحبه ، فرحنا الى الغ ولكننا
تعجبنا حين صدرنا بخفى حنين صبيحة اليوم الثانى .

جلس الاستاذ فى دارنا مع الوالد وهو ثالث ثلاثة ، وقد القى الاصيل
رداه المذهب فى جو الخالص ، تحت ذيل النسيم العليل ، والنفوس مطمئنة
والبهجات فى المحافل الادبية مراسلات الاعنة ، اذا بعاديعدو الى الجالسين
فقال لهم ان خيلا كثيرة قد البست بسوادها ماحول دار الفقيه فانفتل الوالد
والفقيه وراءه فصادقوا القائد سعيدا مع اصحابه ، ومع حاحيين وغيرهم ،
فلاقيهم بشر وسرور كأنهما لا يهجنس فى قلوبهما منهم شيء او كأنهم وفدخير
ورسل سلام ، ثم اقيمت الضيافة لهم خير قيام فى دار الاستاذ ، وفى دار الوالد
ولكن الاضياف فاجأهم ليلا ما ازعجهم عن طلبتهم التى ضمدهوا اليها ، فقد
طرقهم ان الوفقاويين والبدراريين (١) الذين كانوا اذذاك فى محاربة مع
الجيوش النفلوسية وما اليها ، قد سروا بسرية تكمن لهم فى (دراووغ) فى
نفس الطريق الذى يسلكه السالكون من مجاط الى الغ

حكى الاستاذ رحمه الله انه كان واقفا فى تلك الليلة امام باب ثويه والقائد
سعيد واصحابه فى داخله ، وعبد جميل نشيط احوذى للاستاذ قائم على رؤوس
الاضياف يمد اليهم ما يحتاجونه ، فالتفت القائد الى جلاسه فقال لهم : لماذا يكون
مثل هذا العبد الاحوذى الجميل لفلان الفلانى سوعبر بعبارة لا تكتسب فلماذا
لانذهب به ؟ فانا اولى بمثله ، قال الاستاذ فقلت له فى نفسى : والله لا تريه
ايها الجبار العنيد ، بفضل الله وعنايته .

فى متبئ الفجر ، اجفل الاضياف وطلعوا من طريق تاكانزا وهم يكترون
الالتفات يمنة ويسرة ، خوف ان يمتد الكمين ايضا الى تلك الجهة البعيدة عن
(دراووغ) وهم يطيطون باجنحة النعام ، اذا رأى احدهم غير شيء ظنه رجلا .

كان فجاج الارض وهى بسيطة على الهارب المطلوب كفة حابل
يؤتى اليه ان كل ثنية تيممها ترمى اليه بقاتل

(١) البدراريون الجبليون اهل جبل جزولة الذين يدافعون اذذاك عن جبلهم

هكذا دام حفظ الله على الاستاذ ، وما تحطاه حتى في هذه المرة التي جاء فيها هذا الجبار عازما ، ثم رد الله كيده في نحره وقد اغنت عناية الله عن مضاعفات الدروع وعن عاليات الآطام .

حكى لي حاك ان النفلوسى ذاك القائد مباركا البشيراني يوما في السفك بالاستاذ لما يوسوس به القائد سعيد عند كثيرا فنهاه عن ذلك ، وقال له اياك ان تمس هؤلاء المرابطين بظفر ، فان لهم حمة لانفلت من تمتد اليهم يده قال : وذلك مارده عما يريد به باديء بدء ، ولكن هيهات ان يفلت النفلوسى منها هيهات ، فان الله يدافع عن الذين امنوا ، ومن اجترح ذنبا او مس حمي فلا يد ان يمسه «ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون»

طاف داء عياء بالقائد محمد النفلوسى اعيان نطس الاطباء ، فلم يمهل كثيرا فالحقه برمسه في تزييت في ١٤ محرم عام ١٣٢١ هـ كما طاف بنازة ايضا ذلك الزعزع الهائل الذي اثاره ابو حمارة ، فضمت الحكومة كل جيوشها لمقاومته ومن بينها هذا الجيش الرابض مع القائد احمد انفلوس الذى خلف صنوه في مركز تيزييت ، فتارت القبائل على رؤسائها ، ولاقى كل قائد من اخوانه ملاقى فانجحر القائد سعيد المجاطى في تاجكالكات وضرب حوله نطاق الحصار من ذلك العام الى رمضان عام ١٣٢٣ هـ فكان يرسل سرايا من اصحابه الى البيوتات فينهبون ويلصون ومن بين من اصابه شره الاستاذ صاحب الترجمة ، فقد اصبح يوما فوجد بغلة له مفقودة وقد رآى اثر اللصوص ، ففزع الى الوالد فركبامعا الى ذلك الجبار المحاصر ، وقد عرفا انه هو صاحب الفعلة فربض الاستاذ بعيدا ولم يقدر ان يبلج تاجكالكات فمثل الوالد بين يديه وبمجرد ما انقضى السلام المعتاد ، قال له الشيخ : بغلة الفقيه الاستاذ نجى الآن فصار ينلوى في الكلام فقال له : لا كلام ولا ما تقوله الا البغلة الآن وكان للشيخ في امثال هذه المواقف همة نفاذة تفعل بنفوس مخاطبيها فوق ما يفعله لسانه في اصمختهم فلم يجد القائد ما يجيب به ، ولم يسهه الا ان ارسل الى البغلة فحضرت ، فصار يعتذر فقيدت البغلة برسن كما قيدت من دار صاحبها ، قال لي امغار ابراهيم اخو القائد وهو يحكى لي القصة فقال لي الشيخ وقد خرجت معه لادوعه هذه هي نهاية القائد ، فكثيرا ما ارده عن ان يمسه الفقيه ، واذمسه اليوم فقد انكشفت عنه تلك الغمامة التي يستظل بها منذ صار قائدا ، ثم لم يمض الا اربعون يوما اذا به ينحدر ليلة في عقبه تاجكالكات هاربا ، وذلك في ١٥ رمضان عام ١٣٢٣ هـ فكان ذلك اخر عهده بداره ، و- اخر خيط انقطع بينه وبين ايبالته

هذه صفحة اخرى من صفحات تاريخ الاستاذ ظهر فيها بمظهر التجلد التام وبمتمتهى الانفة ، فلم تدره نفسه ان يتطرح على عدوه هذا لعله ينزاح عنه

ما كان في صدره عليه حقدا على حقد ، وقد اكتفى بالالتجاء الى الله الذي لا يضيع احدا ، وكيف يستباح من كان في كلاءة الله ؟ وخصوصا من كان مستضعفا لا يتكل على قوة الا على قوة ربه «ليس الله بكاف عبده» ؟

في شبه غرنت بعد دفن رفيقه الشيخ الالفي

اريد منك ايها القارئ ان تستحضر في ذهنك الآن معملا من المعامل زرته في حياتك وان تتذكر ان هناك آلات تستدير كلها وان كانت وجهاتها مختلفة واقرب ما تلاحظه ان لم تشاهد قط معملا آلات ساعتك ان فتحها من ورائها فتمدرك ان هذه الآلات المتحركة التي ربما لاتتجه في دورانها الى وجهة واحدة ينتج عنها وراء ذلك عمل واحد ، هو المقصود بها اولا واهرا

مثل ذلك مثل الاستاذ العلامة المدرس سيدي علي بن عبد الله الذي افرغ جهوده كلها في التعليم والفتوى والقضاء ، ومثل الشيخ الوالد المربي للمريدين الذي افرغ جهوده كلها في الارشاد والوعظ والتهذيب ، وازالة غيون النفوس عن المريدين ، حتى تصلح للمقامات العليا ، ذلك عمل الاستاذ المستمر وهذا عمل الشيخ الوالد المستمر ، ثم انهما مع ذلك يكادان يكونان كروح واحدة في جسمين ، لانهما لا يكادان يفرغان من اعمالهما هذه بعض فراغ الا تواملا واستمرا كذلك مالم يدعها الواجب لمعاودة اعمالهما ، ثم يتواصلان ايضا ، وهكذا دواليك وهل يجمع بين القلوب الا الصفاء ؟ وهل يجدى الجوار الا اذا تناهى الجيران مشبهذا ومغيبا ؟

وليس اخي من ودني بلسانه ولكن اخي من ودني وهو غائب
ومن ماله مالي اذا كنت معدما ومالي له ان اعوزته التوائب

كانا يفرحان فرحا واحدا ، وكانا يقومان ويقعدان في حين واحد وينظران معانظرة متحدة الى كل شيء ، حقيقة ان لكل واحد منهما وجهة مستقلة يستقل بها ، فللوالد تصوفه الذي يرفرف عليه علمه الخفاق وملاقة الواردين عليه ، المقتبسين مما لديه المنهالين عليه من كل صوب ، وللاستاذ علمه الزاخر وأدبه العالي ، وسبحه في امواج المعارف بين طلبة مدرسته الذين انقطعوا اليه من الافاق ، فلكل وجهة هو موليا كما ترى ولكن الجامع بينهما ما وراء ذلك مما هو غاية لكل هذا ، وهو نفع العباد والسعي في مصلحة العامة

عرفت ان الوالد اكبر من الاستاذ ، وانه هو الذي له الصدارة بعد الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله ولكنه لما رأى ان تصوفه هو ، وماطوق به من الطريقة واهلها لم يدع له فراغا للعلم ، والعلم هو القطب الذي يدور عليه نفع العباد الدائم ، ساند صاحب الترجمة وصار يعاونه في القيام بهذه المهمة الكبيرة التي

ماخلق الا لها كما ان الوالد ماخلق الا لتصوفه ، فكان الوالد يرسل الى المدرسة كل من انس منه ميلا الى التعلم من اولاد مريديه ، ويشجع من فيها ويعين ويوزود ويعير الكتب ويقيم الحفلات ، من غير ان يكون منه ذلك كله الا عانة فقط ، ثم لا يتداخل في ذلك لما يعلم من ان الاستاذ هورب المدرسة الذى ورثها عن صنوه وانه هو العلامة الذى لا يجارى في ذلك الميدان ، وكذلك لا يسأل عن مسألة فقهية خارج باب العبادات الا ارشد السائل الى الاستاذ ، بل ولا اتته قبيلة المرابطين بشئ من عند جميعهم الا امرهم ان يذهبوا به الى الاستاذ ، فقد جمعوا مرة في ايام الكيلوليين سمنا كثيرا ففرقوه ، فتوجهوا بنصفه الى الاستاذ وبالنصف الآخر اليه ، فأمرهم ان يلحقوا هذا النصف بذلك ثم لا يعودون الى مثلها ، وكان رحمه الله يرى الاستاذ مكانة عليية ومهارة يقتدر بها على الادارة في مختلف الامور فيدفعه اليها ، ثم يكون له وراء ذلك خير معين وهو الذى تتطلب منه المرابطون ان يرأسهم في ايام الحاحيين فقال كلانم كلا ، فهذا مركز الفقيه فهكذا سلم له من الجميع حتى من صنوه الشيخ ، ثم لا يزال كذلك مجتمعين فى الحضر والفسر ما لم يشتغل الوالد بمريديه فى زاويته ، او ما لم يسمح اليهم فى اسفاره ، وفيما سوى ذلك تراهما معا ، اما فى دار الشيخ واما فى دار الاستاذ وضيئفهما واحد ومجلسهما واحد ورايئهما واحد وكذلك كثيرا ما تراهما على بغلئئهما كأنهما فرقدان ، اما فى طريق تامانارت واما فى طريق موسم تازروالتاوى فى طريقهما الى اقامة سلم بين المتحاربين ، فقلما يتطلب من احدهما امر فيه ظفر ، او تعرضت له وجهة يتوجه اليها الامر بصاحبه فراقه ، اشتهرا بذلك حتى كان ترافقهما عند كل الناس معروفا مشهورا

حكى لى حاك ان الوالد تتطلب منه ال ائمتضى ان يقف لهم على عين حتى تخرج - وهى التى ذكرنا انها غارت فى ترجمة سيدى احمد بن بلقاسم التيبوتى المتقدم - وكان الوقوف فى امثال ذلك مما يكرهه الوالد ، ولا يجب ان يشتهره ولا ان يقصده الناس من أجله ، ولكنه لا يرد من يتطلبه منه الابجيلة كما فعل بهؤلاء فقد مر بصاحبه الاستاذ بن عبد الله فركبا معا فوصلا ائمتضى ، فقال لمن هناك لا بد ان تعطونى وان تعطوا الفقيه سيدى عليا مقدار ما تسقى العين نهارا لكل واحد منا من الحقول ازاء العين ، مع ما بنى فيه ديارنا ثم مال بصاحبه وهما على شفير العين يخطان خطط الديار ، والشيخ يتباله ويتظاهر بانه ذو حرص شديد فى ذلك ، فترأى لئال ائمتضى الجشع العظيم من العالمين الالفين فقالوا فى انفسهم ما قالوا ، فردوها بالنى هى احسن ثم رجع السيدان وهما يتبسيمان ، وقد ادرك الفقيه مقصود الشيخ ، فتمت حيلة الوالد من غير ان يشعر بها احد ثم لم يعد ال ائمتضى الى الخ بعد ذلك اليوم ولا ذكرا بعد قضئئتهما .

سألت يوما سيدى سعيدا التنانى عن كتاب من الكتب ، لماذا لم يشتره الوالد فقال ان الشيخ اذا كان بمراكش ، لايهمه الا أن ياتى الى الفقيه سيدى

على والى الحاج ابراهيم الايفشانى بما يكسوان به كل من فى دورهما ، وقلما يفضل له عن ذلك شىء ، آخر اقول ان دارنا ودار الاستاذ ودار الايفشانى واحدة فى ذلك الوقت والآن ايضا ، لان الامهات منهن متلاحمات الارحام فزوجة الاستاذ اخت الوالد وزوجة والدى بنت اخت الايفشانى وزوجات اولاد الحاج ابراهيم بنات اخت الوالد وربيات الاستاذ ، فلذلك علاوة على اداء حقوق الصحبة والجوار ترى الوالد مهتما بشؤون الجميع كما يهتمون هم ايضا بشئونه فكانوا خير رجال فى خير عصر لايعرف الحسد ولا مايكون من تباغض المتعاصرين المتجاورين اليهم من سبيل ، ولاتجد النمائى الى ذات بينهم منفدا فقام بهم من العلم والدين فى الخ مالانزال السنة المتحدثين به رطبة الى الآن .

ثم لما توفى الوالد وفقد منه الاستاذ من كان له خير معين فى كل ناحية اصبح كغريب فى الخ ، ثم لم ينشب ان بدت له امور تلو امور ، فكان لسان حاله ينشد فيها قول الطغرائى

هذا جزء امرى اقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الاجل

وكان رحمه الله كثيرا ما يذكر الشيخ فى محادثاته كلما حزه امر لايجد فيه معينا ، اوراى فى بيئته من لايقدرونه قدره ، ويقول مامات الشيخ الالى وحدى ، فقد حكى لى الفقير سيدى محمد الزكرى انه التقى معه ليلا عندمصل العيد غربى المسجد السليمانى وذلك حين قلب الايشتيون ظهر المجن لآل الخ فأرادوا أن يلتهموا أهلاكهم التى اشتروها فى قرينهم ، قال الزكرى فقلت له انه يجب عليك ان تدارى الايشتيين كما كان الشيخ يداريهم فى عصره ، فقد كان قام بذلك فى حياته عنك وعن نفسه خير قيام بما كان يصبه عليهم من العطايا صبا ، فانه لامقصود للايشتيين الا ما يتمصون ولايشتكون اليوم الامن فقداهم ماكانوا الفوه ايام الشيخ ، قال : فاجابنى الفقه بقوله : ايراد منى ان امثل دور الشيخ فى كرمه وفى حسن معاملته مع الناس ؟ فانى اكون كشمعة من شعراته فانه كان وحيدا فى دنياه محظوظا فى حياته ، انهالت عليه الدراهم ومختلف الالبسة من كل ناحية ، حتى اننى لاأزال اتقلب فى كساء التى كسانيتها الى الآن وقد انصرفت سنوات كثيرة قال الزكرى ثم تناول سلهاما كان عليه من الملف وقميصا آخر تحته فقال اشهد على بان هذين من بقية ماكسانيه الشيخ رحمه الله ، امثل هذا الرجل العظيم تريدان تسوينى ، وترغب فى ان اقوم مقامه الايشتيين اوغيرهم ؟

هذه شهادته رحمه الله وقوله فرحمه الله من متواضع منصف ، وهل يعترف مثل هذا الاعتراف الا الافذاذ الذين يقولون فى كل وقت ؟ فقد تناخيا حياة وممانا رحمهما الله ووفق اولادهما ان يرثوا عنهما ذلك التناخى .

وابعض الاتقيين

وان اخاك الحق من كان مثنيا عليك وترب الرمس فدهيل فوقكما
ويعلن في كل النوادي لسانه من الفضل والمجد المؤثّل حقكما

بين قضاة تزيت في عهد الهيبة

دار الزمان دورته ، وتقلبت بالمغرب المنكود فتن وثوارت ، فجاء الاحتلال
الداهم بزعاذه ومعاركه فيتخطب المغاربة كلهم في امواج متلاطمة مهاجمة
ومدافعة فامتد الى سوس حظه من بين ماتتموج به جوانب المغرب فيوسع
الشيخ احمد الهيبة في جمادى الثانية عام ١٣٣٠ هـ على ايدى رؤساء القبائل
الجنوبية وفقهاؤها ، فكان صاحب الترجمة لما له من الشهرة الطائرة والسمعة
المنتشرة ممن لا بد ان يكون في طليعة الفقهاء ، لماله من غيرة دينية وشهرة بين
اقرانه في كل سوس مدوية ، ثم توجه الهيبة الى الحمراء زاحفا بجيوشه فترك
ثلة من العلماء بتزيت ، قضاة تحت رئاسة سيدى المحفوظ الادوزى رحمه الله
فكان استاذنا من بين هؤلاء القضاة بل ممن لهم هناك شرف ورهبة وجولات
اثر جولات ، وقد صدرت عنه اذذاك ادبيات ثرية او شعرية الى الشيخ الهيبة
والى اخيه النعمة فتمشى في فض النوازل على العادة ، والقضاء غير منظم ومتمى
لامثال تلك القبائل اذذاك تنظيم في شئونهم الخاصة ، فينتظر منهم ذلك فى
شئونهم العامة- فيتوصل القضاة من المحكوم له على العادة بما يتفاوضون
عليه ، فبقى هناك الاستاذ شهرين شعبان ورمضان عام ١٣٣٠ هـ ثم عيد عند
اهله بالغ ، وقد جاد على كل من زاره يوم رجوعه اوالم بداره بما عرف عنده رحمه
الله من اكرام القاصدين وانحاف من اليه بعد سفره من الجيران والاقربين

وقد وقعت له هناك بتزيت قضية تدل على تسامحه ، وذلك ان بعض
الناس المتفقرين كان تعرف به فاتخذة امينا ، يودع عنده ماياتى به الله من
قوالب السكر حتى بلغ ذلك سبعين قالبا ، فحين ازمع الرحلة طلب الوديعه
من سيدنا الفقير الصوفى فصاحبه سيدنا الامين الى البيت الذى يضع فيه
السكر ، فازاه ميل الماء الذى يكف به السقف وقال ان السكر ذاب كله من
وكفات السقوف بالمطر ، ولاأدرى اظن الاستاذ الكاغد ايضا مما ذاب فلم
يستقص فى السؤال ، امعلم ان السكر حقيقة ذائب ولكن بما سخين غال مما
تداوله المقراج والبراد فى حضرة سيدنا الفقير الغاني فى حضرة ربه

ان قال قد ضاعت فصدق أنها ضاعت ولكن منك يعنى لوتعى
او قال قد وقعت فصدق أنها وقعت ولكن منه احسن موقع

فقد كان القاضى سيدى محمد أعمو - قاضى تيزيت اليوم- يياسط هذا

الفقير وبجاريه حول هذه القضية ، والآخر يبسم ويظهر من بسماته ان ذلك
السكر. انما ذاب بين حرف الكأس ورشقاته ، ام ان القدر هو الذي أملى ان الذي
ياتي بنقط اللداد من اليراع بين الاوراق ، فمن ان يذهب مشروبا بين حسابات
السميحة وبين كأس دهاق .

بن رؤساء قباطل هذا الجمال في الكفاح

اجفل الشيخ احمد الهيبة من مراكش فجل بتارودانت حيث زاره صاحب
الترجمة مع الحاج ابراهيم الايشاني ، وقد مرا في رجوعهما بتزنيت بعدما
جلعنها الشيخ النعمة الذي كان فيها خليفة اخيه الهيبة ، وكان انجلأوه اثرعيد
الاضحى من عام ١٣٣٠ هـ فجل الاستاذ ورفيقه هناك فلم ينشب ان داعته امرأة
من هناك الى مجمع رؤساء تيزنيت وكان الاستاذ حكم لها في قضية في تلك
الايام الماغية ، وتوصل منها بما توصل ، على عادة القضاة كما ذكرناه ثم
حفظها الآن بعض فقهاء تيزنيت ممن كانوا يتطلبون اذذاك حفظهم في تلك القضية
فلم ينالوه ، ثم انفتل الاستاذ عن تيزنيت كما ذكرنا قبل ان يتوصلوا به فوضعوا
البرغوث الآن في اذن المرأة لعلهم بذلك يتوصلون بشئ من الاستاذ فحين علم
من أين مثار هذه الموجة تبسم فناول اولئك الفقهاء شيئا يقطع به السننهم
فسمكتوا المرأة وانتهت القضية ، وقد قال الحاج ابراهيم الغيور على مرابطه
الالغيين دائما لوعلمت ان في تيزنيت مثل هذه القضية لماررنا بها ولكن كان
امر الله قدرا مقدورا ، على ان صدر الاستاذ الفسيح الذي يعلم من أمثال هؤلاء
الفقهاء انهم انما يريدون ان ياتوا من ورائه مضغة حين اعوزهم ان يشقوا له
غبارا في ميدان انقضاء ، لا يمكن ان يضيق ولا أن يتغير ومتى تغير البحر بقداة
تسقط في عرض عبابه

افتقدنى عرض البحار قداة ان رمتها في جانبيه الرياح ؟

ثم ان الهيبة ازعج ايضا من تارودانت الى اسرسيف ، ثم الى تيمكر ثم
حط رحله اخيرا بكردوس ، وفي كل هذه الامكنة لا يغيب المترجم زيارته ، ثم
دارت بين هذه القبائل الجزولية وما اليها الى ايت بعمران ، وبين الجيوش التي
ترسلها الحكومة تحت ايدى القواد حيدة بن ميس المنابهي والقائد ابن دحان
والباشا الحاج التهامي الكلاوى والقائد الكنتافى وغيرهم من ضباط فرنسا
وجنرالاتها ، حروب ومجاذبات عنيفة ، وكان لصاحب الترجمة يد عليا في
الاستجواذ على القلوب في كل مجمع بمواعظ المبكية ، وفصاحته المؤثرة حتى
لا يتكلم في المجمع العام للقبائل - كما حكى لى الاخ احمد - سواه ، وسوى القائد
المدني فهما العضدان للشيخ احمد الهيبة ، ولسانه الذي هو يبلغ به الهيبة ماشاء لهذه
القبائل ، ثم لما دفن الشيخ احمد الهيبة واقام صنوه مربيه ربه مقامه تمادي

الامر على ذلك ، وقد انقطع غالب الفقهاء عن كردوس الاهدو وسيدى الطاهر الافرانى لانه لايبقى فى الميدان الا المخلصون

هذا هو شغل الاستاذ انشاغل منذ اجتمعت كلمة هذه القبائل الجبلية والجنوبية على مناصرة الهبة وخلفه فى الكفاح والمقاومة ، فعلا كعبه فى الرياسة وكاد يكون وحده قطبا لايتخطى فى المهمات امره ، وقد اتخذه القائد المدنى الاخصاصى الذى كان هو فى الحقيقة كبش الكتيبة والمنتفع بحليب هذا الضرع الدار شريكا ونجيا ، والاستاذ شيخنا سيدى الطاهر الافرانى تلميذه يسانده ويشده عضده ، ويؤمن على كل دعواته ، فقد حضرامعا فى وقعة وجان يوم زحف اليه القائد حيدة فكانا ممن تسللوا الى وجان حين حوصرت فى ذلك اليوم المشهود كماحضرا ايضا حين سقط القائد حيدة هذا قبلا ، ولهما فى ذلك نظراء وكانا عام ١٣٣٥ هـ من بين المقاومين يوم الزحف الاكبر بالجيش الجنرالى - كما اشتهر به فى هذه الجهات الى الآن- ثم كانا ايضا من الزاحفين الى اداوزكرى مرات والى ايت ودريم والى غير ذلك مما وقعت فيه حروب ومجاذبات بين هذه القبائل وبين الحكومة وهو فى كل ذلك بذلاقة لسانه وبلاغة بيانه ، وتدقق عباراته التى تتدقق كلما قام فى مجمع من مجامع القبائل للوعظ يترقى فى اعين الناس ترقيا عظيما ، حتى كان يحسب له ولرايه الف حساب مع ثبات جاش وشجاعة توتر فوطىء رؤساء القبائل عقبه ، ووفدوا زرافات الى داره وهو فى كل ذلك لامطمع له الاسداء النصيح لاخوانه لاغير ، ولايقصد اى شىء اخرعلى حين ان القائدالمدنى الذى كثيرا مايجعله تكاة ، يسرفى كل مايفعله من ذلك الخسو فى الارتغاء فمقصوده الوحيد ان يتغلب ويتمكن من اعناق الضعفاء فيمتص دماءهم ، حتى لايدر فيها قطرة واحدة ، وانما يحكم عليه بهذا لان ذلك هو الذى يظهرته فى كل القبائل التى تحت كنفه ، فلاشفقة ولارحمة ، ولكن الاستاذ مع كل هذا كان يحسن فيه الظن ، لطيب سيرته وزكاه عنصره ، ولان الفقهاء ابعدا الناس عن متجهات السياسة ومغامزها ، كما قاله ابن خلدون .

ذلك هو الاستاذ الرئيس المعروف بالجهر بالحق ، والاشادة بالصراحة التامة ، حتى لايباه بمايتاله فى ذلك وكان له فى مواجهة الشيخ احمد الهبة وخلفه مربيه ربه - وهما ماهما فى اعين الناس بهذه القبائل - كلمات ماثورة يجبههما بها ، يراها من الواجبات عليه من جهة دينه ومن محبته الدائمة لهم ، فكانا يتلقيان منه ذلك برضا يدل على انهما يعرفان انه لا يريد بنصيحته الا الخير حتى انه مرة القى الى الاخير منهما ان الزواج والطلاق اللذين يجعلهما هجيراه كل يوم ، مما يفسد المروءة ويقمز عرض الانسان ورجولته ، ويحكم بان لشهوته عليه سلطانا لايقدر ان يقاومه فاجابه مربيه ربه بان المرء فقيه نفسه قلت ان كثرة الزواج والطلاق فى بلادنا هذه التى لاتعرف الزواج الثانى الا نادرا ولايفرط فيها طلاق الا فى بعض ازمته قليلة جدا ، من بين الرعاع السفلة ، من

العارواشنار اللذين لا تبقى معهما مروءة، ولا يحفظ بهما عرض الا ان الصحراويين
 كمال الشيخ ماء العينين يالفونهما الفة معنادة ، فهم معروفون بهذه الخلة حتى
 ان الشيخ احمد الهيبه نفسه ماكاد يروح الى قصر القصبه الملوكي بمراكش ،
 حتى كان اول ماجالت فيه فكرته : زوجة جديدة يتملى بها على تلك الاراتك التي
 نسمنها جديدا ، فقد اخبرني باشا الحمراء اذذاك صديقي السيد ادريس منو
 انه فاوضه في ذلك بمجرد دخوله ، قال فوجدته قد استقصى اسماء الشريقات
 الابكار الموجودات اذ ذلك في دور القصبه من بنات الشرفاء العلويين ، استقى
 ذلك من بعض العبيد الذين تمازل اليهم من عليائه ، حتى صار يفاوضهم في مثل
 هذا ، قال : فكنت اراوغه عن كل من يريد بها من هذه الانسات العلويات ، فاجعل
 لكل واحدة منهن حجة خاصة ، واخترت انها متزوجة بفلان ابن عمها ، وانما تاخر
 زفافها اليه الى حين ثم املت عنقه عن عمد ، فقلت له اين انت من الجمال البارع
 والشرف الباذخ والاصالة المغبوطة ؟ فقال وايسن هذا كله ؟ فقلت له في
 تامصلوحت ، فقال اونساؤهم هناك ؟ فقلت له ان الخبر عن ذلك دون الخبر
 فهكذا اسطعت ان افلت الشريقات منه ، فخرجت وانا اتعجب منه ومن همته
 اقول تامل في هذا السيد الذي اطلت اليه الجيوش من كل جانب وهو
 يريد ان يؤسس ملكا باقيا ، وان ينقذ المغرب من الاحتلال ، ثم انظر الى ما
 يملأ فراغ وقته ، كان الايام ساعدته في كل شيء او كانه نال كل تمنائه ولا ينقصه
 الا ما هو منطلبه من بنات الوسائد ، واين هذا من المؤسسين الذين ما كانوا ليالوا
 وهم في مثل هذا الطور بدوات القناع (وان بن باطهار) فهذا ابو مسلم الخراساني
 انخذلذ الشهير ، يعد البعال جنونا ويقول يكفى الانسان ان يجن مرة واحدة
 في السنة وهذا عبد الملك بن مروان تعرضت له احدى الغواني في قصره وقد
 استلام واستعد للخروج لمناجزة مصعب بن الزبير ، فاجهشت اليه في موقف
 اوداع ، وكانها تقول له لمن تدرني وراءك ؟ فساعدها من في القصر من
 الجواري على بكائها ، فلم يعد عبد الملك ان ارسل اليهن نظرة قصيرة ثم ولى
 وهويشدها ماقاله كثير

اذا ما اراد الغزولم يشن همه حصان عليها نظم در يزينا
 نهته فلما لم تر النهى رده بكت فبكي مما شجاها فطينها

فمثل هذه الهمة هي التي يريدنا الاستاذ في الشيخ الهيبه ، واخيه بعد
 ان بذل لهما صفتته ، لان الامور العظام لاتتم الا بالاعاظم ، وكيف تكون عظمة
 من لم يقدر ان يتملص من مثل ذلك ، فلا يستطيع ان يملك قبقه ولا ذبذبه ولا
 كبكبه (٢) . ولكن هؤلاء ابناء الشيخ ماء العينين الذي تزوج بمائة وست عشرة
 بالتوالي على نية امتثال الحديث تزوجوا الولود الودود فاني مكاثر بكم الامم يوم
 القيامة . فرضى الله عن الشيخ وابنائنه . وانما الحديث ذو شجون

(١) تفسر الكلمات، باللسان والبطن وءالة التناسل واصل ذلك حديث

الاستاذ ومدرسته اخيرا

عهدنا بالمدرسة الالغية ، ومديرها الاستاذ سيدى بلقاسم التاجارمونتى فقام بها خير قيام ، فلم يكن للاستاذ على بن عبد الله فيها معه الا الاشراف عليها من بعيد ، ومشاركة احوالها والقاء بعض دروس عالية خارج دائر الدروس النظامية ، يوم يمكن له ذلك ووجد فراغا من ضيوفه الكثيرين ومن منصبه لقضائى الذى شغل كثيرا من وقته ، فقد اصبح يراعه في حركة دائمة لا يفتقر في الافناء والاحكام حتى ان سلات الرسوم في قبائل تلك النواحي لتعج بها عجيبا ، وقد اخبرت ان ديارالوفقاويين لم تكن فيها دار واحدة تخلو من فتوى او حكم مما حرره بقلمه ، واحدا او اثنين او اكثر ، وكل ذلك بعبارة انصفيحة انتى استمد بها فقهه من ادبه ، فاذا وجد من الاشغال الشاغلة فراغا فلا يدع السقاء بعض دروسه في المدرسة

وفي عام ١٣٣٥ هـ غادر الاستاذ سيدى بلقاسم المدرسة لثروة من النزوات التى لا يخلو منها البشر ، بعد ان حصه الاستاذ على ان لا يغادرها ولكن الرزق قد انقضى له هناك ، ثم شارط صاحبها فيها الاستاذين سيدى احمد بن محمد الميزيدى مرتين ، وسيدى على الالفقىرى حينما ، فحملت الاستاذ ذبذبة الدراسة هناك على ان يجعل ايضا من وقته حظا لتمشية الدروس النظامية وخصوصا بعد ان شغرت المدرسة من هؤلاء الاساتذة الذين يعطورونها ، فهذه حانه من عام ١٣٣٥ هـ الى ان التحق بربه في عام ١٣٤٧ هـ

وكانت عادة الاستاذ ان يرسل اخص تلاميذه ليتلقوا بعض فنون العوشر عند من يتقنها ان لم يكن له الا تيان بذلك الاستاذ ، فهذان الاستاذان سيدى احمد ابن صانح الافرانى وسيدى الطاهر بن المدنى الناصرى ، قد ارسلهما الى المدرسة ابو عبدلية لياخذ المنطق عن استاذها سيدى المحفوظ ، وكان ايضا اتى بالاستاذ شيخه سيدى على بوضاض في اوائل تصدده في المدرسة ، فاخذ عنه من فى المدرسة الالغية الحساب والفرائض كما كان ايضا يقدم لذلك الاستاذ محمد بن على ايكيك ، وربما يجلس مع الطلبة في درسه ويعمل معهم عمل الفرائض او اعداد الحساب وذلك من تواضعه ، وليكون خيرا قدوة للطلبة ، وقد اخبرنى ايضا ولده الاستاذ الطاهر بن على انه ارسله في عوشر الى استاذ مدرسة افلا اوكنس ، سيدى احمد بن سعيد الاكمارى لياخذ عنه الفرائض ، والبخارى سردا في رمضان ، واين نظير الاستاذ في مثل هذا الصنيع ، حين لا يستنكف ان ياخذ تلاميذه الاخصاء عن غيره مع مانعده من غالب معاصريه من اعتداد كل واحد منهم بنفسه وبعلمه وبمدرسته الخاصة ، فلا يكاد يسلم الاخرين مكانتهم في المعارف من بعيد ، فضلا عن ان يتنازل حتى يبعث اليهم اصحابه او يستقدمهم

فيجلس مع تلاميذه بين يديهم ، فيأخذ عنهم هو ايضا كما يأخذون ، فليعرف التاريخ للمترجم هذه المنقبة ، فانها لمنقبة عظمى ، تكفي ان ترفع بها الخ راسها مفخرا الى عنان السماء وان تسكت من عسى ان يغمر المدرسة الالغية مغمرا يباه الله والشمم

أقلوا عليهم لا ابا لابيكم من اللوم اوسندوا المكان الذي سدوا

وقد كان اخذ عن سيدي عبد الرحمن السالمي في مبدأ أمره ثم صار يستقدمه فيبقى في المدرسة في بيت يأخذ عنه فيه طلبتها

نظرا عامة على اخلاقه

ماظنك برجل كان اولا منعزلا في مدرسة ، مقبلا على موالاة دروسه لايمتد بصره الى اكثر منها ثم بعد ذلك دهمته اعاصر ادارة اعمال اسرته وطلسته ومزاولة الخصوم الذين يحكمونه في القضايا واهم الحطب الذي لا يوقد في مطبخ الا اذا اوتى به من بعيد ، وثمان الحرت والحصاد في الخ ادهى وامر ، والعبيد وهم كثيرون عند الاستاذ- فيما بين هذا وذاك ينتهبون كل ما وجدوا ، لا يؤتمنون على حبل فضلا عن غيره ، والوفود المستضيفة تتوارد من كل جهة ، أفترى من كان بين هذه الموجات الزخارة يهدأ خلقه ام تتنابه فينات نوبات عصبية تقبمه وتعقده ، حقا كان الاستاذ على هذه الاخلاق فكان هو في نفسه لنا طيبا متحملا صبورا واسع الصدر ، مراعيًا لجبر الخواطر بالغا أقصى جهده ان لا يتصرف عنه جلسية الاراضيا ، لاسيما في اوقات الابحاث العلمية فانه يرخي اعنان كل الارحاء ولا يجبه من يخالف رأيه في مسألة بل يسايره حتى يتجلى الحق للجانبين فيقف المباحث عن عسفه ان كان هو الذي اعتسف عن الصراط السوى ، وان كان هو الاستاذ فسرعان ما يرجع ، فر بما يلقى رحمه الله في امثال هذه المجالس من امثال الفقيه سيدي محمد بن علي ابيك ما يضيّق به نطاق التحليم ، ولكنه يرى لمقام رئاسته انه لا يستحق ذلك المقام الا اذا كان لا يخرج عن الاعضاء والقاء كل مامسه في ذلك دبر اذنيه :

ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي

ذلك طبع الاستاذ الجليل الذي يظهر منه كل الظهور بين اقرانه وتلاميذه وجلسائه ، ولكنه لا يكاد يزاوّل الشئون الاخرى ويرى بعينه ما يرى ، مما لا يتسع له حتى صدر الاحنف بن قيس وتحمل قيس بن عاصم حتى ترى منه بعض المرات ثورات ، لا يقف امامها واقف ، وخصوصا حين يشاهد افساد الحقول ودوس البقول والعبث بالمزارع واقتضاب الاغصان المثمرة فلا يزال أتذكر انني في بعض الصبية اترابي ، كنا نتجاري على فرس في مزارع السنابل

فلم نشعر به حتى هروا الينا ، وصوته الجهورى تصتك به ، اذانا فرجعنا
 باجنحة النعام ، وهو يتبعنا بالرمل باحجار كئالها مستهدفين ، غير ان الله سلم
 فولجنا ديارنا بقلوب واجفة ، وفرائص مرتعدة فكان لنا ذلك درسا لم يزل نص
 اعيننا الى الآن ، وقد يضجر ايضا احيانا من المتخاصمين الذين يحكمونه فسي
 قضاياهم ، ومن كثرة الداهم وشعبهم وعنتهم ونزولهم عليه كانوا لم يترك
 اذانهم قول القائل

(ليس على الفقيه من ضيافة)

فينهال عليهم متفجرا بالتانيب والعتاب ماشاء الله ، ثم لا يلبث ان ينهال عليهم
 ثانيا بخيرات حسان ، وجفان كالجوابى وقدور راسيات ، فتبرى الموائد
 البهجة ماجرحته الصدور الحرجة

وكان يحب نجباء الطلبة ويقوم بضعفتم بمايمده الى كل انسان منهم بيده
 فيما بينه وبينه ويشجع كل من انس منه تقدا في فن من الفنون التي يعنى
 بها الالفينيون وخصوصا علوم الدين والادب وما اليها ، فكل من رأى له في ذلك
 اثرا مجددا مقاله اورسالة او قصيدة او قطعة ، يعنى به غاية الاعتناء ويجمع
 عليها اهله - وما اهله الا علماء نجباء متفوقون - مع من وفدوا على حضرته فيلقى
 عليهم بنفسه ما احده التلميذ من قريحته بلسانه الفصيح ، ولهفته العذبة فان
 كانت شعرا وهو الغالب فانه يكر كل بيت على حدة ، ويترنم به فيستحسن بكل
 اعلان ما كان مستحسنا ، ويغض عما راي من الزلل مع التلويح الى ما في ذلك
 من غير تصريح ، حتى لا يحصل خجل للقائل فينكص على عقبه وتفترهمته والتشجيع
 دائما افضل للتلاميذ ، وهكذا ايضا في الرسائل والفتاوى وسواء صدر هذا
 من تلاميذه الالفيين ام من تلاميذ تلاميذه ، بل يعنى بكل ذلك وان صدر عن
 اجانب عن الغ اريحية منه وجبا للادب العام وللانار العلمية كيفما كانت وايا
 كان اصحابها .

على ان له وسط تلاميذه مع هذا الخلق الواسع وقفات اخرى اذا شاهد من
 احدهم خروجا عن الاحب او انس ما يخل بالروء او يهتك سمعة المدرسة
 فكم ذى لحية كثة وهو عملاق يطاول التخيل ، مد امامه في المدرسة ، فاختلفت
 عليه الحبال حتى يكره الخ وما اليها ، وتمنى لو لم يعرف اليها من سبيل ولاورد
 بلا شوك ولا روضة انفا بغير سياج وجزء سيئة سيئة مثلها وكم زلة لا يمكن
 ان يتلى ازاها : «فمن عفا واصلح فاجره على الله» ولبعض الالفيين في الموضوع :

اذا انت لم تكبح رقيقك مرة وقد اعتدى شاركنه حيث لا تدرى
 وذو الاعتداء ان اعاد غدت له خلاق تبقى لاتزول الى القبر
 ونفس الفتى جماحة لا يرددها سوى كبحها بالجذب والنهر والقهر
 ومن كان ذا حزم فلا بد ان ترى له ضغطة حين وان كان ذا صبر

فما كل ذى داء يداوى بسكر فكم نعل لابد فيه من الصبر
 فعل هذه الطريقة التي عليها صاحب الترجمة يسير كل الالفين ولاعلم
 الآن من حاد عنها حتى الشيخ الوالد الذي هذبه التصوف وكانت تربيته قلبية غير
 تربية الالفين فانه قل ان تجد من اصحابه الذين اكثروا ملازمته من لم يحدثك
 عنه بانارة من هذا الخلق ، وهذا الخلق يسمى عند الاخلاقيين الاسلاميين
 عمريا نسبة الى عمر الذي قل ان تجد من بقية العشرة المبشرين بالجنة فمن دونهم
 من لم يصطدم ودرته ، ولايوتى هذا الخلق الامن اوتى القوتين الذاتية والروحية
 وقلما يسلك صاحب هذا الخلق فجا الاسلك المفسدون فجا اخر فرارا منه
 على ان الناس طبائع والغاية واحدة ، وان تعددت الوسائل وان كان الخلق النبوي
 من الحلم والاناة والمسامحة اعظم الاخلاق وافضل ما يقننى به ، وفي الحديث
 انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ، وقد سرى الى الاخلاق من نحن الالفين هذا
 الخلق من الاسلاف ولكن يجب علينا ان لانتخذنه المثل الاعلى

وهبنى قلت هذا الصبح ليل ايعمى العالمون عن الضياء ؟

فانا بنفسى طالما ندمت على مثل هذه المواقف (١) المزرية ولكن الطبع
 وا اسفا يغلب النطبع ، فلنقل الحق ولننصف فان الله يعين على الرفق مالا
 يعين على الخرق

فهذا الحق ليس به خفاء فدعنى من بنيات الطريق

وكانت له رحمه الله في رماية اليد قرطسة قلما تخطى ، اشتهر بها ،
 لاسيما ان كان راجلا لذلك كان ان حربه امر واستحته ان ينهى مفسدا من
 المفسدين فى المزارع وقت فصل الربيع ينقتل عن ظهر بقلته ان صادفه الحال
 راكبا ، فيقف على رجله ، ليوجه الحجارة كيف يريد فاذا بالحجر من يده كالسهم
 من يد احدبني نعل وكان رحمه الله رجل الدنيا والاخرة ورجل المعارف والمكاسب
 خلق لهما معا

وانما رجل الدنيا وواحداه من لايعول فى الدنيا على رجل

فكما انه هو الذى يتولى مراجع مسألة من المسائل وقعت فيها الابحاث
 المختلفة فى مجلسه فلايكل ذلك الى غيره ولايكل عن ترده الى مكتبته مرارا ليوالى الكتب
 التى تتوقف عليها المراجعة كذلك يقف بنفسه على جميع شؤونه ، ولايكل ذلك
 الى احد وان اتفق ان ارسل احدا ليقضى غرضا ، فلايكتب ان يطل عليه لينظر
 كيف يفعل ، فكثيرا ما يمكث فى قبة الاضياف بداره ، والمجفل بالعلماء غاص
 وكتاب من كتب الادب اوالتفسير اوالحديث يتلى ، اوقصيدة تلقى وربما يكون

(١) كنت حين لبثت فى تينجدا معتقلا جمعت مؤلفا فى هذه المواقف التى
 عدتها اذذاك ازيد من سبعين وسميته (مواقف مخجلة)

هو التالي للكتاب ، او الملقى للقصيد ثم لا يشعر به وقد انتسب من حضر فسي
مبحث هم فيه بين قبول ورد والمراجعة سائرة في طريقها ، فينسل من القبة الى
داره الداخلية ، فيخرج مهرولا من بابها الشمالي فيتوجه الى ضيعته بتالات نيت
عيس ، فبيغت عبيده هنالك لينظر ما يفعلون فيما ارسلهم اليه ، ثم يرجع بسرعة
فيدخل من ذلك الباب فيمثل في المحفل وشيكا ، فيشارك في المبحث الذي ترك
المجلس منه في قبول ورد ، فيلقى رايه ويسلك طريق المراجعة في الكتب الحاضرة
وياتي من الكتب بما احتيج اليه ايضا كانه خالي البال من كل شيء الاما فيه اولئك
العلماء وكأنه ماضى شغلا اخر خلسة وهم لا يعلمون ثم يشاركهم فيما هم فيه
يتباحثون ، وربما كان ايضا يسرد قصيدة ويترنم بها فيلقها على المسامع
واريجية الادب التي تنسى كل شيء قد غمرت المحفل ، ولكنه بين ذلك الانشاد
ينادي احيانا بعض من يوصيه بما يريد ، او يسأله عما لا يريد او يأمره بعلف البغال
او بايرادها الماء ، ثم لا يقطع عنه ذلك تلك الموجات التي غمرته وغمرت كل من
كانوا معه جالسين

وكان رحمه الله يشاور كثيرا في النوازل حتى ان عاداته المعهودة -وقلما يخرج
عنها - انه لا يبيت في نازلة حتى يشاور آخرين ، وكان سيدي الحاج احمد بن
محمد الزبدي رحمه الله والاستاذ سيدي الطاهر الافراني اطال الله عمره والعلامة
سيدي الحاج احمد الجشتميمي والفقيه سيدي عبد العزيز الادوزي والفقيه سيدي
محمد الجراري الاساكي المجاطي ممن يشاورهم وهم كثير ، زيادة على من وجد
في حضرته من العلماء الذين لا تخلو منهم ، فلا بد ان يذاكرهم في كل نازلة يزاولها
فتأتي له بذلك ان سار بقدم امانة من العثار ، فلم يعهد انه حرر نازلة فقام من
معاصريه من يرددها عليه بحق ، لكنه هو كثيرا ما يرد نوازل غيره وينقضها
بالنصوص ، ومما وقفت له عليه في ذلك فتاوى مراكشية للاستاذ الحاج العربي
الرحماني ، وشيخنا مولاي احمد العلمي ، فمن دونهما نقضها نقضاتا ما ونكت
غزلهما كننا وقد ذكرناها في (مجموعتنا الفقهية) بنصوصها على انه على عادة
اهل هذه البلاد لا يتجاوز في الفقهيات هذه الكتب المتداوله غالبا وكذلك نراه
ونرى الاستاذ سيدي المحفوظ الادوزي رحمه الله يميلان الى انه لازكاة في
الاوراق البنكية وما علة ذلك الا الافتصار على بضعة كتب في المراجعة ولا يتوسعون
في المراجع العليا ، ولا يشاركون في الحياة العامة خارج سوس ، وان كان هناك
عذر مقبول عنهم فان الكتب الموجودة يستوعبونها ثم لا يظالبون بما ليس في
مستطاعهم ، ولا يكلف الله نفسا الاوسعها ، وهل الانسان الا ابن بيئته خلقا
وفهما وتميزا وسعة مدارك ؟

فهذه نظرة اخيرة على العلامة سيدي علي بن عبد الله رحمه الله الذي كان
ثاني اثنين في الغ في عصور واحد فنال الغ بهما ما بلغ ، ولله در بعض الالفيين
اذ قال في مقام ايجاز :

اكف من مد اليراعة مرغما وان لم اقل كل الذى كان واجبا
فمن بان بان احصى الرمال بعالج ومن بان احصى بعدى الكواكب

آثار قلم الاستاذ من النشر

ايس كل استاذ ينتظر ان تشاهد منه آثار قلمه ، ولاكل اديب علامة
يفتس عن آثاره فى التقيف والتهذيب ، مالم يكن كصاحب الترجمة الذى تأتت
له وجهتان ، وتيسرت له هجرتان فأمكن للسانه الذى يدرس به ويلقى به
مختلف العلوم على تلاميذه الكثيرين ان يترك لنا ذلك الجم الغفير من آثار
تهذيبه وتخريجه ، وامكن ايضا ليراعه الذى لا يهدأ بين الدواة والقرطاس ان
يفيض علينا بآثار قيمة رائعة ان قيسمت بيئتها زخرت بها الكنائس وافوعمت
بها الخزائن ، فلذلك يجب علينا لك ايها القارىء ان نعرض امامك من آثار قلمه
اولا ، ثم نعرض عليك ثانيا من آثار تهذيبه وتخريجه ماستراه قريبا ، ان قلم
الاستاذ كان سباقا الى الغايات ، نساجا صناعا فى القصائد الاخوانيات ، وفى
الرسائل المحبرات ، فكان يتقلب بين الشعر والنثر وغان الجناس والسجع مما
يقصده الاستاذ ، وينتظم فى سلك الادباء الذين يختارونهما ويرون «ان فى
العمر معنى ليس فى العنب» تمشيا مع البيئة ، وهل الانسان حتى الاديب الا
ابن بيئته ؟

حدث الاديب سيدى احمد بن محمد الزيدى ان الشيخ احمد الهيبه سألته
مرة وقد زاره بكردوس عن الموازنة بين هذين الاديبين الكبيرين ، صاحب
الترجمة والاستاذ الافرانى ، فأجابته الاستاذ الزيدى

كلاهما حين جد الجرى بينهما قد اقلعا وكلا انفيهما رابى

فقال له صدقت ، غير ان الاستاذ الالفى فى النشر ابرع ، ولا يشق له فيه
غبار وليس دون وادى ام الربيع الى شنكيط من يوازيه فى الترسل والاديب
الافرانى شاعر مصقع فرع فى براعته وبلاغته كل من يتعالى الى النزاع فى القوافى
فى الغرب كله

هذا هو حكم هذا الشيخ العلامة الصحراوى الذى لا ينكر نظره السيدى
فى الادب لماله به من ولوع ، لذن شب حتى شابت سود ذوائبه وقد سمعت من
بعض ادبائنا من يعجبهم هذا الحكم ، ويقفون عنده ولا يجيدون عن سبيله فلنكن
معهم فى ذلك ، وان كان يتراعى لى وقد مرت تحت يدي من رسائل الاستاذ
الافرانى نحو خمسين ، انه ايضا حتى فى الترسل قد بلغ فى ادباء طبقتة
مبلغار بما يقصدونه حتى باع صاحب الترجمة ولكننى وان كان يتراعى لى هذا
اخاف انى لم اتصل الى الآن برسائل كثيرة من رسائل صاحب الترجمة ، على ان
هذا الكتاب لم نضعه لدرس هؤلاء الادباء فذلك سنتركه لغيرنا ، فى عصر غير هذا
العصر وانما وضعناه لعرض بعض مانعرفه عن المترجمين ، وسوق بعض آثارهم
بحسب الامكان

نموذج من رسائله وبعض أشعار منه وإليه

لنحوك ما اخفى من الشوق اوابدى فياليت شعري كيف حالك من بعدى
غدونا كندمانى جذيمة حقبه فقيظت ليايلنا فأصمين بالبعد

سلام ارق من نسيمات الرياض والطف من غمرات العيون الصحاح المراض
وتحية عبقة الريا مشرقة المحيا معتقة الحميا وحبب كتوسها فى ابتسام ، وسناها
يخطف ابصار الندام ، على سيدنا الذى علا كعبه على المجرة ، واتاحت له
السعادة التى لاحظته كل مسرة

من لاسميه اجلالا وتكرمة وقدره المعتلى عن ذاك يعقينا

اما بعد ، فلا اخبرك عن قلب انت ادري الناس بعلقته باودائه حتى ليكون
النأى من احدهم اعضل ادوائه ، فقد كنت ترشفتنى بفربك مانجلولى لب الحياة
وترينى بمواصلتك ومباحثتك اياما لها بالسرور سمات وشيات ، فلاوربك ما
عهدت مثل استنارة ذلك الزمن الذى انارته غرتك ولامثل تلك الساعات الطيبة
التى قامت بها مقام الحدائق البهجة طلعتك

فكان الدهر عنا غافل فاختلسناها سويعات غرر
نترامى بحديث طيب فكانا نترامى بالزهر

ايام كلها غرر وخجول ، يفوز فى ميادينها بالخصل كل من يجول ، كثيرا ما
أتأملها بين ايام اخرى فاتبينها فى اثنائها كثوب فى اثنائه علم ، فاين منها يوم
العرجى الذى غاب عداله ولا ماذكره الرضى عن زمنه بدى سلم ولاعيب فيها
غيرانها اقصر من انملة القطاة وانها ولت فغادرتنا فى ككدشوق اطول من ظل
الغداة ، ولكن عادة ايام السرور ان تكون قصارا ، وان تهيب عند اقبالها بريح
رخاء ، ثم تصرصر عند ادبارها اعصارا

فثبا لهذا الدهر لايعرف البذلا سوى ان ادالت كفه بعده البخلا
كشمس تضى الكون لكنها متى تميل تدبيل الظل يستتبع الليلا

هذا وقد جاءتنى رسالتك الكريمة ودرتلك اليتيمة ، فوقعت فيها على كنوز
الجوهر والدر ، وان كان غيرى يسميها النثر والشعر ، فاقبلت بعينى امتعهما
واسميهما ما يبروهما وأتمنى لو كنت كل عيونا بصيرة ، ليكثر استمتاعى بتلك
الرياض النضيرة غيران سيدى قاسنى على نفسه ووطنى من جنسه ، قافاض
على من حلاه واقبستى من سناه ومن طابت خصاله وخلاله ، وحسنت اقواله
وفعاله ، يخال الناس كلهم من معدنه وانهم كلهم سائرون فى سننه ، ومن حسن
فعله حسنت ظنونه وصدق ما يعتاده مما تنوهمه عيونه ، على عكس قول ابى

الطيب المنسبي ، الذى اذا قال فى معنى يزيد فيه توسعة ويربى

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

جزاك الله ياسيدى على طيب سريرتك وصفاء نيتك ، فقد عبرت عن جوهرك
الخالص خير تعبير ، ونبأنا عن ذات نفسك ولا ينبئك مثل خير

ثم ان تلك المسائل التى راجعها سيدى فحررها غاية التحرير (لما يدل
كل الدلالة على انه بين علماء سوس ، علامة تحرير) وقد تتبعتها فظهر لى فى
بعضها ايضا بحث آخر ، غير ماجرت فيه المباحثة معكم ، وربما ازيد ذلك تاملًا
فيما بعد فارسله اليكم ، فقد وجدنى كتابك فى شغل شاغل من الدرس ، وقد
توزعت بها تحتاج اليه النفس ومتى اوعينا فى المخازن الجيوب ، (ونقضت من
هما الجيوب) تفرغت ايضا الى الابحاث القلوب واطلب منكم صالح الدعوات
فان العبد كثير العثرات واسلم على رفيقك الفقيه البركة ، سيدى عبد الرحمان
وغيره ممن انتظموا معكم فى الوفاة ، التى نرجو ان نرى لها عن قريب ثانيا
اعادة ، وأما سيدى الحاج على والحاج ابراهيم فانهما بخير وقانا الله واياكم
كل خير ، والسلام

واقول : ان ما بين القوسين ليس من الاصل وانما كتب فى طرة الرسالة

رسالة اخرى كتبها للاستاذ سيدى الحاج مسعود الوفاوى ، بعدما كتب
الوفاوى اليه بما يلاقيه من بعض جبايرة قبيلة كسيمة

«بقيت سليما لانقابل بالردى ولا مدت الدنيا اليك يد العدا
ولاشاب صفو العيش فيك تكدر ولا بات حفن العين منك مسهدا
ولا زلت مسرور الفؤاد ممتعا بكل الذى تهوى وجانبك الردى
ولا زلت حصنا للافاضل سيديا متبعا وركنا للعلوم مشيدا»

انه من عبد تلعب به ايدى الاشواق وتاخذ بتلابيب رقبته من الاطواق ،
وتسمه بالخضوع والخرافة بين بنى جنسه ، وتحول بينه وبين انسه ، ومادأبه
الا الاطراق كمن استدارت السلاسل منه بلبات الاعناق ، العبيد الجهول
الجنزى على نفسه الصئول ، على بن عبد الله بن صالح الالفى ، وكيف اعبر
عن حالة ضميرك منى بها اعرف بدلها الله الى ماشهاه وابغى ، الى من لا يزال فى
الكمالات ومدارجها راقيا ، ولما يرضى الله عنه واقيا ، عالم العلماء الاتقياء
وحامل علم المرسلين الاصفياء كامل الفتوة ، وضافى الاخوة ، سيدى الحاج
مسعود بن احمد بن ابراهيم الوفاوى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى
من بكم واليكم من الاخوان والاحبة عموما وخصوصا ولكم خصوصا على ما عاينت
أمره وعانيت امره ، والعاقبة للمتقين الذين من كان منهم لا يضاع ، فهل رابتم
احدا عامل مولاه فضاع ؟ هذا وقد وصل كتابك العزيز وخطابك الوجيز وذهبك

الابريز فسقانا القرقف صرفا فانتشى الندامى وما نطقوا ولو حرفا ووافانا وقد
تبركت حضرتنا وتزينت بعدة من العلماء الاعلام ، هداة الانام ومصايح الظلام
وخدمة الانام ومعتقل الكلام ، الصادر الاوحد ، والفرد الامجد شافعى وقنه علما
وشعرا سيدى الطاهر بن محمد الافرانى ، والمدرس الاتقى والاروع الارقى
سيدى بلقاسم الناجارمونتى ، والبركة المسداة للخلق والراتق للفتق ، ولسد
الاقطاب ، ومن بهم اشتهج الدهر اولا واخرا وطاب ، سيدى البشيرين المدنى
ونير افق السيادة وحائز قصب السبق فى ميدان المجد والاجادة ، من لا يلحق له
غبار ، فى مضممار حامل راية التدريس ، حال الغدو والتعريس سيدى احمد
ابن الحاج محمد اليزيدى ، ومولانا عبد الرحمان بن الحاج محمد الاحبالى من
لا يغيب بشهادة علام الغيوب تعظيمك عن باله وعن بالى ، وقرأ الجميع كتابك
وهم يدبرون الكأس ، فلما عاينوا حلل بلاغته وذاقوا طعم وحلاوة براعته
فكلهم به طاعم وكاس ، وفى ذلك الوقت انشأ سيدى الطاهر بن محمد

يا عجباً كيف يخشى النحس مسعود	وفوقه ظل لطف الله ممدود
وكل من حل حرز السعد ذل له	وان تناوله الآساد والسود
يا خير اخواننا فى الله يا علما	بهديه تهتدى الصيد الاماجيد
كن كيف شئت تنل عزا ومكرمة	فانت لا شك محظوظ ومجدود
وافت رسالتك الغراء فانشرحت	منا النفوس لها وزال تنكيد
شفت بما كشفت من حسن حالكم	ما غمنا زمنا فيومها عييد
فالحمد لله اذ ولاك مدرسة	قد فاض فيها عليك الامن والجدود
لازلت مادمت تدنو كل شاسعة	الى يدك وتنقاد المنى الفود
ثم سلام كما هب النسيم على	روض مجود به للورق تغريد
على مقامك يا بدر الكمال ويا	من وسمه كرم والاسم مسعود

فهذا ما قاله له دره ، ولا فاض فوه ، فقد ناب عنا جميعا فى الذى اداء مما
تكنه الضمائر فهكذا والله يكون فى قومه من هو الشاعر ، وقد اجابك على وزن
البيتين اللذين كتبت بهما فى رسالتك الفذة ، التى قرأتها بلذة اية لذة

وواثق بالليل الخادعات له يفتر بالبيض لا يخشى من السود
فقال سعدى يحمينى فقللت له هل يطلب النحس الاكل مسعود

وبعد فلا باس لله الحمد عندنا جميعا ، والحمد لله على نعمة الايمان
والاسلام امن الله الجميع بمنه وكرمه آمين

هذه رسالة وقفت فيها على نسخ مختلفة وفيها من النقص والزيادة
والتحريف ما يسمى مسخا لانسخا ، ولكننا اتقينا حسب جهدنا

وكتب الى الاستاذ سيدى المحفوظ الادوزى بعد ان استؤنفت عنده قضية

كان حكم فيها سيدي المحفوظ ، ضد حكم آخر صدر من الاستاذ عبد العزيز
الادوزي شيخ سيدي المحفوظ ، وهذه الرسالة نموذج لرسائله الاخرى في مثل
هذه المسادات التي كثيرا ماتقع بين الاقران اذذاك

«حامل راية التحقيق والتدقيق ، ومن اقر له بالسبق في ميدان المناظرة
كل حر ورقيق»

علامة العلماء واللمح الذي لاينقضي ولكل لبح ساحل

سيد السادات والكبير الفوائد والاستفادات ، لولا مابه من الجراح في
ميدان الافادات، وما جبل عليه من انشاء ما منشوه المعادة، المحفوظ بن عبدالرحمان
الادوزي ، جعل الله رضوانه الاكبر محوزه ومحوزي والسلام عليه ورحمة الله
وبركاته ، وبعد فاشركنا في صالح الادعية ، وقد وصل كتابك الراحة فحال
بينى وبين الراحة انبت فيه اخا لا يرى لك الا الوفاء ، ولا يعتقد فيك الاغايصة
الكمال والصفاء ، وزنته بما كان منه بريئا براءة الذيب من دم ابن يعقوب ،
فاني ما نقضت مبرمك ولا عزمت فيه بشيء من تصحيحه ولا ابطاله ومازلت استخير
الله ان يوفقني ، ويلهمني الى ما فيه سلامة الدين والعرض ، وعدم الدرك يوم
الحساب والعرض على ان جميع ما رقمته في كتابك الى دليل عليك لالك ، وحجة
تشد على عنق تقصيرك اغلالك فقد حكمت وبنيت على اساس واه حين لم تستدع
المحكوم عليه حتى تعلم ما يجيب به عن ذلك ، ولم تعجزه ولم تعذر اليه ولم تنظره
فالحكم منقوض ومنبوذ بذلك كما ذكرت ، ولا يجوز لك ان تستند فيه الى علمك
ولا تجد جوابا في هذا الا ان اختلقته واقتريته من عندياتك ، وهذا كله على فرض
وتقدير ان لو اجيز لك التعرض والتصدي لذلك شرعا ، والامر بخلاف ذلك فانك
لم تحكم الا في امر مخصوص ، علمته وادى به كاتب التحكيم ، ودلت عليه قرائن
الاحوال وقد علم وظهر ظهور نار على علم ، ان دائرة المحكم دائرة تقييد ودائرة
القاضي دائرة اطلاق ، ولا ينبغي للمستبريء لدينه وعرضه ان يتعرض لما اسند
الى نظر العلماء المتبصرين ، وابرموا فصله على وجه يحتمل صحته ، بل يتركه
كذلك ، والعهد عليهم ، والفتنة نائمة لعن الله موقظها الا ان يسأل عنه
بالخصوص واسند تعقيبه بالخصوص الى نظره فلا باس ان يتعرض له بما ظهر
له، وهذا الباب الذي فتحته يؤدي الى ان لا تبقى قضية على فصل ابد ، كما نص
عليه القرافي في (فروقه) واما ما ذكرت من مخالفتي ففيما مضى وان الحامل لي على
ذلك جاء المتبوع وهيبته وجبر خاطره ، فالذي اراه لك وأرضاه لكمال دينك
ووفور علمك ، أن لا تعرض لسخط الله وغضبه باسخط من رباك وعلمك
ونصحك ، وقدمك على اولاده وهو في القبر تحت الرجام ، ام الهاكم التكاثر
حتى زرتهم المقابر؟ وقد نصوا على ان علامة قبول ولاية الولي، زيادة هيبته وتعظيمه
وانفاق القلوب عليه بعد موته ، وهذا السيد كذلك ، فاتق الله في حق والدك
واتهم رايك

ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي والنصح اغل مايباع ويوهب

قال تعالى «ولكن لا تحبون الناصحين» اقول وحلي عطل، ونطقى خطل: مكره اخاك لا بطل ، واما ماذكرت اخيرا فاني فيه تابع لك ولامثالك من كبار العلماء فملاظهر فيه انه مصلحة للاسلام فاني مساعد عليه ولاملام والسلام غبار نعلك العبيد الجهول على بن عبد الله بن صالح جبر الله كسرته ، وحل بفضلته من أيدي الغفلات اسره -امين

وقد كتب الاستاذ المحفوظ على ظهر هذه الرسالة كلاما اوردناه فسي المجموعة ، ولاطلاوة ادبية عليه حتى نسوقه هنا ، حيث لامجال هنا الا للادب، والادبيات

رسالة اخرى له الى وانا بالحمراء اتلقى في الجامع اليوسفى حوالى ١٣٤٠ هـ :

«ولدنا الذى نجب له التقدم على الاقران حتى تكون له فى احراز تراث والده يدان ، من هو المختار ، خار الله لى وله واختار عليك السلام من والده يجب ان يراك مبرزا وان تكون لادوات السيادة محرزا ، واعينك ان تشتغل بمالانتيجة وراءه وان تلقى العلم ظهريا ثم تحاول من المجد سماء ، فوالدك رحمه الله مع ماهو فيه، لم يفرط فى العلم قط وذويه فاسلك مسلكه ان اردت ان تكون ولده وممن جعل العلم النافع فى الدنيا والاخرة عضده ، وقد برقت منك بارقة نجابة ، ستكون عنك سحابتها ان لم تجتهد منجابه ، فماذا فقد من وجد العلم؟ وماذا وجد من فقد العلم؟ فالبطالة قد يجدها الشاب الفرير ذات حلاوة وطلاوة ولكنها بعد انقضاء الصبا يجدها كسراب بقية يحسبه الظمئان ماء حتى اذا جاء وجده كما وجد الفرس عند البعثة بحيرة ساوة ، فهذه نصيحتى لك احملها للفيق سيدى موسى بن الطيب الذى توجه الى مراکش ، ولاتنسنا من الدعاء الصالح عند الرجال السبعة والسلام»

وقد كنت اجبته اذذاك فى شعبان عام ١٣٤٢ هـ بقصيدة كانت اذذاك نالت من الاستحسان مانالت ، لما تشتمل عليه مما كان يستحسن من الادب اذ ذاك، وربما ينظر اليها الالغيون امس بغير نظرى اليها اليوم، والناس اذواق نصها :

اعاطى كؤوس السلوى	نديمى	وبى مابنى من الوجد العظيم
وأبدى فى منادمتيه	انى	بجنات وقلبي فى جحيم
وادمج فى الحديث	انا سليم	وما يدري مرادى بالسليم
واكثر عن نبي الله	موسى	لما لى معه فى لفظ الكلم
واجرى ذكر مكة فى	حديثى	لما للقلب من معنى الحطيم
اربه ان قلبى فى	نعيم	وقلبي بالصباة فى اليم
واخبره بانى الخلو	صدقا	ولكن من سوى الوجد الصميم

بجانب مفلة يعفو رسومى
 تغافله فانفس بالنسيم
 مرادى لحظ سوداء الغميم
 باخبار الفوارس من تميم
 وما يعنى سوى ظبي الصريم
 بالطف من نسيم فى وسيم
 واين النجم من مرقى النجوم
 عديم فى المجادة للمسيم
 يضىء بغهب العصر البهيم
 فزره تزر عظيم فى عظيم
 بما يعنى عن الغيث العميم
 ويخلف كثرة برق القويم
 كمشوب على الطود العظيم
 عظاما وهى فى عظم رميم
 تضيف لباقل عبد الرحيم (٢)
 حلال السحر فى ذاك التنظيم
 ويهيج بين جنات النعيم
 قويم القل الا من قويم ؟
 شراك قد من ذاك الاديم
 اذا ما الغير يرضى بالشميم
 وكم ربع تعالى بالمقيم
 مغلاة العواطل فى التنظيم
 مبللة الزهور يد النسيم
 بلحظ الصب فى الوجه الوسيم
 باطراف الحواجب غمز ريم

واطهر انسى جلد ، وغمز
 اشامه الدبور لكى الاقى
 واجرى وصف بيض الهند لكن
 احدته وقصدى عين نجد
 ويذكر لست خفان لسانى
 ويتحفه عن اخلاق لطف
 فيحسبها لقيس وابن قيس (١)
 وكيف ولا تليق لغير فرد
 خضم العلم يزد نور هدى
 ابي الحسن العظيم اسما وقدا
 من اللاتين ان جادوا وجودوا
 تقى ابدا بروق الوعد منهم
 وهم ما هم ذكاء فى وقار
 فكم احبت قرائحهم علوما
 اذا اقلامهم وشت نظيما
 فيشهد والنواظر شاهدات
 ويمرح سالم الاذواق فيه
 زكوا لما زكوا اصلا اينشا
 اذا نعم الاديم كذاك ياتى
 وما يرضون الا باهتصار
 علت بمقامهم رتب المعالى
 تغال فى حلى تلك السجايا
 سجايا بل رياض صافحتها
 فهن ارق من خجل تسارى
 والطف من مسارقة العذارى

* *

على بعد المدى نصح الحميم
 الى وصاة لقمان الحكيم
 لكنت بها على قدم عظيم
 على متن الصراط المستقيم

ابا حسن ومثلك من يوالسى
 لقد اهدى الكتاب ، جزيت خيرا ،
 وصاة لو مشيت على سناها
 وصاة كنت لو انسى عليها

(١) قيس بن عاصم المنقرى الذى تخرج به الاحنف بن قيس فى الحلم
 والنجم الاول نبت معروف
 (٢) عبد الرحيم القاضى الفاضل وزير صلاح الدين واليه تنسب الطريقة
 الفاضلية فى الادب

ولكن كيف - وا اسفا - ونفسى ، كما تدرون ، اشرد من ظليم
ولكن كيف - واعجزاه - دبغ - وليس بنافع - حلم الاديم (١)
على انى - ولم اقلظ - لارجسو قريبا رحمة الله الرحيم
ايعوز - لا ورب البيت - ما قد اشا ؟ والله ذو الفضل العظيم

رسالة اخرى منه الى ولده الاستاذ سيدى محمد بن على وهو ياخذ بالمدرسة
الادائية :

«من على بن عبد الله الى ولده محمد ، اصلحه الله واعانه ووفقه ، وفتح له
فتح العارفين بالله ، وسلام عليه ورحمة الله وبركته ، وبعد فلاباس ولله الحمد
وييد الحامل ماتقضى به الضروريات ، هذا وقد انشأت لصلاح الاديبي سيدى
محمد بن الطاهر قصيدة عددها ١ بيتا بينت له فيها عظم نعمة الله عليه ليشكرها
ومطلعها

محمد نجل الطاهر بن محمد ووارث اسلاف امائل مجد

واجابنى بقصيدة فى عددها كلها غرر ودرر ، هذا وقد طلبت منه ان يكف
عنكم معشر طلبة اداى ، وان لا يبعث اليكم سريات القصائد ، علما منى بعجزكم
عن مقابلتها وقد استشفعت اليه بوالده وقد علمتم ان شفاعتى عنده مقبولة
فوعد بذلك بشرط ضرب الاجل ستة اشهر ، حتى تحفظوا المقامات حفظ اتقان
فحينئذ تبعث السرايا ، والسلام

قف معى ايها القارىء از هذه الرسالة ، لترى كيف تبعث الهمم
وتستنبط القرائح وان هذه الحلبة السوسية ، لتنظر الى المقامات الحريرية بغير
العين التى تنظر اليها بها حلبة من المدرسين الكبار ، الذين ادركناهم فى الجامع
اليوسفى ، فعهدى ببعضهم حين افتتحت مع بعض الطلبة المقامات فى هذا الجامع
عام ١٣٤٩ هـ قاموا واعدوا ، وقالوا لقد اتى فلان شيئا ادا ، وارتكب امرا
حين اهتبل بالكذب والبهتان الذى حشيت بهما المقامات ، وقد نص فلان فى
المعيار للونشريسى على انها لا تقرأ فى الجوامع ، فاعتبر ايها القارىء وانا معك
من المعتبرين

هذا وقد حدثت اخيرا على الاستاذ غربة صريحة ، لان اقرانه كالوالد قد
توفوا عنه ، ففقد منهم اعضادا قوية ، ومعينين حاضرين ولأن كبار تلاميذه قد
اتصل كل واحد منهم بمدرسة او بشغل شاغل من اسرته ، فلايراهم الا فيئة
بعد فيئة ، وهو ذلك الاديبي الاريحي الذى نعلم منه انه اجتماعى لايطيب له

(١) حلم الاديم كتب ، افسدته الحلمة ، وهى الدودة التى تفسد السجلد قال:
فانك والكتاب الى على كدايفة وقد حلم الاديم

بالانفراد قلب ، وذو همة اعتادت الترقى دائما في كل ناحية ، فكيف يرتاح لسكون في عزلة او انفراد ، وحتى الحلية الاخيرة من تلاميذه الادباء قد تفرقوا شذرا مذر ، واخرهم الاديب البوزاكارني الذي ترك بمغادرته الخ مقام الادب خالبا وثره شاعرا فقدودعه الاستاذ بعدما كان زينة مجلسه في عقد حياته الاخيرة ، وفارس الادب الذي يقبل بالحلبة كما شاء وبديبر . وقد اندفع ايضا هذا الاديب الى من لا يعرف قدره فادركته حرفة الادب من كل جهة ، فلنقف هنا وقفة حتى نقرأ رسالتين تعاطياهما او اسط عام ١٣٤٦ هـ قبل وفاة الاستاذ بقليل فقد نجد لما ذكرناه من الغربة التي ذكرنا ان الاستاذ صار اليها مما يلاقيه ممن لا يعرف قدره من بعض المجاطيين ونظرانهم دليلا ناصعا على ذلك

كتب اليه الاديب البوزاكارني بما نصه :

«شيخنا شيخ الشيوخ ، المصاهي في تحقيقه وتدقيقه ابن فروخ ، رجل الاخرة والدنيا قصوى كانت او دنيا ، سيدى وامامى ، الذى لا اسرى مسرى الانوار وانوار ارشاده محيطه بى من ورائى وامامى

نزيلك حيثما اتجهت ركابى وضيئك حيث كنت من البلاد
وما ييممت من بيداء الا ومن جدواك راحلتى وزادى
من لاسميه مهابة واجلالا ، ولاحليه اكتفاء بشهرة صفاته فناهيك بها
صفات وخلالا

فعرض اذا حدثت بالبان والحمى واياك ان تنسى فتذكر زينبا
ستكفيك عن ذاك الجمال اشارة فدعه مصونا بالجلال محجبا
اشر لى بوصف واحد من صفاتها تكن مثل من سمي وكنى ولقبا

سلام الله على تلك الحضرة ، التي لا يبعدها السرور والنصرة ، هذا وقد وصل كريم كتابك • وجيليل خطابك • مؤكدا على وصول كتاب الفائدة ساعة القوم وقد وصله بحمد الله ، بمجرد وصول الحامل سيدى محمد قبل ان يرانى غير انه كما قيل

دخولك من باب الهوى ان اردته يسير ولكن الخروج عسير

ثم ، الله يعظم اجر سيدى في مصابه ، بسيدى عبد الله بن احمد ويعسن فيه عزاءه ، فقد علمنا والله ان كان لرجل صدق وامانة وفتوة ومروءة ، وكل خلق حسن ، فلذلك عجل به - كلكم تموتون وانما يعجل بخياركم - وليتعضز سيدى عنه بما امر صلى الله عليه وسلم بالتعزى به ، اذ قال «ليعض المومنين في مصائبهم المصيبة بى»

لكل اخى ثكل عزاء واسوة اذا كان من اهل التقى فى محمد

ولولاني تركت الشعر ترك السقب لغرسه ، والرأل لتريكنه (١) لقلست فيه فإنه لذلك أهل بيدانه لاطاقة لنا اليوم الابالترحم عليه ؛ والاستغفاره؛ قاله يرحمه ويغفر له ، مغفرة عزمها فهو الغفور الرحيم
وأما عميدكم فلم يزل يوالى الزفرات ، ويتابع العبرات ، على تلك الاوقات؛ التي كلها مذكرات ومنافحات :

يا ليت شعري والدنيا مفرقة بين الرفاق وايام الورى دول
ابعد بعد تقول الدار جامعة ام هل تعود لنا ايامنا الاول ؟

* *

ابعد بعد تقول الدار جامعة ؟ شملى بهم ام تقول البعد محتوما ؟
فها انذا ملقى في زاوية الاهمال ، غير منظور الى لابعين الاجلال ولابعين
الاذلال، منتبذا عن الناس، سمر الهم والوسواس، فلاراتب ولاجارى، ولاأنيس
ولاصديق ولادار ، فالآن صرت غريبا حقا

الفقر فى اوطاننا غربة والمال فى الغربة اوطان
فلا اسمع بطرو اخ اوصديق الا وددت لو لم الله ، لعجزى عن بره ، والله نقد
صدق من قال

اذوب حياء من زيارة صاحب اذا لم يساعدنى على بره الوفر
فلقد طرقتى سيدى محمد البعمرانى اذ طرقتى ، فلو مات احد من الحياء لمت
اذ لم يجد عندى الضوء فما فوقه ، والله للموت من بعض الحياة اهون ، قال الله
والى سيدى المشنكى

شكوت وما الشكوى لمثل عادة ولكن تفيض الكأس عند امتلائها

ثم اعلم سيدى اننى عاملت ذلك المرحوم بالله سيدى عبد الله بن احمد
معاملة اظنها مستفيضة هنا لكم ، وهى انى اعطيت، خمسين ريبالا قراضا ثم انه
اشترى بها من الشعر خمسا وعشرين اوستا وعشرين بالمكيال الخميسى (٢) فهى
عنده معزولة فى بيت منذ شهر قبل انتقالى ، ثم لما ازمنت على الانتقال ، كان اخر
امرى معهما حين تفرقتنا ان يتركها كذلك معزولة ، ويرصد بها الاسواق فمهما
ظهر من ربح غنمه ، ثم يرسل لى ما هو لى والآن لما قضى الله عليه بما اراد احب
من سيدى استطلاع طلع ذلك من أهله ، هل اوصى او امر بشىء ، او علموا بذلك
ويعلم بما اجابوا به ويعمل بمقتضاه واما كان فما عمله سيدى فى ذلك فعلى
الراس والعين ، وحكمك مسمطا ، فانت بصيرتى فى ذلك والحاكم وكيل الغياب
والسلام ، وعلى العهد وازدياد المحبة والدعاء بظهر الغيب
واعيد السلام على جميع الاولاد ، الامثل فالامثل وقد سرنا صنيع سيدى

(١) السقب كفلس ولداتفاقة ساعة يولد والغرس بالكسر: ما يخرج مع الولد
كالمخاط والرأل ولد النعام والتريكة كالسفينة البيضة ان خرج منها الفرح
(٢) بمكيال سوق الخميسى الوفقوية

المدنى أعانه الله على ما هو بصدده ، وأمدته بدائم مدده ؛ وارك سيدى فى جمعهم مايسرك ، و؛ كد سيدى الطاهر على قراءة اللامية ايضا ، بتوجيه كل الهممة فلأمندوحة له عنها. فأكثر مايصحفه حالة سرده انما اناه من عدم اتقانها كما ينبغي ، فلا بد له من الصبر عليها حتى يتقنها ، فهناك يصح له السرد استقلالا وفى المألا . وعلى سيدى تنبيهه على ذلك بلاتراخ فقلما ينتبه الا بنشبهه ولايتوجه لوجهة خير الابتوجيهه وفق الله الجميع . اوائل جمادى الاولى عام ١٣٤٦ هـ ولدكم عبد الرحمان بن محمد الاحبال»

فأجابه الاستاذ

أخى وصريحي ، ومريحي وسنيحي ، ابقاك الله مصون العرض والعرض ، مفدى بالانفس والآباء من كل عاهة ومرض ، ومن الم كل حادث عرض ، مؤديا فى ملة الفتوة والاخوة كل حق مسنون أو مفترض ، مجددا من معالم الدين ما ندرس ، ومن رسومه ماعفاه الجهل ودرس ، مغبوط الاحوال ، مخدوم الآمال ، قاربال؛ فار البلبال؛ ذلك السيد السند؛ والصدر الاوحد؛ انيسى وجليسى ، وهزبرخيسى ، وكاف كيسى ، ورئيسى وخندريسى؛ من اذاغاب عن القالب فهو فى القلب حاضر؛ لا يخلفه فيه سواه ما بين باد وحاضر؛ الغريب بين أهله ، والعائز خصل سبق فى الكمالات على تؤدته ومهله ، الشريف العفيف؛ والاحوذى السرى المنيف؛ مولاي عبد الرحمان ابن مولاي الشريف محمد

نسب كان عليه من شمس الضحى فلقا ومن نور الصباح عمودا

السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الشذية ، والمكارم الندية والسجاي المسكية ؛ ومن بها واليها ، وبعد فلا باس نسأل الله لنا ولكم التوفيق لما يرضى ، واللفظ الجميل فيما قضى ، والتيسير لليسرى ؛ والختم بالحسنى ، آمين آمين ، انه على ما يشاء قدير ؛ وبالإجابة جدير ؛ وقد وصل ذلك الكتاب العائز من اسرار البلاغة اوفى نصيب ، والرائع من هضاب الفصاحة فى كل ممرع خصيب فقرح بشكواه ، وفرح بسلامة كاتبه وهذا اعز ما هو اهواه ، ووقفت على تفصيله وجمله ومالم به من ألم راقمه بالفارقة وأمله ، فحرك ماسكن . وغيب عن الاهل والسكن ، واوقد نار الاشواق ، لمحجوب التلاق ، والله عليم بذات الصدور وقد تمثلت لما ذكرت فى كتابك انه لا مجالس ولا مجالس ، ولا جارى ولا راتب ولا مأوى ، بقول من قال

ارادت عرارا بالهوان ومن يرد عرارا لعمرى بالهوان فقد ظلم

فليصبر كل منا سيدى لسهام دهره ، وعوالى مكره ، فان محاله لا يبقى على حال؛ ومحاول اوحائه على غارب الارتحال

الدهر لا يبقى على حالة لكنه يقبل او يدبر
فان تلقاك بمكروهه فاصبر فان الدهر لا يصبر
ورحم الله البخترى اذ يقول

تنكر العيش حتى ان اكدره ياتي نظاما وياتي صفوه لهما
وانست من خطوب الدهر كثرتها فلست ارتاع من خطب اذا طلعا

واحوال المدرسة والاهل داخلا وخارجا بخير ماذا فقد من وجد الله ؟ وماذا وجد
من فقد الله ؟ غير ان رياض الادب تصوحت بعد انقشاع سحابتك المدرار
وافول شمس مشكاتك المزهار ، ورعى في مراتعها الهشيم ، واقلعت سحائب
الاجادة فما لمع برقها بعد ولاشيم

دوام حال من قضايا المحال واللفظ موجود على كل حال

وقد بدا من مربى نعمتنا فلان (١) ما يستقر به كل حاضر وباد ، ولا يرضى
به أدنى الاوغاد ، بله أفضل العباد ، والعرق دساس :

واسرع مفعول فعلت تغيرا تكلف شيء في طباعك ضمه
والطبع املك ، قال حازم

من يسمع الجفوة من خل ولم يفضب لها فانه كمن جفا

*

متى تسد معروفا الى غير اهله رجعت ولم تظفر بحمد ولا شكر
وقال حازم ايضا

من صاحب الانسان في العسر كما صاحبه في يسره فقد وفى
ومن يفارقه اذا ما يسره فارقه فما وفى ولا رعى

وخير ما تمثل به فيما وقع من التباعد بينى وبينك ، واوجب على الرغم منسى
بينك ، قول حازم :

يازمننا جفا المنى من بعدما قد كان والى البر منه واحتفى
قد بلغ الحزام طبيبه وقد افراط حتى بلغ السيل الزبى
انابت يادهر المنى من بعدما ادنيتها فما عدا مما بدا
ياهل انى ان ابلغ الحظ الذى كم قلت فى تاميله ياهل انى؟

والسلام عليكم ورحمة الله

(١) يعنى الاستاذ احمد بن الحاج محمد البيزىدى وفى ترجمته تبين ما وقع

وشعر القراض على ما عهدت وما ظهر لكأنه المصلحة فيه فأخبر به ولدنا
 محمدا بفعله به بلا تراخ ، والخلق اذا فهم الله لباس الجوع والخوف بما كانوا
 يصنعون ، ظهر الفساد في البر والبحر الآية ، والسلام على من انتمى اليكم او
 اخوتكم أو قرابتكم ، خصوصا الوالد الاتقى والخال الارقي ، سيدي احمد بن
 ابراهيم ، واسال من الجميع صالح الادعية ، على بن عبد الله الالفي»

تتف من قوافيها

واما شعره فهناك منه قصائد لطيفة، وقطعا منتقاة، مما نراه امامنا متراكما
 ككتبان يبرين ، فمن ذلك ما قابل به وفدا افرايا ، فيه الاستاذان سيدي البشير
 الناصري وسيدي محمد بن الطاهر البكري النسب

لله يوم خميس جادى بلقا من كنت من بينهم قبل اللقاء لقي
 حيوا فاحيوا نفوسا طالما قبرت فاستاصل البعد من ارواحها الرمقا
 وفي لى الدهر مذ وافوا وجدد لى من وشى برد التهاني كل ما خلفا
 هم الكرام وابناء الكرام ومن قاد الاله بهم للرشد من خلفا
 قوم يروج بهم للعلم كاسده والجهل ينزاح من انوارهم فرقا
 ان عز قوم بمال جم او عدد فانهم جمعوا الاوراق والورقا
 ما كنت اقصيهم الحق الذى لهم وان فرشت لهم من جفنى الحدقا
 فمن يكافى وان جلت صناعه صنع البشير الذى بفضلها سبقا
 ومن يكافى ندى البكري غير السسه قد حياه من الاخلاق ما عبقا
 منى عليهم سلام طاب مورده ما اشتد بالبرق شوق كلما برقا

وقد ثارت اثر هذه المقطعة مقطعات اخرى ، وقصائد بعضها فى رويها ، وبعضها
 على روى آخر على عادة الادباء الالفيين اذذاك حين يولعون بان يقول كل واحد
 قصيدة فى امثال هذه المحافل ، التى تحفل بادباء وافدين ، ثم يجيبهم الوافدون
 ويكيلون كل صاع بصاع فكم شعور يجرى برذونا قطوفا ، وكم كهام مفلول
 تراه فى يد بعض البلداء مسلولا

وقال يخاطب الاستاذ سيدي الطاهر بن محمد حين زار العلامة سيدي

الحاج احمد الجشتيمي عام ١٣٢٧ هـ ثم مر بالغ

شنت باخبار من احيا اذا ذكروا مسامع القلب واعرفهم وان نكروا
 واربع على ربهم وقل اذا سألوا عن عبدهم هام فيمن قبله اسروا
 فاعجب لصبب بمن شدوا الوثاق فلا من لديهم ولا فداهم ذكروا
 كأنهم مارعوا حق الوداد له وحقه اعظم الحقوق لو قدروا
 فما لهم مارتوا لحاله فعفوا ان الكرام لهم عفو اذا قدروا
 وكلما اعولت نفسى اعللها بالوصل والعطف منهم بعدما هجروا

عهدتهم من نحة العصر قد قرءوا
فمالهم لزموا باب اشتغالهم
رعاهم الله قد راعوا بينهم
قطرت دمعاً بلا عين فكان دما
جالدت جند الهوى جهدى وحاربنى
كانوا منى القلب لكن زاده ولها
لله دهر تقضى كله غرر
وفوا فماشاب فود الوصل فيه ولا
منى عليهم، على متن الصبا، وعلى
وقد اجابه الاستاذ سيدى الطاهر بقوله

هنى نجوم الدجى ام هذه درر
هذبها طبع مولانا الامام كما
لفظ كما افتر نعر الزهر قلده
فى طيها كل معنى كاد يشربه
لا سحر الا الذى ضمت لطافتها
ما كنت احسب قبل ان اشاهدها
وقال مرحبا بالاستاذ سيدى محمد بن الطاهر الافرانى ، وقد وفد عليه
ثالث شعبان عام ١٣٢٧ هـ :

اهلا بمن رحل العنا بنزوله
اهلا بوفد قل من اكرامه
اهلا بمن احيا القلوب قدومه
اهلا بمن اغنى ضياء علومه
اهلا بمن خرق العوائد فضله
اهلا بشهم جل وقت نضاله
شرفت عبدا بالزيارة لم يزل
ان الكمال جميعه لك منة
والله رب العرش يمنح كل ما
ويشيبك السر العميم فتتننى
باجل خير الخلق صلى ربنا
فاجابه الاستاذ الضيف ، وقد غير الروى وان التزم البحر

شعر زرى بالعقد حسن نظامه
فرحابه فلقد ازال الهم عن
ما الروض فى ازهاره ما الدر فى
الى آخر القطعة ، وهى من اوليات هذا الاستاذ الجليل حفظه الله .

وقال ايضا مرحبا بقاضى اقا اليوم تلميذه سيدى الهاشمى الفاسى
ياواردا عمت الدنيا مفاخره وقاد مالم يزل فى القلب مسكنه
اهلا بمقدمك الزاهى وموردك الـ لله طلعتك الغرا وسيرتك الـ
قدمت فى طلب العليا وانت لها مهر الفضائل صبر انت باذله
والحلم ان صميم يوما انت ناصره سر هكذا فالعلا تدنى مقادتها
لازلت تنمو وتسمو للعلاء الى منحك الود منحا لا اعتصار له
منى عليك سلام زان ناصره روض اشتياقى وقد فاحت عواطره

وقال ايضا مرحبا بالعلامة الاستاذ محمد بن عبد العزيز ، كاتب آل كردوس
وهو ممن يخاف الله فيما يحكى عنه ، وذلك فى الاربعاء ١٧ رجب ١٣٤٦ هـ :

ياقادما فضله فى العلم والعمل وسيدا عمت الدنيا صنائعه
وواردا جد مد ان كان شب الى احييت بالوصل حيا قد نزلت به
ان ساد قوم بجمع المال والخول لازلت ياخير طب ماهر فطن
يانجل عبد العزيز ياامام هدى هجرت مالوف اوطان دعتك الى
فقابلتك القلوب بالرضا وبما اصفيتك الود فى الرحمان حين صفت
عليك منى سلام الله ماطلعت قد كان اسير من طيف ومن مثل
انخ فقربك اضحى غاية الامل ان دب فى حفظ شمل الدين من خلل
نزول قطر بقطر سيم بالخلل فانت سدت الورى بصالح العمل
تشقى برايك ما بالدين من علل لم يرض مذنب ان يرعى مع الهمل
ما ليس يرضى به الرحمان من عمل يعليك من طيبات الذكر عن زحل
منك الخواطر من غش ومن دخل شمس وما غربت عن غارب الطفل

وقال رحمه الله يخاطبني فى بعض وفاداتى على الخ من الحمراء اعوام ١٣٤٢ هـ

يحق على للمبشر انكم يعين ان عاينت شخصك لى المتى
طلعت طلوع البدر فى حندس الدجا نزلت نزول الغيث فى وسط مجدب
فاهلا بمن احيا من الدين ما قضى وسهلا بمن راض العلوم فاصبحت
قدمتم من الاحسان افضل ما خلع وقلبي حاظ بالذى قبل قد ولع
الا فاعجبوا للبدر فى الغرب قد طلع فازهر روض العلم والفضل قد نبع
وشاد كهركنا قضى الجهل ان خضع واوبدهاما ان يقال لها (هدع) (١)

(١) هدع بكسر الهاء وفتح الـ كلمة يهدأ بها صغار الجمال

تقيبت في جمع الكمالات معرضا عن العرض الفاني وما هالك الهلع
 قشمر وجد السير ان الذي تريب — — — — —
 فلا شك أنت الوارث السر فاشكرال — — — — —
 فلا زلت يامختار في كل مايزي — — — — —
 عليك سلام من قريب يجب ان يراك ونور الله فوقك قد سطع
 وقال يحرض على تحسين الخط وشاع انه يخاطب بعض اولاده ، وانها له

ان لم تكن كما بن مقلدة في الخط جد با بن مقلدة
 وخط في الخد خطا اخذوه عيين عقلسة
 وارض بخططة عجز فما لها عنك نقلسة

وقال في ذلك ايضا ، وهو ماشاع ايضا انه له :

ان حسن الخط زين للفتى فهو نصف العلم من حيث اتى
 جيد من ليس يجيد الخط في عطل هبه ابن ادريس الفتى (١)
 وقد خاطبه سيدي محمد بن مسعود المعدري بقوله

تبدي فخلت البدر في الافق ينجلي اذا هو بدر المجد والشرف الجلي
 ابو حسن ماوى المكارم كلها ولا غرو في جمع المكارم في على
 فمهما ذكرنا من خصال فضائل فليس لها الا ابو حسن على
 فلو اطنب المداح في مدحه فما عسى يبلغ الاطناب من وصفه العلى
 فاجابه بقوله :

لله درك من امام عادل ورت المكارم فاضلا عن فاضل
 فقت الاوائل والاواخر والذي قرن الفضائل منكم بفواضل
 لاتكب في ميدان تدريس وكن وقت اشتداد العجل خير مناضل

وقال ايضا يجيب الاستاذ شيخنا سيدي محمد بن الطاهر عن قصيدة خاطبه بها:

وصالك هذا ام بدا صبح اسفار ووجهك ام شمس دعت نور ابصار
 وعرفك هذا ام صبا قد تصافحت اناملها وهنا بروضة ازهار
 وخلقك هذا ام خلوق تعطرت بارواحه لبات صقع واقطار
 ونظم لئال في نجر خرائد ارى ام نظاما جاز رتبة اشعار
 تفنق من روض البلاغة نورها ورقت به الالفاظ رقة اسحار
 اذا احتسنت الاذواق كأس رحيقه سكرنا حلالا ما رزنا باوزار
 يقلد جيدي من فرائد لفظه باطواق مدح منتقى ذات اخطار

(١) يعنى الامام محمد بن ادريس الشافعى

وانى ورب البيت لولا اعتقاده
 فما روضة جاد العهاد وهادها
 وابدت ونور الشمس قابل نورها
 وتصيح في برد قشيب منمق
 وينشق منها كلما هب ريحها
 باحسن من شعر يعز علي ان
 فاقسم بالفضل الذي حزت خصله
 وبالادب الغض الذي كان بعض ما
 وبالود منى قد منحت صميمه
 لقد فقت يا ابن الاكرمين فما ارى
 اسال اله العرش حفظ مقامك الـ
 بجاه اجل الخلق صلي وسلم الـ

وحسن الرجا ما كنت اهلا لاجبار
 وغنت بها الاطيار فى ملد اشجار
 جداولها كالايام (١) فى حين ادبار
 وشته يد الوسمى وشيا بازهار
 شدى العنبر الشحرى فاح بمعطار
 ارى رقمه فى غير صفحة افكارى
 وبالشرف العد المشيد باينار
 منحت وما اعطيت من رفع اقدار
 فما شيب حتى شبت يوما باكدار
 لفضلك ندا عند نزع لاشعار
 سسمى من الاسواء طرا واغيار
 ساله عليه والاجلة انصارى

وقال الاستاذ ايضا فيما كتبه لطلبة مدرسته مع اجلة انصار يطلب ممن وفقه الله منهم
 ان يقرب احجارا الى بنائين عند الاستاذ ، على عادة الطلبة مع اساتذتهم فى
 بلادنا عند المهمات والبادون كلهم عملة طلبتهم وعوامهم ، فكل يحك جلده
 بظفره ، فلا يستهجن الحاضرون احلاس البيوت ، وانباء الكلل ورببوا الحمائم
 حتى غدوا كما قال الشاعر

خطرات النسيم تجرح خديسه ولهمس الحرير يدمى بنانه

هذا الاستخدام ، فان طلبة البادية من عاداتهم ان يقوموا بكل ضروريات
 اساتذتهم ، حصادا وبناء وسفارة وغسل ثياب ليتمكن له ان يوالى لهم الدراسة
 وهذا ما كتب به الاستاذ

اريد من خير اخوانى وصفوتهم حمل حجار غدت تضر بالعملة
 لازال فى صالحات السعى سعيكم ولا برحتم هداة جلة كملة
 بجاه خير الورى صلي الاله على مقامه وعلى اصحابه الفضلة

وكتب اليهم ايضا بعد ما اتموا احصاد مزروعاته :

جزى الله اخوان الصفاء بكل ما يجازى به احبابه وسط القبر
 واعطاهم من فضله الغمر كل ما يحبونه بل فوقه دونما حصر
 كفونى مئونات الحصاد وظللوا باوجههم وجهى كفوا ازمة الدهر
 وعند امتحان المرء يظهر فضله او النقص والرجحان فى كفة الصبر
 الاهكذا الايثار لاكلالى تقيـــــ
 كذاك تقوم السوق والناس بين من
 جوا عن صنيع قائد المرء للخير
 يراج له والدالجين الى الخسر

(١) الايام مخفف الايام بالتشديد الاقوى

ولو لم تحف باللكاره جنة الـ خلود تساوى الخب فيها مع البر
عليكم سلام الله ياخير من سعوا لتحصيل مايولى الهنا ساعة الحشر

وبعد فقد ان لنا ان نكتفى من اثار قلم الاستاذ بهذه النماذج التى
سقناها منها من كل ناحية ، فأتينا بنماذج مختلفة حتى يستفيد المؤرخ الذى
يقبل كل شىء ، وهذا كله كما يراه القارىء لا يخرج عن الاخوانيات ، ومن اراد
التوسع فى كل مقاله الاستاذ أوجله فانه سيجده ان شاء الله فى (جوف
القرأ) فاننا ماعدونا هنان انينا بطاقة صغيرة جدا من تلك الروضة الاربضة
ولكن لانحسب ان القارىء يرى ماكتبناه هنا حتى يعرف مقدرة الاستاذ ومقدار
براعة يراعه ، فالحمد لله الذى يسرنا لهذا اليوم ، ونساله تعالى ان يسرنا
لاتمام الكتاب جميعه غدا فيجد القارىء بين التراجم الامداح الكثيرة التى يخاطب
بها ادباء الغ وما اليهم هذا الاستاذ الاديب الكبير

الآخذون عن الاستاذ

مر بنا فيما تقدم العلامة على بن عبدالله فى اطوار شتى ، فرأيناه اجتماعيا
وقاضيا وهفنيا ومدرسا ورئيسا وواعظا ، وقد رايتما يشهد لكل هذه الاطوار
فكثرة اصحابه وثبات مركزه فى الرئاسة ، وشغوفه فى المكانة الاجتماعية
وفتاويه واحكامه التى تعج بها سلات الرسوم من كل القبائل المناخمة لانغ
المفصحة كل الافصاح عن مكانته فى الافناء والقضاء ، وهذه التمجيزات التى
لاتزال الى الآن بين علماء جزولة هى من اثر تلاميذه الذين يتتابعون طبقا عن
طبق كما أن الترحم على الاستاذ الذى يعليه كل منصف عندما يذكر
الكرم أو البخل فى الغ ، تحمل الناس على أن يرددوا اسم الاستاذ ، وأن
يجعلوه اآخر الكرماء السعديين - كما يقول الاخ احمد رحمه الله - وهذه كافية
غاية الكفاية فى مقامه بين المصادر والوارد ، فقد ادى للمروءة حقها الواجب
فعادوا فانتوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائق

ولكن استاذيته التى وصفناه بها ، وكانت الاصل الاصيل الذى تفرعت
عنه كل هذه الاخلاق الاخرى ، من اين نجد مايشهد لنا بها الا فى اثارها التى
لاتخفى فى الذين يردون الى المدرسة الالغية عطاشا ، «وقد كريت اعناقهم ان
تقطع» ثم يصدرون عن مناهلها العذبة الصافية من بعد ما ارتنوا عللا بعد نهل
حتى ضربوا بعطن ، فكم راحل عن الغ اباليه قريبا حين ظهر له راي العين
الفرق بين الدراستين :

صدرنا وقد نادى السماح بنا ردوا فعدنا الى مفناك والعود احمد

كنا ذكرنا فى ترجمة صنوه الاستاذ محمد بن عبد الله ان غالب من خلفهم
فى المدرسة قد اخذوا ايضا عن هذا الاستاذ ، فها نحن اولاء سنذكر كل من علم

انه اخذ عنه وندخل فيهم من كانوا اخذوا قبل عن صنوه ان اخذوا عنه أيضا ، ثم لانذكر الامن اشتهر منهم بعلم او تدريس او استبصار ، ثم ظهرت مكانته في الرئاسة او مركز آخر ، واما من لم يحصل اولم يعرف بعد ذلك بشيء يرفع مكانته مع الاستبصار فيما اخذ ، فاننا نتكبد ذكره ، ثم اننا نذكر كل من مر بالمدرسة الالغية في عهده وان كان اخذ في غيرها ، قبل ان يلتحق بها ، او بعد ان فارقها لانه على كل حال ممن اخذوا عنه ، وهذا هو شرطنا ، وعلى الله التكلان فلننتبهم بالقبائل ، فنبداً بئال الاستاذ ، ثم بغيرهم من الالغيين كلهم ثم بكل من كان من مرابطينا من غير الالغيين ، ونمزج الالغشانيين والوقاويين والتاكزيين والتيفشيتيين بالمراطين ، لامتزاج المساكن ، ثم بالاسيين ثم الامانوزيين والكرسيفيين ثم التملين ومن اليهم كالكثيرين ، ثم الرسموكيين ثم السماليين ثم البعقلين وما اليهم كالتازروالتين ثم المجاطيين ، ثم الافرائين ثم الاخصاصيين ، ثم البوعمرانيين ومن اليهم كالساحليين ، ثم الازاغاريين ثم التاغاجيجيين ثم التامانارتين ومن اليهم كالاموكاديريين والاقاويين ، ثم الساموكيين ، وهكذا نرتب ذكرهم الآن كما سترتب ايضا ان شاء الله تراجمهم في محلها على حسب ما تيسر ، ومن كان من غير هذه القبائل فسنبيته نصا :

الالغيون ومن اليهم

- ١ - الاستاذ عبد الله بن محمد الالغى
- ٢ - صنوه عبد الرحمن بن محمد الالغى
- ٣ - صنوهما احمد بن محمد
- ٤ - الاستاذ محمد بن على
- ٥ - الاستاذ المدنى بن على
- ٦ - الاستاذ الطاهر بن على
- ٧ - الاستاذ الحسن بن على
- ٨ - سيدى صالح بن احمد
- ٩ - صنوه عبد الله بن احمد المرحوم
- ١٠ - النجيب المرحوم الحسين بن ابراهيم
- ١١ - النجيب محمد بن عبد الله بن محمد
- ١٢ - النجيب سيدى احمد بن محمد التاهالى
- ١٣ - الشيخ محمد بن عبد التاهالى
- ١٤ - السيد محمد بن الحاج بلقاسم
- ١٥ - العم سيدى ابراهيم بن احمد
- ١٦ - سيدى موسى بن الطيب
- ١٧ - صنوه المرحوم سيدى البشير

- ١٨ - الاستاذ سيدى عبد الله بن ابراهيم
 ١٩ - الاستاذ سيدى محمد بن احمد بن الحاج صالح
 ٢٠ - الاستاذ على بن صالح الاوقفري
 ٢١ - سيدى على بن الحاج احمد التيفشيتى
 ٢٢ - سيدى الحسين بن بوبكر الاغوديدى
 ٢٣ - الاستاذ سيدى البشير صنوه
 ٢٤ - الاستاذ عبد الله بن مسعود التميموتى
 ٢٥ - صنوه سيدى احمد بن مسعود
 ٢٦ - الحاج مسعود الوفاوى الاستاذ الكبير
 ٢٧ - النوازى سيدى محمد بن مبارك الوفاوى
 ٢٨ - سيدى المحفوظ بن الهاشمى
 ٢٩ - سيدى احمد بن بوهوش التاويى الايفشانى
 ٣٠ - الاستاذ سيدى احمد بن الحسن البناء الايفشانى
 ٣١ - صنوه سيدى محمد بن الحسن
 ٣٢ - سيدى محمد بن مبارك التاويى الايفشانى
 ٣٣ - سيدى الحسن اخوه
 ٣٤ - سيدى الحسين بن صالح التاكنزى

الايسيون

- ٣٥ - الاستاذ سيدى المكي اليزيدى
 ٣٦ - سيدى الطيب اليزيدى
 ٣٧ - الاستاذ سيدى احمد بن محمد اليزيدى
 ٣٨ - سيدى محمد بن عابد اليزيدى الصقر
 ٣٩ - الاستاذ محمد بن الحاج احمد الاستاذ اليزيدى
 ٤٠ - سيدى محمد بن عابد اليزيدى
 ٤١ - سيدى محمد بن الحسن اليزيدى
 ٣٢ - سيدى الحسن بن عبد الرحمان الاعرج الايسى
 ٤٣ - سيدى محمد بن الحنفى الفيلاى الحضيكى
 ٤٤ - صنوه سيدى الحسن بن الحنفى الحضيكى
 ٤٥ - سيدى الحسن بن البشير الحضيكى
 ٤٦ - سيدى المحفوظ التارصواطى

الامانوزيون والكرسيقيون ومن اليهم

- ٤٧ - سيدى محمد بن بومليك

- ٤٨ - سيدى محمد - فتحا - بن عبد السلام الكرسيفى
٤٩ - سيدى محمد بن عابد نسخت : اى النسخة

التيهليون

- ٥٠ - سيدى الحسين التانصيلتى
٥١ - الاديب سيدى محمد بن بلقاسم الاعسرى
٥٢ - بلقاسم الانامرى التيهلى
٥٣ - سيدى محمد بن بلا الانيل
٥٤ - سيدى محمد المسناتى
٥٥ - سيدى احمد بن بلقاسم
٥٦ - سيدى احمد بن محمد الدويمالنى
٥٧ - الاديب سيدى محمد الكثرى
٥٨ - صنوه احمد

الرسموكيون

- ٥٩ - العلامة على بن الطاهر
٦٠ - اخوه عبد الوهاب
٦١ - الفقيه سيدى صالح الزعنونى
٦٢ - سيدى احمد بن محمد الزعنونى
٦٣ - الاستاذ ابراهيم التازيلاى

السملليون

- ٦٤ - سيدى احمد الاعضياوى
٦٥ - الاديب محمد بن سعيد الاعضياوى
٦٦ - سيدى احمد بن محمد الورحماني
٦٧ - الصالح سيدى احمد التازيمامتى
٦٨ - الفقيه عبد الله المافامانى
٦٩ - الحسين بن عبد الله
٧٠ - الفقيه سيدى محمد التيقبى
٧١ - العابد محمد بن محمد من ايت الحاج
٧٢ - الفرضى سيدى الطيب بن محمد الكوسالى
٧٣ - سيدى عبد الله بن محمد الورحماني
٧٤ - سيدى الحسين بن ابراهيم الاخصاصى

الباغقيليون

- ٧٥ - الاستاذ سيدى ابراهيم القاسمى
٧٦ - سيدى على الباغقيلى القاسمى
٧٧ - الاديب سيدى احمد بن سعيد الاكهارى
٧٨ - السيد الحاج الاحسن الباغقيلى ثم البيضاوى
٧٩ - احمد بن صالح الايفيرموسى
٨٠ - النجيب سيدى ابراهيم بن الطيب
٨١ - الفقيه سيدى محمد بن احمد بن محمد الخياطى

المجاطيون

- ٨٢ - الاستاذ الكبير بلقاسم التاجارمونتى
٨٣ - الاديب سيدى احمد بن محمد الاهريى
٨٤ - سيدى جامع بن همو الازونيسى المجاطى الشهيد

الافرائيون

- ٨٥ - العلامة الشاعر سيدى الطاهر بن محمد
٨٦ - الاستاذ محمد بن الحاج الاديب الشهر
٨٧ - صنوه سيدى الحسن بن الحاج
٨٨ - الاستاذ احمد بن صالح من بنى عدى
٨٩ - سيدى احمد بن صالح الشكوكى
٩٠ - الاديب سيدى الطاهر الناصرى
٩١ - الاديب سيدى البشير صنوه
٩٢ - النجيب ابنه المهدي
٩٣ - سيدى محمد السلامى التناغونيتى
٩٤ - مولاي صالح التانكرتى
٩٥ - الفقيه سيدى الحسين التيمولائى
٩٦ - صنوه احمد بن محمد

الاخصاصيون

- ٩٧ - الاديب الكبير مولاي عبد الرحمان البوزاكارتى
٩٨ - الفقيه سيدى الحسين التايطاروستى
٩٩ - سيدى محمد بن احمد بن ابراهيم
١٠٠ - سيدى محمد السلامى المقدم التانكانتى

- ١٠١ - صنوه سيدى على
 ١٠٢ - سيدى محمد بن على اوبالوش
 ١٠٣ - صنوه سيدى عمر
 ١٠٤ - محمد بن ابراهيم انمانوزى الاخصاصى
 ١٠٥ - سيدى محمد بن مبارك الاكيسلى
 ١٠٦ - الاستاذ والده سيدى مبارك

الباغمرانيون والساحليون

- ١٠٧ - القاضي سيدى محمد بن عبد الله اوبالوش
 ١٠٨ - سيدى الحسن اخوه
 ١٠٩ - سيدى عبد الله بن الحسين الموساكنواوى
 ١١٠ - سيدى محمد بن الحسن الموساكنواوى
 ١١١ - الاديب محمد بن الحسين بوكرع
 ١١٢ - سيدى محمد بوشوارين الساحلى
 ١١٣ - النقيب صنوه سيدى احمد

الازغاريون وما وراءهم

- ١١٤ - سيدى محمد المرسى المعدرى
 ١١٥ - سيدى محمد بن محمد بن الحسن الماسى

التاغيجيتيون

- ١١٦ - سيدى ادريس بن الحسن
 ١١٧ - سيدى محمد بن مبارك الموش
 ١١٨ - سيدى ابراهيم بن محمد
 ١١٩ - صنوه سيدى احمد بن محمد
 ١٢٠ - القائد الحاج احمد اضارصور

التا مانارتيون

- ١٢١ - سيدى اليزيد الخلاسى
 ١٢٢ - الحاج عبد الله اليزيدى
 ١٢٣ - سيدى الطيب اوباحو
 ١٢٤ - سيدى الحسين بن بلقاسم الايمو كودبرى
 ١٢٥ - سيدى ابراهيم بن محمد العنترى
 ١٢٦ - سيدى سعيد بن على العنترى

الساموكنيون

- ١٢٨ - الاستاذ سيدي العربي الساموكني الشهر
 ١٢٩ - الفقيه محمد بن محمد بووازي
 ١٣٠ - سيدي الحسين بن احمد
 ١٣١ - سيدي محمد بن احمد الحافظ
 ١٣٢ - سيدي محمد بن الحاج عبد الرحمان

هؤلاء من امكن لنا ان نعرفهم اليوم ، ولا بد ان يغلت من احصائنا هذا بعض نجباء اخرين ، ولكننا في الغالب قد استقصينا غاية الاستقصاء ثم انتقلنا الى نجباء من غيرهم على شرطنا الذي ذكرناه ، فبقي بعد الانتحال في ايدينا بعد ذلك من رايبتهم امامك الآن ، ولاشك ان النجابة تتمطط الى حيث يشاء الانسان ولكننا توسعنا فيها ، وادرجنا في ضمنها ما يقصد اليوم بالثقافة العلمية ، فكل من يقدر ان يكتب ما في ضميره باحسن عبارة ، ويتلو ما كتبه غيره اقوم تلاوة وان لم يكن ذلك المتفوق الزاخر ، فانه لاشك نجيب مثقف ، وهذا ما جعلناه محور هؤلاء الذين انتخبناهم من مئات سواهم ، فادناهم من يقدر ان يعبر عما في ضميره باللغة العربية كتابة ونطقا بغير لحن كثير ، وقد اشرف على الفنون التي اخذها وكانت له يد متمكنة في بعضها . واما المتفوقون فهم الفطاحل العلماء الاجلة وهم في هؤلاء نحو الثلث ، وسترى ان شاء الله وتمم مرادنا في ترجمة كل مقدار خطواته في الميدان ، فانتظر فانا معك منتظرون ومن اقلنوا من هذه القائمة ثم عرفناهم بعد اليوم ، فسندضيفهم الى اخوانهم يوم نصل الباب الذي يترجم فيه لكل واحد واحد والله الموفق

الآن ايها القاري، ادركت بلاشك مقدار استاذية صاحب الترجمة فقد برهن لك ماتراه امامك من المتخرجين تحت يده عن تلك المكانة السامية التي تنزلها استاذيته ، وتجول فيها تربيته ؛ على أنك لا تدرك ذلك غاية الادراك حتى تضع ان شاء الله بين عينيك حياة كل واحد من هؤلاء ، فتكون اذن على حق اليقين فيما كنت فيه اليوم على علم اليقين (واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحي الموتى ، قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي)

أيام الاستاذ الاخير

كان للاستاذ تلك الحظوة العظيمة في علمه وفي رئاسته وفي قضائه في كل ماتمسه يده ، فكان في مقام يغبط فيه ، وفي منزلة تتطادونها الهامات وقد انتشر له من التلاميذ من نشروا من محاسنه ومن مفاخره ماترك ذكره كالكبلاء

الفائح في كل أرجاء سوس ، ينشقه القريب والبعيد ، ويقر بمقامه العظيم مكاسره ومكاشره خلقا وفضلا وعلما وأدبا ؛ وإشادة للحق وهذا للباطل ؛ وحكما مسمطا في النوازل وغيره تنافع عن جزولة مع المكافحين منافحة الآساد دون إخياسها ، وهو رحمه الله يتزايد في هذه الخصال التي كللها بمائدة ممدودة وسماط ما يغلق دونه الباب ولا يسأل دونه عن السواد المقليل ، فقد سمعت أخى أحمد رحمه الله ، وكان ممن يعجب بصاحب الترجمة ، فكان هو على الحقيقة من ارانى عنه ما كنت أجهله في تلك الشهور التي قضيتها معه اثر نفسي من الحمراء قبل أن يلتحق بربه فذكرني بعض ما كادت تنسينيه هذه السنوات العشرون التي قضيتها منذ غادرت الخ للاخذ منذ عام ١٣٣٦ هـ فكان يقول عنه رحمه الله معا ان الاستاذ هو الآخر من يتقبل في الخ اي ضيف جاء ولا يكاد يجيف بابه دون اي احدهاء ثم انطوت هذه الخلة بعده حتى لم يبق لنا شيء في الخ كرم لاحقيقة ولا مجازا ، وهذه الشهادة من الاخ تتضمن زيادة على الاشادة بالحق لاهله انصافا اعناده انا من الاخ ، فقد عرف كل الناس ان غالب الاقارب الذين لا يعدون في المعتاد ان يكونوا بينهم كالعقارب ، قلما يشهد بعضهم لبعض شهادة مثل هذه ، ولكن نحائز الالفين التي حافظ فيها الابناء على ماعوده الآباء لانزال مسترسلة - كما ترى - بعدما مضى زمن كادت فيه الخ تاتي عليها فعلة سماوية ادت باحد اولاد المترجم فجلبت وراءها جولة غير محمودة ، ثم وفي الله الخ شرها فالتأمت القلوب وانطفأت الحزازات ، وتركت تلك القطيعة وكل ماجرته ملاحس البقر اولادها ؛ فبعد أن رزى الاستاذ بفضة كبده ؛ وبعد أن جردت الجبال فترة من الزمان مع اناس من بينهم الاخ احمد ومن اليه ، غلبت طباع التسامح حتى رابته يشهد بالاستاذ ، وحتى رمى الاستاذ نفسه كل عقابيل تلك الجريرة دبرأذنه ، فعاد الالفيون ثانيا وقد نزع من قلوبهم الغل ، فيجلسون على سرر متقابلين فهذا هو الاستاذ الكريم الذي لا تخلو داره من علماء يزيديين أو افرائيين أو صحراويين أو سماليين أو اخصاصيين أو بعقلين او تمليين أو صوابيين او تامانارتين ، ولا يكاد يودع وفدا منهم حتى يتلقى وفدا آخر ومن اريحيته ان يتلقى الناقلين بقصيدة ، ثم يودعهم باخرى ، كما يربى على ذلك تلاميذه ليتمرنوا على الانشاء ، وعلى الاخذ والرد في ميادين الادباء وخصوصا ان جاء الوفد الافرائي الذي يتركب غالبا من الاستاذ شيخنا الطاهر بن محمد ، ومن الاستاذ العربي قبل ان يتوفى عام ١٣٢٩ ومن الاستاذ البشير بن المدني الناصري وصنوه الاديب الطاهر بن المدني ، قبل ان يتوفى عام ١٣٢٦ هـ ومن الاستاذ الافرائي أحمد بن صالح زيادة على من يقعدون عنده غالبا كالفقيه المكي اليزيدي والفقيه الحاج أحمد بن محمد اليزيدي وأخيه عبد الرحمن والفقيه أو الشلح الايسى والنوازل الحاج أحمد من آل بريك الوقاوى ، وربما كان معهم الاستاذ شيخنا محمد بن الطاهر النابغة الجديد في الادب اذذاك ، والعلامة أبو زيد البوزاكرائي شيخنا الكبير ، والاستاذ أحمد بن الحاج محمد اليزيدي ، والاديب محمد بابه

الصحراوي ، فينسابون جميعا فى القصائد ثم تاتى حلبة اخرى من الالعيين كالاستاذ عبد الله بن محمد والاديين ابنى الاستاذ المترجم : محمد وصنوه النابغة المدنى ، والاستاذين عبدالله بن مسعود التيبوتى وعبد الله بن ابراهيم الالعى وأدباء المدرسة الالعية ، فتتلاطم امواج القرىض فى دار الاستاذ وفى دار الايفسانيين ، وفى دار الوالد حين كان لايزال حيا الى مختتم عام ١٣٢٨ هـ فترى الاستاذ صاحب الترجمة بين ذلك المحفل هو الذى يسبق ويتقدم الى الصدارة ، بعد أن توفى الوالد لان الوالد كاد يتصدر وحده ، لسنه ولكانته ولكون الجميع اخذوا عنه ، ومن بعد وفاته كان الاستاذ منفردا بتلك الصدارة بجدارة واستحقاق ، ويتصدر على الكل لان هؤلاء كلهم من تلاميذه وفى كتابنا (جوف القرا) ترى غالب هذه القصائد التى تستغرق عشرات عشرات من الصفحات مما لم يمكن لنا كتبه فى هذا الكتاب هذه كلها خلال الاستاذ التى صاحبه الى آخر حياته ، التى ابتلى فيها بتلك الرئاسة التى صار يتململ منها اخيرا ، وقد عاين بعين البصيرة تلاعب الناس باندين ، وخلق نفوسهم من الغيرة عليه ، وفساد انبيات واختلال الاحوال وتكاثر الاهوال والمرء لا يخرج من شديد منها الا الى ما هو اشد ، فعزم عزماء أكيدا ان يزور فى داره وأن يطلق هذه المجامع وكانه شاهد الصخرة قد تدرجت من فنة راس الجبل فى منحدرها وقد شاهد كيف ذلك المنحدر ياقن ان الصخرة لايردها راد حتى تصل الى قعر الوادى ، هذا ما كان خطر له يوما رحمه الله ، ولكن الاعاصير لم تدره فى انزوائه فهبت عليه مرة اخرى عاصفة من عواصف تلك الايام المقلقة بين اعاصير الكفاح ، كان ابتدات من بنى عمران فجرقت كل امامها فكان الاستاذ مما جرفته مرغما فلاقى الحملة ملاقت فى قبيلة آيت عبلا وقد وقفها الزكريون ، وهم الذين كانوا سبب هذا الزحف لامور كثيرة ذكرناها فى غير هذا المحل ثم لم تلبث هذه العاصفة ان تضالمت تضالما متجلا كساكل من كان فيها حياء فيما بينه وبين نفسه ، فضلا عن وسط الرامقين وقد ظهرت السرائر وافتضح المراءون وظهر ان لاغيرة ولايمان ، ولاقصد حسنا وان كل ذلك انما هو من أجل دراهم معدودة يتوصل بها بعض المفرضين كالفائد المدنى وامثاله ، ثم لم يزلوا الزكريين قلامة ظفر ، ولا وطأوهم كما زعموا فقال الاستاذ : وا أسفا على نقض عزيمنى وعلى ان راجعت هذا الهرج من جديد فرجع من ذلك الزحف الذى كان بعد عام ١٣٤٣ هـ ثم لم تلبث طلائع مسغبة - ١٣٤٥ هـ ١٣٤٦ هـ ان طلعت على اهل هذه الجهة ، فعركت الناس عركا ولاقوا منها عرق القرية ، وقد نال الاستاذ منها بعض جهد لكثرة عياله ، ولكثرة اضيافه ولعظم نفقات مجده - ومعلوم مالمجد من نفقات باهظة - وقد خلت الاهراء ونفدت الذخائر ، واعوز المعينون ، وقد اصيب الاستاذ عام ١٣٣٧ هـ بخروج املاك ايشت من يده وهى التى كانت تمد به بثمر كثير ، وغلل اخرى غير قليلة ، فاضطر فى هذه المسغبة ان يشتري من العجوب مثل الناس ما يزيد به الى مدخر عنده لايزال

موجودا ، ولكنه قليل ، والاحتياط دائما كان من حزم أمثال الاستاذمن الالفيين
 اخبرني الاخ احمد قال حرت الناس عام ١٣٤٦ هـ فكان الاستاذ تغير
 المزارع الجيدة فاقصر عليها ولم يتجاوزها الى الارض الهشة فنزل مطر قليل
 فلم يقد الا الاراضي الهشة ، فصار الاستاذ في مقيم مقعد ، فاجتمعت معه في دار
 انسان فجالت اطراف كلامه حول هذه السنة الشبهاء ، حتى ظهر لنا تأثيره
 فقال ماذا يلاقى الالفيون من هذه السنة العجفاء ؟ ثم قال : اتريدون ان نستهم
 لننظر من هو المنحوس فينا ؟ - قال ذلك تواضعا وهضمنا للنفس - ثم قال : ولكن
 واحياءه ، ربما يقع السهم على جانبي وما يدريني ؟ افلا اخاف ان اكون مثل
 يونس ، حين ساهم فكان من المدحضين ، فالتقمه الحوت وهم مليم ؟ فصارت
 عبراته تنتشر على لحيته البيضاء الطويلة ، وقد خنقته العبرة - وكان ذلك منه
 يؤثر غاية التأثير - ثم صار يقول ان الحوادث قد وعظتنا مرات فما اتعظنا
 وجاءتنا المثالات تترى فما ارعوبنا وزلزلتنا النذر ونحن في اعمالنا القبيحة
 سادرون ، قال الاخ فحصلت لنا منه رحمة الله موعظة اثرت فينا غاية التأثير
 ثم خرجنا فامالنا الى داره ، فمد سماطا يزخر سمنا وعسلا وملتوت لوز ولحم
 مزعفرا ، ثم مافارقنا حتى اضحكنا بكرمه بعدما ابكانا بمواعظه قلل الاخ : كذلك
 كان الاستاذ اذا طلق وعظه كثيرا ما يهضم نفسه ، ويتعظ بكلامه قبل ان يتعظ
 به الناس ، حتى انه في مثل ذلك الموقف ليصرح عن نفسه بما لا يقدر اى انسان
 اخر ان يصرح به عن نفسه انصافا منه وتواضعا

الاستاذ يلفظ نفسه الاخيرة

ذلك هو الاستاذ وهذه مجانسه وهذا هو كرمه الحق حتى في المسابغ
 وتلك همته التي تستحوذ على جلسيه ، حتى يبقى دائما لهجا به في كل حين
 كذكرى مستطرفة بين المتسامرين

مر عام ١٣٤٦ هـ ودخل العام الذي بعده وقد ارتاش الناس ، وضمت المسغبة
 المشهورة اذذاك اذباها ، ففي يوم عاشوراء من العام الجديد اجتمع الناس صباحا
 على العادة ؛ فقام فيهم الاستاذ خطيبا ، فبشر وانذر ووالى المواعظ المبكية ثم حمل
 على الحاضرين في سكوتهم على العادات المستهجنة التي ترتكب ليلة ذلك العيد
 من مناداة الذئب والتعلب ، ومن اجتماعات تكنظ بالرجال والنساء في الملاعب
 ثم قال ماذا صنع لنا الذئب والتعلب ؟ وهل هما اللذان اخرجانا عن الصراط
 المستقيم وهل هما اللذان ساقا محارمنا وشيابنا حتى خلطوا بينهم في الملعب ؟
 فمالنا أيها الناس لانعتبر ؟ ومالنا لانقف فيما بيننا وبين أنفسنا حتى نعرف
 من اين آتينا ؟ فياللمصائب ويا للرزية ، فقدصبت علينا الكوارث من كل
 جانب ، بسبب اجترحاتنا الكثيرة واغرافنا في الذنوب التي نسد في غلوائها

غير مبائين ، فصار رحمه الله يعظ على هذا المتوال في كلام كهذا ، وعبراته تنهل على لحيته البيضاء وزفراته متوالية في وجوه الحاضرين ، حتى غلب على نفسه ولم يمكن له بعد أن يجلس بين الناس تائرا وتدقق عبارات ، فانصرف من غير أن يدعوا للناس على العادة فترك كل من حضريين ذى قلب ذائب وذى نفس متطابرة فبقى له ذلك الموقف يذكر كلما عن ذكر الاستاذ ومواقفه في الوعظ، فيفعم عليه المحدثون سجلا من الثناء :

وانما المرء حديث بعده فكن حديثا حسنا لمن وعى

طرقه مرضه في ربيع الاول ، فكان ربما يخف عنه وربما يجهده وقد كان ولده الاستاذ سيدى المدنى اذذاك في المدرسة يتولى الدراسة فيها ، قال الاستاذ سيدى الطاهر فقال لى ابنى يوم السبت اليوم الاخير من ربيع الاول: الا تزالون فى موالاة الدروس ؟ اتركوا ما انتم فيه ، وافرغوا لى حتى تودعوني - هكذا بهذا اللفظ- يقول ذلك بكل تثبت ورباطة جأش وهمته هي هي فى كل شيء حتى انه وجد بعض قوة يوم الاربعاء الرابع من ربيع الثانى ، فزار ضيعته بنالات نيت عيس ثم جمع اليه اولاده كلهم قال الاستاذ الطاهر: فصار يوصينا ويقول: ان المدنى للمدرسة وان محمدا والحبيب لادارة شؤون الاسرة ، والآخرون يواظبون على دراستهم ، قال ثم حننا على ملاينة الناس والتخلق لهم بالخلق الحسن ، وقال لا تطمعوا ان تكونوا والناس كما كنت أنا وياهم قانا فى عصر وفى ناس وأنتم فى عصر آخر وفى ناس آخرين ، قال ثم حننا على المتابعة وأن لانزبل الستر عن دارنا ، فقال ان قدر الله ان تقسموا ما بآيديكم فلا يطلعن أحد على ما عندهم ، ولا تتجاوزوا سيدى الطاهر الافرانى وحده ، ثم تقاطرت الوفود من كل جهة حين سمعوا بمرض الاستاذ ، فحضر الاستاذ سيدى الطاهر الافرانى والرئيس أحمد بن ابراهيم الايشانى وسيدى سعيد الاعضياوى والعلماء والرؤساء القريبون من البلد ، ثم فى عشية الخميس ازداد مرضه وفى يوم الجمعة دخل عليه الزائرون والطلبة فاستداروا به وقد اشتد عليه ما يجده ففتح سيدى الطاهر صورة يس ، فماختموها حتى ختمت حياة الاستاذ ، فسكت غالب من حضر عن اتمام السورة وقد خنقهم البكاء ، ولكن المتجلدين صابروا حتى اتموها

هكذا انقضت حياة هذا العالم الجليل ، وهكذا طويت صفحة هذا الاستاذ العلامة الاديب المفتى القاضى المدرس الرئيس الكريم طيا لانتشار له فى هذا العالم وذلك فى بهرة حلقة هؤلاء العلماء والطلبة الذين امضى معهم كل عمره ، ثم هبى لسفرتها الاخيرة ، فصلى عليه شيخنا الافرانى فى نحو سبعمائة من جيران الغ فدفن الى جانب ابيه واخيه الاستاذ سيدى محمد فى وسط القبة التى تدعى اركانها كان تدعيها من هبة هؤلاء الاساتذة العظام ، الذين لاتسع لحضراتهم اركانها

عظمت المصيبة بموت الاستاذ ، ورزىء أهله وتلاميذه منه برزء وقع عليهم
بفجيعته الهائلة قال ابنه سيدى محمد بن على فمرت شهور ولم تظهر مرثية
له كأن الخ الادبية غير الخ بل كأن الارض بدلت غير الارض او كان الوفاء الذى
تدل عليه المراثى عاد بلقعايبا ينشق فيه البوم ، فنبهت الاستاذ الاديب الطاهر
الافرانى بلبل الشعر انصداح ، وصدى الادب الذى لا يكاد يفرغ من قصيدة
الغنية ، حتى تفتتح أخرى ، فقلت له ماهذا السكوت ؟ وهل يمضى الاستاذ الوالد
بلامرثية ؟ قال فاجابنى بان مايقال له في هذا الموضوع يقال لكل اديب الغنى
ثم كان ذلك سبب على أن القى الاستاذ الافرانى هذه القصيدة الرائية الآتية كما
قال ايضا في الموضوع الاديب الكثيرى ، ثم بعد ذلك ففاهما قاضى اقا سيدى محمد
الهاشمى الفاسى بقطعتين هذا كل ماكان حفظ هذا الاستاذ من المراثى ، معانه
كان يليق ان تتبعه عشرات من قصائد طنانة الغنية ، ولكن نابى حرفة الادب الا
أن تدرك صاحبها في الحياة ان لم تجد منعة من همة فولاذية كهمة الاستاذ ، أو
بعد الوفاة وقد انطوت تلك الهمة الحفازة وقل الوافون وكشرت الاعتذارات
الواهية الباردة ، قال الاستاذ الافرانى

أمن حادث بكر جرى منه ما جرى جرى دمك القانى فقرح محجرا
فبت بلبل نابغى مسامرا كواكب عاقتها الدجا ان تسيرا
وضافك هم طارق نحر الاسى له كبا حرى وقلبا تظفرا
وجاشت نكايات الزمان فلم تجد نصبرى عزما ايذا فتكسرا
وخانك ماعودت من جلد سوى مدامع تهى او زفيرا تسعرا
ولا مسعد الا فؤاد موله تحير لايدرى اماما ولا ورا
نعم نار لث الدهر يفترس الالى هم زينة الدنيا وهم صفوة ائورى
هم الفيث فى محل هم الاسد فى الوغى

هم الغوث فى أزل هم الشهب فى السرى
فذكرنى بيتا لحسان حاج من جوى وعديا القلب ان يتذكرا (١)
«رايت خيار المومنين تواردوا شعوب وقد خلفت فيمن تاخرا»
الم تر ما غال العقول وارمض الند سفوس ، واقدى كل عين واسمرا
مصاب ينسى كل صاب حرارة ورزء اهان المرزيات وحقرا
وفاة امام الدين والعلم الذى به يهتدى باغى الهدى حيشما سرى
ابى الحسن القرم الرضا خير من اذا بانواره افق العلوم ونورا
خضم بامواج المعارف يرتقى وروض بازهار المعارف نورا

(١) عدياه : قصاراه وهو بالتصغير

بصير اذا ما اورد الامر اصعدرا (١)
 كما شمت برقا في الغمامة امطرا
 على كل عاف رائحا او مبكرا
 كما يهم الحجاج جمعا ومشعرا
 عن المزريين الجهل والفقر من عرا
 رأى سره البادى السننا فنبصرا
 فاصدره عن علمه متبحرا
 بمن سواء من تربي ومن قسرا
 بغير حجاب منجدا ام مغورا
 انالك درا دون من وجوهرا
 هو البحر معروفاهوالليث مجتري
 هو العلم الاسمى لمن ضل في عرا
 لدى الحرب ابصرت الهزبرالفصنرا
 ومن مثل والليل والظيف في الكرى
 فجا فرأى من لم يخله فكبرا (٢)
 وعطر ربا علمه المدن والقرى
 فقدظن اخت الشمس خاب من افترى
 اذا كنت ذاعينين فانظر لكي ترى
 تجاربه ام في العلم؟ فارعو واقصرا
 على غيره كالصيد ضمنه الفرا
 وكم جائر اردى وكم مفتر قسرى
 وقد صار فيه اليوم اذكن أغبرا
 دماء الى ان تحسب الجون اشقرا
 وظن الجبان اليوم يوما مقدرا
 وافجم بالدعر اللسان فيبربرا
 ودارت عيون خيفة وتحيرا

همام له في المجد همة سيد
 كريم له عند المكارم هشة
 يفيض بانواع المعارف والندى
 على بابه في كل يوم تزاحم
 ومن علمه او كفه يقبس الغنى
 فكم من عم في مهمة الغنى حائر
 وكم طالب يبغى المعارف امه
 هو الشيخ كل العصر معترف له
 هو الشمس أنى كنت شمت ضياءه
 هو البحر من اى النواحي اتيته
 هو البدد اشراقا هو الدهر همة
 هو الملجأ الاحمى هو الناقع الظما
 هو الصارم المسلول ان صال اوسطا
 غدا ذكره اسرى من الشهب والصبأ
 فكم طرقت اخباره سمع راغب
 لقد افعم الارحاء اضواء بره
 فمن ظن ان العصر ضم نظيره
 فقل لحسود ظل ينكر فضله
 وللمدعي هيهات ويك افي الندى
 تجمع فيه كل فضل مفرق
 فكم مجند اجدى وكم حائر هدى
 وكم موقف ضنك لدى حومة الوغى
 وحمحت الجرد الجياد وخرجت
 وجالدت الابطال واشتجر القنا
 وصمت بصوت المرعدات سامع
 وسيئت ظنون واصطككن فرائص

(١) قال النابغة الجعدي

ولاخير في جهل اذا لم يكن له
 ولاخير في حلم اذا لم تكن له

(٢) هذا ينظر الى قول المتنبي

كبرت حول ديارهم لما بدت
 منها الشمس وليس فيها المشرق

وقارعت البيض الذكور وعقدت
 فلا تبصر العينان الامرجا
 جلا فيه كرب الدين لله دوه
 له وثبات ، او ثبات كأنما
 يرى الكفر ان العز بالله لا بما
 وان جموع الكافرين وان طغت
 قبض وجه الدين بالجد ناصرا
 وقاتل اعداء الهدى بشهامة
 وجاهدهم في الله حق جهاده
 الى ان دعاه الله بالفوز والرضا
 فخلف صيتنا طائرا ومفاخرا

(١) البيض بفتح الباء جمع بيضة وهي المغفر ، والذكور السيوف قال المهلهل
 فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تفرع بالذكور
 والشطر الثاني ينظ. الى قول المتنبي

عقدت سنابكها عليه عشيرا فلو ابتغت عنقا عليه لامكنا
 (٢) ينظر هذا الفصل من هذه القصيدة الى ما جاء في قصيدة لابراهيم السكستاني
 الموسوي في الامير محمد العالم ابن الملك مولاي اسماعيل

واعظم مقدام اذا اشتجر القنا
 به يتقى في معبعان الوطيس ان
 وقد قامت الهيجا حق قيامها
 وقد صابر الشجعان حتى لوى بهم
 وقد فلت الاسياف واندقت القنا
 وجف من اوساط الحلوق لعابها
 وقد قام ميزان الهزيمة فانتنى
 هنالك مولانا يضيء جبينه
 يقاوم فردا ثابت الجأش مقدا
 يشايعه العزم الوطيد وقائم
 الى ان يرد الجيش ادبارهم وقد
 والجميع مستقى من قول المتنبي:

وقفت وما في الموت شك لواقف
 تمر بك الابطال كلمى هزيمة

(٣) حكى لي القائد اناجم ان ميتا من المسلمين سقط في نحر العدو في واقعة
 وام يقدر احد أن يتقدم ليأتي بشلوه الا اتفق به سيدي علي بن عبد الله فقد
 غامر بلا مبالاة حتى أتى به ورجع والرصاص يتطاير حواليه

الا انما تلك المكارم لا الالى
 واعقنا حزنا يزيد وعسيرة
 ولكننا نلقى المقادير بالرضا
 مضى شيخنا انعامي الذمار مطهرا
 سائبك ما ناح الحمام هديله
 وتندبه عين اليراع معى وان
 وتبكيه عين المزن فى الروض اذ حكت
 واني اعزى المجد فيه فانه
 واندبه للعلم والدين والندى
 واندبه للمشكلات يحلها
 واندبه للدرس فى الدست اذ غدا
 وللوعظ تهيم العين من رقة به
 واندبه للطالب العلم يجتنى
 وللمعتدين الظالمين يكفهم
 وللدين والدنيا وللفضل والاعلا
 وللسادة الابناء ابناؤه ومن
 وللجلة الاخوان والجرة الالى
 قصبرا جميلا يابنيه وكلنا
 فلارزء الا دون رزئكم فلا
 ولاتهنوا للحادث النكر انه
 ففي الله للعبد المنيب كفاية
 لما جزعى؟ والموت حتم وانما
 اما زار طيف الموت كل منبا
 فلا ملك تحميه عدته ولا
 فاين ذوو التيجان من كل امسة
 واين الكرام الشئم من برمك؟ اما
 دعا الكل داع لايرد لمصرع
 فلم تخلق الدنيا ليعمرها الفتى
 فتبا لها لم تصف الا تكدرت
 وطوبى لمن لم ينخدع بفرورها
 وجد حبال السوف اذ جد جده
 وبادر قبل القوت اعداد طاعة

يعدونها شيزى وقعبا مقورا (١)
 تفيض ووجدا لايزال مسعرا
 وتسليم امر كان حتما مسطرا
 مبرا ما يخفى وما كان اظهرا
 وان كان يبكيه بكاء مزورا
 جرى دمعا احوى ودمعى احمرا
 شمائله الازهار طيبا ومخبرا
 ابوه الذى يحميه ان ينهورا
 وخابط ليل جانعا متحسيرا
 يبرهان صدق بادها او مفكرا
 يقلده من فيه عقدا مجوهرا
 اذا قام فيه مغريا ومحدرا
 من اءادبه او ماله متخييرا
 عن الظلم كفا يردع المتكبرا
 وللشرف والترحيب بالضيف ان ظرا
 اضيف له معنى فحاز التصدرا
 حووا منه بالقربى وبالقرى مفخرا
 بنوه فعجز الحر ان يتفجرا
 يكن حظكم فى الصبر ادنى واقصرا
 اذا جل رزء كان بالصبر أجدرا
 تقيه اذا ابدى الزمان التكبيرا
 منى كل حى ان يموت فيقبرا
 كريم وزاد المصطفى المتخييرا؟
 عليم يتجيه من الموت مادرى
 الم يستبح كسرى الملوك وقيصرا؟
 تصدى ليحيا حين عفر جعفرا؟
 يلازمه حتى يوافق محشرا
 وان عاش احقبا ولكن ليعبرا
 ولم يحل فيها العيش الا تميرا
 اذا هو بالزهد ارتدى وتأزرا
 لزداد معاد فاتقى وتبررا
 تسر اذا لاقى نكرا ومنكبرا

(١) القعب بالفتح اناء اللبن والشيزى عود تصنع منه القصاع
 قال الشاعر تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد ابوالا
 وقيل فى اصحاب قليب بدر وكم ذاقى القليب قليب بدر من الشيزى تكليل بالسنام

فيارب ثبتنا وتب واهد واعف عن
 وجد بالرضا واغفر كما انت اهله
 وان الرجا في جنب عفوك شافع
 ومنه لك اللهم للشيوخ رحمة
 وان تتلقاه برضوانك الذي
 بجاه رسول الله من جنبه حمى
 عليه صلاة الله قدر كماله
 واصحابه والتابعين ومن تلا
 مساوى جلت ان تكت تكثرا (١)
 فانك اهل ان تجود وتغفرا
 كريم ، وحسن الظن من اوثق العرا
 تقدسه روحا وذاتا ومحضرا
 يسبح له مشوى كريما ومنظرا
 حصين يجير الملتجى وان اجترى
 على عد ذرات الوجود واكثر
 ومن نصر الدين الحنيف وعزرا

انتهت مرثية الشاعر الافرائي ، وقد تتبع فيها شمائل الاستاذ باطناب
 ثم ضم الى ذلك ما يالف الشعراء ان يزجوه بين اوصاف تحمد دائما من الحماسة
 التي تخاض بها المعامع ، وان لم يكن غالب علماء الخ الامثال علماء كل هذا
 العصر الذين لا يطيقون ان يسمعوا وصف معمعة كما هي ، فضلا عن ان يخوضوها
 لانهم لم يتربوا تربية الجند ، ورحم الله استاذنا سيدى سعيدا التتاني الذي
 يقول : اننى وامثالى يحرم فى حقنا ان تقرب المعامع ، لاننا لانجر على الناس الا
 الهزيمة لاننا سرعان مانكتشف فى المعامع ، ولبعض اساتذتنا وقد انهزم فى
 معمعة حكاية تطويها الآن ، على ان للمترجم مواقف جلي يبين الرصاص تذكر
 عنه ، كموقعة يوم وجان حين ولج القرية المحاصرة ليلا مع سيدى الطاهر ،
 وكامثالها من المواقف التي اشتهرت عنه فى آيت واد ريم وغيرها

وقال الاديب محمد بن محمد الكثرى

الدهر بعد تعرف ينتكر
 ما اقدر عن اسنانه الا بدا
 فاذا تدلل لامرى يوما غدا
 واذا اتى عفوا واصفى موردا
 كم خانه من بعد ما قد صانه
 ورزية تمرى ضروع مدايح
 عمت وخصت كل ذى ادب فما
 يا عاذى ومؤنبي فى عبرتى
 هل بعد ففدك يافقيه العصر من
 طم المصاب وعم ابناء الورى
 من المحابر والمنابر والعللا
 من للمجالس والمجالس يتغى
 كم من غوامض قد جلاها فكره
 فسلامة من باسه تتعدر
 متجهما عن نابه يتكسر
 من بعد اى تدلل يتنمر
 عما قليل صفوه يتكدر
 واذاله من بعد ما يتصدر
 كل الرزايا عندها لا تذكر
 تلقاه الا حائرا يتفجر
 ان الرزايا فى الاكابر تكبر
 عيش يرجى او منى تتذكر ؟
 فتجبروا من وقعه وتحسروا
 والضيف فى ذيل الطوى يتعثر
 كشف الخفايا لبسها لايقبر
 لولا ثقوب شعوره لاشعر

(١) لا يكت : لا يعد

نشر العلوم افادة واجادة
من للحمي يحميه من لعوارف
من للعزائم والعزائم ازمنت
ناداك داعي الله ياروح العلا
وكذاك دابك في امثال اوامر
فاذا ترحمنا عليك فرحمة الله
واشادة عن همة لاقتصر
ومعارف وصراخ من يستنصر ؟
من للهدى من للوغى اذ تسعر ؟
فاجبت لا مستنكفا تستكبر
فلقيت رحمة ربنا تستبشر
مولى تعالى جده تستغفر

وأما مرثيتنا الاستاذ الاقاوى فأولاهما

موت العليم مصيبة لن تجبرا
اعلى احزنت القلوب واعينا
الناس ما حييت سيادتكم على
لو كان عهدا ان شخصا يفتدى
قمر الزمان قبرتم ، ماكنت قد
غبتم فاشخصنا العيون الى السما

وثانيتها

لتبك فما فى الارض من كان اغيرا
لتبك على موت الذى الدين زعزعت
لتبك على فقد المحلى بكل ما
ابى الحسن الالفى شيخ زمانه
همام يفيد المرء فى جلسة من الك
عليم كريمة لا يهمل جليسه
ترى حاتما منه على خلق احنف
فماذا عسى ابدية من وصفه وان
أبا حسن ابكيت اعيننا كما
أجود بدمعى قائلا ومؤرخا

هاتان هما مرثيتنا الاستاذ الاقاوى نثبتهما كما وجدنا هما على اختلاف
نسخهما فقد حاول حفظه الله ان يرثى الاستاذ بما هو أهله ، ولكنه رأى الرقعة
فسيحة واوصاف الاستاذ المحمودة كثيرة فالقى هاتين القطعتين ثم اكتفى بهما
وهو على كل حال افضل من ادبائنا الكثيرين الذين طوقوا بعدم رثاء استاذ الادب
بما طوقوا به آخر الدهر ، حين أعرضوا عن الواجب ، ولم يتلفظوا ولو بقطعة
اوقطعتين كالاستاذ الاقاوى جزاه الله خيرا ، وقد سمعت ان سيدى عبد الله
السمالى كان أيضا من الرائين ، ولكن لم اعثر على مرثيته

ثم اننى وقفت على رسالة لشيخنا الاستاذ الافرانى ارسلها بعد سنة من وفاة
الاستاذ يدل بها اولاد المرحوم على الصراط السوى ، فاحببت ان الحقها بالمرثى

وهي

«سادتنا الاجلة ، بدور المعارف ونجوم الملة؛ اولاد شيخنا المقدس بكرم الله سيدى ومولاي ابي الحسن الالغى ، الاخ الفقيه المدرس النفاة الساعى بحكم السعادة ان شاء الله فيما يزيد ارتفاعه ، سيدى المدنى ، والاخ اللطيف الشائل ؛ والكريم الذى هو لاكتساب المجد مائل، الاديب الاريب، سيدى محمد والنقيب الحبيب ؛ سيدى الحبيب ؛ والفقيه المرشح للمكارم ، المهذب الطبع تهذيب الصارم ، سيدى الطاهر ، وبقيه السادة المرجو رشدهم ؛ المرموق سعدهم؛ سيدى الحسن وسيدى عبد الله ، حفظ الله جمعهم السالم من التكسير واعلى مجدهم الذى يرجع عنه بصر الحاسد خاسئا وهو حسير ، وسلام عليهم وعلى من بالحضرة من السادة الاعمام والاقارب والجيرة، ورحمة الله هذا وعليكم بتقوى الله والعمل بما يرضيه تعالى ويقر عين السلف الصالح رحمهم الله ، فجدوا فى العمل على السنن المعهودة ، والزمو قدر الطاقة عادة الاكارم من الآباء والجدود وجاروا الزمان على حسب مقتضى الحال من غير افراط ولا تفريط ، واصبروا وصابروا وربطوا وانقوا الله لعلكم تفلحون ، وكونوا خير اخوة من غير انفة البعض من البعض او نخوة فيد الله مع الجماعة ، ولاتنازعوا فتفشلوا الاية واعذرونى والسلام ١٤ بلى الحجة ١٣٤٨ هـ»

هذا وقد حدثنى الاستاذ سيدى الطاهر على ان الشيخ الافرانى المذكور كان كتب اليهم اثروفاة والدهم رسالة ضمنها الرسالة الصغرى التى كتب بها القاضى الفاضل الى اولاد صلاح الدين يوم مات والدهم ، وهى معروفة فى التاريخ

قولة الاستاذ الرفاكي فى صاحب الترجمة

الشيخ الهمام ، الحافظ الامام ؛ ذوالمناثر العالية ، والمفاخر الصمدانية . الكاتب المجيد البارع ، الواقف فى فن البلاغة بكل المشارع . وفدنزعت اليه اللطائف من عذيب المعانى والاجارع ، البليغ المصيب ، والفاتر من الاجادة باى نصيب . ابو الحسن سيدى على بن الحاج عبد الله ، بتحت الحصن ، من ذرية سيدى عبد الله بن سعيد الساموكنى - كما فى الحضيكى - التجانى الطريقة المحمدى الحقيقة قرأ فى بلده عن اخيه العلامة سيدى محمد صاحب القبة ثمة ، وهو الذى بنى المدرسة ودرس فيها ، واحيا فيها السنة ، وتلاميذهما رحمهما الله كثيرون شئسنتهم كتب الادب واللغة فيها يتسامرون ، وعليها يتكلمون ، وهو فى نفسه قوى العارضة . لا يطمع الفتح ان يعارضه ، ألقت اليه الرئاسة يدالطوع، وامنت بأقلامه من الروع ، له شعر يشهد له بالدراية ؛ وان له فى ميدان الراية ؛ وقد

أثبت له ماتبصره شعرا : وتجده عند الاختبار صخرا. وعند الانتشاق شعرا. (١)
فمن ذلك قوله يخاطبني

عليك اماما اعجز اللسن في اللسن وأروى بغاة العلم عذبا بلا اسن
ومن قل شكري عن عوائد بره ومن قادقود الفضل نحوى بالرسن
ومن لم يزل دهري يبين فضله ويتلى على آرائه حسن بسن
سلام كورود فاح اذ رشه الندى واحلى بعيد الجهد والكد من وسن
وذلك جواب لقولي فيه

سلام يخوت (٢) ملحضيض (٣) الى القنن

الى قدم الشيخ الهمام ابي الحسن
سلام خديم لايريم مع النوى على العهد والحنين شوقاالى الطعن
فتى خصه المولى بعلم وحكمة ويمن حيا بشر ثوى ذلك الوطن
ابى المجد الا أن تكون سريه نقيبا وان يتلى عليك حسن بسن
الى غير ذاك من معال تجمعت لديك وعدها لدى من المجن
الى سيدي خود نفوح ليومها عبر مديح اشهى للصبى من وسن (٤)
وذلك فى جمادى الاولى عام ١٣٤٤ هـ

وكتبت اليه أيضا من جملة رسالة:

على السميذع من زرت مآثره بروتق البدر بل بروتق الشجر
ابى على مرعف اليراع اذا ما ارتج القوم فهو السن البشر
عليه من خادم ازكى السلام على عد الرمال وعد الرمل والدرر
فاجاب رحمه الله فقال

مولاي من قد زرت بطلعة القمر طلعة ماخطه نحوى من السم
وزان عقد كمالات له نظمت لبة مجد فاضحي خير مفتخر
ويا اماما غدا من اقدر البشر على نظام حوى لطافة السحر
بعثتلى من بنات الفكر ما لم أكن (٥) أهلا لهن وما العيان كالخبر
جزيت عن حسن عهد قد جبلت على احياء ميته يا اكمل البشر
عليك منى سلام الله ما طلعت شمس وما زين عين العين بالخور

(١) المراد بالشجر شجر عمان وهو ساحل البحر بين عمان وعدن وقيل
جرت عادة الادباء أن ينسبوا ما استحسوه من الروائح الى عنبر هذا المكان
وهو المعروف عندهم بالعتبر الشجرى، وذلك هو مراد مؤرخنا هذا

(٢) خات العقاب يخوت خواتا كان جناحه دوى

(٣) ملحضيض من الحضيض على لغة بلحارث بن كعب

(٤) «اشهى» هكذا بخطه نفسه مع انها غير موزونة

(٥) كذا من خط المؤرخ: وكثيرا ما يقع مثل هذا فى البسيط حتى لشيخنا الافرانى

توفى رحمه الله في ٦ ربيع الثاني عام ١٣٤٧ هـ

هذا ما ترجم به الاستاذ الرفاكي صاحب الترجمة ، وقد اتت اقواله كلها على اختصارها اجمالا لما بيناه نحن واسهبنا فيه بعض اسهاب والحمد لله ، ولم يزد على ما قلنا الا انه تيجاني المشرب ، وقد كان صنوه الاستاذ سيدي محمد بن عبد الله تلقنها من شيخها بسوس سيدي الحاج الحسين الافراني ، ثم صار يلقيها للناس فتلقيها وائمه الحاج عبد الله ثم سائر اهله ، ثم جميع تلاميذهم فانشر الفرع التيجاني الالفي على يد هؤلاء الاساتذة انتشارا ، ولا يزال ينتشر ولكن هذا الفرع اقرب فروع التيجانية الى الاعتدال وما نعرف عن اصحابه انتعصب الذي يشاهد في الفروع الاخرى وكفى في ذلك ان هذا الفرع جاور الطريقة الدرقاوية التي حمل الوالد رايتها ، كما ان الاستاذ صاحب الترجمة صاهر رئيس الطريقة الناصرية سيدي المدني الافراني ، واستطاع الكل ان يتمشى جنباً لجنب مع مصافاة واخوة تامة وحسن ظن . والمترجم تلقن التيجانية من مراكش

قوله لله ورخ علي بن الحبيب فيما

ومنهم اللوذعي الكامل العارف بالله الواصل ، الفقيه البركة العلامة ذو القلب السليم والفضل العميم ، صاحب القلم السيل ابو الحسن سيدي علي بن عبد الله الالفي ، احد الخاصة من احباب والدنا المقدس بكرم الله ومن خاصة اصحاب الشيخ التيجاني رضي الله عنه وأرضاه بالاذن المطلق ، قائما في ذلك احسن قيام ، الى ما انضاف الى شعر يشهد له بالدراية وهو فيه بسن قبيله حامل راية ، وله يخاطب بعض علماء عصره :

عليك اماما اعجز اللسن في اللسن واروي بغاة العلم عذبا بلا سن

الى اخرها «وقد تقدمت في ترجمة الرفاكي له»

ومما كتب به الى والدي «علم الاعلام وامام معتقلي الاقلام ، ومن له بكل فن - ولا أقول الاحقا - اي امام السيد السند والصدر الاوحد ، مقيم الاود الشريف الحبيب ، سيدي الحبيب السكراتي ، السلام والرحمة والبركة على تلك الاخلاق الزكية والاحوال المسكية ، وبعد فلا باس ولله الحمد ، نسأل الله لنا ولكم التوفيق لما يرضى ، واللفظ الجميل فيما قضى ، وقد وصل الرسول ومعه من الاشعار بسلامتكم والعلم نحو جلالكم ، ماتضمن كل سؤل ، فحمدنا الله على ذلك وشكرناه على حق المن هنالك ، ومعه ايضا رسالتك الغراء المهدية لجنابنا كل سرا

حيث فاحيت هناك ساكني القصة واسترجعت اعظما بالشوق مفتصبة

(١) كذا من خطه

قاله بيقيك وبيقك وبريقك ، ومن بحر عناية نبيه يسقيك ويرويك ، ويجزيك عن حسن العهد خيرا ، ويجعلنا ممن يديم لحضرتنه سيرا ، وهذه ابيات جادت بها القريحة القريحة ، وهي بهامن بعض الشوق واعبائه مستريحة ، وعلمت في ذلك اننى والله كمن جلب التمر الى هجر ؛ اوهدى فهجر؛ لكن الحجر من يد الحبيب تفاح

فتشبهوا ان لم تكونوا مثلهم ان التشبه بالكرام رباح
نصها

مولاي انى وان شطت بى الدار وحكمت بالتنائى عنك اقدار
وجار بالصرف عن لقياك وهى منى قلبى صروف لها للشت اقدار
وكسرت حنقا جمع سلامتنا واثارت فلها فى العيث اثار
وغيبت ذلك الوجه الصبيح فما لصبح وصلك منذ الدهر اسفار
باق على ذلك الود الصميم وهى انى وحقك ابقى ما بقيت على
ينمى نموك فى الخيرات شوقى ما لازلت بدر كمال فى سماء مجا
لك السعادة والاعلون سادتنا الـ ساءبنا دارة والكل ابرار
خصوصا الندب مولانا الامام علمـ يا من له لحضور الخير احضار
منى عليكم سلام الله ما طلعت شمس وما هاجت الاشواق اشعار

فهى من بنات افكارى احد عشر كوكبا ، وعندك الشمس والقمر ، ويسجد
الكل للسن لسانك ، وسلطان احسانك ، وسلم على الاحبة عموما والسلام»

وبالجملة فصاحب الترجمة موصوف بطهارة الازرار والذليل ، وبصفاء الجيب
وقلبه لا ينطوى على نكر ومكر

له شرف قد جل عن ان يناله غوائل ايدى الحادثات قدام
يلوح سنا برق الهنا ببروجه كبرق بدا بين السحاب يشام
مطافا لارباب العلا وفضائل فمنهم جثوم حوله وقيام

اخذ العلم عن أخيه الشقيق الفقيه العلامة سيدى محمد بن عبد الله ، وهو
الذى بنى المدرسة ، وتسبب فيها للخير ، ونصب فيها نفسه للتدريس واحيا
السنة فى تلك الجبال القبلية وطلبته كثيرة دايمهم الادب واللغة ، فيهما يتمارسون
وقد شهد العصر بسمو تقدير صاحب الترجمة وتقديمه ، واجمعت الجماعة على
تقديره وتعظيمه؛ اذ اذكر المجد فهو المرتدى بردائه ، او الكرم فهو العامر لفنائه ،
او العلم فهو الحامل للوائه ، او جميل الفعل فهو صاحب ارضه وسمائه ، وله
قوائد خاطب بها ابناء الوقت لوجمعت لاستنقر بها سفر (ثم ذكر وفاته وبعض

مراثيه) الى ان قال ولصاحب الترجمة يهجو ال (فصك) دشرة من مداشر
جزولة قوله

اتيت لامر حافظ (فصك) وهي بك سدة قد خلت من كل حسن واحسان
فالفيتهم قوما برابرا يدعو ن انهم في العرب من غير برهان
وليس مفيدا ان يروا عربا اذا صنائعهم ليست صنائع عربان
أماتوا التدى فاقبروه واحبوا ال مناكر فهي العرف من غير نكران
فلا الجود فيهم لا ولا في نسايتهم حياء ، ولا فيهم غياث للهفان
ولم ار مثل حالهم في خشونة ال معاش وفي اديانهم منذ ازمان

وقد خلف اولادا اجلة ففهاء مذكورين اتبعوا انفسهم في تحصيل العلم
عند والدهم الى ان حصلوا منه كفايتهم ، وفاقوا به رهطهم وعشيرتهم وجازوا
فخرهم ومكانتهم ، لايطمع فيهم طامع ولايقرع لهم العصا قارع كما قال الشاعر:

اعاذلتني على اتعاب نفسي ورعيي في الدجا روض السهاد
اذا شام الفتى بـرق المعالي فاهون فائت طيب الرفاد

أولاد الاستاذ

كان صاحب الترجمة عقب صنوه العلامة سيدي محمد بن عيد الله علي
حليلته عمته مريم عام ١٣٠٤ هـ فولدت له من الذكور الذين ادركوا مدارك
الرجال

الاديب سيدي محمد وستقرأ ترجمته ان شاء الله

واحمد ، شاب حفظ القراءة ان حفظا جيدا والتم ببعض الروايات وكان والده
يقول له اننى اريد منك أنت بين اخوتك ان تستفرغ جهدك في تحصيل الروايات
وان تكون ممن حصل ذلك تحصيلا تاما ، وذلك لما يراه الاستاذ من عدم هذا النوع
من المعرفة عند الالفين ، فيقنع الكثير منهم بورش الذى جرت العادة بالقراءة
به ، وقلما يتعدى الى حرف المكي اوقالون الاعدد البعض منهم ثم لا يلبث ان ينساه
فاراد من ولده هذا ان يجيى ذلك المجد الآخر على يديه ، الا ان الاقدار قد تعاكس
اماني المتمنين فقد كان أحمد هذا رجلا مغامرا باسلا ، برزت منه غريزة الشبية
وفطنتها باجلى مظاهرها ، وقدر الله ان كان يختلف الى قرية دوو كادير لقضاء
اغراض ، فكان يلتقى هناك بثلاثة رجال من كسيمة وهشتوكه كانوا عندنا في
الدار ، حين رجع الاخ سيدي محمد من قبيلة اداوزيكي اول عام ١٣٣١ هـ فكان
يجاذبهم الحبال ، يتحكك بهم ويتحككون به وفي ليلة - لسبب من الاسباب -
ثاور بعضهم بعضا اواسط الليالى في ازقة القرية ، فسقط برصاصة احدهم
فكانت فتنة مشتعلة حفظ الله من نارها مرابطينا ، بعد ان ازدلفت اليهم ازدلاف

اللهيب الى الهشيم ، فرضى حكم أحمد الهيبة فى القضية ، فحكم ان يقتل من ثبت عليه القتل قصاصا فاخذ اثنان منهم مع ان الرصاصة التى اصابته انما هى واحدة ، فاعتقلا على يد الاعراب ، فدفعوا لاولياء الدم ثم تفلت احدهما وهو مبارك الكسىمى والعجيب انه انما ظلم لانه لم يحضر مع صاحبه تلك الليلة ففكه الله ولا يظلم ربك احدا ، واما الآخر محمد الهستوكى وهو القاتل حقا ، دون القاضى البوعشراوى الذى كان اذذاك معه ، فقد قتل ازاء تافكاغت فانجلت العقدة بذلك وكفى المرابطون شرها والحمد لله ، وكان هذا -أخال- حوالى عام ١٣٣٣ هـ رحمه الله وهذا ما اخبرت به عن القضية من الذين يتحرون الصدق ، لاننى لم احضر اذذاك فيها ، فهكذا ذهب احمد اثر تهوره سامحه الله وغفر له ، فقد العنى والده علقما بهذا ، وكادت الخ ينهار بناؤها من أجله

ثم ان الاستاذ اقترن ايضا بالسيدة نفيسة بنت الشيخ سيدى المدنى الناصرى ، بعدما وقع بينه وبين الاستاذ سيدى الحاج ياسين عليها نزاع وذلك ان الحاج ياسين كان خطبها لولده اولامن أخيها الاكبر سيدى احمد بن المدنى فعقد له عليها بغير اذنها واما اخواه الاديبان سيدى البشير وسيدى الطاهر فقد اخطبا فيها صاحب الترجمة ، وبعد نزاع مستطير ، ذهب ودفن الخ فيه الحاج محمد اليزيدى والحاج ابراهيم الايفسانى وآخرون -كما حدث بذلك العم ابراهيم (وانظر هل كان هذا اليزيدى اذذاك حيا)- فخابروا الحاج ياسين ، وقالوا له ان أولى من يتبع الحق لانت ، فهذا العقد انت أول من يحكم بفساده ، والذى تقتضيه مروءتك الابتعاد عن مثل هذا ، لانك عالم كبير ، ولاتؤد بهذه الاسرة الى التفاقم فيما بين افرادها -والمقصود بين اولاد سيدى المدنى- فتبع رحمه الله رأيهم فسلم فى الامر ، فتم تزويجها من الاستاذ ، وهى سيدة عالية المقام مهذبة من كل ناحية وبينها وبين والدتى مؤاخاة مع انهما لم تترايا قط ، وقد اخبرت ان عقدها كتبه الاستاذ شيخنا سيدى الطاهر ، فكان يطفح بالبلاغة ، وطالما حثت بعض اولادها ان ياتى به لنسخه للتاريخ ، ولكن ذلك لم يتيسر ثم ولدت للاستاذ من الذكور العلامة سيدى المدنى والاستاذ سيدى الطاهر والنجيب سيدى الحسن ، وسترى تراجم الكل فيما سيأتى ان شاء الله، والنجيب والحسين وعبدالله وهذا اصغرهم ، وهو الآن ١٣٥٨ هـ ما زال يتلقى ، وقد برقت منه بارة نجابة فلئن نابر ليكونن بين اخوته اولئك نجما ثاقبا ، فهؤلاء اولاد الاستاذ الذكور ، واما الاناث فصفية وحبيبة من السيدة نفيسة ، ماتنا عند ابنى الفقيه سيدى سعيد الاكمارى الاديب سيدى احمد واخيه سيدى محمد ، وخديجة عند ابن عمها سيدى عمر وقد ولدت له الآن ١٣٥٨ هـ اولادا ، وفاطمة وهى اكبر اولاد السيدة نفيسة عانس فى الدار الى الآن (ثم ماتت خديجة فتزوج سيدى عمر فاطمة اختها العانس) واما اللاتى من السيدة مريم ، فتعزى ، ماتت عند شيخنا سيدى محمد بن الطاهر الافرانى ، وقد خلفت ولدها النجيب سيدى

المدني وغيره . ورقية عند سيدي احمد بن الحسين الاعضياوي ، ولا تزال ١٣٥٨ هـ حية
ولها اولاد من جملتهم بنت تزوجها ابراهيم بن الرئيس احمد الايفشاني ثم ماتت
فهذا ما اعلمه عن اولاد الاستاذ حفظهم الله وكلاهم وادام بيننا وبينهم ما
بيننا والدينا قبل ، فرحم الله الاستاذ وجعل البركة في عقبه انه سميع مجيب

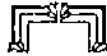
انتهى الجزء الاول من (المعسول)

في منفاى بالغ في واسط عام ١٣٥٨ هـ

ثم زيدت فيه زيادات بعد ذلك

وبليه الجزء الثاني في بقية ابناء عبد الله بن سعيد

من اهل (الفصل الاول) ثم يليه (الفصل الثاني)



الفهارس خمسة :

- [١] فهرس المترجمين في هذا الجزء
- [٢] الفهرس العام
- (٣) فهرس القوافي
- (٤) » الرسائل
- (٥) » الفاظ الشلحة المضبوطة

الفهرس الاول

في أسماء المترجمين في هذا الجزء

- ٨٠ سيدى عبد الله بن سعيد التاهالى
١١٧ سيدى احمد بن عبد الله بن سعيد الالغى
١٢١ سيدى محمد بن عبد الله بن سعيد
١٢٢ سيدى على بن أحمد بن عبدالله
١٢٥ سيدى عبد الله بن أحمد بن عبدالله
١٢٧ سيدى حسين بن عبدالله بن احمد
١٢٨ سيدى أحمد بن على بن احمد
١٣١ سيدى عبدالله بن موسى بن محمد الاونخيرى
١٣٢ سيدى ابراهيم بن بلقاسم بن محمد التاكانزى
١٣٤ سيدى بلقاسم بن على بن احمد التيببوتى
١٣٦ سيدى احمد بن بلقاسم التيببوتى
١٣٨ سيدى سليمان بن محمد أول فقيه فى المرابطين
١٤١ سيدى ابراهيم بن سليمان الفقيه
١٤٤ سيدى احمد بن صالح بن عبدالله الزاوى
١٤٥ سيدى صالح بن عبد الله الزاوى
١٤٧ سيدى محمد بن احمد السعيدى
١٤٨ سيدى محمد بن بلقاسم التيببوتى
١٥٤ الحاج على التيببوتى
١٥٦ الحاج عبلا بن صالح الالغى
١٦٠ الاستاذ سيدى محمد بن عبدالله الالغى
١٨٤ الشيخ سيدى الحاج على الدرقاوى
٣٢٥ العلامة سيدى على بن عبد الله الالغى

الفهرس الثاني الفهرس العام

- مقدمة بين الامس والغد
ح بيان (يتعلق بضبط الكلمات الشلحية)
١٣ خطبة الكتاب
١٥ تحية الغ بقصيدة بائية كبرى
٢٣ اسم الكتاب التام
٢٥ وصف الغ الجغرافي
٢٨ قرى الغ كلها
٢٩ بعض العادات الالغية
٣٠ عاشوراء
٣١ نبيلة المولد
٣٢ العرس
٣٣ العقيقة
٣٤ الحذاقة - العواشر - الختان
٣٥ الحصاد - والدارس وما اليهما - الجنائز
٣٦ الحرف والصنائع - الحدادة
٣٧ التجارة - الدباغة والحدادة - الاكافة
٣٨ الحباله - انشباكة - نساجة الصوف
٣٩ الخياطة
٤٠ الرفاءة - الخزافة - الحجامة
٤١ معدن النحاس - العلم والتدين والاخلاق العامة
٤٣ اطعمة الالغيين ووجبات اكلمهم
٤٦ قصائد في بعض اطعمتهم
٥٢ المشروبات الالغية
٥٣ رجز في تشحير الاتاي
٥٤ المعتاد في اول السنة الفلاحية - الالبسة
٥٥ الفرش - المعتاد في المساجد
٥٧ المعتاد في المدرسة الالغية
٥٨ دور المرأة الالغية
٥٩ الامثال الالغية
٦٠ الالغاب الالغية ذكر فيها ١٤ نوعا
٦٣ ما قيل في وصف الغ من الاشعار
٧٦ تقسيم الكتاب
٧٨ (الفصل الاول) من (القسم الاول)

- ٧٨ أسماء المذكورين في (الفصل الاول)
- ٨٠ الشيخ سيدي عبد الله بن سعيد التتالي
- ٨١ النظيفيات التي اسسها في القفار وهي ١٢
- ٨٣ وثائق واقوال المؤرخين (حواله)
- ٩٠ استنتاجات ترجمة الشيخ من كل ذلك وهو فصل طويل لا بد ان يقرأ
ليعرف الشيخ حق المعرفة
- ١١٢ بقية الوثائق المتعلقة بشال الشيخ بعده
- ١١٥ قصيدة للمؤلف يوم زار هذا الشيخ
- ١١٧ سيدي احمد بن عبد الله اول نزيل في الخ من ايامور احد اولاد الشيخ
- ١٢١ سيدي محمد بن عبد الله - الولد الثاني للشيخ
- ١٢٢ سيدي علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٢٥ سيدي عبد الله بن احمد اخو من قبله
- ١٢٧ سيدي الحسين بن عبد الله بن احمد ولد من قبله
- ١٢٨ سيدي احمد بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٣١ سيدي عبد الله بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد الاوخصري
- ١٣٢ سيدي ابراهيم بن بلقاسم بن محمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٣٤ سيدي بلقاسم بن علي بن احمد بن عبد الله بن سعيد
- ١٣٦ سيدي احمد بن بلقاسم ولد من قبله
- ١٣٨ سيدي سليمان بن محمد بن احمد بن عبد الله بن سعيد اول فقيه في
عال الشيخ عبد الله بن سعيد
- ١٤١ سيدي ابراهيم بن سليمان الفقيه ولد من قبله
- ١٤٤ سيدي احمد بن صالح بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن سعيد الفقيه
- ١٤٥ سيدي صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن سعيد
- ١٤٧ سيدي محمد بن احمد بن محمد بن سعيد بن محمد بن احمد بن عبد الله
بن سعيد
- ١٤٨ العلامة سيدي محمد بن بلقاسم بن محمد بن بلقاسم بن علي بن احمد بن
عبد الله بن سعيد
- ١٥٤ سيدي الحاج علي التيبوتي ابن عمه لحا الفقيه
- ١٥٦ سيدي الحاج عبلا بن صالح بن عبد الله بن صالح بن عبد الله بن احمد
ابن عبد الله بن سعيد ابو الاعلام
- ١٥٩ قصيدة في رثائه
- ١٦٠ العلامة مؤسس المدرسة سيدي محمد بن عبد الله ابن من قبله
- ١٦١ مبتداه
- ١٦٢ في مدرسة تانكرت
- ١٦٢ في مسجد قرينته (مدرسا)

- ١٦٣ فى المدرسة البومروانية
١٦٤ المدرسة الالفية تؤسس
١٦٥ قوام المدرسة
١٦٦ الاستاذ فى مدرسته الجديدة
١٦٦ كيف دراسة الاستاذ
١٦٨ العشرة الاولى
١٦٩ العشرة الثانية
١٦٩ الاستاذ وطلبته فى وادى اقران
١٧٠ الاستاذ يعاود ادارة الدروس بنفسه
١٧٠ الاستاذ يتصل بالسلطان
١٧١ الاستاذ يلتحق بالرفيق الاعلى
١٧٢ قصيدة فى التعزية فيه
١٧٣ تجاليد الاستاذ تنقل الى النغ
١٧٣ اخلاق الاستاذ مع رجزحوها
١٧٥ اثاره نظما ونثرا
١٨٠ الاخذون عنه
١٨٢ مراتبه
١٨٣ قولة على بن الحبيب فيه
١٨٤ الشيخ سيدي الحاج على الدرقاوى
١٨٥ موضع ولادته
١٨٦ فى المكتب
١٨٧ فى مدرسة تانالت
١٨٧ فى مدرسة المولود
١٨٧ فى مدرسة تازاروالت
١٨٨ فى مدرسة تانكرت
١٨٩ ملاقاته للشيخ سيدي سعيد المعدرى
١٩٠ مايدل على ذلك من رحلته ومن بعض رسائله
١٩١ فى مصاحبة شيخه المعدرى
١٩٣ محاوره لطيفة (بينه وبين ابيه وقد رده من عند الفقراء الى القراءة)
١٩٤ فى مدرسة ادوز
١٩٦ فى فض النوازل وقسم التركات
١٩٧ فى التجارة
١٩٨ فى مدرسة فوكوض معلما
١٩٩ فى المدرسة البومروانية
١٩٩ العزم على المشاركة فى المدرسة الوفقاوية
١٩٩ الطريقة تنقض عليه ثانيا فتطير به

- ٢٠٠ وقفة قصيرة بالقارىء (اللقاء نظرة على احوال المترجم)
- ٢٠٢ فى التجريد وخرق العادة
- ٢٠٨ من رحلته يصف هذه الحالة
- ٢١٠ السياحات
- ٢١٠ بين قرى سوس مع شيخه المعدرى
- ٢١١ فى جبالة
- ٢١٣ رسالة منه الى شيخه من جبالة
- ٢١٥ فى فاس
- ٢١٨ فى معاورة الشيخ كنون
- ٢٢٠ فى سلا
- ٢٢٠ بين الفقراء فى سوس بعد موت شيخه
- ٢٢١ سيدى الحاج الحسن خليفة الشيخ
- ٢٢١ يزور اهله
- ٢٢٢ نظمة ترده الى اهله بالكلية
- ٢٢٣ يؤسس مركزه ببلدته
- ٢٢٤ قطعة نظمية يوم تاسست زاويته
- ٢٢٦ تصدره للمشيخة وتربية المريدين
- ٢٢٨ يتزوج بزوجه الاولى
- ٢٢٩ أثر الحياة الجديدة (فى المترجم)
- ٢٣٠ الشيخ يسيح الى آقا
- ٢٣١ يراجع التدريس
- ٢٣٣ ينهض بهمة عليية الى ماهو بصدده
- ٢٣٥ سياحات اخرى كبيرة
- ٢٣٧ يؤدى فريضة الحج
- ٢٣٨ قطع من رحلته الى الحج الى ٢٥٧
- ٢٥٧ انتهاء وصفه كل مامربه وصفاشافيا
- ٢٥٨ محور حياته
- ٢٥٩ عمله فى سياحاته
- ٢٦٠ عمله فى زاويته
- ٢٦١ نتف من اخلاقه
- ٦٤ الشيخ فى انظار معاصريه السوسيين وغيرهم
- ٢٦٨ بعض اقوال المثنيين عليه
- ٢٧٠ قول المؤرخ ابن الحبيب فيه
- ٢٧٣ قول المؤرخ الاكرارى فيه
- ٢٧٤ بعض الامداح فى الشيخ الى رقم ٢٩٩

- ٢٩٩ بعض منظومات نثت بها الشيخ
 ٣٠١ غيرته الدينية امام الاحتلال
 ٣١٠ بعض دعواته واذكاره الخاصة
 ٣١١ مؤلفاته
 ٣١٢ وفاة الشيخ
 ٣١٤ مرآتي الشيخ والتعزيات فيه
 ٣٢٤ اولاده
 ٣٢٤ الكتب المؤلفة في الشيخ
 ٣٢٥ العلامة سيدي علي بن عبد الله الالفي
 ٣٢٦ خطوته الاولى
 ٣٢٦ في دراسة العلم
 ٣٢٧ في الاستعداد لقيادة المدرسة
 ٣٢٧ استاذ المدرسة
 ٣٢٨ قولة الشيخ الوالد فيه
 ٣٢٩ بولي القضاء من حضرة السلطان
 ٣٣٠ في رءاسة اخوانه المرابطين
 ٣٣١ مراسيم رسمية حوالية
 ٣٣٣ في كلاءة الله بين الزعازع
 ٣٣٨ في شبه غربة بعد دفن رفيقه الشيخ الالفي
 ٣٤٠ بين قضاة تزينت في عهد الهيبة
 ٣٤١ بين رؤساء قبائل هذه الجبال في الكفاح
 ٣٤٤ الاستاذ ومدرسته اخيرا
 ٣٤٥ نظرة عامة على اخلاقه
 ٣٤٩ اثار قلم الاستاذ من النشر
 ٣٥٠ نموذج من رسائله وبعض اشعار منه واليه
 ٣٦١ نتف من قوافيه
 ٣٦٦ الاخذون عن الاستاذ
 ٣٧٢ ايام الاستاذ الاخيرة
 ٣٧٥ الاستاذ يلفظ نفسه الاخير
 ٣٧٧ مرآتيه
 ٣٨٣ قولة الرفاكي فيه
 ٣٨٥ قولة ابن الحبيب فيه
 ٣٨٧ اولاد الاستاذ

الفهرس الثالث

فى القوافى

يذكر فيه القائل مع الشطر الاول ان دل اخره على قافية القصيدة والا فتذكر الكلمة الاخيرة ايضا لتدل على القافية وقد رتب القوافى على حروف المعجم على عادة المشاركة

الهمزة

بانت فبان جميل الصبر اسماء	٦٣ الشاعر الافرانى
اهل بوفد الخصب وفد سماء	٦٦ الحسن بن على الاغوى
ماذا رأى من لم يكن بالراءى	٦٧ المؤلف
باكر بها لمربع الزهراء	٢٧٨ محمد بن مسعود
لاحت فاعشيت اعين البصراء	٢٧٩ محمد بن الطاهر

الباء

اليكم بنى امى ائيب ركائبى	١٥ المؤلف
أسادتنا صحب الامام الرضا القطب	٢٨١ محمد بن مسعود
الانزه العينين فى خير ماقبة	٢٩٥ موسى بن الطيب الاغوى
وما اسم ثلاثى الى العز ينسب	٢٩٨ الشيخ الاغوى
وما اسم تراه كلما سار يركب	٢٩٩ الشاعر الافرانى
قلم البليغ يبين لغز منيئا - الاثقب	٢٩٩ الاستاذ على الاغوى
بحد سيوف الذكر فاقطع رقابها	٣٠٠ الشيخ الاغوى
اكفكف من مدايراعة مرغما - واجبا	٣٤٨ بعض الالغيين

التاء

الغ المعارف والاداب بلدتهم - الامارات	٧١ المؤلف
الفجر بالنور وزهر الربا - الذكيات	١٥٥ المؤلف
نعزبك لانا جهلنا مقام من - الموتى	١٧٢ لبعض الالغيين
اذا اودع الله الانامل حكمة - جلت	١٧٩ الاستاذ محمد الاغوى
متى كان حكم الروح فى الجسم لم يكن - البشرية	٢٧٦ محمد بن مسعود
وفيت بما تهوى جزيت جزاء من - قرته	٢٩٣ الشيخ الاغوى
سعد الفقير وساعدت اوقاته	٢٩٩ الشيخ الاغوى

الجاء

ابواب الغ لكل مات تفتح	٦٥ بعض الالغيين
اذا ماهب من افران ربح	١٧٨ الاستاذ محمد الاغوى

٢٨١ محمد بن مسعود

٣٣٤ بعض الالفيين

ياسيدا من نوره الوضاح
اذا انسد باب من امير فان لي - مفتاح

المدال

٦٦ محمد بابة

٢٣٨ محمد بن مسعود

٢٩٠ الحسن الركني

٢٩٠ الحسن الركني

٢٩٦ الطاهر الناصري

٣٠٠ الشيخ الالفي

٣١٧ الاستاذ علي الالفي

٣١٨ محمد بن الطاهر

٣٥٠ الاستاذ علي الالفي

٣٥١ الاستاذ علي الالفي

٣٥٢ الشاعر الافراني

عرج بتحت الحصن يامن سادا
ليهنا الوري طرا بابلالك السعد
ابو حسن نجم به السار يهتدي
الا بلغ الشيخ المرابي بورده
الى بيت اهل الجود والفضل والرشد
ولي مذهب في العشق منفردا به - ولا فقد
هينا ملكنا المال عفوا ما الذي - وتفقد
قالوا قضي العلم الامام السيد
لنحوك ما اخفي من الشوق او ابدى
بقيت سليما لاتقابل بالردى
ياعجبا كيف يخشى النحس مسعود

السراء

٦٤ محمد بن الحاج

٦٦ المؤلف

٧٠ المؤلف

٧٤ المؤلف

١١٥ المؤلف

١٧٦ الاستاذ محمد الالفي

١٧٩ الاستاذ محمد الالفي

١٨٠ الاستاذ محمد الالفي

٢٩٣ الاستاذ علي الالفي

٢٩٦ محمد بن مسعود

٣٢٠ موسى بن الطيب

٣٢٢ احمد بن محمد اليزيدي

٣٢٣ أحييب البوسليمانى

٣٤٦ بعض الالفيين

٣٦١ الاستاذ علي الالفي

٣٦٢ الشاعر الافراني

٣٨٤ المؤرخ الاكراري

٣٨٤ الاستاذ علي الالفي

٣٨٦ الاستاذ علي الالفي

ايا ساكنا ارضا هي الارض وحدها - والبصر
ما الغ غير شعوره في شعره
نعمة الالفي فتح - داره
يقولون صبيرا انه بك احدر
لله رحلتنا الى ايمور
بدت لي احبتنا عبرة - يعتبر
ياسبعة من سعد سبعة جمعهم - الامر
سلام كما المسك والعنبر
عليك سلام يا كريم معنبر
لله سيدنا الشيخ الامام وما - البصرا
مضى الاخيار وانقضت الدهور
قد استوى الله على عرشه - امره
قضى امام الدين من لا يري
اذا انت لم تكبح رفيقك مرة - لاتدرى
شنف باسماع من احيا اذا ذكروا
هذي نجوم الدجا ام هذه درر
على السميع من زرت ما تره - الشجر
مولاي من قدزرت بطلعة القمر
مولاي انى وان شطت بي المدار

ياواردا عمت الدنيا مفاخره
 وصالك هذا ام بداصيح اسفار
 جزى الله آخوان الصفاء بكل ما - الحشر
 أمن جادت بكرجرى منه ما جرى
 واعظم مقدام اذا اشتعر القنا - المجر
 الدهر بعد تعرف يتتكر
 موت العليم مصيبة لن تجبرا
 لتبك فما فى الارض من كل اغيرا

٣٦٣ الاستاذ على الالغى
 ٣٦٤ الاستاذ على الالغى
 ٣٦٥ الاستاذ على الالغى
 ٣٧٧ الشاعر الافرانى
 ٣٧٩ ابراهيم السكتانى
 ٣٨١ محمد الكثرى
 ٣٨٢ الاقوى القاضى
 ٣٨٢ الاقوى القاضى

المرأى

تاملت لغزا اتعب القلب حله - اللوز

٢٩٩ الشاعر الافرانى

السين

بسييسك يازهراء خير بسييس
 الاليت شعرى هل ابيتن ليلة - سكسو
 فكه مصاحبك الالغى ما الفت - قاس

٤٦ مساجلة
 ٧٥ المؤلف
 ٤٥ لبعض الالغيين

العين

على مثل هذا الحادث الفادح الوقع
 اذارتمت نظما مقفى محبرا - الوسع
 سلام كما ازدانت بصوب مراتع
 امن حادث بكر الم فاجزعا
 الدهر يفجع والصدور توجع
 بشير وظاهر ونجل لطيب
 انفح نسيم الروض والروض ناصع
 يحق على للمبشر انكم - خلع

١٥٩ الشاعر الافرانى
 ١٨٠ الاستاذ محمد الالغى
 ٢٨٩ محمد بن مسعود
 ٣١٧ الشاعر الافرانى
 ٣٢١ احمد ابيزيدى
 ٢٩٤ الشيخ الالغى
 ٢٩٤ الشاعر الافرانى
 ٣٦٣ الاستاذ على الالغى

العين

نسيم الصباهى بنشر ربا الغ
 اذا احتفلت اءاداب من كان فى الغ
 نسمات الرضا وروح سلام - الغ
 أقول لمن قد شفه الوجد ماتبغى
 اياطالبا سر المعارف فى الغ

٦٣ الشاعر الافرانى
 ٧١ المؤلف
 ٢٨٢ محمد بن مسعود
 ٢٨٣ محمد بن مسعود
 ٢٨٣ الشيخ الالغى

الفاء

يااهل تحت الحصن انتم فوقه - يشرف

٦٤ محمد يحيى اولاتى

بالغت فى الارشاد يامن ينصف
لله ماقد هاج ذاك الموقف
فمن للعلا والمحاسن والوفا
ذق من كؤوس ودآدهم فتصافى

٦٤ محمد بن الحاج
٦٥ أبو نعمانى
١٨٢ الشيخ الالغى
٢٨٤ محمد بن مسعود

القاف

لمن جفنة قد أقبلت تتألق
ليهنكم بآال الخ مفاخر - شرق
الخ فرد وس لمن منيته - رائق
فتارة ذو سرقة
ابا حسن زرنا على عجل ومن - فرق
اجيب بجثمانى وقلبى لديكم - فرق
هذه (كيزة) الضيوف الرشيقه
له يوم خميس جادلى بلقا

٨٤ المؤلف
٢٨٢ محمد بن مسعود
٧١ المؤلف
١٧٩ الاستاذ محمد الالغى
٢٩٢ الشيخ الالغى
٢٩٢ الاستاذ على الالغى
٢٩٥ لبعضهم
٣٦١ الاستاذ على الالغى

الكاف

وان اخاك الحق من كان مشنيا - فوقكا

٣٤٠ لبعض الالغيين

اللام

وكم عانس بكرتخطت زواجها - الاهر
الغيث فى مارس بعد - الجميل
حنانك الخ المكان الجميل
ايا ابن القطب احيا الدين جهرا - جهلا
وما مخبر عن الفتى مثل نفسه - الوصل
بيت اتبح الخير من وجهاته - القالى
هنيئا لقلبى والهناء على مثلى
فما اسم رباعى الحروف ترمى الذى - اول
اتنتى فحلت من عقال التردى عقلى
تاملت هذا اللغز يا ايها الخل
لله دركم يامن لهم دول
قد انقضى الخير ووجد الكمال
فتبا لهذا الدهر لا يعرف البذلا
اهلا بمن رحل العنا بنزوله
ياقادما فضله فى العلم والعمل
ان لم تكن كابن مقله
تبدي فخلت البدر فى الاقن ينجلي
لله درك من امام عادل

٣٦ لبعض الالغيين
٦٨ المؤلف
٧٣ المؤلف
١٦٩ الاستاذ محمد الالغى
٢١٣ بعض الالغيين
٢٢٤ الاستاذ على الالغى
٢٩٣ الشاعر الافرانى
٢٩٨ الشيخ الالغى
٢٩٨ الشاعر الافرانى
٢٩٩ الشيخ الالغى
٣٠٠ الشيخ الالغى
٣١٨ سيدى عبد الله الالغى
٣٥٠ الاستاذ على الالغى
٣٦٢ الاستاذ على الالغى
٣٦٣ الاستاذ على الالغى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى
٣٦٤ الاستاذ على الالغى

٣٦٤ الاستاذ علي الالغى اريد من خير اخواني وصفوتهم - العملة

الميم

- ٦٥ ابن العتيق يا اهل تحت الحصن ان يقع النوى - زعيم
٦٩ المؤلف ياطيب الغ في الربيع فما - نسيم
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى انشئوا يا خير قوم
٢٩٢ الاستاذ محمد الالغى اباحسن منى سلام عليكم - سلام
٢٩٧ الشاعر الافرانى اتيتك حبوا للزيارة عندما
٣٠٠ الشيخ الالغى جزاك اله العرش خير جزائه - جزما
٣٥٤ المؤلف أعاطى اكؤس السلوى نديمي
٣٦٢ محمد بن الطاهر شعر زرى بالعقد حسن نظامه

النون

- ٤٧ أشاعمر الافرانى ان الموائد انت من شجعانها
٢٨٢ محمد بن مسعود حتى ريع الرباب من تحت حصن
٧٠ المؤلف الغ بسيط بلقع مقفر - عين
١٧٩ الاستاذ محمد الالغى سلام عليك يا على الشقيق والبنى - انغصن
٢١٦ محمد بن مسعود وراءهم شيخ بزاوية وقد - الاركان
٢٧٤ محمد بن مسعود مالى سواك وسيلة لله ثم - الصمدانى
٢٨٠ محمد بن مسعود قفا بالمطى فى اراكة نعمان
٢٨٢ محمد بن مسعود سقى الله الحمى من تحت الحصن
٢٨٣ محمد بن مسعود ياسادتى الغر العظام الثمان
٢٨٣ محمد بن مسعود ان فاتك القطب ذاك الشاذلى فلذ - ابى الحسن
٢٨٩ محمد بن مسعود وافت نوصل الهائم الحيران
٢٩٠ الحاج عبد الحميد الا ابلغ الشيخ الامام آبا الحسن
٢٩١ محمد بن المحفوظ أنت خير الشيوخ فى الاقران
٢٩٢ الاستاذ علي الالغى ابا حسن تم مسرة عيدنا
٢٩٩ الشاعر الافرانى خليلى دلانى على شاحذ الذهن
٣٠٠ الشيخ الالغى ادخل مبارك حضرة الرحمان
٣٦٤ الاستاذ علي الالغى عليك اماما اعجز اللسن فى اللسن
٣٦٤ المؤرخ الاكرارى سلام يخوت ملحضيض الى الثمن
٣٨٧ الاستاذ علي الالغى اتيت لامر حافز (فصك) وهى بلدة - احسان

الهاء

- ١٥ المؤلف لى همة عالية فذة - منتهى
٢٨٢ محمد بن مسعود تلك شمس القلوب بانث فناهوا
٢٨٣ محمد بن مسعود ياسيدا اطلعت بالسوس طلعت - تيتها

الياء

- ٦٩ المؤلف نله الغ ومرءاها ومجياها
٣٠٠ الشيخ الالغى اموسى اجمعن فى الله همتك العلىا
٢٩٧ الشاعر الافرانى تارقت لما شمت برقا حجازيا

الالف المقصورة

- ٢٩٣ الشاعر الافرانى ابا حسن هذا غداء جميعكم - الضحى
٢٦٤ الاستاذ على الالغى ان حسن الخط زين للفتى

الاراجيز

- ٤٦ بعض الالغيين ملوا علينا من حديث املو
٥٣ الشاعر الافرانى هذا وانى قد رايت رجزا
٦٩ لبعض الالغيين اوصاف الغ متنافيات
١٧٣ الشيخ الالغى من رحلته متبعا شقيقه محمدا
١٩٠ منها قد كنت فى غياهب الغباوة
٢٠٨ منها كت ما سوى الاله جهرا

قطع منها فى رقم ٣٠١ كما فى رقم ٣٢٨ كما من ٢٣٨ الى ٢٥٧

- ١٨٠ الاستاذ محمد الالغى اتعبت فى تملك التصريح
١٨٠ الاستاذ محمد الالغى تكلف الاسفار للاوطار

الفهرس الرابع

فى الرسائل والوثائق والظواهر والمراسيم الرسمية

- سىدى عبدالله بن سعيد الایموى
وثائق وظواهر من ٨٣ - الى ٩٠ ثم من ١١٢ - الى ١١٥
سىدى محمد بن عبد الله العلامة الالغى
رسائل فى هذه الارقام - ١٧٦ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٩
سىدى على بن عبد الله العلامة الالغى
رسائل فى هذه الارقام ٢١٦ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٤ - ٢٥٦
ظواهر ٢٩ - ٣٣٠
الشيخ الالغى
رسائل فى هذه الارقام ١٧٩ - ١٩٠ - ١٩٥ - ٢١٣ - ٢١٦ - ٢٢٥ - ٢٠٧ - ٢٠٩ - ٣٠٩
غبر الالغيين
سىدى الحسين الزرهونى ٣١٥
سىدى محمد بن على التادلى ٣١٤
محمد بن عبدالسلام الورزازى ٣١٤
سىدى الزبير البعمرانى ٣١٥
سىدى عبد العزيز الالوزى ٢٢٣
محمد بن المحفوظ التازيمانى ٢٩١
سىدى الحبيب الیوسلىمانى ٣٢٣

الفهرس الخامس

في الالفاظ الشلحفة التي وقع فيها حرف مشددة

تَأْفِيْكَانَغْت	إِيغْرَم	إِذْبِيْرَان
تَأَطَّارُوسْت	إِيْسَافِن	أَسَاكَا وَأَصِيَان
تِيْسَا	إِيْشَادَنْ	أَسِيْفٌ مُّقْوَرَنْ
تِيْنُوْضَفِيْوِيْنِ تِيْسِيْن	إِيْسَقَال	أَسْكَأَوْر
تِيْسِيْوَت	إِيخْف وَيَنْدِيْكَوْنَا	أَضَارُ أَوْ كَلِيْد
تِيْزِرَا إِيْفُوْأُوْسْتِن	أَيْتْ أُوْمِرِيْ	أَفْلَا أَوْ كَنْس
حَوِيْكَأ	أُوْبَا حُو	أِكْرَام
ذَرَا وُوغ	أُوْبَا لُوْش	أِكْنِي إِيْعْدَان
دُوْكَأَدْبِر	تَأَزُّ مَوْرَت	أَمْلَنْ
دُو تَمْسِرُوْت	تَالَاتْ غَزِيْفَنْ	أَمْتَضِي
دُوِيْنَمَلَانِن	تَارْ كَانْتَضِيْلَمَاطْ	أَنْبِدْ نَتُوْمَلِيْلِيْن
الرِّكَأَدَة	تَامُوْدِيْزَت	أُوْجُوْ
مَامَانِس	تَابُوْرِيْشْت	إِيْفِدْ إِيْفِي
حَمِيْدَة بِن مَائِس	تَاعْنُوْنَت	إِيْشَان

فهرس الخطأ والصواب

صفحة	السطر	صواب	
٢	٢	هكذا هذه الابيات الثلاثة لا كما في الاصل	
		سريت صغيرا بين شتى المسارب ومجمع اخواني ومغنى أصحابي سموت بها فوق الدرى والمناكب	
		كان لم يكن الخ بلادى التى بها كان لم يكن أصلى ومنبت نبعتى كان لم تكن لى أرضها خير مرتقى	
صفحة	السطر	خطأ	صواب
١٧	١١	وبعض ماسكو	وبعض ما سكوا
٢١	٦	أنخت العيش	أنخت العيس
٢١	٧	فى الحاشية - صوا	صوى
٣٤	١	حفنة عصيدة	حفنة
٤٥	٢٠	اغدايقى	اغدا يقى
٥١	٣	فى جانبى الحوض	فى جانب
٥٢	٢	فى الحاشية - الباديين	البادين
٥٢	٥	فى الحاشية - شطئه	شاطئه
٥٣	١٣	فى الحاشية الضفاديع	الضفادع
٦٠	٧	يتتساوون	يتتساوون فيه
٦٧	١٠	يشعشها	يشعشعها
٧٠	٢٣	رشف الكؤوس	رشف لكؤوس
٧٠	١	فى الحاشية - الجرج	الجرج
٧٧	٢	وخزرتة	وحزرتة
٨١	١٣	التطفيات	النطفيات
٩٢	١٩	بعضها ولكن	بعضها لكن
٩٣	١٧	يرونها	يروونها
٩٦	٣٢	ولا يعرف	ولا يعترف
١٠٤	٢٤	فى واد ساموكن	فى وادى ساموكن
١٠٥	١٨	الاعلى	الاصلى
١١٧	٢٢	شاور	ثاور
١٤٥	١	سبلى	سيبى
١٤٥	١١	فكان ممن يحرد	فكان يحرد
١٤٥	١٦	عن مجاط	عن مجاطى

صفحة	السطر	خطا	صواب
١٤٧		نحو ١٢١٥ ٤ ١٢١٦ هـ	قبل ١٢١٠ هـ = ١٢٩٦ هـ
١٤٧	٩	اتفن - اشتهر	اتفنوا - اشتهروا
١٥٩	١٩	القادح	القادح
١٦١	٢٠	ممن سار	ممن ساروا
١٦٦	٤٤	دعائم مراسية	راسية
١٧٩	١٤	لقد كان لك	لقد كان لكم
١٧٩	٣٠	فتحو	فتحو
١٨٣	٧	عصاية	عصامية
١٩١	٢١	منهم الوقوف	منهم من الوقوف
١٩٢	١٧	ان يكون	أن يكونوا
٢٠٦	٢٢	وينفطر	وينفطر
٢١١	١٥	لم تمضى	لم تمض
٢١٧	٥	احتجت	احتجتم
٢٢٠	٢٩	كمن اخبره	عمن اخبره
٢٢٠	٢٨	وما رأى كمن سمع	وما رأى كمن سمع
٢٢١	١١	فى كثر القال	فى كثرة القال
٢٢٢	٢٩	فى ناحية المترجم	فى ناحية والترجم
٢٢٣	١١	لما ستراه	كما ستراه
٢٢٤	٢٧	اذاك	اذ ذاك
٢٢٦	٧	ولو بدارهم	ولو بدارهم
٢٢٧	١	كبير	كبير
٢٢٧	٧	الشيخ	الشيخ
٢٢٧	٣٢	يتبجحوا	يتبجحوا
٢٢٧	٢٢	ظهرانهم	ظهرانهم
٢٣٢	٤	سيخلفه	يستخلفه
٢٣٦	٢٥	فى فايى اوكادير	فى ايى اوكادير
٢٤٠	١٣	الجارى	الجار
٢٤٣	١٠	فابندورا	فابندورا
٢٤٤	١٦	ووليت	وووليت
٢٤٨	٢٦	يدرى	يدر
٢٥٢	٤	ليس	ليست
٢٥٤	١	أن يزيره	أن يزيره
٢٦٤	١٤	٠٠٠ القواد	وكذلك القواد

صفحة	السطر	خطا	صواب
٢٥٠	٣٣	الادوزى	التازيمامتى
٢٦٨	٥	يخفف	يخف
٢٧٢	٥	يصون	يحصون
٢٨١	٣	من غير	من خير
٢٨١	٢٣	بلا مزج	بلا مزج
٢٨٢	٢٨	له - طب	لاه - طب
٢٨٤	١٦	غراما	مزافا
٢٩٠	١٦	الساى	الساى
٢٩٤	٢	الانزاضى	السكرادى
٢٩٥	٢٠	الله فى كل	الله كل
٣٠٣	١٩	حتى خرجت	حتى خربت
٣١٤	٥	ويجد	ويجدون
٣١٨	١٠	ضلعا	ظلمعا
٣٢٣	٤٢	ذك	دك
٣٣٥	٢٠	اخبار كثيرة	اخبارا
٣٤٠	١٦	ومتى لامثالهم	ومتى كان لامثالهم
٣٤٥	٣	أن يقمر	أن يقمز
٣٤٥	١٢	أوتى	أتسى
٣٤٥	١٧	يكر	يكرر
٣٤٧	١١	الى الاخلاق	الى الاخلاف
٣٤٧	١	فى الحاشية	تينجداد
٣٥٣	١٨	ففيما مضى	فيما مضى
٣٦٥	١٢	والاجلة أنصارى	مع اجلة انصار
٣٦٦	٧	جوف القرا	جوف الفرا
٣٧١	٢٤	التامانارتيون، سيدى اليزيدى	سيدى اليزيدى، التامانارتيون
٣٧٣	١٩	بفذة	بفلذة

هذه هي الاغلاط التى وقفنا عليها . وقد يكون هناك اخرى . فالقارىء النبیه لا تخفى عنه



